

أدب

قديمها وحديثها

تأليف

محمد المختار السوسي

حياء للطبع وعلق عليه

محمد بن عبد الله الروداني



الطبعة المصكية - الرباط

1966 - 1386

إليخ قديما وحديثا

تأليف

محمد المختار السوسي

مياه للطبع وعلق عليه

محمد بن عبد الله الروداني



المطبعة المصيرية - الرباط

1386 - 1966

تصدير

بسم الله الذى تنهل الخيرات من فضله
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

وبعد ، فالى مقام حضرة مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم ،
جامع اشتهات مكارم النوع الانسانى ، سيدنا ومولانا الحسن الثانى ،
ابن الملك الهمام ، المجاهد الموفق الامام ، الذى انار لشعبه سبيل الانقاذ
فى الهندى الدامس، سيدنا ومولانا محمد الخامس ، قدس الله روحه، ونور ضريحه،
ارفع ثمرة مجهود سوسى ضئيل ، بالنسبة لما يليق أن يقدم الى شرف مقامه
الاثيل ، فى خدمة التاريخ المغربى عموماً وتصيير خفى احدى حقه الخاصة
واضحاً معلوماً .

وهو وان كان عنوانه « ايلخ » التى أسسها واستقر بها أبو حسون
على بن محمد الادريسي السوسى السملالى ، الذى قلما يورد المؤرخون ذكره
الا باقتضاب اجمالى ، فانه قد تناول أحد ملتقيات التيارات القوية فى مرحلة
من مراحل تاريخ بلادنا المغربية ، فى وقت مزقت فيه وحدتها الانقسامات
الداخلية ، وشرعت لاحتلالها الانتهازات الخارجية ، فهياً الله لها الخلاص ،
وقد كاد يعز منه المناص .

فى دولة لحظ الزمان عيوبها فارتد مكتئباً بمقلة أرمد
من كان مولده تقدم قبلها أو بعدها فكأنه لم يولد

دولة سادتنا الشرفاء العلويين ، أجداد جلالته الصناديد الميامين ،
« والمغرب - كما قال المؤلف في صفحة 205 - ضعيف مفتقر القوى ، مفكك ،
الأوصال ، الا أن الله سلم وعجل بالشرفاء العلويين الذين وحدوه من جديد ،
خصوصاً الأسد الوثاب المولى اسماعيل » ، أدام الله عزهم وخلد في الصالحين
المصلحين ذكرهم ، خصوصاً واسطة عقدهم ، ومجدد مجدهم ملكنا الحالى ،
ذا الشباب الحالى ، والتدبير العالى ، أدام الله له الفتح المبين والعز والتمكين .

وإذا كان هذا الكتاب قد ظهر في هذه الطبعة الأنيقة ، في أبهج حلة
وأحدث طريقة ، فإن الفضل في ذلك يرجع الى جلالته ، ومكارم سدته ، فانه إما
صار خديمه المخلص الوزير ، المؤلف الأستاذ المختار السوسى الى عفو العلى القدير ،
أصدر جلالته إبقاء الله في عز ومناعة ، أوامره السامية المطاعة ، بطبع مخطوطات
وزيره في مطبعة جلالته الملكية ، وعلى نفقته الشخصية ، فكان ذلك سبب خروج
هذا الكتاب من أصابير مسودته ، بهذه الأناقة في حلته ، وقد جرى جلالته في ذلك
على نهج أسلافه الأولين ، سادتنا الملوك العلويين ، بما أحيوا من آثار ، أنفق فيها
جهاذة العلماء نفيس الأعمار ، فأوشكت بعد وفاتهم أن يستولى عليها الاضمحلال ،
فأنقذوها من برائنه بانتداب أفاضل الرجال وبذل الأموال ، بل زينوا جيد
ملكتهم هذه بأحداث الطباعة ، فروجوا فيها للمعرفة أغلى بضاعة ، نظر الله أنى
أعمالهم بعين القبول ، ولقاهم من أفضل الجزاء فوق المامول .

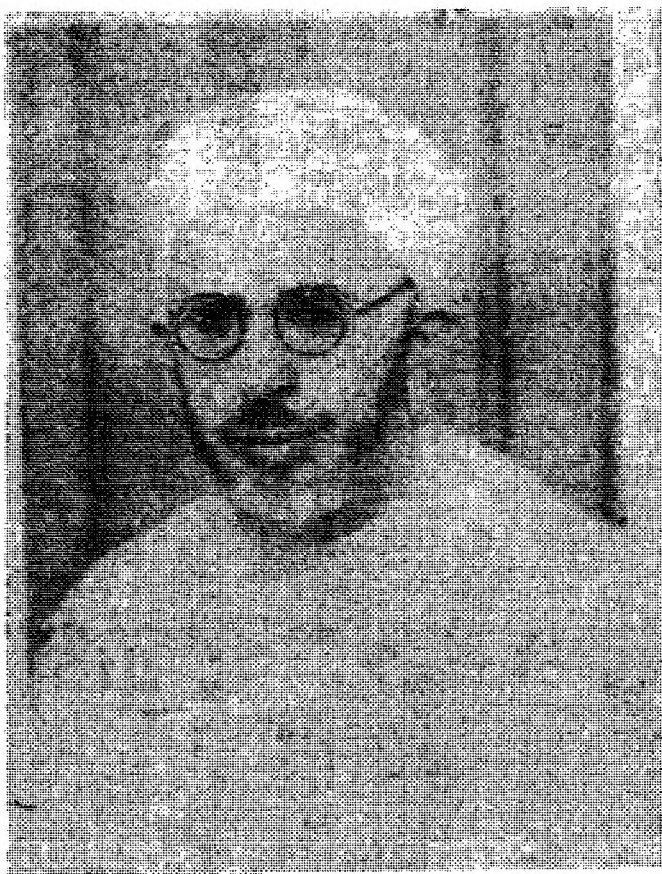
وجلالة مولانا الملك الحسن الثانى عند ما سار في ذلك على نهج
أسلافه الكرام ، سادتنا ملوك دولتهم العظام قرن الله وجودها بالدوام ،
قد أرانا تعشقه مثلهم لانجاز جلائل الأعمال ، وتخليد مآثرهم المثالية لاقتداء
الاجيال ، أنجح الله أعماله ، وحقق آماله ، وأنقد بمشاريعه من الفاقة والجهالة ،
وهدى به من الضلالة ، فهو العالم العامل المقدر لآثار العاملين ، المشجع
لمجهودات المنتجين .

عشق المكارم فهو مشغول بها والمكرمات قليلة العشاق
وأقام سوقاً للثناء ولم تكس سوق الثناء تعد في الأسواق
بت الفضائل في البلاد فأصبحت تجبى إليه محامد الآفاق

وان كل شكر ليقول في حق جلالته على هذه النعمة التي أسداها ،
والمكرمة التي أبداها ، قرن الله وجهاته بالسداد والتوفيق ، وهده في هذه الدار
الى أحسن طريق ، وجعله في تلك من أنجى فريق ، وان الله لا يضيع أجر من
أحسن عملا ، ولا يخيب لمن أحسن الظن به أملا ، والسلام .

الرباط - الجمعة 8 جمادى الثانية 1386
أوافق 23 شتنبر 1966





صَوْرَةُ الْمُؤَلِّفِ

ترجمة المؤلف

جرت عادة الناشرين للكتب أن يصدروها بتراجم مؤلفيها ليكون القراء على علم بأمرهم ، ولكن مؤلف هذا الكتاب ليس بخفي فنبيته ولا بنكرة فنعرفه ، فقد منحه الله شهرة طبقت الآفاق ، ورزقه من الصفات المحمودة ما توغل به في جميع الميادين ، واشتهر به بين جميع الطبقات ، فهو العالم الأديب الفكه المرح الصوفي المتقشف المتنسك الوطني السياسي اللبق الذكي النبيل المتغافل الحيي الوزير الفقيه المحدث المؤرخ البهائي ، الى غير ذلك مما يقلل ان يجتمع للناس ، ولكن أحدا لن يستطيع أبدا ان يصفه بالأوصاف المسترذلة كالانحطاط والأسفاف أو العتو والتجبر .

ومع ان أحواله وأوصافه ما تزال معروفة ولما يطل العهد بعد على وفاته ، فقد رأينا من الواجب الحاق ترجمته هنا اذ لا سرف في الخير وان لم يكن خير في السرف .

فقد ولد في قرية الخ بناحية تازروالت بأقصى جنوب القطر السوسى بالجنوب المغربى ، في صفر عام 1318 هـ من أبوين كريمين ، والناس معادن ، هما الشيخ الصوفى الواصل العارف المربى سيدى الحاج على بن احمد الدرقاوى المتوفى فى 28 - 12 - 1328 هـ - ص 184 ج 1 (المعسول) والسيدة الفضلى رقية بنت الاستاذ العلامة الكبير محمد بن العربى الادوزى المتوفاة فى 12 - 3 - 1342 هـ ص 39 ج 3 (المعسول) ووالدها توفى فى 5 - 12 - 1323 هـ - ص 149 ج - 5 - (المعسول) .

فنشأ في بلدته تلك حيث الطبيعة الجافة القفار من كل ملطف أو مرفه ،
يكافحها الانسان وتكافحه ، وحتى اذا لم ينتصر عليها فلا أقل من ان يتمرس
بها ويتدرب على موائبها ، وكذلك ظل هذا المولود الى اقصى نفس من حياته ،
وقد اختار له جده لأمه اسم محمد ولكن لما أخبره الوالد بأن له ولدا قبل هذا
يحمل هذا الاسم أمر ان يضاف الى هذا وصف المختار لينماز عن الأول فكان
محمد المختار .

وبما أن أباه يشغل في مجتمعه مركزا دينيا يدعو الى التفاف المتسمين
بالدين والخير حوله ، فقد كان معلموه الأولون من اتباع والده ومريديه ، فعنهم
أخذ القراءان ومبادئ المعارف العربية الاسلامية التي كانت متداولة اذ ذاك .
وقد شئت الأقدار ان يفقد أباه بعد عشرة أعوام من ميلاده ، أى فى 28 - 12 -
1328 هـ ، ولكن محيط أهله من أقارب ومريدى الوالد كانوا يحدثونه على متابعة
التعلم خصوصا أخاه الأكبر سيدى محمد خليفة والدهما على زاويته ، ص 33 ج 2
(المعسول) وصهرهما الياف والدهما سيدى سعيد بن محمد التانانى المتوفى
فى 16 / 11 / 1343 هـ - ص 5 ج 15 (المعسول) .

وكان من جملة المدارس التى التحق بها فى ايفاعه مدرسة تانكرت
بافران القطر السوسى عند شيخ الأدب العربى الرائع الاستاذ الطاهر بن محمد
الافرانى المتوفى رمضان 1374 هـ ص 69 ج 7 (المعسول) يساعده ولده العلامة
الاديب سيدى محمد المتوفى 21 / 3 / 1377 هـ ص 238 ج 7 (المعسول) والعلامة
الاديب المتضلع المولى عبد الرحمان البوزاكارنى المستشهد بالرباط مدوسا
بسيارة مساء 17 رمضان 1380 هـ والمدفون بمقبرة سيدى الخطاب بباب العلو
بها ص 90 ج 10 (المعسول) فلم يفارقها حتى أصبح يتذوق الأدب الرفيع
وصار له اطلاع فى الآلاته وفنونه مما اعانه على المضى فيه قدما ، ومن العجب
ان غالب هؤلاء السوسيين الشلحيين يبرعون أول ما يبرعون فى العربية
وادابها فيتكون منهم فحول الكتاب والادباء والشعراء .

وبعد تقلبات شتى تعترى في هذه السن الايتام المهملين على حد تعبير الفقهاء ، ولا داعي لايرادها ومن أرادها فليطالع له كتاب « الالقيات » ، باجزائه الثلاثة ، فان عناية الله ساقته الى دخول مراكش بعد عشرة اعوام من وفاة والده ، أى في سنة 1338 هـ بقصد التماهى في طلب العلم ، فسكن مدرسة ابن يوسف ، وأخذ يتردد على دروس الجامعة اليوسفية ، فلم يكن الى الآن أكثر من طالب عادى يتردد على حلقات اساتذة عاديين على النمط العتيق ، أى مزاول الفية ابن مالك ومختصر الشيخ خليل وجمع الجوامع والتلخيص مع جمود تفكير وتقليد بالغ فى تدين وصلاح وحسن نية ، الى ان حل بها فى سنة 1342 هـ الاستاذ الحافظ شيخ الاسلام ابي شعيب الدكالى المتوفى عام 1356 الموافق 1937 م ، فرأى فيه مترجمنا من اتقان الحفظ وسعة الاطلاع وسمو المدارك والتصرف المحكم الحر والتدفق الغزير والفصاحة الخلافة ما جعله يعيد النظر فى كل ماضيه ومحيطه من معلومات واساتذة ، خصوصا ، - وهو وليد الوسط الدينى ، - قد شاهد كيف يكون اتقان العلوم الدينية من حديث وتفسير واصول، وكان كما قال : « ثم فى سنة 1342 هـ طلع علينا السعد بطلوع الشيخ أبى شعيب الدكالى ، فكان ذلك فى حياتى اجافة لباب وفتح لباب آخر » ، فلزم البجد فى الدرس وجعل غايته أن يبلغ مبلغ ذلك الشيخ ، وحيث ان كلا ميسر لما خلق له فبينما صاحبنا يجد ويجتهد ليل نهار ليصل ما جعله نصب عينيه ، اذا بتحول آخر ، لا يقل عما أحدثته رؤية الشيخ يدب الى حياته ، وذلك ان الاقدار ساقته عن غير ارادة منه الى طلب العلم بفاس فى مفتتح عام 1343 هـ صعبة شقيقه الاستاذين الفاضلين القاضى سيدى عبد الرحمان المستشهد فى زلزال اكادير فى 3 رمضان 1379 - ص 268 ج 2 (المعسول) - وسيدى ابراهيم المستشار حالا بالمجلس الأعلى للعدل ، فكان من مظاهر عظمة المترجم ان ضم اليه اخويه هذين وتحمل اعباء نفقتهما وتعليمهما فكانا كما اراد واكثر .

ولم يكده هذا السوسى الذكى المتصوف الدراوى المنكمش الذى سبق له ان وعى ما وعى من امهات الفنون فى بلده وفى مراكش مع التعنى فى المواد الأدبية - لم يكده يخالط نجباء الفاسيين المترددى الى جامعة القرويين حتى كهربوه بكهريتهم وصهوره فى بوتقتهم ، وكان من حسن حظه ان دخل هذه

الجامعة فى وقت كانت فيه على ابواب تحول جديد تنهياً له فى اشخاص جماعة من اترابه من أبناء البيوتات المضرية المجيدة فى مثل مجد بيته واسرته ، منهم الاستاذ الجليل سيدى ابراهيم بن احمد الكتانى أبو الزيا كما يلقبه كلما ذكره فى مؤلفاته وما أكثر ما يذكره ، والاستاذ العلامة المضحى المخلص الجليل سيدى محمد غازى المكناسى ، والعلامة الكبير الاستاذ سيدى علال الفاسى الذى يلقبه شاعر الشباب وقال انه رءاه لأول مرة شاباً نحيفاً عند قيامهم من درس فى مقامات الحريرى على شيخ الاسلام سيدى محمد بن العربى العلوى المطبرى المتوفى يوم الخميس 22 محرم عام 1384 هـ الموافق 4 يونيه سنة 1964 م ، ومولay الصديق العلوى الاستاذ الجليل المتوفى فى أكتوبر 1936 الموافق رجب 1355 ، والسيد عبد الهادى مكوار الذى اشتغل بعد ذلك بالتجارة بالدار البيضاء وكان امينا لتمويل المدارس الحرة بها أيام كان التعليم مقترأ على المغاربة ، والمتوفى بها فى 4 صفر 1381 الموافق 18 يوليوز 1961 ، وابناء الاسرة الفاسية المجيدة العلماء الاجلاء الذين منهم العلامة المؤرخ سيدى العابد الفاسى ، والاستاذ محمد الفرسىوى الوزانى القاضى حالا بمراكش ، وغيرهم ممن يكفى هؤلاء المذكورون كمثال لهم .

وفى هذا الوقت نفسه تعارف مع الاستاذين الرباطيين الجليلين الشيخ محمد المكى الناصرى والرئيس المحترم الحاج احمد بالافريج ، اذ كانا يردان على فاس للاتصال بتلك النخبة التى يربطهم بها ما كتبه الله لهما فى الأزل من المشاركة فى الكفاح ، فكانا يحضران الاسمار فى بيت المترجم بالمدرسة العنانية وربما يبيتان معه فيه ان اقتضى الحال (وسم الخياط مع الاحباب ميدان) كما يقولون ، كما كانوا يتصلون بامثالهم من تطوان كالاستاذين الأخوين الحاج عبد السلام بنونة وأخيه الحاج محمد .

قال عن هذا الطور فى « الالفيات » « ومن هناك تمخضت الفكرة الوطنية المتركزة على الدين والاخلاق السامية ، وكنت أصحاب كل المفكرين اذ ذاك ، وكانوا نخبة فى العفة والدين ، ينظرون الى بعيد ، وهذا يعطينا صورة عن الوطنية المضرية الاولى التى كان هذا الاستقلال الذى نتمتع به ثمرتها ، واتى

استحالت مع تطاول الايام الى هذا الخليط من الاخلاق الأوربية الغريبة عنا كما نحن غرباء عنها ، وكان صيقل اذهانهم ومحك قرائحهم ومستمد مطامحهم هو منتدياتهم فيما بينهم ودروس سيدى محمد بن العربى العلوى الذى يلقبه المترجم « موقظ الهمم » .

ولما أرادوا البروز الى ميدان العمل حولوا الزاوية الناصرية بفاس الى مدرسة قام على ادارتها الاستاذ الجليل سيدى محمد غازى ، وصاروا هم اساتذة متطوعين فيها للتعليم اولا ثم لبث افكارهم وتعميم دعايتهم ثانيا ، وزيادة على التنظيمات الثقافية التى أحدثوها للمدارسة فيما بينهم وترأسها المترجم لانه هو مقترحها فقد أسسوا جمعية سياسية سرية فى 12 رجب 1344 هـ ترأسها أصفرهم سنا وهو الاستاذ الجليل سيدى علال الفاسى .

وكانت السلطة الفرنسية غافلة عنهم لظنها انها أقبرت المغرب الى الأبد ، ولكن لم تلبث حركتهم هذه ان لفتت الانظار فأغلقت المدرسة ونفى الاستاذ محمد غازى خارج فاس ، فلم يلبث بعض من ليس بفاسى من هذه الجماعة كالمترجم والقاضى الفرسىوى ان ضاقت بهم فاس من جراء المضايقات الاستخبارية والتتبعات السياسية ، وحينئذ فارق فاسا بعد القبوع فى مدرسته عدة اشهر ، فارتحل الى الرباط سنة 1347 هـ حيث توجد جماعة من العلماء الذين يفكرون تفكيراً سلفياً محضاً منهم شيخ الاسلام أبو شعيب الدكالى المتوفى عام 1356 هـ الموافق 1937 م ، والعلامة الشريف سيدى المدنى بن الحسنى المتوفى عام 1378 هـ والعلامة سيدى محمد بن عبد السلام السايح المتوفى بها عام 1367 هـ الموافق 1948 م ، فتفرغ للأخذ عنهم وملازمة مجالسهم ، كل ذلك مع عدم التفريط فى تربية شقيقه السيدى عبد الرحمن وابراهيم .

وفى الرباط خالط نخبة أخرى كانت هى مبدأ النور فيها ، منهم خليفه الذى لا يكاد يفارقه وهو الاستاذ الاديب الألعى سيدى محمد بن العباس القباچ الذى لا يفتأ يردد ذكره فى كافة كتبه ، والعلامة سيدى محمد بن أبى بكر التطوانى ، والعلماء الاجلاء سيدى أبو بكر بنانى وسيدى المصطفى الغربى ، وسيدى المصطفى ابن محمد بن المبارك ، وسيدى عبد الله بن العباس الجراوى،

وسيدى التهامى المعروفى ، والشيخ عبد الرحمان الدكالى ابن شيخ الاسلام
أبى شعيب الدكالى ، وسيدى عبد الله الركراكى قيم المكتبة العامة حالياً ،
والشاعر الفحل سيدى الحاج محمد بن اليمنى الناصرى^١ وغير هؤلاء ممن ينتابون
دروس اولئك العلماء .

وهكذا نرى الاستاذ المختار السوسى تسوقه الأقدار الى مخالطة
الأوساط الطيبة النيرة ليشحذ شفرة تفكيره على مختلف المشاهد ويلون لوحة
تصويره بأزهى الألوان ، فبعد النشأة الصوفية المتقشفة المتنسكة التى فتح
عليها عينه بين والديه ، انتقل الى لطافة الشيخ الطاهر الافرانى وتموج مدرسته
بالأدب الرائع الخلاب ، ثم الى الاجتهاد الهادى الرتيب فى العلوم الدينية
بالجامعة اليوسفية مع ابتداء الاطلاع على مبادئ مظاهر الحضارة وماثر التاريخ
بمراكش مما لا وجود له البتة فيما وراءها من القطر السوسى ، ثم الارتواء من
معين الوطنية الصافى والاصلاح الشامل بين رواد المدرسة الناصرية وحلقة
الشيخ محمد بن العربى العلوى بجامعة القرويين ، ثم الى عاصمة المغرب رباط
الفتح حيث يثر معين العلم الصافى من فيض العلماء الثلاثة المذكورين وحيث
المجتمع الرباطى المتزن الوقور الذى تنصهر فيه جميع الاخلاط وتنهضم كل
المواد مع اللبابة والطموح وبعد المرمى .

فلما عاد الى مراكش سنة 1348 هـ عاد مزوداً بكل ما يؤهله للقيام
بالدور الذى قام به فأنار حسد الحاسدين وتنافس النافسين وغضب المستعمرين ،
من انتاج أدبى رصين ، واطلاع فى المعارف فسيح ، وصبر فى الشدائد وطيد ،
ووطنية صادقة لا تعرف النكوص على الاعقاب ، ولا المهادنة فى الاهداف ، وقد
أدرك ان معاودة الاستيطان بسوس وأد لكل ما حصله وما خالطه ، خصوصاً ان
أهلها ما يزالون يغطون اذ ذاك فى تفكير القرون الوسطى من الوجهة الاجتماعية
والفكرية ، فاختار المقام بمراكش ليكون صلة وصل بين القطر السوسى
والحواسر المتيقظة المتوثبة .

وحيث ان الله تعالى اذا أراد أمراً هياً أسبابه ، فقد احله فى زاوية والده
بالرميلة بباب دكالة تجاه المسجد الواسع الذى بنته هناك الحرة مسعودة

الوزكيتية والدة المنصور السعدى ، يعلم صفار بعض اخوته وبعض صبيان أسرته ويلقى بعض الدروس العامة بالمسجد المذكور ، فلم يكد جيران الزاوية يحسون فيها الحركة العلمية حتى صاروا يسوقون اليها اولادهم ثم صار غيرهم على اثرهم حتى أصبحت تلك الزاوية صورة مكبرة للزاوية الناصرية بفاس ، كما انها أصبحت محطة لكل مثقف ورائد معرفة ند من القطر السوسى نحو الحواضر المغربية ، وكان رحمه الله يحسن ايواء ابناء البيوتات العلمية السوسية ويشجعهم ويدربهم على تحمل التقشف وشطف العيش فى سبيل تحصيل العلم ، وكانوا يجدون عنده من الرحب والسعة ما يحبب اليهم القاء عصا التسيار لديه ، وله فى ذلك لباقة واقدام وخبرة قل من يطبق الاضطلاع بها ، اذ كان يشحذهم ويدربهم عنده ثم يلقيهم فى بيوت ذوى اليسار يعلمون اولادهم الذين كثيرا ما يكونون ملتحقين بالمدارس الفرنسية الحكومية فيفيدون ويستفيدون ، كما ينيط بهم بعض الدروس بالزاوية كل على قدر باعه وثقافته ، وقد نظم ذلك تنظيما محكما بسيطا كان هو فيه مثال الاستقامة والنزاهة والمواظبة والامثال لأوامر الله ووحى الضمير ، فكان كل من فى الزاوية يحله ويكبره ويسرع الى امتثال أوامره ، فالدراسة جدية والقوت بسيط كاف ، والصلوات تؤدى جماعة فى أوقاتها ، والنوم بعيد العشاء ، والانتباه قبيل الفجر ، والمذاكرة حرة طليقة ، والخزانة زاخرة بالنفائس القديمة والحديثة ، لا يميز نفسه ولا اهله على الطلبة بشيء ولا يستأثر دونهم بشيء ، بل كثيرا ما يغطط أهل بيته حقوفهم ليرفه بها على الطلبة .

وهناك تجلّى دور الاستاذ المختار فى الصوفية الوطنية اذا كانت حياة والده قد تقضت فى الصوفية النسكية ، وكانت الوطنية اذ ذاك غضة طرية تمثل نوعا من التنسك والعبادة ومن الجهاد فى سبيل الله الذى يرى ان التربة المغربية جزء من التراب الاسلامى العام الذى يجب على كل مسلم تهيينه الاسباب لتحريره ونصرته .

ولكن الحساد والمنافسين من جهة ، وتتبع الاستعمار له من فاس من جهة أخرى ، ما كانت لتفغل عن هذه الفسيلة الطيبة لتصبح دوحة باسقة يتفيا

الناس ظلّالها ، فكما تخربت جامعة القرويين وجامعة ابن يوسف وغيرهما باغراء نبغاء العلماء على اخلاء حلقاتهم بالوظائف السامية المدرة ، سار المستعمرون معه ايضا على نفس الطريقة لعله ينسحب من الميدان ، وكان من عادته عند ما يريد الخروج لاوطاره ان يرافق بعض الشادين من طلبته ، فكان من حظى أن أخرج معه ذات مرة فأمر سائق العربية العمومية ذات الفرسين أن يتجه صوب مكتب الاستعلامات المعروف بدار زنيير ، فلما دخل بقيت أنتظره بالباب ، ولما كنا فى طريق الرجوع قال لى ان هؤلاء قد استدعونى وعرضوا على أى وظيفة اختارها ، فقلت لهم انما انا رجل دين وارشاد عام كما كان والدى ولا غرض لى بما يحولنى عن ذلك ، انهم يريدون ان ينطعوا على الطريق بوضع لهية من لهاهم فى لهاى . وهيهات لهم منى ذلك ، وقد كنت والله الحمد محل ثقته منذ التقينا من نحو ثلاثين سنة حتى صار الى عفو الله وواسع رحمته .

وما دمت بصدد قصة احواله فلا بأس أن أزج بالقارىء فى قراءة كيفية اتصالى به ، لما فيها من مزيد الكشف عن نفسه رحمه الله ، فقد خرجت صبيحة يوم جمعة الى زيارة قبر والدى بالمقبرة الكبرى خارج باب الخميس بتارودانت بعد صلاة الصبح ، فلما وقفت على القبر وجدت ازاء رجلين لم أنبين وجوههما قال أحدهما للآخر ها هو ذا ، فعلمت انه استاذى فى القراءة تلميذ والدى سيدى الحسن ابن مولود السكتانى رحمه الله ، فلما سلمت عليهما قال لى هذا سيدى عبد الله ابن الشيخ سيدى الحاج على واننا قد صلينا الصبح هنا وقضينا وطرنا من الزيارة فاذا قرأت ما تريد ودعوت فالحق بنا لبينى ولم أكن قد رأيت سيدى الحاج عبد الله من قبل ، فلما التفتت بهما جعل هذا يحدثنى عن مدرسة اخيه المترجم بمراكش ويفرينى بالالتحاق بها ، ولكنى لم اعر كلامه أى اهتمام لان نشأتى فى اليتيم علمتنى أن لا ارجو من أحد شفقة ولا رحمة ، ويرحم الله أبى الطيب على قوله :

ومن عرف الايام معرفتى بها * وبالناس الخ

فلما قضى الله بالاتصال ساقتنى الأقدار الى مراكش ، فخطر لى أن أزور زاوية حى الرميّلة فجعلت أسأل حتى وصلتها ، وما كدت أدخلها حتى لقيته

رحمه الله خارجا عند المغرب ، وكان من عادته أن يخرج في ذلك الوقت عملا بالوصية القديمة « يا صاحب المساطر ، في المساطر » فسألته عن نفسه ولم تسبق لي به معرفة ، فقال لي ومن أنت ؟ فما كاد يعرف من أنا حتى قال « أهلا وسهلا ، بضاعتا ردت إلينا » فأخذني من يدي وخرجنا وقد وجدت إلى جانبه أخانا الاستاذ الأديب الحسن بن أحمد البونعماني الذي صرنا نطلق عليه بعد ذلك سيدي الحسن الشاعر ، فخرجنا ثلاثنا نحو عرصة مولاي عبد السلام العمومية ، وجعل يمتحنني في الطريق دون أن أشعر ويسألني عن يعرفهم من علماء تارودانت كالشيخ البركة القاضي سيدي موسى بن العربي الذي كان مشتغلا بخويصة نفسه في شبه انزال ، واستاذنا الجليل سيدي أحمد بن الحاج مبارك المصلوات المتوفى يوم الاثنين 26 رجب عام 1374 هـ قاضيا بتزنييت وتوجد ترجمته الحافلة ابتداء من صفحة 39 من الجزء 18 (الممسول) ، وفي أول هذا الجزء أيضا توجد ترجمة القاضي سيدي موسى المذكور ، والباشا العلامة سيدي محمد ابن عبد الله البيضاء الشنكيطي المتوفى رحمه الله في II محرم 1365 هـ الموافق دجنبر 1945 م ، وقد كان باطنه غير سالم على هذا الباشا لمناقشة حادة كانت بينه وبين صديقه سيدي محمد بن العباس القباج على صفحات مجلة « المغرب » القديمة ، فلما اتصل أحمد كل منهما أوصاف الآخر ، وقد ذكره في ص 157 من رابع ، « خلال جزولة » وكنت أعمل على تصفية الجو بينهما فتم ذلك على نحو ما ذكره .

فلما عدنا إلى الزاوية قرب العشاء تعشينا عشاء بسيطاً على سطحها لأن الوقت وقت مصيف ، فهممت بتوديعه فسألني أين سأبيت فقلت انني قد أخذت حجرة في نزل ، فقال أو يليق بك أن أكون هنا وتبيت أنت في النزل ولا تترك ما عسى أن يكون لديك من مال حتى تنفقه على والدتك وأخوتك ؟ ثم أرسل معي ثلاثة من طلبته لمساعدتي في اطلاق حجرة النزل والاتيان بحقيبتى ، فلما وصل وقت النوم فرش لي على السطح زربية صغيرة ثناها على فلقين ، فمددت يدي لخراج ما أتوسد من حقيبتى ، فقال تأن حتى أريك ما ذا كان يتوسد أبوك لما كان مع أبي فوضع أجرتين تحت الزربية وقال نم ، فلم يكسد بقترب الفجر حتى جاء يوقظني ويقول ان ابونا لم يكونا ينامان هذا الوقت حتى

ننامه نحن ، وهكذا أحتلني بهذه الجرأة النادرة فكبر في نفسي واخضعني لارادته من أول يوم ، فبقيت معه الى ان فرق بيننا نفيه الأول ، واذ ذاك ابتدأنا هذه الأعمال التي انجزناها في وزارة التاج عن تاريخ سوس ، ولا ادعى ان لي يدا فيما كتبه من ذلك فهو الكل في الكل وانما انا تابع وممثل ومساعد أمين وحسبي بذلك شرفا .

وقد استنتقني أحد الحكام الفرنسيين ذات مرة في أكادير فكان مما سألني عنه أن أخبره كيف عرفت المؤلف واين ، فقلت له ان السؤال هو كيف تعارف أبى وأبوه ، واما أنا وهو فانا وجدنا طريقا مرسوما فاتبعناه .

بهرت الزاوية الدرقاوية بالرميلة المتحولة الى مدرسة أعين الحسدة والاستعماريين بما تعج به من طلبة بلديين وءافقيين وبما يتوارد عليها من مفكرين من المدن الأخرى كالاستاذ محمد غازي وأبى المزايا الشيخ ابراهيم الكتاني واضرابهما والأعين لها بالمرصاد ، والدسائس تحاك ، منها ما اطلع عليه وما لم يطلع عليه ، ثم جاءت رئاسته لصندوق الجمعية الخيرية فأرادت السلطات تحويل قسط من ماليتها الى ما لا فائدة لها فيه فتعصب فأحست تلك السلطات بأن ما كان بيدها تنصرف فيه كيف تشاء قد استله منها من جاءت بهم ليساعدوها فاستبدوا عليها واذ ذاك تقرر نفيه عن مراكش ، ولا بأس أن أسوق هنا قصة تدل على صموده واستعداده لما يطرأ ، فقد خرجت معه ذات مرة نحو بيت احد مشاهير العلماء فلما اقتر بنا من داره قال لي قد بلغني ان هذا يشارك في دسائس تحاك حولى ففكرت كيف أوهمه اننى لا علم لي بذلك فخطر لي أن اطلب منه سلفا لا غرض لي به ، فتسلف منه خمسة وسبعين فرنكا ، ظلت موضوعة في محل خاص حتى ردت اليه بعد نفي الاستاذ .

وكانت نتيجة تصلبه تجاه الاستعماريين ان جاء محمد بن العباس أحد أعوان الباشا الحاج التهامي الكلاوى والذي أصبح بعد ذلك من خلفائه بمراكش ، جاء عند شروق شمس يوم الخميس 28 ذى الحجة 1355 هـ يطلب الاستاذ ليلى دعوة الباشا ، وكانت العادة ان يبقى مثل هذا عند باب الزاوية الى ان يجاب طلبه ، ولكن هذا دخل وسط الزاوية وصعد الدرج الى باب دويرة

الاستاذ حيث امله ، فلفتت تلك الجراءة انظارنا ولكننا لم نبال اذ تعودنا رؤية امثاله منذ اشتغل الاستاذ بامر الجمعية الخيرية ، فاذا بالاستاذ يخرج فيذهب مع ابن العباس فتتفلق عنا اخباره الى نحو اسبوع حيث وردت رسالته من اغرم باداوكنسوس في ناحية تارودانت تخبر بانه نفى الى الخ .

ولكنه لم يكد يستقر في الخ الفقر اليباب على فاقة ومسغبة حتى اخذ يجمع ما كان ينقصه من مواد التاريخ السوسي ويقول لنفسه يريدون منى ان اكون في سوس فما انذا فيه أكثر وأحسن مما يريدون ، واني لآسف لكون هذه الترجمة لا تستطيع ان تضم كل ما لدى لأحشره فيها حتى لا تصبح أكبر من الكتاب .

ولم يعد من منغاه بصفة تامة نهائية ، بعد شتى المحاولات الا بعد تسع سنوات ، أى في سنة 1364 هـ ، فاستأنف نشاطه بالزاوية مع افواج اخرى من الطلبة بأوسع واحس ما كان ، ولما سادت تلك الفكرة التي تزعمها جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه ، وهي تأسيس المدارس الحرة باسمه واسم الامراء انجاله حفظهم الله ، وكانت قد تحولت في الرباط مقبرة باب شاة الى مجموعة مدارس محمد الخامس ، عزم أهل مراكش على مثل ذلك في مقابر بني دغوغ بحارة رياض العروس ، فكان من حظ الاستاذ ايضا ان يتراأس لجننتها، فوقع فيها مثل ما وقع في الجمعية الخيرية مع الفرنسيين ومن في جانبهم ، وشعر الفرنسيون بانه يسخر منهم حينما يعلن انه لا هم له في السياسة وانه اما هو رجل علم، ثم في الوقت نفسه يتصلب معهم ويتزعم التالب ضد اوامرهم .

كانت أحوال المغرب حين الحرب العالمية الثانية تتطور بسرعة كبيرة ، فبينما الضغط النهائي الذي لا متنفس معه اذا بالنخبة الوطنية وعلى رأسها جلالة الملك محمد الخامس تداهم فرنسة بوثيقة الاستقلال في 11 يناير 1944 م ، فتتوصل بها الاقامة العامة بالرباط ثم يقع صمت مطبق وهدوء من طرفها ظن البسطاء انهما من حلم فرنسة والواقع انها كانت تنأهب لما وقع بعد ذلك من انتقام ، مما لا يسمعه المقام الآن ، وقد صادف ذلك وجود المترجم في زيارة لتادلة بترخيص من حاكم بلده عند مرید والده سيدى ابراهيم بن

البصير المتوفى عام 1364 ص 38 ج 12 (المعسول) ، ولكنه انفلت الى الدار البيضاء ونزل عند الفاضل المرحوم سيدى احمد بن ابراهيم الحاحى صهر احمد السوسى الذى بنى جامع درب الكبير بالدار البيضاء وجعله اماما به ، وكان الاستاذ يلبس اذ ذاك حذاءين نعلهما بمطاط عجلات السيارات ، وجبة غليظة خشنه من الصوف وخنيفا غليظا خشنا أسود ومتعمما بعمامة يتحنك ببعضها على عادة أهل ما يجاور الخ من الصحراء لكى لا يعرف ، وكنت اتيه بجرائد ذلك العهد كالسعادة والوداد وأحمل اليه ما تجدد من الأخبار ، وكان قد ترك وثيقة الاستقلال تروج للتوقيع بمراكش ، فاذا بالقضية تتطور واذا بفرنسة تمد اليد فى الناس واذا بها تحمل الرئيس السيد الحاج احمد بالافريج الى كورسيكة فلما وردت على الاستاذ عند الزوال وحملت اليه ما تجدد من الاخبار خاف أن تبحث عنه مراقبة منفاه فتجده بالدار البيضاء فتمنى ان لو كان له جناحان ليطير بهما ، وتأمل مليا ثم قال لى كلمة تدل على فراسته ولم تلبث الايام ان صدقتها ، قال قد قضى الأمر وتفرقت القبيلة ، فقد كانت فرنسة تحاول أن تخلق بين المغاربة من يقبل أن يفاوضها على شيء مما دون الاستقلال كبعض الاصلاحات الداخلية ، اما الآن وقد قيلت كلمة الاستقلال فكل من قبل أن يتفاوض على ما دونها سيراه الشعب المغربى خائنا استعماريا ، لكن اذا قتل الفرنسيون الحاج احمد فسيؤخر استقلالنا كثيرا ، اما اذا أعدمهم الله عنه فتركوه حيا فان الاستقلال لن يتأخر أكثر من عشرين سنة ، فكتب الله للرئيس الجليل النجاة واذا بالاستقلال يتم بعد احدى عشرة سنة من ذلك ، اما كيف وصل الاستاذ الى منفاه فان شركاء التاجر الأرضى الفقيه السيد الحاج عابده السوسى قد هينوا كاميونا يذهب بسلع تجارتهم الى سوس فحملوه فيه وهو بتلك الثياب الخشنه حتى وصل الخ فدخل محله وقبع ، وما دمت بصدد ذكر فراسته فلأذكر انه بعد ما سمح له بالتجول فى الحواضر نهائيا جاء الى الدار البيضاء وكنت لما التقى به ، فاذا بى يعرض لى ما تعودناه فى تلك الايام . اذ كنت مارا بساحة الباب الكبير صباحا اذا برئيس الشرطة السرية السياسية يطلب منى للحاق به الى مكتبه ، وكنت أظن انه سيسألنى عن الاستاذ فعولت أن أتجاهل له وجوده بالدار البيضاء لأنى لم أره بعد ، ولكن لما سلم الله والتقيت

بالاستاذ عند الغداء قصصت عليه ما جرى فقال لى ان المغرب سينقسم عن قريب الى فئتين احدهما مع سلطات الحماية الفرنسية والاخرى مع جلالة السلطان فليختر الانسان من الآن الجهة التى سينحاش اليها ، فلم يرض الا قليل حتى خطب السلطان خطبته التاريخية بطنجة عام 1947 م وتكلم عن الاستقلال وعن الجامعة العربية فغضب لها الفرنسيون وانجر معهم المتملقون واذا بالمغرب ينقسم كما قال .

استقر بعد التسريح بمراكش واستأنف أشغاله فى التعليم واربى فيه على ما كان عليه قبل النفي وتحسنت العلاقات بينه وبين الباشا الحاج التهامى الاكلاوى الذى كان يتبرأ له من أن تكون له يد فى نفيه السابق ، كما تم الاتصال بينه وبين جلالة السلطان المرحوم مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ، كما هو شأن جلالته مع كل من ءانس منهم الاخلاص فى خدمة الوطن ، فعينه جلالته فى وفد الحج لسنة 1365 هـ كما عينه فى عضوية وفد احباس الحرمين سنة 1367 هـ الى تونس .

فلما اظلت المغرب السحابة القاتمة التى عقبها خلع جلالة الملك عن العرش ، لم يجد الاستاذ بدا من ان ينحاز الى أحد الفريقين كما قال ، فاوحت اليه شجاعته التى لا تخونه ابدا ان غادر مراكش الى الدار البيضاء بصفة نهائية فى قفزة جريئة ، وكانت الدار البيضاء هى مركز الحركة الوطنية ، وكان الجو قد فسد ما بين جلالة الملك وباشا مراكش المتزعم لحركة الخلع مدفوعا بيد الفرنسيين ، ويقال ان الباشا قال عن الاستاذ المختار انه فر عنا فى وقت اشتدت فيه حاجتنا اليه ، ولكن هيهات لهذا الباشا او غيره ان يزج بالاستاذ فى اتون الخيانة المستعر وحماتها المنتنة .

فلما حل بالبيضاء انحشر اليه الطلبة من كل فج والتحق به كثير ممن ضايقتهم الشرطة الفرنسية فى مراكش من أصحابه وانخرطوا كاساتذة فى المدارس الحرة وفى أى عمل يتيسر .

فلما كانت السلطات الاستعمارية تهيء لخلع السلطان الذى اعياها امره ووجدته ركنا منيعا للوطنية ، وأسست سجن اغبالون كردوس بالصحرء

وصارت تسوق اليه كل من تظن انهم سيعارضون ارادتها في السطو على العرش المغربي ، ذهب اعوانها لدار الاستاذ محمد الحمداوى ليلقوا عليه القبض وكان الاستاذ عنده فاشار عليه الحمداوى ان يندس بين النساء حتى يخرج الاعوان برب البيت ثم يذهب هو الى حاله ، فقال له معاذ الله ، او مثلى يختبئ بين النساء؟ فخرج امام الاعوان فلما رآه رئيسهم ناداه قائلاً انك قد كفيتنا مشقة أخذك من بيتك ، وان اسمك فى لائحة من سنقبض عليهم ، فأخذوه من هناك الى اغبالو ن كرددوس حتى أفضل الله تلك السياسة وجعلت تباشير الانفراج تبدو فكان من أول المسرحين .

ولما من الله برجوع جلالة المولى محمد بن يوسف الى عرشه ظافراً منتصراً يحمل الاستقلال والحرية الى الشعب المغربى ، كان الاستاذ فيمن حظوا بثقة جلالته للعضوية فى أول حكومة فى عهد الاستقلال اذ كان فيها وزيرا للأوقاف ، وفى فاتح مارس 1957 م تعين من الوزراء الثلاثة المستشارين بمجلس النجاج ، حيث ظل الى ان لقي الله وفيما للثقة التى رآه أهلا لها جلالة مولانا محمد الخامس وجلالة ولده الملك الحالى مولانا الحسن الثانى أدام الله توفيقه وحفظه.

وفى وزارة التاج استدعانى للحاق به لتعاون على تخريج ما كان جميعه من أخبار سوس ، وهناك اعتكفنا فى جد ومواظبة على اخراج كتبه هذه التى أصبحت المرجع الوحيد فى أخبار القطر السوسى ، فاشترى الآلات الكاتبة وجعلنا نضرب عليها المخطوطات ثم من هناك الى المطابع بفضالة والدار البيضاء والرباط وتطوان فقد بدأ اولاً فى فضالة ، لكن لما رأى مطبعتها تماطله تركها واتصل بمطبعة دار الكتاب بالدار البيضاء اما الرباط وتطوان فقلما يطبع فيها، وكان يعمل فى ذلك باقضى ما يمكن من السرعة حتى انه كان يمانع فى تصحيح الاخطاء فى المضروب على الآلة الكاتبة ويقول عجولوا فان الامر اسرع مما تظنون ، فكان كأنما ينعى نفسه بذلك ، وحيث ان اشغال وزارة التاج قليلة فقد وجدنا ما يكفى من الوقت لانجاز برنامجنا وقد كان يقول ان الموظف كالعبد ، اذا كفته الدولة مهامه فيجب عليه أن يعمل ، كما ان العبد اذا وفر له سيده ما هو فى حاجة اليه فان عليه أن يعمل ، وان جلالة الملك قد أسبغ علينا كل ما نتوقف

عليه فلم يبق لنا عذر فى التخلي عن العمل بجهد ونشاط ، ولا يفوتنى هنا ان انوه بمجهودات الاستاذ الفاضل السيد ابن خلدون محمد بن مبارك فقد ادى معنا ما أنيط به فى تحمل وصبر وفضيلة ، وقد كان الاستاذ يرهقنا ويضايقنا حتى كنا ربما نفارقه فى المساء على شيء من سوء التفاهم ، ولكن لانكاد نصبح حتى تنسى مشاكل الأمس وقلقه ونستأنف العمل ، وكان رحمه الله يقول انه لما اسندت اليه وزارة الناج كثر عليه الطالبون للتوظيف معه فيها كفاحا وبالوسائل ولكن لما علم ما ينتظر ان ينجزه فيها من اعمال انتقى لمساعدته فيها من يرجو منهم الوفاء للصحبة القديمة وتحمل ما عسى ان يكون فى اخلاقه من حزونة كما كان يسميها رحمة الله عليه ، بل ربما أريناه نحن ما يسوؤه من حزونة اخلاقنا اذا ارهقنا ، فكان يفضى عن ذلك لما يعلم من انه انما هو تدلل منا عليه لما نعلم من حبه علينا ووثيق صلتنا به ، وان كان ذلك انما هو ظاهرى لا يعرقل فى شيء ما نحن بصده ولا ماله فى انفسنا من اجلال واكبار ووفاء وتقدير .

وكما قدمت فى صدر هذه الترجمة من انه رأى الضوء ونشأ فى بلد يصارع اهله الطبيعة ويقالبونها ، فانه رحمه الله حافظ كل حياته على متانة نشأته الاولى ولم تفسده الرفاهية التى تفسد عادة من يخرجون من بيئة الى بيئة ، فلم يلبس قط القميص الا فرنجي العصرى الضيق ولم يزل رحمه الله يلبس القميص الفضفاض السابغ ويستحم بالماء البارد متى شاء ، ويأكل خبز الشعير والزيت ، ويلوت الكسكس باللبن ، وينام بعد صلاة العشاء ويستيقظ قبل الفجر بكثير ، ويشتغل بمجرد ما يستيقظ حتى اذا طلع الفجر صلى ثم عاد الى العمل الى ان تطلع الشمس فيفطر ثم يشتغل الى الظهر ، فيصلى ثم يتفدى نسم ينام الى العصر ، وقلما يشتغل بالكتابة فى المساء ، ولم يجده الفجر قط نائما ولا نام بعده ، ولا كسل عن الصلاة ولا افحش فى نطقه ولو مزحا ، كما انه ربه اولاده واهله على ذلك فكان كل من فى بيته يستيقظ عند الفجر حتى صبيته الصفار والاضياف ، وكان اذ سمع اولاده يقولون دارنا دارنا لدار الحكومة التى بها سكناهم يقول لهم ليست هذه دارنا بل هى دار السلطان ولا بد أن يطلبها منا يوما ما ، اما داركم فاطلبوا من الله أن ييسرها لكم .

وقد كان كأنه عداد الساعة في الحركة الدائبة ، وإذا كان الناس يجدون راحتهم في الفراغ فإن راحته هو في العمل ، ومن ذلك انه لما علم قبيل نفيه الأول ان شيئاً يحاك حوله جمع اكاداسا من المجلات القديمة والروايات المختلفة المواضيع ويطلب لكل من اتصل به أن يعطيه ما عنده منها فاشتغل بها عن الاهتمام بالمصير المنتظر حتى قضى الامر ، وهذه الآثار التي خلفها بمده مطبوعة ومخطوطة شاهدة على دؤوب حركته .

فالمطبوع من مؤلفاته « سوس العالمة » في مجلد واحد ، و « خلال جزولة » في أربعة مجلدات و « المعسول » في عشرين مجلداً ، وكان على وشك وضع فهرس له في مجلد خاص فادركه الاجل ، و « الترياق المداوى » في اخبار والده ، و « منية المتطلعين الى من في الزاوية الالفية من المنقطعين » و « ايلخ قديما وحديثا » هو هذا ، وكان في نيته أن يجعله في مجلدين فأخرجناه في واحد ، وثلاثة أجزاء من العشرة التي يتكون منها « من افواه الرجال » وبعض « بين الجمود والميع » نشر تباعا في مجلة « دعوة الحق » الحبسية .

وما يزال مخطوطا له « رجالات العلوم العربية في سوس » وهو مجلد ضخيم ، و « الرؤساء السوسيون » في مجلد ، و « مترعات الكؤوس في بعض آثار من ادباء سوس » في مجلدين ، و « اتحاف النبيه ، في مناقب سيدي احمد الفقيه » المتوفى في 17 ربيع الأول 1346 هـ ص 5 ج 16 (المعسول) و « رسالة الشباب » ضاع له مخطوطا ، و « المجموعة الفقهية » في فتاوى متأخرى السوسيين ، و « جوف الفرا » في النصوص الادبية السوسية التي لم تناسب كتبه الاخرى ، و « طاقة الرياح ، من روضة الافنان » في مجلد ، و « مجموعة العادات الالفية » و « قطاف اللطائف » ، و « حول مائدة الغداء » جمع فيه ما كان يخبره به السيد ادريس بن منوالسوسى الهشتوكى الذي كان رفيقا للسلطان المولى عبد الحفيظ ابن المولى الحسن الأول ووزيره ومفوضه في مراكش فما وراءها بعد ان استقر المولى عبد الحفيظ بفاس ، وقد شاهد كثيرا من الاحداث السياسية كمقد الحماية ، وكان قلما يتغذى دون ان يرسل عبده لاستدعاء الاستاذ ليتغذى معه ، وكانت سكناه بالدرب الذي فيه الزاوية ، و « نضائد الديباج » في المراسلات بين المختار والقباج ، أى الاستاذ الاديب سيدي محمد بن العباس القباج الرباطي صاحب كتاب « الادب العربي في المغرب الاقصى » .

وقبل أن أضع القلم من هذه الترجمة أريد أن أخبر القارئ عن ناحية أخرى من نواحي نفسية الاستاذ المترجم ، وذلك اننى كنت معه بعد صلاة المغرب فى يوم ثامن ذى الحجة من احدى سنوات ايامنا بزواية الرميطة، وجلسنا للكتابة لان من عادته كما قدمت ان ينفى عنه الهم بالعمل ، وكانت الفاقة التامة ضاربة اطنايها فلا اضحية ولا أى شىء من ضروريات العيد ، فاذا بالسيد عبد الحميد بن الفقيه الناظر السيد محمد بن عبد الله الرجراجى الرباطى مؤلف تاريخ السويرة ، وكان اذ ذاك ناظرا للاعباس بمراكش يدخل علينا ويناوله بطاقة صغيرة فيها بعد السلام (وبعد فخذ من الولد ما بيده لتستعين به على ما انت بصدد وادع له والسلام) ومع البطاقة قدر لا بأس به من المال فنشط الاستاذ وقام الى دويرته المتصلة هناك واتى بالشاى وبحبيبات من اللوز والجوز والزبيب ثم دعا للولد ، فلما خرج الولد ظهر الفرح والنشاط على الاستاذ كأنه يملك مخازن قارون ، فاذا بشخص يدخل ، فقال له الاستاذ كيف حالك ؟ فقال له كحال من اظله العيد وله عدة اولاد وليس فى بيته قوت ولا فى جيبه نمن الاضحية فقال له الاستاذ ، قد نفذ صبرك اما نحن ففى استطاعتنا ان نصبر الى الفد ، ومد يده الى ما اتى به ابن الناظر فاعطاه لذلك الشخص ولم يترك منه دانقا فعاد الى هدوئه ومسكنته وكتابته وانقا بالله الذى عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو .

هذا بعض ما نعلمه وما سمحت لنا الظروف بكتابته عن الاستاذ الجليل محمد المختار السوسى المتوفى بالرباط فى 29 جمادى الثانية عام 1383 هـ الموافق 17 نونبر 1963 م رحمه الله وانا له رضا الاكبر الذى كان مبتغاه ومطمحه حتى تلقب فى حالته المدنية رضا الله ، وقد دفن بمقبرة سيدى الخطاب بباب العلو - بالرباط .

وقبل اختتام هذه الكلمة أرى من الدين المتعين الوفاء به تقديم جزيل الشكر للأستاذ الفاضل البحاث المؤرخ النشط النبى سيدى عبد الوهاب ابن منصور - المدير العام لدار الاذاعة والتلفزة المغربية حالا - الذى أتاح لى هذه الفرصة أيام رئاسته للديوان الملكى حرسه برعايته ، ولجناب الاستاذ المتصنع

الفاضل الخير البعثة سيدى عبد اللطيف الخطيب التطواني الرئيس الحانى
للديوان الملكى ، فقد بذل بعد سلفه فى انجاز هذا المشروع ما أرجو من الله
أن يكافئه عليه ، والاستاذ البعثة العلامة سيدى محمد بن عبد الهادى المنونى
المكناسى الذى يمثل عن جدارة علم العلماء وسمو اخلاقهم على ما أمدنى به من
تشجيع وتنشيط ، فجزاهم الله أحسن ما جازى محسنا عن احسانه والسلام .

الملق



تنبیه

جرت العادة أن يوضع في آخر الكتب جدول الأخطاء التي لا يخلو منها كتاب ، وكثيراً ما ينهى المطالع قراءة الكتاب دون أن يتنبه الى ان هناك اخطاء مصوبة ، ولذلك رأينا ان نبين من الآن بعض ما تنبهنا اليه من اخطاء وقعت أثناء الكتاب ليطلع عليها القارئ الكريم من أول وهلة ويصلح عليها نسخته قبل الشروع في القراءة .

(I) - ان السطر الثالث - ترقيا - من صفحة 5 كله زائد ما عدا كلمتي (وفي طبقات) ، ومحلله هو حيث ذكر في آخر السطر الثاني - ترقيا ايضا - ابتداء من كلمة (عام 1316 هـ) الى آخر الصفحة .

(2) - وقع في السطر 15 من صفحة 94 ذكر ستالين خطأ بين من حضروا الاجتماع بين جلالة المغفور له مولانا محمد الخامس قدس الله روحه في 22 / I / 1943 م وبين المأسوف عليه الرئيس الأميركي روزفلت بحي انفا بالدار البيضاء ، والحقيقة ان ستالين لم يحضر مؤتمر الحلفاء هناك وان كان حضوره متوقعا ، وذلك لسببين أحدهما انه هو الذي يسير بنفسه العمليات الحربية في بلده ضد الجيوش الهتليرية ، والآخر ان ما سيقترحه على الحلفاء كان معروفا سلفا وهو فتح جبهة في اوروبا تخفف عنه الضغط الألماني .

ولم يحضر من صفوف الحلفاء الا تشرشيل الذي كان أثناء مأدبة العشاء عن شمال الرئيس روزفيلت بينما جلس جلالة مولانا محمد الخامس عن يمينه ، وكان تشرشيل يظهر تضايقه من المحادثة التحريرية التي اندفع فيها جلالة الملك بنشاط مع الرئيس روزفلت ، وكثيرا ما حاول تغيير مجراها باستطراد

حوادث سياسية هامة كمجيء الجنرال دو كول قائد المقاومة الفرنسية من لوندرة في ذلك المساء الى الدار البيضاء ، وقد اعجب الرئيس روزفلت بالرغبة الملحة التي وجدها عند جلالة الملك في تحسين حالة شعبه ، وليس تناول هذا الموضوع من مهمة هذا الكتاب .

(3) - سقط في السطر الخامس - ترقيا - من صفحة 75 كلمات « كسرت سن جارية » بين صلى الله عليه وسلم وبين فأمر عليه السلام ، وذلك ظاهر من اختلال المعنى بدون تلك الكلمات .

(4) - وقع في السطر 22 من صفحة 238 « ومن فوائده على الجاحظ في كتابه الحيوان » وصوابها « ومن فوائده انتقاده على الجاحظ في كتابه الحيوان » (5) - توجد في التعليق (585) قطعة لسعد بن ناشب من تسعة ابيات وقع فيها البيت السادس هكذا :

اذا هم القى بين عينيه همه * ولم يات ما ياتي من الامر هائبا

ومحل هذا الشطر الأول هو صدر البيت الثامن اما صواب هذا البيت فهكذا :

اذا هم لم تردع عزيمة همه * ولم يات ما ياتي من الامر هائبا

اما الاخطاء العادية فينبغي مراجعتها في جدولها ، اخر الكتاب على العادة .



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذى علم بالقلم ، وصلى الله على خير الانبياء
وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد ! فإن فى نواحي سوس ، وفى أدواره التاريخية ، ما يستحق
اعتناء خاصا ، واماعانا مستكشفا ، فانه قطر فسيح له عمارة متصلة من اعرق
الآزمنة ، يسكنه هذا الجيل البربرى ، ثم لم يلبث بعد الموجة الاسلامية ان
تحول بسرعة ، فمازجت منه التعاليم الجديدة اشغفة (1) لعلها لم تفتح قبل
لاية تعاليم اخرى تفتحها لتعاليم الاسلام (2) ، ولعل ذلك مما مازجه بالتدريج
من اسر عربية غير قليلة لا يزال غالبها الى الآن معروفا ، فلا ريب أن لها على
الشلحين (3) السوسيين ايدى مستطيلة لمكانها من الاحترام من أجل تسربها

(1) اشغفة جمع شغاف كسحاب ، وهو غلاف القلب ، يعنى ان التعاليم الإسلامية مازجت
قلوب سكان القطر السوسى ، غير بالمحل واراد الحال .

(2) من المعلوم تاريخيا أن البرابرة لم يتمازجوا قط مع أى أمة من الأمم التى احتلت بلادهم
قبل الاسلام ، بل انهم كانوا يقفون منها موقف الحذر وترهبس الدوائر ، وكثيرا ما كانوا يعتصمون
بجبالهم حيث يتعيشون من فوائده ماشيتهم وزراعتهم ريشا تحين لهم الفرصة فى اولئك المحتلين
لينقضوا عليهم ، فذلك شأنهم مع الفينيقيين ثم الرومان ثم الوندال .

وليس فى قضية كسيلة البربرى التى أودت بحياة عقبة بن نافع الفهري أى مخالفة لما ذكر
المؤلف من التمازج بين البربر والعرب ، اذ الثابت فى التاريخ أن كسيلة كان مدفوعا من طرف الروم .

(3) الشلحون نسبة الى كلمة الشلحة : اللهجة البربرية التى يتكلمها أهل القطر السوسى ،
وهى احدى اللهجات البربرية المتنوعة .

تحت ظلال تلك التعاليم الاسلامية المستولية على سكان البلاد الاصليين ،
وطبيعي أن يكون لابناء مؤسسى (4) تلك التعاليم فى نفوس معتنقيها اكبار
واجلال .

فى سوس من قبائل العرب اسر كثيرة كالمعافرة اليمنيين ءال
أكراموا (5) السملالين (6) ، وءال القاضى أبى زيد التامانارتى صاحب
« الفوائد الجمة » (7)

(4) مؤسسوها فى القطر السوسى وموطدوما فيه ، وقد حفظ لهم ذلك مكانة مرموقة بين
السوسيين الى الابد ، فضلا عما هو مطوى فى سجلات التاريخ مما يعرفه الباحثون .

(5) أسرة سوسية مجيدة تتابع فيها العلماء والصلحاء ، ولم يكن للعلم اذ ذاك انفصال عن
الصلاح فى سوس ، وتوجد أخبارهم مفصلة فى الجزء السابع من الممسول ابتداء من صفحة 23
فما فيه ما نصه : « وانتسابهم فيها هو المدون فى تشاليفهم ورسومهم الى الامام أبى بكر بن العربى
المعافرى دفين باب المحروق بفاس ، والمتوفى عام 544 هـ . الخ . كما يوجد باختصار فى صفحة
324 من الجزء الثالث منه ايضا .

(6) نسبة الى قبيلة ادا وسملال اى ءال السملال ، احدى القبائل الكبرى بسوس ، وقد انجبت
هذه القبيلة كثيرا من رجال العلم والفكر .

(7) هو العلامة الجليل القاضى أبى زيد عبد الرحمان بن محمد بن احمد بن ابراهيم المعافرى
الجزولى التامانارتى نسبة الى تامانازت التى فى تخوم الصحراء المغربية لا تامانارت التى فى حاحة ،
قال فى كتابه « الفوائد الجمة باسناد علوم الامة » والمعافرة يسكنون جهة الجنوب من صحراء بلاد
القبلة (الجهة الشرقية مما يلى التخوم السوسية نحو الصحراء) وهم من بلاد فائجة تامانارت ،
ومناها الحد الفاصل ماخوذ من منار القبر والفدان (اى الحقل) لانها الحد بين بلاد الصحراء وبلاد
التل ، ومنها كان عبد الله بن ياسين .

وقد رباه أبوه على ما ظهر منه بعد ذلك من الصلاح والتدين ، فقد علمه فى صفه التوحيد
ومعنى الشهادتين واداب العادات الاسلامية على نحو ما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم يقطلة
ونوما وأكلا وشربا وقياما وقعودا ، وقال له « كن فقيها وفقيرا ولا تكن أحدهما فقط فأحوال الفقهاء
تنجيك مما فى الفقراء من دعوى الصلاح ، وأحوال الفقراء تنجيك مما فى الفقهاء من محبة الدنيا ،
وكذلك كان رحمه الله .

وقد انتقل والده بكافة أسرته الى احدى القبائل المجاورة لتارودانت من جهة بابها المسمى
باب الخميس ، كمنشأة وهركيتة وما جاورهما ، ومن هناك دخل أبو زيد لأخذ العلم بتارودانت
سنة 991 هـ . وهو ما يزال ذا ذؤابة ، وقد توفى أبوه وأخوته سنة 1007 هـ . بالطاعون الذى عم
المغرب من 1005 الى 1016 هـ ، قال « ودفنوا بالمقبرة الجديدة التى على المجادة بالربع أحد احوال
تارودانت » ، وهذا المكان غير معروف اليوم كما لا يعرف غالب الأماكن الذى ذكرها فى كتابه
المذكور كحومة عيسى بن القاضى والمسجد الذى ساق اليه بعض الناس الماء لينهدم كي يضيفه الى
حديثه ، وداره هو التى بناها او بنيت له قبلة المسجد الكبير ، وما بقى معروفا من ذلك قليل كباب
الغزو المعروف بباب تارغونت ودار ابن الوقاد التلمسانى بحارة الجامع الكبير التى صحت العامة

وكثيرين في صحراء سوس ، منهم خنائة زوجة (8) مولاى اسماعيل ،
وكالانصار الحزرجيين أو الأوسيين سكان بعض الجهات بسوس ، وبعضهم في

اسمها دار ايت التلمساني - وايت معناها «ال - الى قولهم دار ايت لسانى ، وكمدفن ابن الوقاد
هذا بالمقبرة الصغيرة الملاصقة للمسجد الكبير من قبلته ، وتسميها عامة اهل رودانة المحراب
لانها في اتجاه المحراب ولأن منها يدخل خطيب الجمعة .

وكان اول اخذه برودانة عن استاذ وخطيب مسجد قصبتهابى عمران موسى بن احمد التودماوى
(نسبة الى قرية تودمة بايت صواب بالقطر المسمى) الذى كان استاذاً للمصور السعدى قبل ذلك ،
قال : جنته لأقرأ عليه لوحى « مورد الظئان » فابطامى حتى ارتفع النهار، قال ولله الأمين محمد
ابن موسى : لما دخل قالت له اهله ما الذى ابطاك اليوم عن غداك ؟ فقال لها : ورد على اليوم غلام
بلوحي يلى قضاء هذه المدينة تحت ثلاثة امراء .

ونعرف من هؤلاء شيخه ابا زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحى مصرخ زيدان ابن المنصور
السعدى على الثائر ابي على قاتل معركة كيليز سنة 1022 هـ . ، فانه لما ثار ابو زكرياء هذا ايضا
على زيدان انتدب تلميذه ابا زيد التامانارتي لقضاء سوس التى قاعدتها تارودانت ، ولكن وقع
بينهما نزاع على وفر اموال الاحباس التى كانت الى نظر القاضى وحده وأراد الامير ان يصرفها الى
جنوده فكان القاضى كلما ورد عليه امر اميره بذلك اهيله حتى احس القاضى بالشر ففر من المدينة
الى قبيلة سندالة ، ولعلها اذ ذاك كانت تابعة لمنطقة نفوذ بودميعة ، فلما مات يحيى سنة 1035 بعد
أن ظل مطاعا في رودانة 13 سنة قام من خلفه من اهله الى سنة 1039 هـ . فمادت لبودميعة ، الذى
بقى مطاعا فيها الى ان مات سنة 1069 هـ . أى بعد وفاة التامانارتي بتسعة أعوام اذ الظاهر ان موته
كان سنة 1060 لا سنة 1070 كما يقال ، ولذلك فلا نعلم هذا الامير الثالث لحد الساعة .

وقد كان المعروف من تثاليفه هو « الفوائد الجمة باسناد علوم الأمة » ولكن وقع المثلور اخيرا
بالخزانة الملكية بالرباط على ديوان شعره ، كما قال بعض المترجمين ان له شرحا على لامية أحمد
ابن عبد الله الزواوى التى اولها :

الحمد لله وهو الواحد الأزلئ سبجانه جل عن شبه وعن مثل

وهو مترجم عند الافرائي في الصفة ، وعند الحضيكي في وفياته ، وعند صاحب فهرس
الفهارس الذى عدده من كبار المحدثين .

(8) هي خنائة بنت الشيخ بكار بن على بن عبد الله المفاقرى ، زوجة السلطان المولى اسماعيل ،
ووالدة ابنه السلطان المولى عبد الله ، وجدة السلطان المجاهد الصالح سيدى محمد بن عبد الله ،
كانت على جانب كبير من الخيارة والتدين والمعرفة ، لها اعتناء بالحديث ورجالها، وجد خطها بهوامش
المجلدين الثالث والرابع المخطوطين من الاصابة لابن حجر المحفوظ بالخزانة الملكية بالرباط
تحت رقم 4932 . كانت ثقة عند زوجها المولى اسماعيل بحيث كان يعهد اليها بتحرير الرسائل
التي يخفى اسرارها عن كتابه ، وكان اهل الفضل والحياء الذين يأنفون من التزام على أبواب
الملك يهرعون اليها للتشفع لهم في الملكات وقضاء المهمات ، فكانوا يجدون عندها من الاستعداد
ما يطلق الستهم بشكرها والدعاء لها .

ذهبت الى الحج سنة 1143 هـ . وصحبت معها حفيدها السلطان الأعظم سيدى محمد بن عبد الله
وهو اذ ذاك دون البلوغ ، توفيت في 6 جمادى الأولى 1155 هـ . وفدت بروضة الأشراف بالمدينة
البيضاء فاس الجديد .

قرية كدورت في ايسى ، فهم احفاد ابى ايوب الانصارى دفين الاستانة (9) ،
وكالازديين ءال قرية تازونت ازاء منازل العدانيين (10) بمجاط ، يقولون انهم
ابناء عكاشة بن محصن (11) ، وهناك ءآخرون في افران ، وكالبكرين التيميين
القرشيين مثل الجشتيميين التملين (12) ، وءال الطالب ابراهيم الوفاويين (13) ،
وءال ابلخير (14) ، الاغشانيين - فيما يقال - وابناء سيدى محمد
بن ابراهيم الشيخ (15) التامانارتى ، وابناء عمومته اللكوسيين (16 - 17)

(9) هو الصحابى الجليل ابو ايوب خاله بن زيد بن كليب ، الخ . الانصارى النجارى ، من
السابقين الاولين الى الاسلام ، شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وغزوة بدر الكبرى ،
ثم لم يتخلف قط عن الفزوة فى حياته عليه الصلاة والسلام ولا بعدها ، ونزل الرسول عليه الصلاة
والسلام فى داره لما هاجر الى المدينة حتى بنى مسجده وبيته ، وكفاه بهذا شرفا ، توفي رضى الله
عنه فى غزوة القسطنطينية سنة 52 من الهجرة وقبره مشهور هناك .

(10) نسبة الى « اكونى ايمدان » محل فى شرقى آيت موسى أحد افخاذ مجاط : قال عنها
المؤلف رحمه الله فى صفحة 144 من الجزء 18 من المصمول « قرية مر فيها علماء ، وكانت فيها
مدرسة قديمة تدرس فيها العلوم ، وهذه الاسرة التى رفعت راية المعارف تنتسب - فيما
يقول العدانيون - الى عكاشة بن محصن الصحابى الشهير ، ويقولون انهم من قبيلة الأزد ، وبهذا
أخبرنى الفقيه الحسين التيميكيشتى »

(11) هو الصحابى الجليل عكاشة بن محصن الأسدى من بنى أسد بن خزيمه ، شهد بدرا وأبلى
فيها البلاء الحسن ، وانكسر سيفه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا أو عودا فصار
بيده سيفا ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة أحد وغزوة الخندق وجميع المشاهد ،
وهو المذكور فى المثل المشهور : « سبقك بها عكاشة » ، كان عمره يوم مات النبى صلى الله عليه
وسلم اربعا وأربعين سنة ، وقتل فى حروب الردة ، قتله طليعة الاسدى مدعى النبوة . وابوه محسن
بكسر الميم وفتح الصاد .

(12) هم الاسرة السوسية العلمية الورعة المتقية التى تجل مناقبها عن الحصر ، وكفاهها
شرفا ان منها شيوخ الاسلام الثلاثة عبد الله بن عبد الجشتيمى المتوفى فى سبيل الحج سنة 1198هـ .
وولد عبد الرحمان المتوفى سنة 1269 هـ ، وولد الحاج احمد بن عبد الرحمان المتوفى سنة 1327 هـ
والذى جاء مشتكيا فى نازلة نزلت به الى السلطان المول الحسن براكش يبقى فى بابه نحو السنه
لا يستطيع الوصول اليه ، ولكن لما اتصل به استبقاه لديه واتخذنه اماما لصلواته المحسن نحو
السنين حتى صار ينتشفق اليه بالقطع الشعرية أن يصرحه للرجوع الى سنوس فصرحه أخيرا ميجا
مكرما ، ولتراجم الاسرة كلها فى الجزء السادس من المصمول ابتداء من اوله .

(13) توجد تراجم الوفاويين والايشانيين فى الجزء الثالث من المصمول .

(14) توجد تراجم الاوبلخيريين (آيت اوبلخير) ابتداء من صفحة 19 من الثالث من المصمول

(15) هو العلامة الصالح المصلح السنى الجليل محمد - فتحا - بن ابراهيم الشيخ ، لف
بالشيخ لما هو متفرغ له من العلم والارشاد ، توجد ترجمته الحافلة فى الجزء السابع من المصمول
ابتداء من صفحة 11 .

16 - 17) توجد تراجم اللكوسيين والامانوزيين فى كل من الجزءين الثالث والسابع -
من المصمول .

في أمانوز ، ومنهم اد عزي الافرائيون (18) أسرة الافرائى الشهير (19) صاحب « الصفوة » و « نزهة الحادى » و«ال يعزى وهذا (20) ، الساكنين فى واحة كثيرة بسوس، كئال تادارارت البعمرانيين (21) ، وكأناس من الصوابيين، ومن وادى سموكن أسرة «ال الطيفور (22) ، وكأسرة الألياسيين (23) الماسيين ، وكالعمرين العدوين القرشين (24) كابناء عمرو التاموديزتين (25) ،

(18) كلمة اد بكسر الهمزة وسكون الدال معناها «ال فهى مثل كلمة ايت بفتح الهمزة واسكان الباء والتاء ، فهم «ال الشخص المسمى عزي ، ولذلك وصفهم المؤلف بالجمع فى قوله «الافرائيون نسبة الى ايفران سوس لا ايفران ناحية مكناس ، ومعناها الكهوف او المغارات فهى جمع لكلمة ايفر بكسر الهمز واسكان الفاء وكسر الراء ، وتوجد ترجمة بعضهم فى ص 57 من الجزء التاسع من المسول وكذلك فى الجزء العاشر .

(19) هو الاديب الكبير العلامة الجليل محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله الافرائى اصلا المراكشى مولدا ونشأة ، فقد جاء والده الى مراكش فولد هو فيها ، ثم اتم تعليمه فى فاس ، وتأليفه تنبىء عن غزارة علمه ، منها « صفوة من انتشر فى اخبار صلحاء القرن الحادى عشر » و « نزهة الحادى فى اخبار ملوك القرن الحادى » واعظمها « المسلك السهل الى توشيح ابن سهل » شرح فيه توشيح الشاعر الاندلسى ابراهيم بن سهل الاسرائيل الاشبيل ، فقد دل على طول باعه ، وسعة اطلاعه ، وكان من الفضل والحياة بالسكانة التى اهلته الى تولى الامامة والمطبة بجامع ابن يوسف بمراكش ، وقد كان حيا سنة 1155 هـ . وتوجد اخباره فى مقدمة كتبه غير ان من كتبها ينسبونه الى بنى يفرن اصحاب الدولة المملوكة وذلك خلاف الواقع ، كما انه مترجم « رحلة الوافد » و « الاعلام » للقاضى سيدى عباس بن ابراهيم المراكشى وفى صفحة 205 من عاشر المسول وفى صفحتي 240 و 249 من ثانى خلال جزولة للمؤلف وتكلم عليه بروكلمان فى الثانى من ملحقه .

(20) هو العلامة الكبير الشيخ المجاهد يعزى وهدى بكسر الواو وتسكين الهاء وفتح الدال ، ابن محمد بن موسى اوصل الامام محمد بن سعيد الميرغنى نسبة الى ابي بكر الصديق ، ولد بقصر يعقوب المنصور بمراكش سنة 646 هـ . وتوفى عام 727 هـ . اتخذ زاوية فى حدود الصحراء باقصى الجنوب المغربى وهناك دفن ، توجد ترجمته وتراجم اهله فى عاشر المسول ابتداء من صفحة 166 .

(21) تادارارت قرية فى ايت بوبكر بايت باعمران بالقطر السوسى ، وقد نزحت اليها هذه الأسرة من افلاكونس بباعقيلة (ادا وباعقيل) وكان اصلها الاصيل من فكيك ، وقد تكون منها علماء فضلاء كثيرون ، فلتراجع تراجمهم فى العاشر من المسول ابتداء من صفحة 241 .

(22) يوجد بعض ما يتعلق بئال الطيفور فى ص 193 من الجزء 9 من المسول ، وصفحة 265 من الجزء II منه ، وفى صفحة 196 من رابع « خلال جزولة » .

(23) هذه أيضا احدى الاسر العلمية الكبرى فى القطر السوسى وتوجد تراجمهم فى المسول ابتداء من صفحة 73 من الثامن عشر منه .

(24) نسبة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوى نسبة الى جده السابع عدى بن كعب ابن لؤى القرشى .

(25) هذه احدى كبريات الاسر العلمية السومية العافلة برجال العلم وشيوخ التصوف ، وكفاها ان منها العلامة الفقيه عمرو بن احمد المتخرج بالونشريسى وابن غازى ، والمشهور بالخطابة فى رودانة والافتاء فى كل القطر السوسى حتى عرف بعمرو المفتى ، وقد توفى بفاس سنة 968 هـ او 969 هـ . ومنهم ولده العلامة الفقيه النحوى العروضى الحيسوبى المنجم عبد الرحمان المشهور بالجراد ، توجد تراجمهم لمبتداء من صفحة 150 من ثامن المسول وفى الفوائد الجمة للتاماراتى ، عام 1316 هـ . وتوجد ترجمته ابتداء من صفحة 5 من التاسع عشر من المسول وفى طبقات المضيكى ، ومنهم الشيخ الجليل سيدى الحاج الحسن التاموديزتى المتوفى عام 1316 هـ وتوجد ترجمته الحافلة ابتداء من صفحة 5 من التاسع عشر من المسول .

الباعقلين ، وكابناء سيدي واساي (26) الماسي الذين منهم اسرة سيدي عبد الله بن داود باسافن ن أيت هرون (27) ، وكاسرة سيدي عياد السوسي (28) بقرية طاماظ بالمنابهة ، وهال سيدي محمد بن ويساعدن (29) بسكتانة ، وكالعثمانيين الامويين كالكرسييفين (30) ، وكاليزيديين الامويين القرشيين (31) ،

26) هو جد احدي الاسر العلمية الصالحة بسوس ، واسمه عبد الرحمان بن لقمان بن طلحة الخ نسبه المتصل بسيدنا عمر بن الخطاب ، وهو مولود بمكة ، ثم انتقل الى رندة بالاندلس ، ومن هناك عرف في بعض كتب التاريخ بعبد الرحمان الرندي ، ثم انتقل الى رباط ماسة ، ولعله للرباط والجهاد ، فتوفي هناك ولا يزال قبره مشهورا وهو من رجال القرن الخامس الهجري وترجمته في صفحة 238 من الجزء 16 من المعسول ، وصفحة 229 من ثاني « خلال جزولة » للمؤلف .

27) هو الرجل الصالح السائح المتجرد عبد الله بن داود بن سليمان ينتهي نسبه الى عبد الرحمان الرندي المذكور في الحاشية قبل هذه ، وهو جد الحادي عشر ، كان من رجال القرن الثامن الهجري ، وترجمته في صفحة 242 من السادس عشر من المعسول .

28) هو عياد بن عبد الله المعروف بعياد السوسي كان من الفضل والصلاح في طبقة الشيخ احمد بن موسى دفين تازروالت ، ومحمد بن ابراهيم الشيخ المتقدم في الحاشية (15) ومحمد بن ويساعدن السكتاني الواورستي وهو من الاخذين عن الشيخ سيدي عبد الكريم الفلاح ، عن الشيخ عبد العزيز التباع ، عن الشيخ محمد بن سليمان الجزول ، توفي في 8 رجب 983 هـ . توجد ترجمته في الفوائد الجمة للتامانارتي المذكور في الحاشية « 7 » وفي صفحة 185 من ثالث « خلال جزولة » وفي غيرها فهو من ائداد المشاهير وقبره مشهور بقرية تاماظ من قبيلة المنابهة على بعد نحو 35 كيلومتر شرقي تارودانت .

29) هو الشيخ الصوفي العلامة الجليل ، من سكتانة القطر السوسي ، تقصده المئات من الفقهاء والطلبة والمساكين فيقوم بكل ما هم في حاجة اليه بل ويسداوي مرضاهم بنفسه ويقول : « من لاصحاب الاسمال والواساخ بعدي » من كراماته نجاته من بطش المنصور السعدي عند ما انتصر عليه وعلى محمد بن عبد الله السلوخ في وقعة تينزرت ، فرجع الشيخ الى زاويته بسكتانة فكف عنه المنصور الذي كان من عادته ان يبطش بخصومه لاقل من ذلك ، اخذ عن الفلاح عن التباع عن الجزول وهو مترجم في فوائد التامانارتي ووفيات الحضيكي وابتداء من صفحة 230 من الجزء الثالث عشر من المعسول .

30) هذه الاسرة الكرسيفية الاموية العثمانية من كبريات الاسر العلمية بالقطر السوسي ، ان لم تكن اكبرها على الاطلاق ، فقد قال الاستاذ محمد المختار السوسي المؤلف رحمه الله في الصفحة 43 من الجزء السابع عشر من المعسول في ترجمة سيدي اسماعيل بن احمد بن بلقاسم ، اول من ذكرهم من الكرسييفين ما نصه : « ولم أعرف الا في المغرب أسرة تتصلب فيها العلم ابا عن جد مدة زهاء ألف سنة الا هذه الاسرة ، والاسرة الفاسية بفاس التي عرفنا اول عالم منها من اواخر القرن الخامس ، وهذه مزية انفردت بها الاسرتان وحدهما » .

ورأس علماء الاسرة الكرسيفية هو ابو يحيى ابوبكر بن عمر بن نعان الذي تخرج في قرطبة بالاندلس وحمل منها الى القطر السوسي علما غزيرا خصوصا في التفسير والحديث ، وقد توفي عام 685 ودفن ببليده رحمه الله ، وترجمته في صفحة 63 من السابع عشر من « المعسول » اذ في هذا الجزء توجد جهرة اخبار الكرسييفين وتفاصيل فرقهم ورجالهم ، كما توجد اخبار اخرى عنهم مهمة في صفحات 249 و 319 فما بعدها من الجزء الثالث منه ايضا .

31) هذه الاسرة العربية القرشبية الاموية اليزيدية هي ايضا من الاسر العلمية الصالحة السوسية ، نسبتهم هذه الى يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ، وتوجد تراجمهم ابتداء من صفحة 255 من خامس المعسول ، وابتداء ايضا من صفحة 160 من تاسمه .

ويسكنون في ايسى وفي ايفيرملولن وفي المنابهة (32) وفي غيرها ، وكالشرفاء العلويين الهاشميين وما اكثرهم ، كالوكاكين (33) بسملالة ، وكالاحكاكين (34) ، وابناء عمرو من تاكانت واكضيض (35) ، وهم ابناء الاعمام في قعدد النسب ، وكابناء واسلام (36) المنبشين في بعقيلة ، وكالاغرابوثيين (37) هناك ايضا ، وكالسباعيين (38) هناك ايضا في كردوس وفي غيره ، وكثال ازارييف (39) الحامدين العلماء ، وكثال عبد الجبار (40) التملين ، وكاحفاد سيدى محمد بن عمرو الاسريرى (41) المنبشين في تاغلولو بمجاط وفي اغبالو بماسة ، وفي ادا

(32) مقرهم في المنابهة هو قرية تامازط حيث مدفن الصالح عباد السوسى فكانوا قاضين بالتدريس في المدرسة المجاورة لضريحه ، راجع الحاشية رقم 28 .

(33) نسبة الى العلامة الصالح وكاك بن زلون ابى جمعة المشهور في التاريخ بأنه استاذ عبد الله بن ياسين السوسى التامانارنى مؤسس الدولة المرابطية اللتونية ، وتلميذ ابى عمران القاسى نزيل القيروان الذى ارسل اليه يحيى ابن ابراهيم الصحراوى ليبحث معه من تلاميذه من ينشر الاسلام في الصحراء فكانت هذه العزبة من حظ عبد الله بن ياسين المذكور .

وينتهى نسب وكاك الى المولى ادريس بن ادريس الخ . وذلك ثابت بما لا شك فيه ، وهو من رجال « التشوف » وقد توفي عام 445 هـ . وقبره مشهور في (أكلو) بضاحية تيزنيت على سيف البحر .

وتوجد ترجمته وترجمة كافة فروع اولاده ومنازلهم وترجمة تلميذه عبد الله بن ياسين ابتداء من صفحة 30 من الحادى عشر من المصنوع ، كما توجد اخبار بعض اولاده ابتداء من صفحة 128 من الثامن منه .

(34) تراجع فيهم أولا ص 402 من الثامن عشر من المصنوع ، ثم يرجع الى مراجعة كل فرع من الفروع المذكورة في محله . كما تراجع في شأنهم كتاب « ايليخ قديما وحديثا » فى عنوان : « من هو الشيخ سيدى احمد بن موسى » .

35 معنى تاكانت في العربية هو الغابة واكضيض معناه الطائر اى غابة الطائر وابناء عمرو الشرفاء المذكور انهم منها تراجع في شأنهم ص 402 من الثامن عشر من المصنوع .

(36) تراجع فى شأن الواسلامين الجزء الثانى عشر من المصنوع ابتداء من صفحة 244 .

(37) تراجع تراجمهم الكثيرة فى الحادى عشر من المصنوع ابتداء من صفحة 81 .

(38) الكلام على هؤلاء الشرفاء السباعيين كثير متشعب ومفيد متبع ، اذ هم علماء الفرسان وفرسان العلماء ، لا تفارقهم الأنفة والشمم والاباء حتى اذا تواضعوا ، ولذلك نجح القارىء على مراجعة اخبارهم فى الاستقصاء أثناء الكلام على دولة السلطان المقدس سيدى محمد بن عبد الله بن اسماعيل الذى أوقع بهم وقعة كبرى شردهم بها الى الصحراء .

(39) هذه ايضا احدى الاسر السوسية الكبرى المديدة الرجال فى العلم والصلاح ، وهى من الاسر التى ثبتت لها نسبة الشرف ، واما تراجع هؤلاء السادة الاصاريبيين فتوجد مفصلة فى تامن « المصنوع » ابتداء من اوله .

(40) هو الشريف العلامة الصالح الجليل سيدى عبد الجبار بن ايكيلد ، دفن زاويته بأعلى وادى تيملت بقم تيزخت من قبيلة أملن بسوس ، وهو مشهور باستجابة الدعاء عند قبره . هذا ملخص ما وجدناه عنه فى صفحة 88 من السابع عشر من « المصنوع » وقد طفرنا بترجمته فى الجزء الثانى من طبقات الحضيكي .

(41) سيدى محمد بن عمرو الاسريرى اللملطى من اهل القرن السادس الهجرى وهو من اكابر الصالحين ، مترجم فى « التشوف » وفى طبقات الحضيكي وفى صفحة 189 من الثانى عشر من « المصنوع » ، كما انه مذكور فى كل من صفحتى 15 و 16 من ثانى « خلال جزولة » للمؤلف

وتنان ، واوكدمت فى جبل درن (42) وكالكثريين (43) المنبئين حوالى
جبل الكست وفى هشتوكه وفى تيبوت (44) وفى تامانار وفى اشت (45) ،
وكالمزوارتين الرسموكيين (46) والتامراويين (47) والانراضيين ، وبعضهم فى
تارودانت وفى اقة ، وكالوازيانيين فى وادى نون (48) وكثال الحاج بلقاسم
التيغشيتيين (49) جول الخ ، وكنايت محمد التيزنيتيين ، وكثال عمرو
الوجانيين (50) ، وكابناء سيدى سليمان من اباينو (51) وقد انتشروا فى آيت

42 جبل درن يقصدون به الاطلس الجاتم بين مراکش وتارودانت ، ويقول له السوسيون :
ادران داران اى جبل درن .

43 الكثيرون السوسيون شرفاء ادايسة ، وهم ابناء عم كثيرى فاس ، استوطنوا جبال
سوس ايام فراهم من بنى العافية ، وقد تكون منهم فحول فى الرياسة والعلم . ومنهم العلامة
الصوفى المفتوح عل يده سيد بن احمد المتوفى عام 1296 هـ والمعروف عند السوسيين بسيدى
سيد الشريف ، توجد ترجمته فى صفحة 304 من ثالث المصنوع وفى صفحة 221 من ثامنه ،
كما توجد تراجم كافة كثيرى سوس فى صفحة 245 من تاسمه .

44 تيبوت قرية بالقرب من تارودانت ، واحلها الذين ذكرهم المؤلف فى صفحة 248 من
تاسع المصنوع وذكر منهم القائد محمد بن ابراهيم فى عرض كلامه على الكثريين يقال لهم آيت
بلا ، ومع ما كان فيهم من السلطة على جبال اداوزدوت واندوزال وما جاور ذلك الى اقصى وطاطة
فانهم كانوا زينة تلك الناحية بسبب اعتناقمهم للطريقة التيجانية وتقانيهم فى القيام باذكارها
وبسبب قيامهم بمدرسة انشؤوها فى قريتهم لحفظ القرآن ونشر العلوم العربية الدينية فكانوا
يعلمون فيها اولادهم ويفدقون الخيرات على استاذها وطلبتها ويشجعون فيها القيام بالشعائر
الدينية ومن انجته من اولادهم العلامة الاديب ابراهيم بن الحاج احمد المتوفى بفاس حوالى سنة
1350 هـ راجع اخبارهم فى الجزء 19 من المصنوع ابتداء من 215 .

45 راجع عن اشت وعن فيها من الكثريين صفحة 27 من الثالث من وخلال جزولة
للمؤلف ، وصفحة 260 من التاسع عشر من المصنوع .

46 هذه اسرة اخرى كبيرة تتابع فيها الفاضل كثير ، توجد تراجمهم فى ثامن المصنوع
ابتداء من الصفحة 169 .

47 هؤلاء التامراويون نسبهم المؤلف الى محل يقال له تامرا وفيهم رجال اخيار فراجع فى
شانهم صفحة 190 من ثامن المصنوع .

48 راجع فى شانهم صفحة 163 من عاشر المصنوع .

49 تراجم اخبار آل الحاج بلقاسم التيشيتى هؤلاء فى صفحة 16 من الثالث من المصنوع .

50 توجد اخبار آيت محمد - فتحا - التيزنيتيين وابناء عمومتهم آل عمرو الوجانيين فى
صفحة 199 من الجزء الثالث عشر من المصنوع .

51 هو الرجل البركة الشريف سيدى سليمان بن الحسن ، وتراجع اخباره واخبار سلالة
وعيمته ابتداء من صفحة 274 من المصنوع .

بصران وفي ازغار حوالى تيزنيت ، وكثال سيدى سليمان بوتوميت دفين
ايكيسل (52) و كاناس من تارايسست بكسيمة (53) اخوة الاغرابوئين ، وكنايت
بوودى من تيصلمى وكالخالدين فى طاطة والفاتجة وكثيرين غيرهم يحملون
سمة الشرف ويحفظون انسابهم المتصلة ، كما يوجد ايضا ابناء اعمامهم
الجمفريين - رغم ما زعمه ابن خلدون من انهم لم يدخلوا المغرب (54) - ككثيرين
فى ايلال وكسكان أساكا بافران (55) واخوانهم الاسكينيين التيمليين ، وكثال
على بن يونس الاغشانيين (56) ، وكبعض الجراريين والايسين والهامديين
والسيموريين البصرانيين ، وكثال سيدى عبد الله بن مبارك فى أقة (57) ،

(52) هذا السيد من الفاضل اصحاب الشيخ سيدى احمد بن موسى المتوفى عام 971 هـ ويعرف
يسمى سليمان بوتوميت ، وبو معناها صاحب وتوميت هو الزميط المسمى غربيا بالسويق ،
وسبب تكيته بها ان شيخه سيدى احمد بن موسى زاره فاضافه بها امانا فى قهر النفس باظهار
حال الصوفية فى عدم البخل بالموجود وعدم التكلف بالمفقود ، وقد نبه المؤلف الاستاذ محمد
المختار تميمه الله برحمته فى ترجمة سيدى سليمان بن الحسن المذكور فى الحاشية 51 ان سيدى
سليمان بوتوميت هذا هو جد السيد مولاي الحاج الباعمرانى المعروف فى مراکش بهذا الاسم
والذى بنى مدرستين حرتين وحبس عليهما كثيرا من املاكه ، وذلك فى عنفوان ايام الاستعمار
(ولم يخش الا الله فمضى اولئك ان يكونوا من المهتدين) .

(53) توجد اخبار هؤلاء الشرفاء اهل تارايسست من ضاحية اكادير فى صفحة 133 من الحادى
عشر من المصنوع . كما توجد فى صفحة 71 من رابع « خلال جزولة » للمؤلف .

(54) علق المؤلف رحمه الله فى الاصل المخطوط على هذا المحل بقوله : « فى كتاب طلعة
المشترى فى النسب الجعفرى » للتأخرى مناقشة لابن خلدون فيما ذهب اليه من ذلك .

(55) تراجع اخبار ال أساكا هؤلاء فى صفحة 215 من الجزء 12 من المصنوع .

(56) هو الرجل الصالح على بن يونس ابن عبد الله ، ينتهى نسبه الى عبد الله بن جعفر بن
ابى طالب يقال أنه سبب خراب مدينة (تامدولت) فانظر ذلك فى ترجمته فى صفحة 204 من ثالث
المصنوع ، وتامدولت مدينة قديمة باقا فى التخم السوسية الصحراوية وتوجد اخبارها فى
صفحة 86 من الجزء الثالث من « خلال جزولة » للمؤلف .

(57) هو الشيخ الامام عبد الله بن مبارك بن على بن الشيخ الامام محمد - فتحا - بن مبارك
السوسى الاقازى الذى جند جميع الامكانيات الموسية لقيام الدولة السمعية لما شاهد من تهديد
البرتغال واسبانية بالاستيلاء على المغرب ، كان الشيخ عبد الله بن مبارك احسن وارث لجنه لجنه لجنه لجنه
ابن مبارك ، انتهت اليه الرئاسة والشعوف فى عهد المنصور السمعى فكان لا يستعمل ذلك الا
فى الخير ، قال فيه تلميذه القاضي التامانارتى كان « كامل الفضل متين العلم والدين
شديد النية باحياء القلب وصفاء الباطن كان مدار عبادته على الواساة واطعام الطعام
وحضور الصلاة فى الجماعة واصلاح ذات البين ، وتماطى الاسباب ، وكان يؤثرها على التجرد
لموم نفعا . . . ينزل الناس منازلهم ويسمى بنفسه وماله فى قضاء حوائجهم ، ويصاير فى
صفائهم ويتحمل اذاهم . . . ويرى ذلك من ارفع المقامات فى زمانه ، قال : قرأت عليه صحيح
الأثار للامام ابن الجوزى ، وكتاب الشفا لأبى الفضل عياض ، وكتاب النهاج للفضال . قراءة
بعث وتحرير ، وكان ينبه على كثير من الاسرار والفوامض فيها ، ولد فى ذى القعدة سنة 936 هـ
وتوفى فى 21 رمضان سنة 1015 هـ . وقد اجمل المؤلف رحمه الله ترجمته فى صفحة 173 من
الثامن عشر من المصنوع وأورد هناك ما فى فوائد التامانارتى وبعض زيادات .

وكبعض أهل تاسيلا الماسيين ، كما يوجد ايضا - فيما يذكر - العباسيون ، ان لم يصح ما ذكره ابن خلدون من عدم دخولهم الى المغرب (58) ، وكأبناء الزبير الاسدي القرشي في قبيلة آيت أسا (59) ، وكأبناء عبد الرحمان بن عوف الزهرى القرشى ، وككثيرين غيرهم من أبناء العرب الذين لا يزال احفادهم يتباهون بالنسبة العربية التى ينتسبون لها .

وفى صحراء سوس تتموج القبائل العربية من بنى هلال وغيرهم ، لا يزالون يحافظون على انسابهم وعلى لغتهم الى الآن ، واما فى بحبوحة سوس فلا يتكلم فيها بالعربية الا فى اولاد جرار بضواحي تيزنيت والا فى قبائل تحيط بتارودانت (60) ، واما غالب هذه الاسر العربية الاصل فانها تشلحت حتى نسيت لغتها وان لم تنس غيرتها العربية الدينية (61) .

لكثير من أبناء هذه الاسر تاريخ ظاهر فى تقلبات سوس تعليميا وتهديبا وسياسة ، فقد مرت منهم اسر لها شأن عظيم فى حين من الاحيان ، كالبكريين فى تارودانت أيام الدولتين الموحدية والمرينية (62) أو كالقواد (63) الذين

(58) علق المؤلف رحمه الله فى الاصل على ما هنا بقوله : « كان الثائر ابن ابي محل يقول ان نسب اسرته يتصل بالعباس بن عبد المطلب » .

(59) قبائل متعددة ما تزال الى الآن قائمة فى تخوم الصحراء المغربية .

(60) هى قبيلة هواره فى غربى تارودانت واولاد يحيى والمنابهة فى شرقيها .

(61) المعروف عند السوسيين ان كل موضع تقطنه جماعة من الناس لابد ان يكون فيه مسجد ، ولابد لكل مسجد من امام ومؤذن ومعلم ومن ميضأة يتوضأ فيها الناس بالماء الساخن لجميع الصلوات الخمس ، وفيها بيوت للاغتسال به ايضا ، ولا تخلو اية قرية من مسجد من هذا النوع ، وربما كان فى القرية الواحدة اكثر من مسجد كلها مجهزة بموقد عليه قدر عظيمة من النحاس الاحمر فيسقى الماء من بئر ويصب فى مجرى فاذا به يخرج فى الميضأة ساخنا ، وان فى تارودانت على صفرها وبعدىها عن المواسم اكثر من عشرين مسجدا من هذا النوع ، ولكل ذلك احباس تموله . ومالا احباس له يقوم به سكان حارته ، وكان فى كثير من القرى استاذان واحد لتعليم القرءان وعلومه وقراءاته ، والآخر لتعليم الشريعة والمربية .

(62) علق المؤلف على ما هنا بقوله « « يراجع الجزء : السادس من تاريخ ابن خلدون » .

(63) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يراجع القواد السوسيون فى كتابنا « الرؤساء

السوسيون » والعلماء السوسيون فى كتاب « سوس العالمية » والاول من كتبه التى تركها بدون طبع يسر الله من يطبعها .

ينبغون من كثير من هذه الاسر قديما وحديثا فى تاريخ سوس ، ولكن لعل اءال ايليج التازروالتين الشرفاء السملالين الذين لعبوا فى القرون الاخيرة ادواراً خطيرة فى الميادين السياسية ، نالوا مقاما لم يدركهم فيه احد من ابناء الجاليات العربية الاخرى ، فقد اثلوا سؤددا ومجدا ، ورفعوا فوق غيرهم راية وفقوا فى تقديمها بعض التوفيق .

واهل ايليج فريقان سكان ايليج القديمة ، وسكان ايليج الحديثة ، فايليج القديمة اشتهرت بتطاؤل اهلها الى الامارة العامة ، وايليج الحديثة ما علمت الا بالقيادة الكبرى القلبية التى لها سطوة أى سطوة لا يزال الى الآن طنينها ىرن فى آذان السوسيين ، كما كان لها بعض استقلال عن العرش المغربى فلا تخضع له الا خضوعاً أدبياً دينياً من بعيد (64) فكان لايليج بمجموع ما نالته قديما وحديثا شأن ليس لغيرها حتى الأسر التى تتلع عنقها الى الظهور فى كل بواحي سوس .

حقا كان لها شأن ، غير ان شأنها فى مناضد التاريخ المكتوب ضئيل جدا وما ذلك الا من أجل التفریط المستولى على اطراف المغرب من قديم ، فاداء لبعض الواجب خصصت هذا الكتاب للبحث فى موضوع وائليج قديماً وحديثاً ، ولا يعلم الا الله ما كنت أعانى من الجهود باءى ذى بدء ، لعدم المراجع عدما باتاً - لأن الموضوع لا يزال بكرا لم يفترع بعد - ولعدم تطاول ىدى كما أريد الى كل ما أريد مما هو مظنة فائدة بين فوائد هذا المقام .

ثم لما تهيأ لى الموضوع بجمع اطرافه ، وتذليل بعض ابجائه واشرعت على ما ينيره بعض انارة تميز بها السبل ، وتبين بها الابواب ، استطعت ان امشى مشية مستقيمة ، فاكمل ما يمكن أن أكمله من النقص الكثير الذى يحيط

(64) ان اهل سوس منذ كانوا وهم يعتقدون ان السلطان خليفة الله فى الارض ، وان علماءهم يرون انه اذا انعقت البيعة لاحد من الملوك فان طاعته تصبح واجبة ، هذا اذا كان السلاطين من عامة الناس كالمرابطين والملوحدين والمرينيين ، واما اذا كان السلطان من الصلالة النبوية كما هو الحال فى الاشراف السمديين رحمهم الله وملوكنا العلويين وفقهم الله فان الاعتبار والاحترام يزداد ان فى شأنهم للمرة النبوية والنسبة القرشية .

بالبحث فى الموضوع على مقدار الطاقة ، وهذا كله خير عذر أقدمه للقارى
الذى لابد أن يلمس بيديه نقصا غير قليل اذا ظهرت لعينه تلم شتى كلم
سار فيه بالمطالعة وسبر بحوثه المتتابعة بمسبار التمحيص ، ولكننى أزعج -
- وما أبرئ نفسى - اننى فتحت باب الموضوع على مصراعيه ، وبحسبى ان لا
يخرج القارى حتى يعرف عن « ايلخ قديما وحديثا » كل ما اعرفه ، وذلك
غاية متمناى ، فان فزت به فزت بغاية المراد .

تمهيد

اغضى السلطان مولاي احمد (65) الذهبى صقر السعديين عينيه سنة
1012 هـ ففادر المغرب مع ما انضوى تحته من الصحراء الكبرى وما وراها من
السودان الغربى الموالى لصحراء المغرب بين اولاده (66) الذين يتناطحون

(65) هو ابو العباس احمد المنصور بن محمد الشيخ الاول وكان اصغر اولاده ولد بفاس
سنة 956 هـ ، وتربى بسجلماسة ، وبويع له بالملك فى وادى المخازن سنة 986 هـ من حضرها ،
ولما دخل فاسا جددت له البيعة العامة ، فكتب الى دول وقته يعلمها بانتصار المغرب فى وادى
المخازن وصيرورة الملك اليه ، فاخذت الوفود تتوارد على بابه بالتهنئة من البرتغال واسبانية
وفرنسة والجزائر بل ومن الامانة ، وكان محظوظا فى ملكه حازما ضابطا مبادرا ، الحق السودان
بمملكته الى بلاد النوبة وارسل قواده وجيوشه الى تلك البلاد يجيئون له خيراتهما ويسوقون اليه
أهلها خدما وحشبا فكثر عليه الأموال وصار الذهب يجيى اليه بالأحمال والأقال فازداد قوة
وعظمة وصار من اقوى ملوك عصره ، ولو ان همته تطلعت اذذاك باسترجاع الاندلس لما اعجزه
ذلك خصوصا مع الاستعانة بالاسطول العثمانى المتيد ، ولكن كان ما اراده الله من كل ذلك ، فغرض
المنصور بسبب الوباء الجارف الذى عم المغرب من سنة 1005 هـ الى سنة 1016 هـ وتوفى بقصره
بفاس العليا فى ليلة الاثنين 16 ربيع الاول 1012 هـ .

(66) كان المنصور السعدى شديد الحرص على بقاء الملك فى أولاده ، فمهد لهم ودرهم
عليه واخضع لهم الرقاب واذل لهم الرجال ، وفرقهم على ولايات النواحي المغربية ، وجعل ولاية
المهد فى أبهة لا مزيد عليها لمحمد الشيخ الملقب بالماون ، وكان اذا ملا صندوقا من المال
ينقله ويقول اللهم لا تجعل فتحه على أى يد سوى يد با الشيخ ، فثار عليه فى حياته وهم يجلب
الترك من الجزائر ، وبعد التى والتيا استطاع المنصور ان يسجنه فى مكناش ولم يجد فى نفسه
ما يكفى من الشجاعة ليفعل معه مثل ما فعل السلطان الولي اسماعيل مع ولده محمد العالم لما
ثار عليه بسوس ، فلما مات المنصور بايع أهل فاس ولده زيدان وبايع أهل مراکش ولده الآخر
أبا فارس عبد الله الواثق ، فاصدر أهل فاس فتوى بتوها على الحديث الشريف « إذا بويع ملكان
فاقتلوا الثانى منهما » فكانت سبب فتنة لم يتورع اى واحد من ابناء المنصور عن التلطح بها ،
واخرج « با الشيخ » من السجن فادلى فيها بدلوه حتى اقفر من الرجال عدة نواح من المغرب
وخصوصا مراکش ، وأريققت الدماء واغتصبت الأموال وهكتت المحارم خصوصا فى فاس وفى
مراكش ، ولم تنطف نارها من سنة 1012 هـ التى فيها مات ابوهم الى ان استولى المولى الرشيد
الطولى على مراکش سنة 1079 .

على تسليق العرش وعلى الانفراد بصولجان الامارة يتناحرون فيما بينهم فيغرفون بايديهم فى ساعة واحدة ما كان اسلافهم لاقوا ما لاقوا فى جمعه ككتلة واحدة فى سنين كثيرة بعدما وزعه الثوار الناعبون من كل ناحية ، والأجانب الذين كادوا يتمكنون من كل سواحل المغرب عند انتشار عقد الدولة المرينية ، فأعاد زيدان (67) وابو فارس (68) ومحمد الشيخ الثانى (69) المملكة الى بركان يتطاير شررا ، تصطدم منهم الامة واما لا شخصية متناحرة ، كان دماء احمد الاعرج (70) ومحمد الشيخ الاول (71)

67 - 68 - 69) راجع عنهم الحاشية رقم 66 .

70) هو السلطان الشريف أبو العباس احمد الملقب الأعرج بن محمد القائم بأمر الله ، وأبوه محمد القائم هو الذى أجمع أهل السوس على مبايعته تحت اشراف ودعوة الشيخ الصالح محمد بن مبارك الاقاوى المتوفى عام 924 هـ لما راوا العدو الاجنبى قد احتل سواحلهم الى اكادير والى اسفى فاستقموه من اقا الى تيدسى السمساة أيضا ام الجريد حول هواره بسوس ثم بعد ذلك سلم هو الامر لولده احمد الاعرج هذا سنة 918 هـ فكان بطلا مستديدا شرع فى الحين فى مناوشة البرتغاليين وذاق لذة الانتصار عليهم فازدادت مكانته عند الامة ، وكان اخوه محمد الشيخ الاول عوناً له وظهيراً وقائداً لجيوشه وبيادته اخلى البرتغاليون حصن فونتى - اكادير الحالية - فقوى امره واشتدت شوكرته ، فدخل مراكش سنة 930 هـ واتخذها عاصمته . ثم لم يلبث الجو ان فسد بينه وبين اخيه محمد الشيخ الاول ، ومع ان هذا كان ولياً للمهد ، فانه لم ينتظر خلو العرش له بل سطا عليه وسجن اخاه ابا العباس وكل أسرته وصار يجرى عليهم الجرايات بمراكش سنة 946 هـ ولما قتل الاتراك محمد الشيخ فى اكلاكال بجبل درن سنة 964 هـ عمد خليفته على مراكش القائد على بن بوبكر ازيكى - نصبة شلحية الى قبيلة ادا وزيكى بسوس - فقتل ابا العباس الاعرج وكل من معه حتى النساء والصبيان مخافة ان يخرجهم المراكشيون من السجن ويبايعوه فكانت هذه احدى النقط الشوهاء فى تاريخ الدولة السمديّة .

71) هو ابو عبد الله محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم واخو احمد الاعرج ، ولد عام 893 هـ نشأ فى هذا الوقت المتلاطم الامواج وفى حجر والده الذى كان يعيئه للقيام بالدور الذى قام به ، وهو الذى وطد دعائم الدولة السمديّة ، بويج عام 951 هـ فجعل يقاتل بقايا الوطاسيين الى ان دخل فاسا سنة 955 هـ فاتخذها قاعدة ملكه ولما كان بظاهرها أمر بعض المتلصصين ان ياتوه بالعلامة عبد الواحد بن احمد الوشريسى فدخلوا عليه مجلس اقرائه لصحيح البخارى بشرح ابن حجر بين العشائين ففرقوا عنه طلبته وارادوا الذهاب به اليه ، فامتنع فقتلوه عند باب القرويين الموالى للشماعين ، ومحمد الشيخ اول من ترك من اهله التبدى واتخذ شارة الملك فامتد ملكه من تخوم الصحراء السوسية الى ابواب تلمسان ، وفى سنة 961 هـ عاد اليه ابو حصون المريني فى جيش من اترك الجزائر ففر محمد الشيخ الى مراكش يستجيش الجيوش فماد الى فاس ولما مر بمكناس قتل الخطيب ابا الحصن على حرزوز لانه كان يندد به فى خطبه تنديدا فاحشا ، ثم دخل فاسا وقتل ابا حصون المريني ، ثم احضر قاضى الجماعة عبد الوهاب بن محمد الزقاق فخيره فى القتلة التى يريد بها ، فقال البرء مقتول بما قتل به ، فانظر ما تريد ان تموت به انت فاقطنى به فقطع راسه بشاقور ، فمات هو ايضا به .

وعبد الله الغالب بالله (72) والمعتصم (73) والمنصور (74) لا تجول
في شرايينهم ، ثم ما انقضت سنوات قليلة على اقبار الذهبى حتى
صار الثوار الجدد ينتقصون ثانيا اطراف المغرب شيئا فشيئا ،
فتضيق منطقة الدولة يوما فيوما ، وقد سقطت حرمة من يتسمنون العرش

72) هو ابو محمد عبد الله الغالب بالله بن محمد الشيخ الاول بن محمد القائم بامر الله ،
كان خليفة لوالده بفاس ، وكان يميل الى الخير واحله ، وله حظ من العلم لا بأس به ، قيل ان
موقت مسجد القرويين ايا عبد الله المزوار اطلع على وفاة محمد الشيخ عن طريق حركات النجوم
في حينها ، فاسرع الى باب عبد الله الغالب وطلب لقاءه ومنعه الممسى فكتب اليه ورقة بذلك ،
وفي الصباح شرع الغالب بالله في الاستعداد للحلول محل والده ، فلما ورد الخبر من مراكش لم
يجد عمرا في مبايعة أهل فاس له ، ولما علم أهل مراكش ببينة أهل فاس بايموه هم ايضا وذلك
سنة 965 هـ ، فصار الى مراكش ، وكان : يامه ايام هدوء ورضاء ، ولم ينقض ما خاضه أهله من
الحروب الا حرب الترك حين زحف اليه حسين باشا التركي من الجزائر سنة 965 هـ فالتقى بواى
العين بناحية فاس ، فانهزم الترك ورجعوا الى الجزائر ، ومن علامة تعلقه بأهل الخير انه ارسل
استاذة العلامة محمد بن يوسف الترغى الفاسى يرتاد له صالحا من صلحاء الوقت يسترشد به
في دينه ، فجعل يطوف على صلحاء المغرب حتى رجع اليه بخبر سيدي احمد بن موسى دفين
تازروالت فصار اليه السلطان هناك وبقي عنده ثلاثة ايام ، ثم لم ينقطع الاتصال بينهما ، فقد
وفد هو على السلطان بمراكش ولكن لم يأكل من طعامه ولا أخذ منه هدية ، وقد اشتهر هذا
السلطان بالخير حتى قال أهل عصره ثلاث عينات هي عيون الزمان : عبد الله الغالب ، وعبد الله
ابن حسين المصلوحى وعياد السوسى ، وكذلك قضى حياته الى ان وافاه اجله بمرض الربو - ضيق
التنفس - سنة 981 هـ .

73) المعتصم هو عبد الملك بن محمد الشيخ الاول ، لما توفي ابوه وتولى بعده اخوه عبد
الله الغالب بن محمد الشيخ كما تقدم في الحاشية رقم (72) كان عبد الملك و احمد المنصور
بسجلماسة ففرا الى تلمسان ثم الجزائر ثم التحق عبد الملك بالاستانة يستنجد السلطان مراد
العثمانى على ابن اخيه محمد بن عبد الله السلوخ فتناقل عنه ولما خرج النصارى في تونس وجه
السلطان مراد اسطولا لتطهيرها فكان فيه عبد الملك ، وهو اول من بمث مع بعض اصحابه بشارة
الفتح للسلطان العثمانى سنة 983 هـ فجعل هذا مكافاته نجدة على الرجوع الى المغرب ، ولما وصل
معه الاتراك الى نواحي فاس خرج اليه ابن اخيه محمد بن عبد الله فانهاز عنه جنوده الى عبد الملك
ففر الآخر الى مراكش ودخل المعتصم فاسا سنة 983 هـ ، ولا تطيل بما وقع بينهما وانما أخيرا
توجه محمد المتوكل الى البرتغال يستنجدهم فجاء معه سبابستانى يفود منهم جيشا جرارا فوقعت
واقعة وادى الخازن التى مات فيها عبد الملك مسموما ومحمد المتوكل وسبابستانى غرقا لصلح
المتوكل وخشى جلده تبا وبويح فيها المنصور بعد ان ابل بلاء حسنا في المعركة وكان هو
والحاجب رضوان الملح قد علما بموت عبد الملك فكتماه حتى انتصر المسلمون .

فلا يعتد بوعدهم ولا بوعيدهم ، فراينا أبا محلي (75) تتمنض عنه سجالمة ،
وابناء ابى بكر الدلاى يتسامى امرهم فى جبال تادلة (76) ويمدون ايدى ايها

(75) هو ابو العباس احمد بن عبد الله المعروف بابن ابى محلي ، احد اجداده ، اصلهم من
مكناس وانتقلوا الى سجالمة وبها ولد عام 967 هـ . تم مكث فى فاس اربعة اعوام اتقن فيها
النحو فكان كلامه عاليا نفيسا ، ثم التحق بالشيخ الصوفى سيدى محمد بن مبارك الزعرى ولازمه
18 سنة ، ثم رجع الى سجالمة ومنها الى الحج سنة 1002 وفى هذه السنة انتقل الى وادى
الساورة قرب بشار على نحو 80 كيلومترا منها ، وهى الآن عند الجزائريين - راجع « تقييد ما
اشتغل عليه اقليم توات » للاستاذ عبد الوهاب بن منصور - فصار يلقب الساورى ، قال ابو
على اليوسى كان ابن ابى محلي يجهر بقوله انا سلطان انا سلطان ، يكررها ، فقال له صوفى ذات
يوم « ثلاث سنين الا ربما » فكان الامر كذلك .

وقد اظهر القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايام تناطح اولاد المنصور ، ثم دعا
لنفسه وصرح بانه الهدى المنتظر فوقعت بينه وبين زيدان بن المنصور معارك استولى فيها على
مراكش ودخل البديع ولم يكد يستقر به حتى تزوج والده خصمه زيدان ، وولد له ولد فسماه
زيدان كذلك كانا كان ينتظر لو طالت به الايام ان يتلقب بالمنصور ، فضايق زيدان بأمره فاستصرخ
عليه شيخ القطر السوسى وعالمه يحيى بن عبد الله - راجع الحاشية 78 - ولما علم ابن ابى محلي
بتحرك يحيى نحوه نشأت بينهما المناوشات الكلامية ثم التقيا فى كيليز فقتل ابن ابى محلي
سنة 1022 هـ ودخل الصوفى الثانى الى قصر البديع وتبجحه وكاد يقوم بمثل نفس الدور لولا
تائب زيدان وغيره ، فرجع الى رودانة حيث جاهر بالدعوة لنفسه مدة 13 سنة اذ مات سنة 1035 هـ
وقد رمز ابو العباس احمد اليريدى الى قيام ابن ابى محلي وقتله برمز توفى فيه كل التوفيق
وهو : « قام طيشا ومات كبشا » اذ قام سنة 1019 ومات سنة 1022 هـ .

(76) هذه ايضا اسرة عريقة نشأت فى احضان الدين والعلم ، اولهم ابو بكر بن محمد بن
سميد مؤسس زاويتهم فى الدلاء ، فقصدته اهل الفضل من فحول العلماء وكبار الصوفية لسا
يجلوا ، كنفه من نفاق بضاعتهم وتقديرهم قدرهم ، حتى توفى سنة 1021 هـ فخلفه ولده
محمد بن ابى بكر وسار على منهجه بل اربى عليه فيه ، وكان ينهى اولاده عن التعلق بزخرف
يا والتمتع بها ، فقصدته القبائل وسارعت الى خدمته تعينه على ما هو بصده ، حتى مات سنة
1041 هـ فخلفه ولده محمد بن محمد بن ابى بكر وهو الملقب بمحمد الحاج لانه حج عدة مرات
مع جده ومع والده وصلى بالناس مرة فى عرفات فسمى بالحاج ، وهذا هو الذى تصدى منهم
للانقمار فى السياسة فطعم فى الملك فاستولى على الدلاء وما جاورها ودخلت فى حكمه فاس
ومكناس وخلع طاعة السلطان محمد الشيخ الثالث بن زيدان بن احمد المنصور ثم وقعت بينهما
معركة بوغبة سنة 1050 هـ فانهمز فيها محمد الشيخ الثالث فتقوى امر الدلاى وطعمه فى
الرئاسة ثم وقعت ايضا معركة اخرى بينه وبين مولاى محمد بن الشريف العلوى انهزم فيها
هذا فدخل عليه الدلايون سجالمة وفعلوا فيها الافاعيل ، كما انهم حاربوا المجاهد محمد
العايشى وكانوا سبب هلاكه وحرمان المسلمين من فوائد جهاده لمدومهم ، فلما كانت ايام المولى
الرشيده العلوى طردهم من فاس وتبعهم الى عقر دارهم فصبوها دكا وحملهم الى فاس هم
وكافة اتباعهم العلماء ، وذلك سنة 1079 هـ ، وهم مترجمون فى كثير من كتب التاريخ بل هناك
من التاليف ما هو خاص باخبارهم .

طول حتى صرح امرهم اخيرا بما كانوا يكتنون، والمجاهد الكبير محمد العياشي (77) يبرز امره تحت الوية المدافعة للاجانب حتى انتهى الى المبايعة من الناس على الامارة العامة كما رأينا أيضا ابناؤه الشيخ سيدي سعيد بن عبد المنعم الحاحي (78) وابناء الشيخ سيدي عبد الله بن حسين التامصلوحتى (79) ،

(77) هو المجاهد الكبير سيدي محمد العياشي كان ملازما لشيخه سيدي عبد الله بن حسن السلاسي دفن سلا فاذا ببعض الناس يهدى الى الشيخ فرسا ، فاستدعى العياشي واركيه عليه وقال له : « هذا دنياك وهذا » اخرتك فاذهب وجاهد في ازمور وانزل على اولاد بوغريز ولا بد لك من الرجوع الى سلا ، فامتثل الامر وجاهد في كل من شواطئ دكالة والشاوية وطنجة وما حولها وسلا والمهدية وكان في كل ذلك بين عدوين احدهما داخل من بقية السعديين ومن الدلائيين ، ومن لف لف كل منهما والآخر هو العدو الاجنبي الذي احتل الشواطئ المغربية واخذ في التوغل الى الداخل ، ولكن كان الدلائيون سبب ضعفه فالتجأ الى قبيلة الخلط فقتلوه وقطعوا راسه ودفن شلوه بروضة الشيخ ابي الشتاء وذلك في 19 محرم 1051 هـ .

(78) هذه الاسرة الداودية الادريسية الحاحية الشريفة حسيبا ونسبا ، هي احدي الاسر السوسية الحافلة بالعلم والمجد والصلاح ، تشبه في ذلك الاسرة الدلائية ، وسعيد هذا هو ابن عبد المنعم ، وقد يقولون عبد المنعم ، بن الحسن ابن ابراهيم بن عبد الملك بن الحسن بن داود الذي هو اول داخل منهم الى المغرب ، ويقال لاعتقابه المتانيين لانه ورد من منى .

وقد قضى يحيى بن عبد الله بن سعيد هذا على المجد الديني العلمي الذي أسسه اجداده على تقوى من الله ورضوان باقتحامه المماركات السياسية حتى توفي بتارودانت سنة 1035 هـ فحمل الى تافيلالت بادا وزداغ فدفن حول والده .

وقد كان المنصور السعدي تخوف منهم وهم بالايقاع بهم اذ ارسل اليهم قائده منصور بن عبد الرحمان العلج فمسكر حول دارهم ايام عبد الله بن سعيد فالتجأ فيه الى الله فلم يلبث ان كفاه امر المنصورين معا بما ابتلى به المنصور السعدي من امر السودان فكان قائده ذلك ممن وجههم اليه .

وهم مترجمون في الفوائد الجمة للثامانارتي ، وفي الاستقصاء ، ونزهة الحادي ، وقد اجمل المؤلف كل ذلك في الجزء 19 من المسمول ابتداء من صفحة 73 واوصل رجالات الاسرة الى 38 شخصا .

(79) هو ابو محمد او ابو احمد عبد الله بن حسين (تصغير حسن) فصار الناس يقولون حسانين ويتسمى بها اولاده الآن ، هو من الشرفاء الادارسة بنى امغار اهل عين القطر (طيط نططر) المرسى العتيق . يقرب الجديدة بدكالة ، نزله هؤلاء الشرفاء ، وكان منهم في القرن السادس الهجري العلامة الامام ابو عبد الله محمد بن ابي جعفر ابن اسماعيل المدعو امغار ، فاشتهر بهم هذا المحل وصار بفضلهم مقالا للعلم والدين أكثر من اربعة قرون ، وما زال طنين مجدهم يرن في الأذان ، وما زال الناس في دكالة وغيرها من اطراف المغرب يفتخرون بالانتساب اليهم الى الآن .

لازم سيدي عبد الله بن حسين الشيخ عبد الله الغزواني بعد مجيئه لمراكش فترى به ، وهو الذي اسكنه في تامصلوحت ، فسكنها ووردت عليه الوفود خصوصا بعد موت شيخه المذكور .

وقد سأل سيدي ابو المحاسن يوسف القاسي عنه الشيخ المنسي ابا عبد الله محمد المعروف بسيدي كدار ، فقال له : « كان شيخا جليلا كبير الشأن من اهل الرسوخ في الرفان ، وكان قوى الحال ومع ذلك لا يستغزه ولا يفلبه فكان من اهل التمكن والكمال » ، توفي رحمه الله عام 997 هـ وقبل عام 979 هـ وقبره معروف بتامصلوحت واولاده بها كثير .

وابا كانون (80) يستشيرهم ما استشار الآخرين ، ولكن كل هؤلاء لم يدرك أحد منهم - لعل - مبلغ ما ادركه ابنه الشيخ سيدى احمد بن موسى مؤسسوا « ايليخ » من المكانة واتساع الايالة وتوطد الكلمة والبقاء تحت ظل الامارة ستين سنة كاملة مع توالى اربعة من الامراء .

من هو الشيخ سيدى احمد بن موسى ؟

فى قبيلة سملالة اسر كثيرة يتصل نسبها بعلى بن ابى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، ويجمع تلك الاسر جنمان (81) كبيران ، فابناء سيدى وكاك (82) استاذ عبد الله بن ياسين بطل اللمتونيين من ابناء ادريس ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن

(80) علق المؤلف فى الاصل على هذا المحل بقوله : « هو ذكالى جرى ذكره فى الفوائد الجمة » وقد ذكره ايضا الكانونى فى كتابه « اسفى وما اليه » .

وتيسيا للقاعدة نورد هنا ترجمته ملخصة من الكتابين المذكورين ومن غيرها : فهو ابو اسحق ابراهيم ابن على بن الشيخ سيدى محمد كانون المطاعى ثم العبدى ، والشيخ سيدى محمد - فتحا - هو اول داخل الى هذه الناحية من هذه الاسرة ، ورد من اولاد مطاع القبيلة العربية المشلحة المعروفة بالقرب من مراکش وهو من الصوفية الكبار ، توفى عن سن عالية سنة 981 هـ . وقد كان سبب انتقاله هو الجهاد فى شواطئ عبدة ودكالة ، فسار اعقاباه على اثره فى جهاد البرتغاليين باسفى والجديدة ، ومنهم حفيده ابو اسحق ابراهيم بن على هذا الذى ذكر هنا انه تاجر ، كان فى اول امره من اهل العلم الظاهرى التمسك والصلاح ، وكان يحترف خلة العدالة شان العلماء فى كل وقت ، كما كان من اهل الفروسية والشجاعة ككافة اهله .

اما سبب تورته فحيث ان سلطان ذلك الوقت زيدان بن احمد المنصور هادن برتغالى الجديدة لا غراض له فى ذلك كانشغال خصومه الثائرين عليه بهم ، وكالاتجار معهم ، فان كل الذين ليست لهم اغراض مادية لم يرضوا منه ذلك ، ومادام يريد الانفراد بالثامر فان من واجبه فى نظرم ان يقوم لتطهير البلاد من الاحتلال الاجنبى كما فعل السمديون لاول قيامهم والعلمويون بعدهم . وهؤلاء الذين لم يرضوا منه مسالمة المحتلين كانوا قبل مخالفتهم له يعترفون بولايته ويؤدون حقوقه ، وفى اخبار العياشى انه كان يبعث اليه فى مراکش بما كان يحصل عليه فى البريجة من الاسرى والغنائم وفى ذلك شاهد على انه كان مواليا له اول الامر .

وكان ابو اسحاق هذا ممن لم ترضهم مهادنة زيدان للبرتغاليين فتماذى على محاربتهم بالجديدة ، فتبعه الناس وكثرت جموعه ، فارسل السلطان زيدان جيشا لمحاربته بقيادة ابنه عبد الملك فانهزم جيش ابى اسحق وقتل واسر ولده وسبق الى مراکش فى جماعة من وجوه اصحابه وهو مترجم فى القسم الثانى من كتاب « اسفى وما اليه » للمرحوم محمد بن احمد الكانونى العبدى ، وفى الاستقصاء .

(81) الجذم : بكسر الجيم وفتحها ، الاصل والمنبت .

(82) راجع العاشية رقم 33

المسبط بن علي بن ابي طالب ، وكذلك أهل تاكانت او كضيض (83) فهم ادارسة ، والآخرون الاحكاكيون (84) وهم اكثر انتشارا واعز نفرا وأعرق نسبا ، كانوا من ابناء الحسن المثنى ، فهم حسنيون على ما عند كثير من علماء الانساب ، لا حسينيون على ما قيل ، الا انهم اختلفوا هل هم من ابناء ابراهيم بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ، وابراهيم هذا هو الذي ثار في البصرة على ابي جعفر المنصور العباسي ايام ثورة اخيه محمد بن عبد الله في المدينة بالحجاز ، قالوا ان كنيته أبو جعفر وانما يسقط لفظ الكنية وهو أبو قبل جعفر من اقلام الذين يحررون انساب سملالة فيقولون جعفر بن عبد الله الكامل ، ومعلوم ان اولاد عبد الله الكامل ليس فيهم من اسمه جعفر (85) فهذا قول ذهب اليه كثيرون ، ويعكر على هذا شيان : أحدهما ان المشهور بأبي جعفر من اولاد الكامل هو عيسى لا ابراهيم ، والثاني انه لم يعرف لابراهيم ولد في فاس ، والمقصود ان عقبه لم يدخل المغرب .

وهناك من يرى ان السملالين من اولاد سليمان بن عبد الله الكامل ، ولكن هذا لم يشتهر كثيرا .

وهناك قول آخر يوازي هذا ذهب اصحابه الى ان في سلسلة النسب سقوط بعض اسماء ، وان سملالة من ابناء الحسن المثلث بن الحسن المثنى بر الحسن السبط ، وفي بعض ظواهر السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذهاب الى هذا ، فيقولون في « آخر سلسلة النسب هكذا : « اسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ابن الحسين السبط » .

(83) راجع الحاشية رقم 35

(84) راجع الحاشية رقم 34

(85) علق المؤلف على هذا المحل بما نصه : « ويذكر عن العشماوي ان منهم جعفراً نشأ عقب في المشرق ثم انتقل الى سوس ، ولكن النسابين لم يذهبوا الى ذلك » .

وهذه سلسلة الشيخ سيدى احمد بن موسى كما تعددت منها نسج كثيرة تكون فى أيدى أهله : احمد بن موسى بن عيسى بن عمر بن أبى بكر بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن صالح بن طلحة بن أبى جمعة بن على بن عيسى بن الفضل بن عبد الله ابن جنيد - ويكتبه بعضهم كندوز وكلا الاسمين لقب له واسمه الأصلى هو ابراهيم - بن عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن حسين - وفى نسخ حسن مكبرا - بن اسمعيل بن جعفر بن عبد الله بن حسين - هكذا بالتصغير ، وذلك ما يؤيد ما تقدم لأن الحسن السبط لم يعقب الا من الحسن المثنى - بن الحسن بن على بن أبى طالب ، واذا أراد المحقق أن يكتب هذا على ما صح عند السلطان سيدى محمد بن عبد الله فليقل « جعفر بن عبد الله بن حسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على ابن أبى طالب » .

وأول من نزل سملالة من رجال هذا النسب هو ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن حسين ، ورد فى القرن الثالث فيما يذكر ، وقبره فى سملالة عند بومروان لا يزال مشهورا مزورا ، وهو الجد الأعلى لكل السملاليين الاحكاكيين .

من هذا النسب نشأ الشيخ سيدى احمد بن موسى فى أواسط القرن التاسع من ابويه سيدى موسى ، ولا يزال قبره معلوما يزار ، والسيدة تاونو ، التى لها أيضا مشهد يقصد وولادته تكون نحو 853 هـ . كان أولا يتسرع الى مواقع اللهو ، ويتترع (86) الى ميادين الشباب وملعب الاقران ، فاذا بنفحة صوفية تفاجئه على يد بعض صوفية عصره المشار اليهم فى بلده (87) فلبس

* (86) ترع بكسر الراء وتفتح فى المضارع والمصدر : اسرع الى الشر ، فهو ترع بكسرهما ، وترع ، وقال سعيد الخورى الشرتونى اللبناى فى معجمه « أقرب الموارد » ما نصه : « ترع به الى الشر نزع ، والمترع الشرير المسارع الى ما لا ينبغي له » .

(87) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « قيل انه سيدى محمد الوجاني دفن سملالة . وقيل انه سيدى ابراهيم ابن على دفن ايمولا فى ايفشان ، حول البخ ، ثم خبر سيدى محمد الوجاني يوجد فى صفحة 7 من الجزء 12 من الممسول ، وخبر سيدى ابراهيم فى صفحة 225 من الثالث منه أيضا .

لبسة جديدة ، وتخلق باخلاق اخرى ، فطلق مسقط رأسه ، وساح في المعمر
يتقرى مشايخ عصره شرقا وغربا ، وذلك بعد ما القى رسنه (88) في يد الشيخ
التباع المراكشي (89) ، فأمره أن يتابع سيره الى الامام ، فصار يفاخر في القفار ،
ويقتحم الأخطار ، ويخوض المعالم والمجاهل ، فلم يدع شيئا مذكورا الا زاره ،
والعناية تحثف به ، وحسن مقصده يفتح له دائما أبواب الخير ويسددونا
ابواب غيره ، وروحه تستمد من الأرواح العلوية الربانية ما تطير به بدورهم
في مطارات الملا الاعلى ، دام كذلك ثلاثين سنة ربما اختلف فيها فينة بعد
مينة الى أهله لصلة الرحم واداء واجب البر بهم ، حتى بدا له فالقى عصاه فر
سوس ونوى الاستقرار نهائيا .

قطن في غير موطن أهله ، فقد القى مرساته في تازروالت ، وتنقل بيز
بعض الجبال المحيطة بها حتى استقر في زاويته المشهورة الى اليوم ازا
مشهده ، فبقى هناك ستين سنة في تربية العباد ، والناس يردون عليه مر
مختلف البلاد ، وقد ظهر بمظهر كبار الصوفية الافذاذ ، وكان محظوظا فر
مظهره مسعوداً في شهرته فقد انزوى في زاويته والقوافل تتوارد عليه
والصادر يخبر الوارد في السبل بما يراه منه من احوال عجيبة غريبة ، فق
أعطى التكلم على ما في القلوب ، فكانت احدى الغرائب التي تبهر زائريه ، م
اخبارات واناة وتواضع وعدم الدعوى والاعراض عن الشهوات ، فلم يرخص
قط لنفسه حتى في زمن شيخوخته وضعف بدنه في تناول بعضها ، فلا يتجاوز
شملة في ملبسه ، ولا يركب مركبا في سيره ، مع وقوفه مع الشريعة وقوف
تاماً ، ولم يؤثر عنه من الشطحات ما يؤثر عن يغلبن على انفسهم من اصحاب
الأرواح الصوفية ، وكان يسأل عما لا يستحضر حكمه في الشريعة ، فهنا :

(88) الرسن : حبل تقاد به الدواب كاللجام لا تكون له حكمة ولا يدخل في فم الدابة ، واد
يدار على اسفل وجهها مما يلى الفم ثم من فوق الاذنين ، والقى الى فلان رسنه جعل قياده في يد
يسيره كيف شاء .

(89) سيدى عبد العزيز التابع .

اجوبة من العلامة سيدي احمد بن عبد الرحمن التيزركيني (90) لاسئلة من الشيخ في مؤلف خاص ، وكان يزور اخوانه من مشايخ التصوف برجله كسيدي محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتي (91) ، وسيدي محمد بن يعقوب التاتلي (92) ، وسيدي عبد الله الغزواني المراكشي (93) ، وسيدي عبد الله بن حسين التامصلوحتى (94) ، ويشنى ايضا على أمثال سيدي عبد الرحمان بن علي التيلكاتي (95) ، ويرى نفسه دون معاصريه ، فرفعه الله بهذا التواضع حتى

(90) راجع خبره معه في صفحة 46 من الجزء 12 من الممسول ، اما ترجمة التيزركيني فتوجد في صفحة 266 من الجزء الثالث عشر من الممسول وهو العلامة الجليل الفاضل احمد بن عبد الرحمان المسكدادي التيزركيني من الفحول الكبار رحل الى فاس وأخذ عن ابن غازي وعن النشريسي الكبير وامثالهم في فاس وفي غيرها والف وعلم وحذب ، توفي سنة 958 هـ .

(91) راجع في شأنه الحاشية رقم 7

(92) هو الشيخ الواصل الكامل سيدي محمد بن يعقوب تزيل ايمى ن تاتلت ، من طبقة الشيخ احمد بن موسى التازروالتي وعياد الموسي دفين تاماصت ومحمد بن ويسمدن واضراهم ، يجل قدره عن الوصف الوجيز عمر نحو 120 سنة وتوفي سنة 963 هـ وترجمته في الفوائد الجمة للتامانارتي وغيرها ، وكل ذلك مجمل في الجزء 16 من الممسول ابتداء من صفحة 49 .

(93) هو الشيخ ابو محمد عبد الله بن محمد بن عجال الغزواني ارسله اهله لآخذ العلم بفاس فصحب بها الشيخ الصوفي على صالح الاندلسي من قدماء اصحاب الشيخ عبد العزيز الباع دفين مراكش ثم صحب الشيخ عبد العزيز نفسه سنين ، ثم انتقل الى قبيلة الهبط قرب قبيلة غزوان وكان منها في محل يسمى فزنكار ولمله تاصروت ، وقد خافه سلطان وقته ابو عبد الله محمد بن الشيخ الوطاسي على عادة الملوك مع الصوفية فامر بحمله الى فاس فاختره قاضيا ابو عبد الله المكناسي ثم توسل له عند السلطان على ان ينتقل الى فاس فاتخذ له زاوية في باب الفتوح ، فوقعت سنة جسد اخذ الناس فيها يجرون السواقي من الانهار فاجرى هو ساقية من وادي اللبن قرب فاس فاذا بناصر الكديد آخي السلطان يقول له نحن احوج منك الى تلك الساقية ، فسلمها لهم ، وبعد اذغاه على سكني فاس جاءت هذه القضية فافاضت جام غضبه على الوطاسيين ، فانتقل الى مراكش وهو يلوح في الطريق بيرنوسه ويقول يا سلطنة فاس اتبعيني الى مراكش ، وصادف ذلك اواخر الوطاسيين واوائل السعديين ، ولما حاصر بنو مريم مراكش وهو بها خرج يشاهد الحصار فلما اطل من اعلى السور اصابته رصاصة خرقت قميصه فقال هذه اخر حروبهم هنا فورد على ابي عبد الله الريني ما ازعجه الى الرحيل عن مراكش فلم يمد اليها ، لم يستأ ان نورد هنا اكثر مما ذكرنا من اخبار هذا الرجل العظيم المفيدة الشيقة الموجودة في كثير من اخبار ذلك الوقت وخصوصا كتاب « متع الاسماع في اخبار الجزولي والباع وما لهما من الاتباع » توفي رحمه الله سنة 935 ودفن في زاويته بحارة القصور بمراكش .

(94) راجع الحاشية 79

(95) هو العلامة الكبير الصالح الصوفي الخير سيدي عبد الرحمان بن علي التيلكاتي من امرة علمية عظيمة ، كان في العصر الذهبي المغربي للتصوف ، وله شرح على « الشامل » لبهرام ، توفي عام 984 هـ ، وقبره مزار في تلكات بالسوس الأقصى وهو مترجم في غالب كتب التراجم السوسية كالفوائد الجمة للتامانارتي لان هذا من تلاميذ تلاميذه ، واخباره مجملة عند المؤلف رحمه الله في الجزء الثاني من « خلال جزولة » ابتداء من صفحة 133

وقع الاجماع على شفوفه (96) عليهم جميعا فى تربية اصحابه على معرفة ' نعالى وحدها . وهى التربية الاصطلاحية المعروفة عند القوم ، وقد شهد لـ أقرانه بهذا الشفوف ولا يرون لانفسهم شيئا امامه ، وما ساد عليهم الا بهذا النوع الخاص من التربية ، ويقول ارباب الفن أن اصحابها دائما يقلون فى كل عصر ، حتى قال بعض المتأخرين (97) ان هذا المقام لم يكن فى سوس ا للشيخ سيدى وكاك (98) ثم سيدى احمد بن موسى ثم انقطع حتى كان لـ العارفين (99) المتأخرين على راس القرن الماضى ، ولما تطلعت نفس السلطان مولاى عبد الله - الغالب بالله السعدى (100) الى شيخ يأخذ بيده ويهديه الى معرف الله ، ويوفق على يده الى ما يشرئب اليه من ادراك ما يدندن حوله الصوفية بعد العلامة الصوفى سيدى محمد الترغى (101) الفاسى يتتبع مشايخ عصر الظاهرين والحاقلين وهم اذ ذاك متوافرون ، وبعد ما زار الجميع لم يقع بصره من يوازى سيدى احمد بن موسى ، فوضع السلطان يده فى يده ، ورحل بك

(96) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « صرح بهذا الاجماع ابن عسكر فى الدوحة - مخطوط - وزيدان بن المتصور السعدى فى رسالة الى يحيى بن عبد الله الحاحى - ج صفحة 114 - » الاستقصاء »

(97) هو الشيخ العربى الكبير العالى الهمة الرفيع المقام البعيد النظر سيدى الحاج على احمد الالفى السوسى ، والد المؤلف رحمهما الله . توجد ترجمته الحافلة ابتداء من صفحة 4 من اول المصنوع

(98) تقدم خبره فى الحاشية 33

(99) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « سيدى سعيد الممدى » وهو الشيخ

الصوفى الكبير الشريف السلطان سعيد بن هو الممدى من الممدى بضاحية تيزنيت بما اكادير ، كان على اميته من الراسخين فى التصوف ، قد انضم اليه كثير من علماء عصره فطاف الرؤوس امامه حتى نالوا مقاصدهم اخذ عن الشيخ مولاى العربى الدرقاوى ، توفي عام 1300 وت ترجمته الحافلة توجد فى رابع المصنوع ابتداء من صفحة 306

(100) راجع الحاشية 72

(101) هو العلامة الجليل الصوفى المخلص سيدى محمد بن يوسف الترغى الفاسى نه الافرانى فى نزعة الحادى بانه مؤدب اولاد الملوك ، يعنى السعديين ، وقال عنه المؤلف رحمه انه كان مدرسا كبيرا فى فاس وفى مراكش وكل من ارخو سيدى احمد بن موسى ذكروا ان السلطان ابا عبد الله - الغالب السعدى ارسل الترغى هذا يرتاد له شيخا مربيا فدل عليه ، وقال عنه الحظ فى طبقاته ان عنه اخذت القراءات بجميع طرقها بالمغرب وانه توفي عام 1004 بالطاعون الذى فى ذلك الوقت وقال عنه صاحب الصفوة انه ولد بفاس ونشأ بمراكش ، وتنبى مراجعة ترجمته « الفوائد الجمة » للتامانارتى .

جيشه وفي أبهة ملكه حتى نزل على الشيخ في تازروالت ، فاضافه الشيخ ثلاثة أيام ، ثم رجع الى مستقره بمراكش ، وناهيك بالمكانة التي تكون لشيخ ارتحل اليه سلطان وقته بكل جيشه حتى زاره واعلن بلسان الحال انه الشيخ الخاص للعرش المغربي فلا ريب ان هذا الشيخ الذي يربى السلطان بما يتربى به مثله ، كما انه يربى الفقهاء والعلماء العامة بما يتربى به كل فريق ويصلح به حاله ، لشيخ قل أن يكون له نظير ، وقد زار مراكش بعد أن أخذ عنه السلطان ، فظاهر عفة هي المظنونة بمثله عما في يد السلطان وعن طعامه ، ثم جلس للناس عامة فوق عليه زحام عظيم ، ووقف حجاب السلطان وقواده الكبار ينظمون فيه الناس ويقولون « من زار فليخرج » فقال الشيخ بل قولوا : « من جار فليخرج » وهي كلمة ما نطق بها الا لردع امثال اولئك القواد (IO2) .

لم تكن تربية الشيخ لطبقة من الناس دون طبقة اخرى بل كانت للعامة وللخاصة ، يرى كل منها ما يوافق ذوقه ويواتي مشربه ، ولذلك وقع عليه ذلك الإجماع المذكور في التاريخ ، فعلا شأنه في كل المغرب علوا هائلا لم يدركه فيه احد من معاصريه السوسيين وغيرهم ، مع تعمير امتد الى 118 سنة ، وقد كان له من العلم ما يسد خطاه في مزاولة شأن العباد ، ويستحضر أبياتا عربية يستشهد بها ، وقد كان اخذ من الفنون اخذا غير متوسع ، ويجول في التفسير وفي غيره ، وقد كان امثال العلامة التصركيني (IO3) ، والشيخ التامانارتي (IO4) والمحدث ابي زيد التيلكاتي (IO5) والنحوي المدرس سيدي محمد بن ابراهيم

(IO2) علق المؤلف على هذا بقوله : « توجد الحكاية عند كثيرين ممن ذكروا الشيخ » ولزيادة الفائدة في هذه القضية نورد نص الافرائي في « نزهة الحادي » وهو : « ومن ولاية مطاله - يعني السلطان عبد الله الغالب السعدي - ابو عمران موسى بن مخلوف الكنسوسي ، وهو والي الشرطة ، وكان ففيها مشاركا ، وذكر بعضهم ان الشيخ الصالح سيدي احمد بن موسى في بعض قدماته على مولاي عبد الله انحسر الناس لزيارته ، فوقف ابو عمران هذا يذود الناس عنه وهو يقول لهس رحيمك الله من زار خرج ، فسمعه الشيخ فقال له لا تقل ذلك بل قل من جار خرج » راجع ترجمة سيدي احمد بن موسى في الجزء 12 من الممسول .

(IO3) راجع الحاشية رقم 60

(IO4) راجع الحاشية رقم 7

(IO5) راجع الحاشية رقم 95

الباعقيلي (106) والأستاذ الرحالة سيدي أحمد بن محمد أذافال الدرعي (107) - وهم من هم - يخضعون له ويسلمون له تسليما ، بله غيرهم من الذين ليسوا من فطاحل العلماء .

طال عمر الشيخ حتى الحق الاحفاد بالاجداد ، فذهبت اجيال فسر احترامه ونشأت اجيال أخرى ، فنال بذلك شرفا آخر أبهر وأروع في عيود الناس ، ولم يزد ذلك الا لزوم المحبة والتشبث بالشريعة ولم تقلبه موج الحقيقة كما يقع لبعض الصوفية الكبار ، فكان أعلى كعبا وأعظم شانا وأحسم سمتا وأكثر خشوعا لربه ، وقد حفظ التاريخ دعوات حفظت عنه كانت آية مآيات العبودية والخنوع .

اسلم رضى الله عنه الروح ليلة الاثنين لسبع خلون من ذى الحجة سنة 971 هـ (108) ، ودفن في وسط المقبرة العامة التي لم تتكون الا بعده ، وهو قريبة من زاويته ، وعلى مشهده قبة عظيمة تقام حوالها ثلاثة مواسم فكل سنة .

106) هو العلامة الصالح الواسع الاطلاع سيدي محمد بن ابراهيم الباعقيل ، كان يسكن قرية « ايت الطالب » من ادا وباعقيل بسوس ، وكان يعلم في « ايت قروين » لقب بالنحو لانه كان يستظهر كتاب سيبويه ويديم تدريسه لطلبته ، توفي عام 976 هـ ، توجد ترجمته صفحة 280 من الجزء 12 من المعسول .

107) هو ابو العباس سيدي أحمد بن محمد بن أحمد أذافال الدرعي الحسن السوسني ، اهله من فيكيك ، مولده قرب 930 هـ ، ساعده الحظ فنشأ في أحضان شيوخ اجلة في كوسيه سيدي محمد بن علي التافجورتي ، ثم رحل الى فاس فأخذ بها عن جلة آخرين مثل الوهاب الزقاق وعلي بن هارون ، ثم رحل الى زيارة سيدي أحمد بن موسى فظل يرحل الى مدة عشرة اعوام والف في اخباره رسالة خاصة توجد ابتداء من صفحة 20 من الجزء 12 من المعسول وبعد وفاته صار يرحل الى المشرق فيحج ويلقى كبار المشايخ مثل سيدي محمد البكري الـ توفقت بينه وبينه الصلة فأجازه واستفاد منه كثيرا ، ومثل الشيخ يحيى الخطاب واضرابه فكان بذلك من جلة الشيوخ وبرع في كثير من الفنون وخصوصا الحديث ، وكان يرى والاستبراء على كل امرأة اختل بها اجنبى لخلبة الفساد ، واذا كان ذلك في وقته فكيف يكون اليوم ، توفي عام 1023 هـ وقبره مشهور بدرعة ، وهو مترجم في الاعلام للقاضي سيدي اله المراكشي ، وفي اقتضاء الأثر ، وفي الصفوة للفراني ، وفي الدرر المرسمة ، وفي طبقات الحظ 108) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « هذا هو المحقق في وقت وفه ولا اعتبار لغيره »

ذلك هو الشيخ سيدى احمد بن موسى الذى له اكثر من ثلاثمائة شيخ ومريد كادوا يملؤون كل المغرب فى حياته ، ولم يكن له من معاصريه فى كل مظاهره نظير ، كما انه مضى عنه الى الآن زهاء اربعة قرون ، ولم يظهر له ايضا فى كل مظاهره قرين فى كافة سوس ، والتاريخ أكبر شاهد على كل ذلك لمن قدر ان يغربل الحقائق من بعض خرافات تمازج ترجمته (IO9) .

ابناء الشيخ من صلبه واعقابهم

للشيخ خمسة ذكور وعدة بنات، أما الذكور فعبد الله ومحمد - فتحا - وعلى والحسن وعبد الباقي ، وقد اعقبوا كلهم الخير الطيب ، وهم اليوم متفرقون فى بلدان مختلفة ، فى نواحي سوس ، وفى حاحة ، وفى حوز مراكش ، وفى الحواضر وفى القطر الجزائرى ، ويذكر بعض المطلعين السياحين من مسنى كبار اولاد ه اليوم انه يعرف مساكنهم فى ثلاث وستين موضعا يعدها عدا ، وقد ذكر لنا آخر منهم ممن له اطلاع : ان أهل الزاوية من تازروالت وأهل أداتى والساكنين فى حمر بالحوز وفى أمكراد بحاحة ، وفى تيدىلى بادا او تنان ، وفى تاغجيجت ، وفى اد شعو بالاخصاص ، وفى بويزاكارن ، وفى الأرجام بأيت برايم ، وفى ادكنيضيف من عقب عبد الله المعروف بعبدل ، والذين فى ايلخ بتازروالت ، وتينونمان هناك ، وفى ايسيل ايزمورن وادصالح بمجاط ، وفى تيفيسيت بأيت عبل (IIO) ببمرانة ، من عقب محمد - فتحا - ، والذين فى تومانار بتازروالت ، وأهل العوينة ، واغبولة ، والجحيفة فى

(IO9) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « ترجم الشيخ فى الدوحة لابن عسكر ، وفى تمتع الاسماع فى اخبار الجزولى والتابع ، لسيدى العربى بن يوسف القاسى ، وفى الاعلام بمن حل مراكش وانما من الاعلام للقاضى سيدى المباس بن ابراهيم المراكشى ، وفى الطبقات للامام الحفيكى وفى الفوائد الجمة باسناد علوم الأمة للقاضى ابي زيد التاهانائى. وفى البشارة للمكرامى. وفى غيرها ، وله فى المصنوع ترجمة لعلمها اجمع ، وهناك مجموعة متداولة فى اخبار سياحاته فيها بعض امور لعلمها مكذوبة عليه ، وللعلامة احمد بن محمد ادالال مجموعة حسنة فى اخباره » وترجمته فى المصنوع توجد فى صفحة 5 من الجزء I2 منه

(IIO) ايت تقدم ان معناها ، ال ، وعبل ، تصحيف عبد الله ، كذلك تنطق فى اللسان الدارج ولكنها لا تكتب الا ايت عبد الله ، وبمرانة يطلقونها على ايت بمران كما يطلقون بمقيلة على ادا وباعقيل ، ورسوكة على ادا ورسوكوت وسلالة على ادا وسلال ، ومعنى ادا هو ال ايضا

ضواحي تيزنيت ، واولاد الفقيه سيدي فارس في تيزنيت من عقب علي ، والذين في مجاط في الحوز ، وفي أمزميز ، وفي تاكارازت بتازروالت قبل ان تخرب . واهل مولاى البشير في تيزنيت من عقب الحسن ، والذين في وجان وبعض اهل الدرب بزاوية تازروالت ، وفي بونعمان من عقب عبد الباقي ، قال الحاكي هذا ما استحضره ، وربما يمتزج بعضهم ببعض فى هذه المواطن ، وهناك آخرون فى هواره وفى الجزائر حيث لهم قرية خاصة وفى محلات اخرى لم يعرف من حكوا لنا عقب من هم ، وكسنا الآن بصدد تبين انسابهم على التدقيق ، وانما نريد أن نعرف اولاد الشيخ من صلبه ، وأن لهم عقبا باقيا ، وقد بارك الله فيهم حتى وصلوا اليوم أزيد من ألف دار ، وهم ممتازون فى كل محل يقطنون فيه ، محررون من وظائف العامة وتكاليفهم ، وقد غادر غالبهم مسكن جدهم تازروالت حتى أنهم ليقولون فيها قلة تلفت الانظار ، ولجلائهم اسباب كثيرة ، منها عدم الرضى بالاستخذاء لرؤسائهم اهل ايليخ ، ومنها المساغب التى لم تكن تغب تازروالت ، ومنها كثرة سياحاتهم فى البلدان عادة اتخذوها مستمرة يجمعون نذور جدهم من القبائل فيسقطون الى محلات توافقهم فيلقون فيها - انصا ويقطنون .

واما بنات الشيخ فاحداهن كانت قرينة الرجل الصالح سيدي يعقود الاكدماني الغشاني وذكر ان اسمها عائشة ، وقبرها معروف وسط المدرس الايفشانية (III) .

(III) - هو يعقوب بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الله بن علي بن يونس المشار إليه في الحاشية ، ويقدر المؤلف في المسول لوفاته سنة 1025 هـ . ودفن في قبة جده سيدي علي بن يونس المذكور : وقد كان يخدم الشيخ سيدي احمد بن موسى فأعجبه منه تدينه وصلاحه فزوجه بنته . وان الغار يرى ان المؤلف رحمه الله سمي هذه البنت عائشة لكنه فى ترجمة زوجها هذا بصفحة 207 من : المسول قال : « وحدثنى بعضهم ان اسمها ماماس » وهى بفتح الميمين مع تخفيف الاولى وتشديد الثانية ، ثم ان المؤلف رحمه الله ترك هنا بيضا مقدار سطرين او ثلاثة بعد قوله : « المدرس الايفشانية » لعله ليلحق فيه اخبار بنات الشيخ ، وحيث إن الأجل قد حال بينه وبين ذلك نقل هنا ما ساقه من ذلك فى الصفحة المذكورة بعد لفظة ماماس وهو : « وكما حدثت أن لها ابنتى الشيخ احدهما تسمى فاطمة ، مدفونة فى مقبرة « تيديل » تزوج بها رجل من ايت دام وذكر ان قبرها مشهور اسفل قرية ايت عضيا ، هذا ما حدثنى به ذلك الفاضل - وهو مبارك بن مومادين الانامرى الآتى الذكر - والمهددة عليه ، وقد تقدم فى ترجمة سيدي عبد الاخفش ان احد اجداده كان ايضا متزوجا باحداهن »

نشأ أولاد الشيخ الخمسة تحت ظل والدهم الظليل ، وازاء شجرته الباسقة ، ويقال ان لعبد الباقي يداً في المعارف ، وقد رأينا مخطوطات من يده ، وقد بقوا كلهم سائرين في منهج والدهم بعد موته ، ولا نعلم لأحد منهم خروجاً عن سياج الزاوية او خرقاً لما كان عليه مقامهم المؤسس على يد والدهم الجليل .

على ابن الشيخ

الا أن علياً رايناه في سنوات 1006 هـ في تارودانت معتقلاً بأمر مولاي احمد الذهبي سلطان ذلك العهد ، ولعل ذلك لا ينتج الا عما يتوهمه اصحاب السلطة من كل من لهم اتباع وشهرة واسعة من المعتقدين (112) - وقد علم في التاريخ تحرز السعديين دائماً من ابناء الزوايا المشهورين - وقد يكون سبب اعتقاله انه حقيقة يتشوف الى مس أوامر العرش بمعارضة او انتقاد ، او كان ينفث ما لا يوافق استبداد الذهبي المشهور واعتسافه ، وربما يجول في صدره البروز الى الميدان مفترماً بما لأهله من احترام واجلال عند الناس - وان كنا نستبعد ذلك في عنفوان سطوة الذهبي وايام بلوغ سلطته اوجها العظيم - فان كانت هذه الفكرة جالت حقاً في فكر علي ابن الشيخ فان فكرة الثورة على السعديين انبثقت من ابناء الشيخ انفسهم في الوقت الذي كان فيه عرشهم في أوج عز تتذبذب دونه آمال الثائرين ، ولكن هذا انما هو احتمال بعيد جداً كما نرى ، وايا كان ، فان علياً لم يزل في معتقله حتى لقي حتفه سنة 1006 هـ فنقلت تجاليدته الى مقبرة أهله بتازروالت ، وقد وصف بانه رجل صالح (113) خير ، دين ، ولهذه الاوصاف ، - زيادة على ما تقدم - نخال ان اعتقاله انما هو من بغي يد الذهبي العاسفة ، ويعرف عنها التاريخ ما يعرف من بطش بكل

(112) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « وقد كان محمد الشيخ الاول السعدي قام باختيار عام لشيوخ الصوفية في عصره » . وثنبه القارئ الكريم الى ان ذلك مذكور في كل من نزعة العادي للأفرائي وفي الدوحة لابن عسكر

(113) وعلق رحمه الله على هذا بقوله : « الوفيات للرسوكي وطبقات الحضيكي »

كبير محترم اذا لم يبادر الى الاقواء (II4) تحت اقدامه ، وهو بنفسه يصدر عنه احيانا استحسان لمثل هذا البطش بلا روية ولا تبصر ، وهل ينسى التاريخ ما فعله بالشيخ احمد بابا السوداني (II5) وتلك السلاسل (II6) التي يجر فيها صفوف من الرجال والنساء وهن في المخاض في الطرقات بين فاس ومراكش ؟ ثم لا ينسى اكثر من ذلك هاتيك الاعذار الواهية التي يؤيد بها أمثال هذه السياسة المخزنية (II7) وقد صدقت المرأة التي وردت الى بابها تشتكي من احد عماله ، فاذا بها تراه كما هو ، فقالت : « كنت اعجب للماء كيف كان رنقا في الجداول ، فلما رأيت منبع العين عرفت ان الماء كان عكرا من

(II4) من اقصى الكلب اذا جلس على موخرته ، واكثر ما يكون كذلك اذا كان ينتظر ما يلقي به اليه

(II5) هو العلامة الكبير ابو العباس احمد بن احمد بن محمد بن عمر اقيت بضم الهمز وتشديد القاف مكسورة التينيكوتى السوداني شردهم المنصور السعدي عن بلادهم لما غزا السودان وشرد معهم كافة افراد أسرته فسقط الشيخ عن الجبل وكسرت رجله وانتهت اموالهم وكتبهم وذخائرهم قال رحمه الله نهب لي الف وستمائة كتاب وانا اقل اهل كتبنا ، وكان القبض عليهم اواخر المحرم عام 1002 هـ ووصلوا الى مراكش في رمضان عام 1003 هـ فمجنوا الى يوم الاحد 21 رمضان عام 1004 هـ ففرح الناس بتسريحهم من السجن وكان المنصور قد شرط عليهم سكنى مراكش الى ان كان الوباء الجارف الذي كان المنصور نفسه احد ضحاياه فتوفي به اكثر افراد اسرة الشيخ ونجاه الله هو .

وقد اقبل عليه طلبة العلم واقبل هو ايضا عليهم واستأنس بهم كالمقرى صاحب نفع الطيب واضرا به ، وذلك لتواضعه وسعة علمه وحسن اخلاقه فانتفعوا به كثيرا وله تأليف عديدة من جملتها « نيل الانتهاج بتطريز الديباج » الذي ذيل به « الديباج المذهب » لابن فرحون في تراجم كبار علماء مذهب الامام مالك رضى الله عنه وعنهم ، وهو مترجم في الاستقصاء وفي روضة الآس للمقرى - طبعة الطبعة الملكية بالرباط - ، وفي نزعة الحادى والاعلام للقاضى المراكشى .

(II6) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « صفحة 63 من الجزء الثالث ، الاستقصاء ونص الحكاية من نزعة الحادى للافرانى : « ويحكى ان الفقيه قاضى الجماعة بفاس ابا مالك عبد الواحد الحيدى رحمه الله مر ذات مرة مع فقهاء فاس واعيانها لمراكش بقصد التعييد مع المنصور كما هي العادة فعروا في طريقهم على سلسلة فيها رجال ونساء مسجونون وفيهم امرأة اخذها الطلق - باسكان اللام وجع الولادة - وهي في كرب المخاض فراوا من ذلك امرأ يحز رآيه ، وبهم ناظره ، فبقى ذلك في خاطر القاضى ، فلما جلس مع المنصور التى له ذلك واظهر منه الشكاية ، فسكت عن جوابه المنصور وهجره على ذلك اياما ، فلما فهم القاضى غضب المنصور تطلق له في القول واظهر التوبة لما ظهر منه وعده بادرة ، فقال له المنصور لولا ما رايت ما امكنت ان تجي مع اصحابك عشرة ايام في امن ودعة ، فان اهل المغرب مجانين مارساتهم المحن من السلاسل والاغلال » ، وهذه الحال لا يرضاهم الا من كان متكبرا جبارا

(II7) راجع اخر الحاشية قبله عليه

اصله ، (II8) ، ولكن ان كان اخذ على ابن الشيخ الرجل الخير الصالح الدين
بتهمة - لعلها لم تكن بذات اصل - فانه بذر بذلك بذور ثورة لم تنشب
ان اندلع لهيبتها يوم ينخر الضعف عرش ابنائه من بعده ، ومن زرع الشوك
هل يجنى الا القتاد .

الثورة

كان الفقهاء السوسيون الجزوليون اول من أقام عماد الدولة السعدية
حوالى سنة 918 هـ ، فنجحوا فى عملهم نجاحا باهرا ، ثم جنوا من وراء ذلك
ثمرة يانعة ، فمدت عليهم الدولة السعدية ظلا وريفا ، واتخذت منهم لحاشيتها
كتابا وشعراء وقوادا وسفراء ، ورؤساء للشرطة ، عرفت اسماء بعضهم فى
التاريخ (II9) ، ثم كانت تتفقد غير هؤلاء بالصلوات ، فاستبحرت العلوم العربية

(II8) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « الاستقصاء فى ذلك الجزء نفسه » ، ونص
الحكاية ايضا من نزعة الحادى : « وذكر ان بعض عمال المنصور عدا على امرأة من دكالة فاخذ
لها مالا ، فقدمت المرأة لمراكش تشكو له حيف عامله ، فلما شكت عليه لم يشكها ولا كشف
ظلامتها ، فخرجت لاولادها وقالت لهم انصرفوا فانى كنت اظن ان رأس العين صاف ، والآن حيث
وجدته مكذرا فلا غرابة اذا كدرت مياه جداوله » .

(II9) من اخبار الدولة السعدية مع اهل سوس انها بويعت بين اظهرهم فى تيدسى قرب ام
الجريد فوق قبيلة هواة حوالى تارودانت ، اما تيدسى التى هى وطنهم الاصل فانها تقع فى درعة ،
وابهم اول من رفع رايتها وسار فى ركايتها وسبب قيامهم لنصرتها هو حاجتهم الى من يقودهم لطرد
البرتغاليين من السواحل المغربية ، فالتجؤوا الى العلامة الصالح سيدى محمد بن مبارك
الاقاوى المعتقد عندهم كثيرا ، فأشار عليهم بوالد أبى العباس الأعرج ومحمد
الشيخ الأول وهو محمد القائم بأمر الله بن عبد الرحمان بن على ابن مخلوف
بتاكاكمارت بدرعة ، وتكون منهم فى ظل هذه الدولة رجال يربو عددهم عن الحصر ، منهم
على سبيل التمثيل موسى بن مخلوف الكنوسى العلامة الذى ولى المظالم لعبد الله الغالب ، والوزير
الخطير لأحمد المنصور عبد العزيز بن سميد الزوار المعروف بولد مولاة الناس المولود بتارودانت
سنة 956 والمعروف بالقائد عزوز صاحب جبل درن لانه كان واليا عليه وببيت اسرته فيه عريق
لانهم من ذرية القائد مسعود ابن واسكار قائد جيش الناصر الموحدى فى عزوة العقاب بالاندلس ،
وكان بخزائنه خمسون الف مجلدا ، ومنهم والى مظالم المنصور أبو الحسن على بن سليمان التل
الذى كان يلى المظالم ايضا ايام عبد الله الغالب ، ومنهم محمد بن على الهوزالى المعروف بالنايفة
أحد كتاب المنصور وشعراء بلاطه ، ومنهم العلامة الأديب شيخ الكتاب الذى يرجعون اليه محمد
بن يعقوب الأيمى ومنهم الأديب الكبير أحمد بن يحيى الهوزالى قائد قواد محمد المامون بن أحمد
المنصور وفى رسائل المنصور السعدى الى اولاده كما فى رسائل ولده زيدان ما يؤكد ان هذه
الدولة تعتمد على السوسيين وتعترف لهم الوفاء والاخلاص .

فى سوس استبحارا عظيما يلفت الانظار ، ولا نشك فى أن السوسيين يريدون أن يعيدوا التاريخ نفسه بأن يؤسسوا من جديد دولة جديدة تقيم بين ظهرانيهم يجمعون بها كلمتهم المتفرقة بعد ان تفرق امر المغرب بسبب نزوات اولاد الذهبى وبعد ان انتشرت الاطراف من حكمهم وعمتها الفوضى ، وهذه الدعاية تنبعث من ءال على ابن الشيخ سيدى احمد بن موسى الذين لا ينسون ما لاقوه من الذهبى من الاهانة ، على حين انهم يالفون من ءال محمد الشيخ الاول وابنه عبد الله - تلميذ سيدى احمد بن موسى - ان يوالوا لهم ولا مثالهم احترامات زائدة ، ومثل هذه الدعاية المحكمة من مثل ابناء الشيخ سيدى احمد بن موسى - المجمع على مكانته - تجد بلا ريب اذانا مصيخة ورجالا عاملين لتنفيذ خطتها .

هذا ما لا بد ان يتقدم ثورة أبناء الشيخ كما انه لا بد ان يتخلل الدعاية نشر محاسن ابناء الشيخ ومساوى ابناء الذهبى ، فيجسم ما كان صحيحا من ذلك ويخلق ما ليس له وجود ، وهذه طبيعة كل دعاية تحبك بلباقة وترمى الى غاية مقصودة ، فان كانت اخبار ذلك الدور اقلت من قلم التاريخ - فيما علمنا - فان قياس الغائب على الشاهد اشبه من غراب بغراب .

كيف حال سوس فى هذا العهد

كان المغرب منذ استتب الامر للسعديين محوطا بسياج متين من قوة هذه الدولة الفتية ، فقد توحّد امره بعد ما كان اياى سبأ (120) ، وطرد العدو المحتل ، البرتغال ، من غالب شواطئه ، وخصوصا الجنوبية ، فانها

(120) من الامثال تفرقوا ايدى سبأ أو ايدى سبأ : اى ذهبوا وتشتتوا فى البلاد تشتتاً لا اجتماع بعده .

وسبأ هذا هو أبو عامّة قبائل اليمن كانت سلالته مجتمعة هناك فى جنات نضرة ناعمة يسقونها من مياه سد كبير ، فاكثروا المعاصى والظفیان كمادة ذوى الثراء ، فارسل الله على ذلك السد فارة حفرته من اسفله فما زال الماء يوسع الثقب حتى انهار السد فجرف السيل المزارع والمساكن فذهبت المياه ويبست الحقول فاضطروا للارتحال عن المكان متفرقين فى الآفاق ، فصاروا مثلا . قال الله تعالى فى سورة سبأ : « لقد كان لسبأ فى مساكنهم اية جنتان عن يمين وشمال » كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، ثم قال تعالى : « فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم » الى ان قال تعالى « فجعلناهم احاديت ومزقناهم كل ممزق »

كلها ظهرت منه ، وحين كان انبعاث هذه القوة من سوس وكان السوسيون هم اول من نادى بأول امير من امراء السعديين وكانوا الشيعة الاولى التي ءوتهم ونصرتهم نصرا مؤزرا ، واستماتوا بين اياديهم من اكادير الى تلمسان ، نالوا بذلك شفوفا بارزا في الدولة ، وتفتحت اعينهم للسياسة المرنة ، واستنموا الى الانقياد للحكومة التي وجدوا في ظلها الوريث ما وجدوا ، فلهذا كله لا يصعب عليهم ان يفكروا في انشاء حكومة اخرى تخلف السالفة منذ اللحظة التي بانث لهم فيها بوادر اضمحلالها وطلائع انقضائها ، وقد وجدوا من ءال الشيخ سيدى احمد بن موسى ما يحفزهم الى ذلك حفزا ، فقد وتروا من الذهبى كما رأيت حين سجن على ابن الشيخ حتى هلك ، فلذلك لم يكد الذهبى يفقد من البديع وهو ما هو صولة وشدة ، وقد خلفه من شئتوا الأمر وبعثروا القوة من الحكومة ، وجروا الأمة على الاستهانة بهم بتهالكهم على العرش حتى تفرق المغرب اوزاعا وصارت نواحيه طرائق قددا ، وفشا الخوف ، ونهب المتاع ، وقطعت السبل ، حتى ظهر من سوس ما ظهر .

وان أردنا أن نبني هذا الحكم على اساس متين فلنصخ لمن كان حيا اذذاك يصف كيف سوس بعد المنصور الذهبى ، فانه يقول بعد ما ذكر موت المنصور : (121) .

... . فزلزلت الارض زلزالها ، ونالها من الفتن والفساد ما نالها ، فطاش الوقور ، وعاش المحقور ، ووضع النفيس ، ورفع الخسيس ، وفشا العار ، وخان الجار ، ولبس الزمان البوس ، وجاء بوجه عبوس ، واورد ماء الاختلاف ، وانضب ماء الوجوه والائتلاف ، فطاطأ الحق رأسه ، وأخفى المحق نفسه ، وتبرقمت الحسناء ، وحسرت عن وجهها الشوها ، واعتمل الخبيث ، واحتمل على الخبائث بالسن الحثيث (122) ، فتواردت المهالك ، وسدت المسالك ،

(121) علق المؤلف على ما هنا بقوله « التامانارتي في الفوائد الجمة » خطوط ، راجع الحاشية 7 -

(122) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « تنامل العبارة » يعنى انها غير مستقيمة لان النسخ القليلة الموجودة من هذا الكتاب كلها محرفة بسبب تكرار نسخه من لا يفهمون ، ولذلك نرى المؤلف يتعب نفسه في ان يجد لكل عبارة مساعا ، وما دام الامر انما هو من النسخ ، فلا لوم على التامانارتي لان مكانته فوق ذلك .

وعم الجوع وتبرا الكوع من البوع ، فانا لله وانا اليه راجعون ، فيالها من مصيبة ما أعظمها ، ولمحاسن الارض ما أعظمها (I23) .

لعمرك ما المصيبة هدم دار ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن المصيبة موت حر يموت لموته خلق كثير

الى اخر ما قال .

وقد عظمت المصيبة حقا اذذاك ولها اسباب مختلفة ، منها موت السلطان الذهبي الذي كان يحكم المغرب بقهر واستبداد لم يقدر أحد أن يحرك معه رأسه ، فلم يكده حكمه يزول ، ورهيبته تنجأ حتى سادت القوضى وأتلع كل مفسد رأسه ، وتلك ظاهرة مألوفة وراء كل حكم مبني على مثل ما انبنى عليه حكم الذهبي .

ومنها اختلاف أولاده بعده اختلافاً شديداً اذهب هيبة الحكومة من عيون الشعب ، وكان هذا الاختلاف نفسه مندلما اثر موت الذهبي بسرعة غريبة ، فانفصمت العرى بمثل نفس السرعة .

ومنها الوباء الذي فشا في سوس كثيرا من سنة 1006 هـ الى أن مات بسببه السلطان نفسه بعد احتياطه الشديد (I24) منه سنة 1012 هـ ، ثم لم

(I23) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « حطم الشيء كسره . وهو ثلاثي متعد فيكون هنا من المبني للمجهول ، وقد اجازه الكوفيون ، وورد كذلك في التمجيد والتفضيل »

(I24) بلغ من احتياطه ما يرى القارىء نوعه فيما اجاب به خليفته بمراكش ولده أبا فارس لما توجه هو الى فاس لتسوية أمور عصيان ولي عهده محمد الشيخ المامون - راجع الحاشية 65 - في رسالة مؤرخة بيوم الاربعاء 14 ربيع الاول 1011 هـ : « . . . اول ما تبادلون به قبل شيء هو خروجكم اذا لاح لكم شيء من علامات الوباء ولو اقل القليل حتى يشخص واحد ويبقى في القصة وصيفنا مسعود والقائد محمد بن موسى بن بوبكر واترك معه مائة رام تتقوى بها رمايتكم مع اصحاب السقيف وتوكلوا على الله واخرجوا » . . . « ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق اسعدهم الله فالزموه ، واذا استشعرتهم منه بسلامة - يعنى مع السلامة ثقافلا - بحرارة وتخوفتموها فاستعملوا الوصف من الوزن المعروف منه ولا تهملوا استعماله » . . . « والبراءة - يعنى الرسالة - التي ترد عليكم من سوس من عند الحاكم او من عند ولد خالكم او من عند غيرهما لا تقرا ولا تدخل دارا بل تغطي لكايتكم هو الذي يتولى قراءتها ويعرفكم مضمونها ، ولأجل ان الكاتب يدخل عليكم ويلا بس مقامكم فلا يفتحها الا بعد ادخالها في خل ثقيب وتشر فتييس وحينئذ يقرؤها ويعرفكم مضمونها » الى غير ذلك .

ينقطع الا بعد سنة 1016 هـ ، ولا مرأه ان للموت الذريع الذى اصيب به الناس تأثيرا عظيما فى انحلال الامور انحلالا عاما . وقد قال المؤرخ المذكور انفساً فى هذا الوباء بعد كلام :

(. . .) فمن نيف والى نزل الذى ينسف الأقطار ، ويجرف جرف السيول والأمطار ، طاعون السادس عشر بعد الألف فلم يدع بيتاً الا صدعه ، ولا باباً الا قرعه ، ولا جمعا الا فرقه ، ولا داخلا الا طرقه ، حتى اغتال الملك « المنصور » ، وكل أسد هصور ، فكسد سوقه ، ومطلت حقوقه ، وتعطلت مصادره وموارد ، وطمست سبله ومعاهده ، فركب أهله الهوان ، وشملهم الخذلان .

ومنها ، وهو أشدها وأعظمها وأكثرها تأثيرا ، الجوع السائد اذذاك فى كل المغرب ، وقد وقفنا على آثار اقلام كثيرة توصفته بشدة وعنف ، كما وصفه المؤرخ المذكور ، فيما تقدم .

ومنها فقدان الرجال المحنكين الذين يقدر ان يتداركوا ضعف العرش ، وقد كان استبداد الذهبى العاسف ازالهم من الرياسة فلم يدع امامه الا ابناءه والقواد من عبيده ، فوقع فى غلطة المعتصم العباسى وامثاله فى ترك المملكة فى ايدى العبيد ، وعقبى الاستبداد لا تكون الا هكذا ، فتذكر استبداد المنصور بن ابي عامر الذى قضى على رجال الاندلس وقدم امامه على المملكة العبيد ورؤساء البربر الغرباء عن الاندلس ، كما يجب عليك أن تتذكر أيضا مثل ذلك فى استبداد الحاجب احمد بن موسى (125) وزير

(125) كان احمد بن موسى بن احمد بن مبارك السوسى المنبئى حاجبا للسلطان المولى الحسن الاول ، وكان يطمع فى رئاسة الحكومة فلما ولاها السلطان لخاله السيد محمد السعفى الجامعى وولى اخاه السيد محمد الصغير وزارة الحربية غضب احمد وقال عن السلطان « ان هذا الرجل فقد عقله » فاحتقا عليه السلطان وامسى الاخوين الوزيرين ان لا يطعيا له امرا وان يخالفاه فى كل ما يريد ، فظن احمد ان ذلك منهما ، فلما مات المولى الحسن فى تادلة اعلن احمد بن موسى تنويع ابنه المولى عبد العزيز الصغير السن اذذاك ، واوغر صدره على الوزيرين الجامعيين بانهما يريدان تحويل الملك الى غيره ، وجعل يستفتى العلماء سرا فى شأنهما ، فلما دفن المولى الحسن فى الرباط وحل موكب المولى عبد العزيز بمكناس اوعز الى باشاها حمو بن الجيلانى البختارى بالقضى على الجامعيين وايداعهما سجن تطوان ، وصادر اموالهما حتى ماتا فى الفقر المدقع ، كما سجن صهرهما السيد العربى الزيدى الرباطى فى طنجة . وفعل مثل ذلك بعمال النواحي وكافة الوزراء ثم رعى بالباشا حمو الى تارودانت حيث مات سنة 1318 هـ كما مات الوزير احمد نفسه فى هذه السنة .

المولى عبد العزيز بن المولى الحسن الأول ، فقد ابعد رجالات المغرب الكبار عن الحكومة ، ولا ريب ان النتيجة واحدة .

ومتى فقد الرجال المقتدرون حوالى العرش فسرعان ما ينهار فتعود الفوضى جذعة الى الشعب ، وهذا ما وقع اثر موت الذهبى ، فرجع المغرب فى اقل من لحظة البصر الى ما كان فيه بعد ضعف المرينيين ثم الوطاسيين ، فيتطلب ذوو الفيرة والعقيدة الصحيحة عن بعيد من الحكومة ومن جوها رجلاء اخر من أسرة أخرى يأخذ من جديد بضبع المغرب ليحاول ان ينتشله ثانيا من الهوة التى تردى فيها ، وحين كان الناس اذذاك لا يحدقون الا فى الزوايا التى كانت أمدتهم قبل بأول رجل من السعديين ، واذ كانت سوس من الاطراف المغربية التى اشتهرت بمثل هذه الفيرة ، واذ كانت زاوية الشيخ سيدي احمد بن موسى المجمع عليه ماثلة بين أعينهم وهى مظنة القيام بسد هذه الثلمة فى الدين ، فلا عجب اذن أن نرى هذا الامر واقعا ولو لم يتسبب قبل الذهبى فى ذلك باعتقاله لأحد أبناء هذه الزاوية ، فاسمع ما يقوله أوربى فى بودميعة الآتى اثناء وصفه له (126) .

(. . .) والمفارقة يتبعونه عن طيب نفس أملا منهم ان يدخلوا تحسينات على حكومتهم) الخ .

واذا كان هذا الشعور الذى يظن انه هو السائد اذذاك هو الذى ساد حقا بلا ريب ، فلا غرو ان ذلك الميدان مفتوح لكل ذى شعور وغيره من الصادقين كما يفتح ايضا لكل من كانوا يتربصون بالحكومة الدوائر ممن

(126) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « من مقال فى كازيت دو فرانس من مكاتبتها بسلا فى تاريخ 5 نونبر 1631 م ، اورده دو كاسترى فى صفحة 429 من الجزء الثالث من السلسلة الاولى - فرنسة » .

بشرئبون الى الظهور ، ويلحون الحاحا دائما فى التفتيش عن أمثال هذه الاسباب ، فقد فتحت لهم الابواب على مصاريعها فليدخلوا بلا استئذان ولا كبير مشقة الى الساحة التى طالما تشوفوا وتطاولوا نحوها ، ولكل شئ سبب ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولا يهمننا نحن ان ينبعث ابناء الشيخ عن شعور حى وعن عقيدة مخلصه ، او يكون بروزهم انما هو « للبغال البيض أو للثريد الأغر » (I27) .

ابراهيم بن محمد بن الشيخ فى الميدان

هذا هو أول من نعرفه تصدى للامارة من أبناء الشيخ ، وقد قال فيه مؤرخ سوسى يعيش بعده بنحو قرن :

« ابراهيم بن محمد القائم فى العشرة الثانية من القرن الحادى عشر ، توفى رحمه الله بالكصيب باسمن ليلة الاحد التاسع والعشرين من جمادى الاخيرة عام ثمانية عشر وألف ، وقد أوصى بالامر لابن عمه سيدى الحسن بن على بن سيدى احمد بن موسى » (I28) .

والكصيب الذى مات فيه ابراهيم يوجد فى أسفل اسمن ببغيلة الازاغارية ، ولا ندرى كيف توفى ابراهيم هناك ، أمقتولا أم حتف أنفه .

(I27) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « قال بعضهم اظنه ابن عباس فى ابن الزبير . انه كان يتناول الى الخلافة منذ شاهد البغال البيض التى حج عليها معاوية ، وحكوا ان بعض العلماء قال فى المتنازعين من اقران معاوية : انما يتحاربون على الثريد الاعفر ، ورضى الله عن الصحابة فما ابعدهم عن أمثال هذه المقاصد ، وانما تريد تبين ما يراد بالكلمتين »
والثريد طعام يتخذ من خبز مفتت يصب عليه مرق ولحم قال الشاعر :

إذا ما الخبز تادمه بلحم * * * فذاك ، أمانة الله ، هو الثريد

والثريد الأعفر هو الأبيض من قولهم تعافر الثريد : ابيض ، كما يقال لليلة الثالثة عشرة من الشهر عفرا . لاكتمال القمر فيها .

I28 علق المؤلف على هذا بقوله : الكرامى فى « بشارة الزائرين » مخطوط ، و « بشارة الزائرين » هذه كتاب فى الوفيات للعلامة داود بن على بن محمد الكرامى من الاسرة الكرامية المعافرية الشهيرة ، راجع تفصيله فى اخبار الكرامين فى اوائل الجزء السابع من المعسول وراجع الحاشية 5 أول هذا الكتاب

وقد ورد في الصفحة 463 من الجزء الأول من مجموعة ديكاستري من السلسلة الأولى - هولاندة - من رسالة « ليكوا الى حكومة هولاندة مؤرخة سنة 1609 ميلادية ، ما نصه :

« وولى مولاي أحمد - يعنى الذهبى - مولاي الشيخ بفاس ، ومولاي أبا فارس خليفة له بسوس ، فلما توفي مولاي احمد جاء الباشا جوذر والقائد أحمد بن منصور والقبض على مولاي الشيخ ومكنا مولاي ابا فارس بمراكش منه ، لان مولاي ابا فارس لما بلغه موت أبيه جاء مستعجلا من سوس الى مراكش حيث بويح (129) .

وفي صفحة 466 من الرسالة المذكورة ما نصه : « ولما انهزم مولاي زيدان سنة 1604 م قرب تادلة أمام جنود مولاي الشيخ التجأ الى الجبال ، ومنها الى سوس » . ثم قال : « ثم ان مولاي ابا فارس عزم على الصلح مع مولاي زيدان بفاس » . وفي صفحة 469 من الرسالة : « فتوجه مولاي عبد الله الى مراكش حيث كان ينتظره مولاي زيدان باثنين وخمسين مدفعا وعشرة آلاف الى اثني عشر الف رجل غير مدربين ، فشبت المعركة برأس العيسن اليوم السادس من دجنبر 1607 فمات نحو 400 الى 500 فالتجأ مولاي زيدان مرة أخرى الى الجبال ، ومنها الى سوس . وفي ص 473 من الرسالة : « وبينما زيدان بفاس ومعه جيشه وهو يهتم بامور مولاي عبد الله ومولاي ابا فارس اللذين كانا بالجبال المجاورة يجمعون الرجال ، اذا بخبر مهم ورد من مراكش ، فاضطر

(129) يحاول هذا الأوربي ان يحكى تناحر ابناء المنصور على الملك ولكنه يخلط في ذلك - لانه ليس من أهل مكة الذين هم احدى بشعائها - والحقيقة عن ذلك هو ان مولاي محمد الشيخ الثاني الملقب المامون كان اذذاك سجيناً بمكناس وكان عبد الله الواثق ابا فارس خليفة لابييه على مراكش حين خروجه منها للتوجه الى فاس للنظر في عصيان المامون ، فلما مات الذهبى اراد زيدان ابنه عامله على فاس ان يستحوذ على محمد الشيخ المامون ليكفى امره فسبقه اليه الباشا جوذر ووجهه الى شقيقه ابي فارس بمراكش ، وقد علق المؤلف رحمه الله على ما نقله عن هذا الأوربي في قوله « لان مولاي ابا فارس لما بلغه موت أبيه جاء مستعجلا من سوس الى مراكش حيث بويح » بقوله : « هذا غلط فان ابا فارس كان أبوه الذهبى استغلفه بمراكش حين ذهب الى فاس حيث مات راجع « الاستقصاء ونزهة الحادي »

الى التوجه الى هذه المدينة ، وذلك ان احد الصلحاء اسمه مولاي ابراهيم قام بسوس نائرا يدعى الاستحواذ على ناصية العرش المغربي ، وعدد اتباعه يزداد يوما فيوما ، فكثر عينه في تلك الناحية ، فارسل مولاي زيدان من مراکش ثلاثة الاف رجل لمحاربته ولكن هذا الجيش فر رجاله حين لم يتوصلوا بمؤونة ولا بأجرة ، ثم قال صاحب الرسالة : « وقبل سفرى ، وذلك فى 27 جانفي 1609 م بيومين او ثلاثة ارسل السلطان القائد حدو الطيب ومعه نحو الف رجل للاتيان بعيال السلطان وبماله من سوس ، لانه شاع بمراكش ان سيدى ابراهيم نهب زاوية ، والزوايا يودع فيها القواد الكبار عادة كعامة الناس امتعتهم وأموالهم لتكون فى مأمن من غوائل العائنين ، حتى الملوك يفعلون ذلك ان اضطروا الى الفرار وذلك لان الناس يحترمون الزوايا ويرونها مقدسة ولا يتجرأ احد ان يهتك لها حرمة ، وبالمغرب زوايا ومستودعات من هذا النوع كثيرة يحترمها المغاربة احتراما كبيرا ، فشاع كما قلنا ان سيدى ابراهيم نهب احدى هذه الزوايا بسوس فحمل منها على ما يقال عشرين قنطارا من الذهب ، وزيادة على ذلك ، فانه نفسه غنى ، وقد كان ابوه محترما لدى الناس ، حتى انهم كانوا يقسمون به كما يقسمون بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ويستخلص من ذلك ان سوسا فى خطر ، ولا يدري احد ما سيحدث بعد » .

من كلام هذا الاجنبى تعلم اهمية ثورة سيدى ابراهيم ، وكيف اولاد الذهبى يوم ثورته وكيف يعرض السوسيون عنهم اعراضا تاما . فهذا زيدان كان ينهزم اليهم وبين ظهرانيتهم اولاده وامواله ثم لا ينصرونه ولا يهتمون به ، بل اقبلوا الى هذا الناصر الجديد يعلقون به امالهم ويجمعون حوله شيئا فشيئا ، ولا ندري الآن اين تلك الزاوية التى عدا سيدى ابراهيم على ما استودع فيها فاستوحذ عليه ، ولعل ما كان فيها كان من مال الحكومة فاستحلّه بكونه مبايعا من الناس بيعة الامارة .

وعند اليفرنى (I30) ان هذا الخبر ورد على زيدان بعد ما فر عنه ابو فارس وعبد الله بن الشيخ الى دار ابن مشعل (I31) ، فرجع بسبب هذا الخبر الى مراكش الا انه لم يعين اسم الثائر ، وقد عرفنا اسمه الآن من تلك الرسالة الاجنبية ، وقد ساق اليفرنى ذلك فى حوادث آخر سنة 1017 هـ فعرفنا حينئذ السنة الهجرية التى تار فيها المذكور ، كما عرفنا ايضا مثل ذلك فى كلام الاجنبى المذكور .

ومما يتعلق بسيدى ابراهيم من وصفه بالفنى الكثير اننا رأيناه أقطع ما كان الى الآن من قرية تين ايسلان لثال سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ (I32) التامانرى ، فقد رأينا رسم اقطاعه لهم ثم رسم تأييد ذلك من بودميعة بعده ، ومن هنا نعرف انه كريم يحترم ذوى البيوتات ويقربهم اليه بالعطايا ، وذلك كله طبيعى من مثله .

ولسيدى ابراهيم هذا ابن اسمه أحمد وصفوه بأنه مرابط (I33) ولى صالح توفى فى فاتح جمادى الثانية عام 1065 هـ بهذا وصفوه وهو رجل عظيم

(I30) راجع الحاشية 19 وواخر الحاشية 66

(I31) ان المولى الرشيد لما فر من اخيه مولاى محمد مر بفاس الى ناحية تازة فوفد على الشيخ اللواتى المعروف بالتدين والنفق ومحبى أهل البيت ففرح به واكرمه ، ورأى فى تلك الناحية رجلا يصطاد على هيئة الملوك من الخيل والاتباع فقيل له انه يهودى من يهود تازة يسمى ابن مشعل يسكن على نصف مرحلة منها شرقا فى الببءاء ، وكان لليهودى طفلان على المسلمين هناك بماله وجاهه ، فاقبل المولى الرشيد على الشيخ اللواتى عاضا على سكين ، وتلك علامة الاستفائة والاستعطاف . فقال له ليك يا مولاى فلن ابخل عليك بنفسى ولا نفسى ، فقال : اطلب ان تمدنى بخمسائة من اخوانك استعين بهم على القضاء على هذا اليهودى ، فامده بهم وتواعدوا دار ابن مشعل متفرقين خفية ليلا ، وتقدمهم المولى الرشيد ، وكان لا يخفى على الناس لشهرة اسرته وابيه واخيه ، فاستضاف اليهودى فاضافه ، وفى الليل دخل عليه خلوته وبطش به ، فدخل اصحابه وحمل كل ما فى خزانة اليهودى ، وكان ذلك سنة 1075 هـ .

ثم قال النقيب مولاى عبد الرحمان بن زيدان : « ان ابن مشعل كانت له صولة على المسلمين واستهزاء بالدين واهله فنقض بذلك عهد النمة ، فلم يبق لاله ولا لئمه حرمة ، ونذكر هنا قضية كتب بن الاشرف اليهودى وتوجيه النبى صلى الله عليه وسلم من فتك به ليلا على نحو الصفة التى فعلها المولى الرشيد هنا ، وهى فى صحيح البخارى وغيره »

(I32) راجع الحاشية 15

I33 علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الكرامى فى البشارة » - راجع

من اركان دولة بودميعة الآتي ، وقد كان علامة متفننا معتنيا باستنساخ الكتب العليا ، وقد وقفت على كتب كثيرة منسوخة له في خزائن جزولة ، وهناك في خزانة ادوز مجموع حديني بخط انيق عال في مؤخره ما نصه : « كتب لسيدنا الامام ، القائم بوظائف الاسلام ، عمدة الانام ، وملجأ الضعفاء المرتضى الاسعد سيدى احمد ابن السيد الاصيل الابن الحفيل سيدى ابراهيم كان الله له بمه «امين» بتاريخ الاحد 14 صفر 1046 هـ (134) ، وتلك المجموعة القيمة تدل وحدها على مكانته العلمية ، اذ لا يستنسخ القيمات من اطلاق الكتب الا ذوو الافهام السامية ، وسترى له ذكرا يوم يكون بودميعة في درعة حين انسحب من تافيلالت ، فقد ورد على بودميعة خبر مرض له مشرف فازعجه ، وبمجموع هذا كله ندرك مقدار الرجل .

الحسن بن علي بن الشيخ

والده علي هو الذي اعتقل في مطبق (135) تارودانت حتى هلك كما تقدم ، وقد قال ذلك المؤرخ بعد ذكره لابراهيم بالكلام السالف :

« وقد اوصى بالامر لابن عمه سيدى الحسن بن علي بن سيدى احمد بن موسى فتولى بعده حتى مات بتارشنين يوم الاربعاء الخامس من ربيع الثاني عام 1020 هـ »

هذا كل ما قاله ، ولم يحدثنا بشيء من أخباره وبعض متقلباته ، ولم نجد له ذكرا الا هنا ، ولولا هذا المؤرخ لذهب اسمه ايضا كما ذهب كل ما يتعلق بأحواله ، وتارشنين المذكورة توجد في تازروالت ، لم تزل تعرف بهذا الاسم .

(134) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « تراجع محتويات المجموع ووصفه في الرحلة الثانية من (خلال جزولة) عند ذكر « خزانة ادوز » .

(135) المطبق : على صيغة اسم الفاعل : السجن

مجازبة الامارة بين ابناء الشيخ

قال المؤرخ المذكور بعد ذكر الامير الحسن بن علي :

« . . . ثم كانت مخالفة بين اولاد الشيخ ومناوشات اذ ذاك ، حتى دخلت سنة احدى وعشرين وألف فتولى سيدي علي بن محمد بن محمد بن الشيخ » .
اذن تطلع افراد من احفاد الشيخ الى تولى الامر ، وقد استمروا اللقمة الجديدة واراد كل واحد ان ينفرد بها ، وان يتسم باكليها ، ويدل ذلك على عقلية مسفة لأن الامر لا يزال في مبتدئه ، ودعائمه لم توطد بعد ، وأدنى تنازع فيه قد يدنى الى فشل تام فيما يحاولونه .

ثم ان هذه المجازبة بادىء بدء مما يدل على ان تلك الاسرة خالطها بعد الشيخ مؤسسها رضى الله عنه الشره الى الظهور والنهم الى الالقاب ، وكان جرثومة التصوف التي لا تكاد تثبت معها هذه الارادة الدنيوية لم تمر فى تلك الدار ، ولو كان زيدان امير مراکش فى ذلك الوقت 1020 هـ راسخ القدم فى الحمراء وعنده بعض ارادة اهله لا يمكن له بكل سهولة ان يجتث أصل هذه الاسرة الثائرة عليه ، وأن يدك صياصيا (I36) ، ان كان لها صياص ، ولكنه فى هذا الحين مشغول بالحروب مع اخوته ، ثم مع ابي محلى السجلماسى الثانى الجديد (I37) الذى زعزع أركانه بخفة البرق ، فقد اندلق (I38) من سجلماسة الى درعة بجيوشه المنصورة ، ثم صمد الى الحمراء ، ففر زيدان امامه من الحمراء برأس طمرة ولجام (I39) ، وقد اتخذ الريح مركبا الى زاوية الشيخ

I36 الصيامى جمع صيصة ، ومن معانيها الحصن وكل ما يمتنع فيه الانسان ، وذلك هو المراد هنا

I37 راجع الحاشية 75

I38 اندلق السيف انسل من تلقاء نفسه من الغمد ، واندلق السيل اندلق ، وهذا المعنى هو المراد هنا

I39 الطمر بكسر الطاء. والميم وتشديد الراء الفرس الجواد الطويل القوائم واللجام ومعنى نجا برأس طمرة ولجام أى انجاه عدو فرسه وهو مثل مقتبس من قول حسان بن ثابت يصير الحارث بن هشام بن النخيرة اخا ابي جهل عمرو بن هشام لما انهزم يوم بدر مع المشركين ، وكان لما يسلم اذذاك وانما اسلم يوم فتح مكة :

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى	فنجوت منجى الحارث ابن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم	ونجا برأس طمرة ولجام

سيدي يحيى الحاحي (I40) ، ولو لا ما اصاب زيدان كما ترى من اخوته ومن ابي محلي هذا لامكن له قلع ما فى تازروالت يوم استولى الخلاف على اهلها ، ولكن (تكاثر الطباء على خدش) (I41) ، وصمد اليه ابناء الزوايا ذوات الحبايا من كل ناحية ، فهذه زاوية تازروالت نائرة عليه ، وزاوية ابي محلي زاحفة اليه حتى تخرجه من البديع وتتربع فى ابهائه المرمرية ، فلم يجد بداً من أن يلتجئ الى زاوية أخرى لعلها تدافع عنه أبا محلي ، غير ان التجرأ اليها قد تارت ايضا بدورها قريباً من هذا الوقت ، كما تتحفز زاوية اخرى من الدلائين الى الثورة ايضا بعد برهة من الدهر ، ومن هنا يعرف القارئ ما أدركته الزوايا اذ ذاك ، وهذا بعينه ما كان يتخوف منه محمد الشيخ الأول فقلب لأصحاب الزوايا ظهره ولا يرون وجهه الا متجهما ، ولا يؤنسون من أساريه بشاشة ، لكن الذنب على الربان الذي فرط فى تسيير الدفة (I42) :

إذا غاب ملاح السفينة وارتمت

بها الريح يوماً ضببتها الضفادع (I43)

ثم ان تفاصيل المجاذبة بين ابناء الشيخ مطوية بالاغفال الذى لا يزال الى الآن مستولى على أقلام المقاربة ، وذلك عندهم عادة قديمة بكى منها حتى تقرحت الاجفان .

(I40) راجع الحاشية 78

(I41) هذا شطر بيت هو :

تكاثر الطباء على خدش * * * فما يدري خدش ما يصيد

(I42) الدفة بالفتح : خشبة تجعل فى مؤخر السفينة تسهل امالتها يمينا وشمالا ، وهي مولدة عربها السكان بضم سين

(I43) ضبب على الشيء اذا شدد القبض عليه ، وضبب عليه احتوى عليه ، أى استحوذت عليها الضفادع وسيرتها ، ومعنى ذلك امرأها

على بن محمد بودميعة

هو على بن محمد بن محمد ابن الشيخ ، فهو ابن اخى ابراهيم الامير الأول ، وهو الثالث من أمراء هذه الاسرة ، وهو وحده الفائز بما لم يفز به أحد من أهله ، وقد توطدت امارته ، وطالت أيامه ، وعلا شأنه حتى كان أعظم رجل من « ملوك الطوائف » اذذاك بالمغرب ، وأوسعهم ايالة ، وأعظمهم سعدا ، ولو كان من الرجال الاشداء لأمكن له ان يستغل فرصة من أبناء الذهبى الضعفاء فيقتحم عليهم بلاطهم الذى يتلاعب به ولدتهم ووصفانهم (I44) فيجمع كلمة المغرب ، ولكنه كما ظهر لنا ، لم يكن بذلك المقدم الذى يقول « أما قبر فى الثرى ، واما قدر فى الثريا » ، ومن لا يفامر لا يؤسس الدول ، وبين القنا والقنابل (I45) ، اذا اكفهر الجو بنقع الجحافل تؤسس الممالك ، ويتميز الفائز من الهالك .

(I44) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « وصفهم بهذا الوصف الدلائيون فى رسالة منهم الى محمد الشيخ الثالث ص 142 ج 3 الاستقصاء » ومحمد الشيخ هذا هو ولد زيدان بن احمد المنصور السعدى الذهبى كان قبل الاخير من ملوك السعديين والاخير هو ولده احمد بن محمد ابن زيدان بن احمد الذهبى ، لم يبق لمحمد الشيخ هذا سوى مراکش وبعض اعمالها ، ويكفى دليلا على ضعفه انه ارسل قاضيه ابا عبد الله المزوار يستعطفهم ليكفوا عنه ، ولما دخل مولاي محمد بن الشريف قاسا بعث اليه هذا بقصيدة يهنئه فيها ، بويج بعد اخراجه من السجن سنة 1045 هـ وتوفى عام 1064 ، فبويج ولده احمد فتقوى عليه اخواله الشبانات وراموا الوثوب على الملك فاشارت عليه امه بالتوجه اليهم والتكلم معهم عسى ان ينفكوا فقتلوه غيلة وبأيوعوا واحدا منهم هو عبد الكريم بن ابي بكر الشبانى وذلك سنة 1069 هـ وبموت احمد بن محمد الشيخ هذا انتهت الدولة السعدية فطويت صحفها والبقاء لله وحده

(I45) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « القنابل جمع قنبل ، وهو جماعة من الخيل ، وقد اعتاد الكتاب اطلاق اللفظة على قذيفة المدفع ، فاعترض ذلك امير البيان - يعنى به الامير المجاهد شكيب ارسلان رحمه الله - فى حواشيه لكتابه « اناطول فرانس فى مبادله » وقال اظن ان اصل الكلمة القنبرة والجمع قنابر بالراء ، وقد شبهت القذيفة بالقنبرة وهو طائر معروف ، هذا ما قال ، ثم وفقت انا على استعمال الكلمة بالراء لا باللام فى كلام للمصايبانى ، وللمناصرى فى الاستقصاء ، وللشرقاوى المصرى فى تحفة المتأخرين ، فالقنابل اذن للخيل والقنابر لفدائف المدافع

وقوله طائر معروف ، قال طرفة بن العبد :

خلا لك الجو فبضى واصفرى	يا لك من قنبرة بمعمر
قد رحل الصيد عك فابشرى	ونقرى ما شئت أن تنقرى
لا بد من صيدك يوما فاصبرى	ورنع الفخ فماذا تحذرى

من هم اخواله ؟

فى قرية وسط وادى تانكرت بافران تسكن اسرة ءال بلقاسم بن عى انتقلت من سملالة ، ولعلها من الشرفاء الاحكاكين (146) . وهى اسرة علمية نالت شرفا كبيرا ومجدا مؤثلا ، ومقاما مرموقا فى الرئاسة والقضاء ، ولا يزال الى الآن طنين ذكرهم فى ذلك الوادى ، وقد ابتداء امرهم ، فيما نعلم ، من القرن العاشر ، فمن هذه الاسرة المجيدة فاطمة بنت احمد بن بلقاسم بن عى ، فقد ورد عند مؤرخ سوسى (147) فى شأن بلقاسم بن عى ما يلى :

« ابو القاسم بن عى الافرانى كان رضى الله عنه فقيها عالما عاملا ، ذلك ما ذكر عنه ولم يتعرض لوفاته ، وقد سبق بين اهل القرن الحادى عشر ، ولكن الحقيقة انه من اهل أواسط القرن العاشر ، ولا يزال ذكر اسمه عطرا فى تانكرت الى الآن ، وقبره مشهور فى مقبرة تنسب اليه .

وورد عن احمد بن بلقاسم على لسان عالم ثبت مطلع (148) فى تانكرت انه صالح مزور مقصود فى عهده ، وله مكانة وشرف ولمقامه العالى صاهره اهل الزاوية التازروالتية .

146) راجع العاشية 34

147) علق المؤلف على هذا المحل بقوله « الحضيكي » ويشير به الى ان ذلك مذكور فى طيقات العلامة الامام الكبير احد مفاخر القطر السوسى بل المغرب أجمع محمد - فتحا - بن احمد الحضيكي الجزول الابسى (نسبة الى محل فى تارسواطت يسمى ايمون ايسى) المولود هناك سنة 1118 والمتوفى به سنة 1189 هـ راجع اخباره فى الجزء الحادى عشر من المعمول صفحة 298 .

148) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « هو سيدى البشير الناصرى » وسيدى البشير هذا هو العلامة الاديب الجليل البشير بن المدنى بن احمد بن الحسن بن عى بن يوسف بن محمد الكبير بن محمد فتحا ابن ناصر الدرعى الشيخ العظيم الشهير ، كان سيدى البشير هذا فرينا للاستاذ الطاهر بن محمد الافرانى ورفيق حياته ، ولد فى تانكرت بقبيلة املن سنة 1292 هـ وتوفى سنة 1306 هـ ، وكان من الادباء المطلعين المتثبتين المعتبرين بروج فى النوازل وفى الاصلاح بين القبائل وكان موفقا فى ذلك الى ابد الحدود حتى صار حضوره فى منازعاتهم بشرى الانفراج دائما ، ولما تم احتلال القطر السوسى قبع فى داره ووجد حسن الاعتذار فى فالح اصاب بعض اعضائه ، فكان رجال الاحتلال يترددون اليه ليسالوه عن الاخبار والتواريخ فكان يتظاهر بجهله بما يريدون ويانه عاجز عن البحث فى الدفاتر بسبب مرضه ، فلما اعيامهم تسويغه وواهى اعذاره ينسوا من انتفاعهم به وتركوه . راجع ترجمته فى اخبار فروع الناصريين فى الجزء العاشر من المعمول .

وحين عرفنا شأن هذه الزاوية اذذاك ندرك انها لا تصاهر الا اسرة تحتل قمة الشرف ، وذروة المجد ، ومن هذه الاسرة القاضي عبد الملك بن احمد بن بلقاسم ، فقد تولى القضاء فى عهد بودميعة ابن اخته ، وقد ذكره مؤرخ (149) بما نصه : « سيدى عبد الملك بن احمد بن بلقاسم قاضى افران » ، وزاد على ذلك مؤرخ آخر (150) انه كان رضى الله عنه فقيها ديننا خيرا قاضيا فى بلده ، ووجدته مكتوبا عليه بخط لا أعرفه انه علامة كبير صالح متقن للعلوم متق لله . وقد ذكر المطلاع المذكور (151) انه رأى شكله وخطه فى الرسوم القديمة .

ومن هذه الأسرة ايضا القائد محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن بلقاسم بن على ، ولله ابن عمته بودميعة على تلك الناحية الى تيسينت ازاء طاطة ، ويذكر بصورة عظيمة وبنفوذ خطير وبرسوخ فى الرئاسة .

والقرية التى كانت مركز الاسرة تسمى الجمعة ، وهى منوى اولئك الفقهاء والقضاة والرؤساء ، وقد خربت اليوم ولا يزال مسجدها قائما ، وانما تسمى الجمعة لاقامة صلاة الجمعة فيها ، ولم تزل القرية عامرة بالاسرة مزدهرة برجالاتها مقصودة فى وقت صلاح أهلها كما تقصد فى الابان الذى كان فيه القضاء والرئاسة فى يد قاضيه ورئيسها ، ولم تنفك كذلك حتى صاح فيها الدهر ونصب على اطلالها اليوم ، ولا شك ان ذلك يقع يوم القضاء على « ايلينج » كما سيأتى .

(149) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الوفيات للرسموكى » وللتعريف بهذه الوفيات وهذا الرسموكى لم نجد امامنا الا ما قاله عنه المؤلف فى الجزء الخامس من الممسول صفحة 28 ولكن المؤلف نفسه رغبا عن ثنائه الحافل على الكتاب وعلى طول باع مؤلفه وعلى كون داود الكرامى فى « بشارة الزائرين » والامام الحضيكى فى طبقاته ينقلان عنه لم يستطع ان يعرف اسمه ، وحسبنا بعد ذلك ان نرشده القارىء الى ما ذكره المؤلف فى الممسول ، وفوق طاقك لا تلام

(150) علق المؤلف على ما هنا بقوله « الحضيكى »

(151) قال المؤلف رحمه الله « سيدى البشير الناصرى » ، راجع الحاشية 148

وحين عرفنا مجد الاسرة ومكانتها واناقتها عرفنا من اين احد الشقيين الذين تكون منهما الامير بودميعة ، فلا ريب انه معم مخول ، ولا ينزع الانسال كاخواله (152) .

كيف ابتداء امره ؟

رايت كيف كانت المناوشات بين رجالات الاسرة ، فقد انقسموا ما بينهم ، فدارت منازعات ، ولا تزال الاسمار الى الآن تتحدث ببعضها ويروى المتحدثون ان ما بين آل تاكارازت ، وهم آل سيدي الحسن بن علي ، وبين احفاد بودميعة ، سكان ايليخ كان متاصلا من قديم ، وان العداوة بينهم نشأت مع انبثاق فجر امارتهم ، ومن هنا يرى المتأمل ان ما ذكره المؤرخ المذكور اثر وفاة الامير سيدي الحسن بن علي صحيح ، وان النزاع كان بين فريق وفريق ، فقد كان آل سيدي محمد ابن الشيخ في جانب ، وكان آل سيدي علي ابن الشيخ في جانب آخر ، كل يتطاول الى الاستحواذ على الرئاسة ، وقدشت (153) امرهم بعد ان كان مجتمعا ، فقد راينا الامير ابراهيم ابن محمد اوصى بالامارة لابن عمه الحسن بن علي ، وكان آل سيدي الحسن بن علي ابوا الا أن يرثوا ذلك بعد موت صاحبهم الحسن المذكور ، ويلج الآخرون آل سيدي محمد ان يرجع اليهم الامر كما كان فانهم اصحابه منذ اول يوم ، فهكذا يكون الخلاف بينهم فيما نرى ، فتدور بينهم المنازعة الى ان خلص الامر للاسرة الاولى

(152) المسم الذي اشبه اعمامه والمخول الذي اشبه اخواله ، ونزع الولد اباه ، ونزع الى ابيه اشبهه ، قال شوقي رحمه الله في قصيدته توت عنخ امون يخاطب الشمس ويدع ملك قنما* المصريين بانهم اشبهوا اباهم امون :

1 ا ام المالكين بنى امون ليهنك انهم نزعوا امونا

اي انهم اشبهوه في علو الهمة والطموح الى المعالي .

(153) يقال شمت الامر يشمت بالكسر شمتا كفرب بضرب ضربا وشتاتا وشتيتا ، وتشتت وانتشت واستشتت : تفرق .

«ال سيدى محمد بقيام الأمير بودميعة ، وانما يسمى بودميعة ،أى صاحب الدميعة، لأن دميعة لا تفارق احدى عينيه، وهى تصغير دميعة، وتكون هذه الدميعة من مرض ألم بعينه ، وبعض المتعصبين له يؤولون ذلك على أن عينه لا تزال تدمع من خشية الله ، فنقول له ولماذا لا تدمع العين الاخرى اذن ؟ وقد نص فى التاريخ على ان احدى عينيه هى التى تدمع ، فيكون ذلك من شىء ألم بها .

وفى بعض كتب الأدب ، فى حديث بين اديبين اوائل القرن الثانى عشر عند ذكر شعر الاديب محمد امحاولو الاثيسى (154) ما ياتى :

« فقلت له هل تحفظ شيئا من ذلك ؟ قال لا ، الا اننى استحضر شيئا مما قاله فى سيدى على بودميعة حين بايعه الناس ، وكان الذى يروى ذلك عن سيدى محمد بن الحسن لأن والدى لم يدركه ، أى لم يدرك أمحاولو ، فقد مات وأبى صغير ، قال من قصيدة مطلعها :

النصر طوع يديك والتمكين	فانهض فانك طالع ميمون
فالسعد يخدم والجحافل والقنا	والساقبات وصارم مسنون
اطللت من افق الامارة بعد ما	ساعت من ابناء الملوك ظنون
شغلوا بلهوهم المديد فضيعوا	ما انه ، عهد الجدود ، مصون
وتشاغبوا ما بينهم حتى تهدد	مت المدائن كلها وحصون

الى ان قال فى آخر القصيدة

انهض بهمتك التى يدرى نها ذاك المقام الفارع(155)المحصون

(154) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا لقب له ، وسترى اسمه مترددا امامك ، وهو من قبيلة ايسى » وقد تعرض المؤلف فى الجزء 18 من المعسول ابتداء من صفحة 307 لبعض اخباره باوسع مما هنا وقال انه قد يكون توفى اوائل سنة 1112 او 1113 هـ .

(155) الفارع بالعين المهملة : المراد به العال المرتفع

هكذا البيت على ما أظن

فالناس كلهم وراءك ينهضو
فلعل زيدان المهزم تنقضى
فعلى الظبا يقضى الغرير وكل من
هو بالجبايا واللهم مفتون

الى ان قال :

فالمغرب الاقصى جميعا ناظر
فيرى العدالة كيف كانت والهدى
والعلم كيف يكون نشر ضيائه
فاذن يكون المغرب الاقصى على
يوما تجول عليه منك يمين
والعز بالاسلام كيف يكون
فى الناس حتى يعلم المسكين
ما الهند تغبطه به والصين (157)

قال وقد بقيت آخر القصيدة أبيات أخرى انسيتها ، وهى تنيف على
ثمانين بيتا ، وقد ذكر لى والدى رحمه الله انه سمع ممن حضر انشادها ممن
ادرهم من العلماء ان ذلك كان عند قبر الشيخ سيد احمد بن موسى رضى الله
عنه ، وقد حضر كل العلماء الكبار والصالحون والأشياخ ونفالييس (158)

(156) علق المؤلف على ما هنا بقوله : « بياض فى الاصل ، وليلتفت القارىء الى ان زيدان
وصف هنا بالمهزم سنة 1021 هـ ولا ريب انه هزم قبل ذلك فى معارك ، ثم هزم ايضا كثيرا بعد
1021 هـ فانه لم تنصر له راية ، ولعل هذا الشاعر اول من وصفه بذلك » والذي نريد ان ننبه
اليه القارىء هنا هو انه هزم فى 27 معركة . فاذا كان هذا الشاعر قد وصفه بالمهزم فانه لم يصفه
الا بوصف اكتسبه بالمادة والتكرار .

(157) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا الشطر مما وقع فيه الحافر على الحافر ،
فقد استعمله بعضهم من سنين من غير ان يطلع على ما هنا »

158 نفالييس : هذه الصيغة فى هذا الجمع عربية وان كانت الكلمة نفسها غير عربية فهى
فى هذا الاستعمال كصغور وعصافير مثلا ، ولكن مفردا فى اللغة الشلحية السوسية ليس نفلوس
كصغور بل انفلوس ، واحسن كلمة نعربه بها هى النقيب والعريف قال الله تعالى : « ولقد
أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا » وجمعه فى لفته انفلاس بكسر الهمز
واسكان النون والفاء ثم لام ألف ثم سين ساكنة ايضا ، وهم الذين يتولون النظر فى ضبط
امور القبائل حتى ربما يكون منهم من يستبد على الآخرين فيكون له الامر دونهم

القبائل ، وكان والدى يضحك ويقول أخبرنى بعض من حضر أن بعض الشلحين النظامين من أهل اللعب فى الأعراس قام أيضا يغنى بمدح سيدى على ، فاراد بعض الفقهاء أن يسكته ، فقال له سيدى على دعه ، فبقى حتى أتم ما قال : فيقول والدى اثر ذلك لا أدري ما الفرق بين الرجلين الا اذا عظمنا العربية فقط (159)

ذلك ما رشح به التاريخ لا عن قصد . فالقى بعض ضوه على الكيفية التى صاحبت دولة بودميعة أول بزوغها ، فهؤلاء الذين حضروا كلهم يمكن أن يفسر حضورهم بأحد امرين : اما بكون بودميعة غلب الفريق الآخر وشتت شمل أنصاره فالتف عليه أنصاره وشيعة بنى أبيه ال سيدى محمد ابن الشيخ ، فاستدعوا الناس الجفلى فحضروا كلهم ، واستقدموا من كانوا يقفون من بعيد ينتظرون كيف تنفصل المشاغبة بين المتنازعين ، كالعلماء وامثالهم ممن لا يالفون أن يقتحموا الزحام ، فيكون ذلك الجمع الحافل عند قبر الشيخ تيمنا به وبتربته ، على ما يعتاده الناس فى امثال هذه المواقف التى تستمد فكرتها من الدين ، واما بكون الناس سمعوا بالصلح بين الفريقين فاختاروا من عند انفسهم عليا بودميعة ، فأقاموه عن رضى منهم لا عن تغلب ، وكيفما كان الامر فقد وقعنا على قبس ، وان كان ضئيلا ، فى ذلك الحديث بين الاديبين ، ولولاه لبقينا فى ظلمات بعضها فوق بعض .

(159) علق المؤلف على هذا المحل بقوله « نفحات الشباب للرودانى - مخطوط » ونفحات الشباب كتبه اديب رودانى لا يعرف - مع الاسف - اسمه لأن الموجود من الكتاب مبتور ، وقد قال فى أوله ان ثلاثة ادياء علماء من الجبال السوسية جاءوا الى تارودانت لحضور سرد صحيح البخارى فى رمضان فى مجلس المولى محمد - فتحا - العالم بن السلطان المولى اسماعيل وكان خليفة لوالده هناك وكانوا يبحثون عن دار للسكنى واتفق ان كان فى منزله متسع لهم فهباه لهم واسكنهم فكانوا يابون اليه بعد الخروج من مجلس الخليفة فكانت تروج بينهم بحث علمية ادبية وكان هذا الرودانى يسجلها ، واذا كنا الآن لم نظفر بالكتاب كله فان المؤلف رحمه الله قد ادرج الموجود منه بنصه فى الجزء 18 من الممسول ابتداء من صفحة 286 فرحم الله الاستاذ المختار ورحم الله ذلك الأديب الرودانى الذى نرجو أن نجد اسمه على نسخة تامة من كتابه ان شاء الله ، وهو ما يجب ان يقرأ .

واما تلك القصيدة فانها تشبه فى وعودها وتمنياتها ما نسميه اليوم
بخطبة العرش عند افتتاح دورة برلمانية ، أو عند تسليق امير من جديد عرشه ،
على ان قوله :

فيرى العدالة كيف كانت والهدى والعز بالاسلام كيف يكون
والعلم كيف يكون نشر ضيائه فى الناس حتى يعلم المسكين

مما يلفت النظر ، فقد يقال ان هذه الفكرة مما يتخذها الباحث كدليل
على رقى البيئة اذذاك حتى تتطلب المثل العليا وتجعلها فى بنود اقتراحاتها
وتمنياتها ، وتدعم بها دعاياتها وخصوصا ما فى البيت الثانى من الاهتبال
بالعلم ، وانظر قوله (حتى يعلم المسكين) تجده مثلا أعلى فى تعميم المدارس
وتيسير الثقافة لكل أحد ، قد يقال كل هذا ، وقد يقال ان ذلك انما هو من
الشاعر فقط ، وربما يقول الشعراء ما يتخيلونه وحدهم أو يقلدون فيه اخرين،
وكلا الاحتمالين ممكن ، ومن يعرف كيف الحالة العلمية بسوس اذذاك لا
يستبعد الفكرة الاولى .

على اننى لو لم انقل بيدى البيت الثانى من البيتين لقلت انه مصحف
عن مثل هذا :

والامن كيف يكون مد رواقه * فى الناس حتى يامن المسكين

وقد عظم استغرابى لأول وهلة لمثل هذا المعنى الذى هو الى العبارة
المصرية الحاضرة اقرب منه الى العبارات التى نعهدا اذذاك ، ولكن بعد ان
ثبت ذلك ثبوتا لا شك فيه لم يبق الا ان ننزل عنده ، فان التاريخ لا يتكون
الا من الواقع ، وبذلك تنسج قضاياء ، وكل من يحاكم امثال هذه الامور الى
الاذواق فقط فى الوقت الذى يكون فيه الامر واقعيا واراد ان يعتمد على ذوقه
فى دفع الواقع فانه لا يعد مؤرخا بل مفسدا للتاريخ ، وانما يعتمد بعض
الاعتماد على الاذواق فى التاريخ ويتحاكم اليها اذا لم يكن نص او شبه نص يثير
ظنا قويا ، فنحن هنا نسلم ولا بد هذه الدعاية العلمية ، ويجب علينا أن نفهم
ذلك كما يفهمه أهل ذلك العصر فى ذلك القطر ، فان للقبائل السوسية مسابقة

من قديم الى تأسيس مدارس العلم ، فلا تكاد تجد قبيلة ولو ضعيفة الا فيها مدرسة علمية (160) ، والذي يقصد اذذاك بالعلم هو العلم الدينى من عربية وفقه وما اليهما من علوم الحديث والقرآن ، فإى استغراب اذن فى ان يقوم عالم متحمس لعلمه يود لو انتشر علمه عند كل الناس فى المغرب ، فيملى منيته امام أمير جديد يستنهضه الى الاعتناء بالعلم وأهله .

فهؤلاء السعديون نعرف منهم فى سوس وفى غيره اعتناء عظيما بالعلم وأهله ، فقد وقفنا لهم على اثار كثيرة فى سوس تدل على هذا (161) ، بل هذا مولاي رشيد لم يكده يستولى على المغرب حتى اعتنى بالعلم وأهله غاية

160 علق المؤلف رحمه الله على ما هنا بقوله : « ينبنى مراجعة الباب الرابع من كتاب سوس العالة للمؤلف » ولما رجعنا الى ذلك وجدناه يقول : . . . وكثيرا ما تكون فى كل قبيلة مدرسة او مدارس متعددة ان كانت القبيلة كثيرة الافخاذ ، فتبنى كل فخذ مدرستها على حدة ، وهذه المدارس تسمى مدارس علمية ليكون الفرق بينها وبين كتاتيب القرآن التي لا تخلو منها اى قرية وان صغرت ، والصناد ان تقوم القرية بالمسجد الذى يكون فيه الكتاب القرائى ، فقد يكون الامام للصلوات هو المعلم للقرآن دائما ، واجرته على سكان القرية يعطونه قدرا معلوما من الحبوب ومن الصوف ومن الزبد ، لكل دار تخصص تلك السنة ، لان المشاركة مع الامام تكون على السنة ، ويزيدون فوق ذلك ان يحرقوا له فى ارضهم - او ارض المسجد ان كانت له ارض كما فى كثير من الاماكن - ويحصلوا له . واما المؤونة فانها نهارية على كل دار غداء وعشاء ومجوريا - اى ما يؤكل بين الغداء والعشاء ويعرف فى الشلحة باسم اكاز بتشديد الكاف المقفودة - فى الغالب ، فهذا هو قانون مساجد القرى التي تضم كتاتيب القرآن ، واما المدارس التي تقرأ فيها القراءات السبع او فنون العلوم فان لها نظاما اخر ، اذ تشارط القبيلة الاستاذ الفقيه مساهمة على اجرة مطلومة من محصولهم : حبوبا واداما زيتا او سمنا او حاما ، ومؤونة الطلبة تكون من حرى المدرسة الذى يجمع فيه ثلث الاعتمار من اصحاب المدرسة ، يقف المكلفون بذلك على المحاصيل فى البيادر حتى يورخذ حظ المدرسة - والمكلفون هم انفلاس المذكورون فى الحاشية رقم 158 او من ينيبونه عنهم اذ هنه احدى وطائفتهم - او يقيد بانه فى ذمة صاحبه ، ثم اذا تم الدراس يقع النداء العام الذى كثيرا ما يكون من اعل سطح المسجد يجمع ذلك فى يوم خاص يتواعدون فيه وسط سوق القبيلة ، فترى البهائم قوافل الى المدرسة من كل طريق ، ومن ذلك تكون مؤونة الطلبة المرابطين فى المدرسة ومؤونة استاذهم ، ومفتاح الهوى قد يكون فى يد الاستاذ ، وقد يكون فى يد امين معين ، والغالب ان تتخذ خادم تطبخ للطلبة والاستاذ ما ياكلون فى نفس المدرسة لغداء وعشاء » الى ان قال : « اما ادارة المدرسة والتكلم فى شؤون الطلبة فانها فى يد الاستاذ الذى يحترم احتراما كبيرا ، وهو مفتى القبيلة وقاضيه الطبيعى » وقد اقبحنا فى كلامه ما بين العارشات للتوضيح .

161 حديث هؤلاء الاشراف السمديين ليس بسر ، فقد جاء فى اخبار محمد الشيخ الاول انه كان من العلم بحيث يحاور العلماء والقضاة والمفتين بما يجعل للصواب فى جانبه ، وان عبد الله الغالب ممن ياخذ الناس عنهم الحديث ، وان المنصور من تلاميذ المنصور وموسى بن مخلوف التوممارى وان مجالسه من مجالات فحول العلماء ، اما المولى الرشيد فمن اعتنائه بالعلم ببناء مدرسة الشراطين مكان دار الباشا عزوز بفاس وللمدرسة ابن صالح بمراكش وانه كان يحضر بنفسه مجالس العلماء بالقرويين ومن جعلتهم الامام الحسن اليوسى ، وهذا الموضوع مما يضيق عن هذا التعليق

الاعتناء ، فهل ينتظر ممن يحومون حول بودميعة الا ان يشيدوا بمثل ذلك اشادة منصودة عن الغيرة الدينية ؟ ولا ريب ان ذلك الاستغراب الذى حصل لى لأول وهلة من ذلك البيت ، كما يحصل لغيرى متى سمعه بادىء بدء ، يزول الآن بهذا الذى قلناه .

هذا وهناك فى السنة الناس كلام آخر حول انبثاق فجر بودميعة ، وذلك ان شجرة لا تزال معروفة فى قرية السوق من قبيلة تانكرت بافران تمتع الى الآن بان البيعة كانت تحتها لبودميعة من تسعمائة فارس من الافرائين والادائيين والنيفجيجيين ، ويمكن لنا ان نحمل هذه البيعة على انها كانت الاولى من اهل هذه الجهة ، ثم لما استتب الامر لبودميعة اجتمع ذلك الجمع الحافل ثانيا عند ضريح الشيخ سيدى احمد بن موسى ، ويؤتى لنا ان لأخوان بودميعة اهل سيدى بلقاسم بن على التانكرتى يدا طولى فى الأخذ بضمع ابن اختهم وتأيبده حتى يتمكن ، وربما كونوا له شيعة خاصة من اهل تلك الجهة تكون نواتها من تلك الخيل التى يذكرون انها أول من قدم اليه البيعة .

ويجول فى خاطرى فكر آخر ، فيتراعى لى ان تلك البيعة التى تكون من هناك من أول يوم انما هى بيعة سيدى ابراهيم أول أمير من الاسرة ، فتصح الاولية على حقيقتها ولا يهمننا هنا ما يقوله الناس من ان البيعة لبودميعة ، لان الناس كانوا يجهلون ، حتى خاصتهم ، ان ابراهيم والحسن كانا أميرين قبل بودميعة ، حتى ذلك السيد الذى حدثنى بكثير من اخبار تلك الجهة ، ويظن به اطلاع كثير لم يكن يدرك فى هذا كل ما ادركناه منه . ولكن هذا الفكر لا يتجاوز دائرة الاحتمال فقط ، فان وجد ما يدعمه ، او وجد ما يقوله الناس ما يدعمه ، فقد قطعت جهمزة قول كل خطيب ، والا فان الاحتمال أوسع دائرة ، ومن لا يعجبه هذا الاحتمال ورأى منه انه يدفع ما يقوله الناس بتوهم فقط ، فله رأيه ، ولرأيه طفاوة (162) من الحق ، الا ان الاحتمال لا يزيد فى التاريخ شيئا بل كثيرا ما اضربه .

(162) الطفاوة بالفتح ما يظف فوق الماء كزيد القدر ونحوه ، يقال : اصبنا طفاوة من الربيع اى شيئا منه ، اى لرايه نوع من الحق

كذلك انبعثت البيعة لبودميعة المولود لنحو 1001 هـ (163) فهو شاب جلد قوى العضلات ، وله اذذاك 21 سنة فقط ، فلئن صح انه منتخب للامارة لا متغلب فان من انتخبوه ليعرفون ما يصنعون ، فلا يليق للمعظم الا الشباب ، ومن قدمهم اليها فقد اعطى القوس باريها ، واما ان ثبت انه متغلب وانه انما انتزع الصولجان من منازعيه بقوته فأجدر بالشباب الذى يتغلب فى هذه السن ان يستحوذ على المعالى ويسير الى الامام بخطا متزنة فـ (كل صعب على الشباب يهون) .

الامير الجديد يستميل اليه بالسياسة

ان من ذكروا فى المجمع المتقدم انفا يوم البيعة العامة للامير بودميعة لا يتجاوزون رؤساء قبائل جزولة الذين يمثلون قبائل الجنوب الغربى السوسى ، ولذلك ينتظر ان يستدعى اهل القبائل الاخرى للانخراط فى عمه البيعة ، فيكتب امائل الناس يستمالون الى ان يولوا وجوههم شطر هذه الدعوة الجديدة ، وهو طبيعى فى مثل ذلك الموقف ، ولا ريب ان امر الامير الجديد انما يتوطد بالاناة وحسن العقيدة فى آل الشيخ ، وبحسن المفاهمة التامة لعدم عصبية مكينة يستند اليها .

وقفنا على رسالة كتبها الامير الجديد فى هذا الدور الى سيدى يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحى بطل وقعة كيليز (164) التى سقط فيها أبو محل قريباً سنة 1022 هـ والمقصود منها ما يأتى :

« . . . » اما بعد فنشكر الله اليك على ما انعم علينا من جمع كلمة هذه القبائل كلها ، على توافر علمائها الذين هم الجماعة التى هى اهل الحل

(163) علق المؤلف رحمه الله هنا بقوله : « يظهر ذلك من البشارة للكرامى »

(164) من المعلوم ان زيدان بن المنصور الذهبى استصرخ ابا زكريا يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد النعيم الحاحى الاصل الرودانى الاستيطان الفيلاى الملقب - تافيلالت جبل درن - على ابي محل فكان اللقاء فى كيليز فهلك ابو محل فى اول المعركة وتشتت جموعه ، راجع الحاشيتين - 75 و - 78 -

والعقد المتمشية الأمة تحت ظلها ، فقد كان ولا شك وصلك ما جرى بين أهل البيت من أبناء الشيخ سيدى احمد بن موسى رضى الله عنه من شقاق وحروب ، كادت تكون منها لجهتنا هذه ندوب ، حين توالى منها خطوب ، ولكن الله سلم ، وإن كان من ذلك بعض الم ، تم لنا الأمر ، والله الحمد والشكر ، وقد كنا عرفنا انك تتردد كيف يصلح أمر الاسلام ، بعد ما كان منه بما وقع بين أبناء السلطان أبى العباس من الانهدام ، وقد كنت تتظاهر بمشايعة زيدان ، ولكننا نخبر انه لا يجازيك عن ذلك بالاحسان ، فرأينا ان نعرض عليك أمرنا هذا الذى رأيته تم ، لعلك تهتدى فتدخل فيه مع من معك ثم ، فتكون لك السابقة ، وما مثلك من يكون فى اللاحقة ، ولو رأيت العلماء والرؤساء حول ضريح جدنا رضى الله عنه يدعون بانابة وخشوع لايقنت ان هذا الأمر قائم ان شاء الله قيام هيكل عظيم لا ترى فيه من صدوع ، ولك ان أجبت وما تلكأت ولا تمجمجت ، ولا توقفت على مراسلة اخرى ولا احتجت ، ان تكون لك منا يد لا تنسى « آخر الدهر ، واحترام زائد كما تقتضيه مكانتك تسحب بها فى الدنيا اردية الفخر ، وبين يدي الله غدا أعظم الاجر ، وما مثلك من ينه ويبرهن له ، ويقف نفسه موقف المعذلة ، وهؤلاء العلماء وجهناهم اليك ، لعلك تمد اليهم يدك ، ونحن فى انتظار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار (I65) .

فاجاب سيدى يحيى الوفد بهذه الأبيات :

ايرجو على ان آكون له عبدا
الم يدر انى ربما فقته مجدا
واستغفر الرحمان فيما اقوله
وان كان تنبيه المجهولة القصد
يريد ابن موسى خطة الملك بالدعا
ولما يسم من سيفه فى الطلا الحدا

(I65) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « الرسالة بتمامها فى كتاب المترعات » ويعنى به رحمه الله كتابه « مترعات الكؤوس فى ادباء سوس » وهو كتاب مهم جمع فيه كثيرا من « اشار السوسيين النفيسة » وتركه رحمه الله مخطوطا مع حرص كبير كان فيه على التجميل بطبعه .

ولما يجلب بين الصفوف مقانيبا
إذا حملت في زحفها تصدم السدا
فهذي ميادين السيادة فليقم
اليها إذا ما شاء من امره الجدا
فان فاز فيها كنت أول تابـح
والا فأبعد ان أرى الرجل الفرداء (166)

هكذا كان الجواب يتضمن مطاولة في المجد ، وسخرية من ارادة الملك وتدعيمه باستمطار نفحات من الأضرحة ، وقد كنا نعرف في مكان آخر تحم سيدي يحيى دائما لهؤلاء المتفجرة الذين يسرون الحسو في الارتقاء (167)، يريدون الدنيا ويبهرجون للناس تفريرا بهم بالزهد فيها (168) ، ثم أعلن بصراحة في «آخر تلك القطعة انه لا يجيب الا أخيرا ، يوم يجيب كل الناس فلا محيص له عن ان يكون احدهم مضطرا ، فهو جواب بليغ الأسلوب ، يفضح نوايا كل من يدعى انه يفار على الدين وعلى الأمة فيبرز الى الميدان بتلك الحجة ، مع ان أساس مقصوده هو الملك والتطاول على الناس .

المصادمة بين يحيى وبودميعة

صار يحيى يوالى القوارص بعد ذلك الى بودميعة من روائع شعره ، فيملأها بحماسة احيانا ، وحيانا بالوعظ ، ومما حفظه التاريخ من ذلك قوله في مطلع قصيدة يخاطب أهل ايليخ :

إذا شئتم ان ترتقوا للغوارب • فميلوا الى سمر القنا والقواضب

(166) قال المؤلف هنا : « المصدر نفسه » يعني « المترعات »

(167) اسر الشىء ، جملة سرا ، والحسو الشرب ، والارتقاء ازالة الرغبة عن اللبن ، أى تظاهر بأنه إنما يزيل الرغبة عن اللبن ولكنه في الواقع يحسوه ، يضرب لمن تظاهر بالقناعة بالتافه المرغوب عنه ليتوصل للسهم المرغوب فيه .

(168) قال المؤلف معلقا هنا : « فى كتاب المترعات » ، اقول ليحيى فى هذا المعنى »

فكان ذلك يبلغ من بودميعة مبلغا هائلا ، ويستفز من انفته ما يستفز ، حتى تسنت له قوة ما ، فوافقت مجيء هذه البائية ، فاراد أن يلقي عليه درسين، يجيبه اولا بشعر مثل شعره، ثم يجيبه بالسنة (القنا والقواضب) فأمر كاتبه احمد بن محمد أمحاولو الايسى ، فقال ، وقد رمى يحيى بمثل ما يرمى به ال ايلخ ، ويزنه (169) بأنه انما يعرف الاشعار لا معانقه السيف البتار :

تشب تنانير الوغى بالمكاتب
وتهرب من ايقادها بالكتائب
ففى كل يوم منك شعر كأنما
على الشعر تأسيس الأمور المصاعب
فلم نر الا أن نجيبك بالوغى
وبالجنـد جند الله أعظم غائب
فبارزهم ان كنت شهما كما نرى
كثيرا اذا راسلتنا بالمكاتب
« محا السيف اسطار البلاغة وانتحى
اليك أسود الغاب من كل جانب » (170)

ثم أرسل وراء الجواب جيشا الى تلك الجهة .

ذلك ما جاء فى كتاب أدبى (171) عرضاً أثناء ادبيات ، فهذه المصادمة الكلامية كانت قبل أن يثور يحيى على تارودانت فينزعها من بودميعة ، وربما

(169) زنه يزنه زنا ، كنصر ينصر نصرا ، بالشئ : اتهمه به

(170) علق المؤلف على هذا بقوله : « البيت كتبه ابو مسلم الخراساني الى مروان الجعدي بعد ما كتب اليه رسالة كبيرة بانشاء عبد الحميد يستميله بها ، فمزقها وكتب البيت على طرف صغير منها » وذلك مبسوط فى اخبار سقوط المولة الاموية وقيام العباسية

(171) علق المؤلف رحمه الله على ما هنا بقوله : « النفحات » ويعنى كتاب ذلك الروداني الذى قال فيه : وسيتها « نزهة الالباب » فى ذكريات الاحباب « وقد اقترح بعضهم ان تسمى « نفحات الشباب » ولك ان تختار ما تشاء من الاسمين - راجع الحاشية 159 -

كانت هي السبب الخاص حتى برز بدوره الى الميدان ، ونزا على زيدان ، بعد ما كان ، اخذا بحجرته (172) ، قائما بنصرته ، يوم زحف اليه أبو محلي ، الا اننا لم نعلم بين يحيى وزيدان الا محاربة كلامية تدولت بينهما مراسلة ، واما ما بينه وبين أمير ايليخ فقد صرح الشر بينهما ، وكانت معارك شتى ، وفي التاريخ ما يلي :

« لما نار الفقيه أبو زكرياء سار الى تارودانت فتغلب عليها وملكها من يد أبي حسون - بودميعة - بعد ان وقع بينه وبينه معارك ومقاتلات كبيرة » (173) .

كذلك اصطدم ابناء الشيخين سيدي سعيد بن عبد النعيم وسيدي احمد بن موسى ، وتطاردوا في ميادين الملك ، فكان لم يكن بين جديهم ما بينهما من المواصلات الربانية ، والاخوة الصافية ، وهذه عقبى الاطماع والارتقاء على الدنيا ، فانها تدنس الاعراض ، وتقطع الارحام ، وتباعد ما بين الوداء .

من ذلك النص نعلم تعدد المعامع بين الرجلين ، ثم انتهت بنزع يحيى قاعدة سوس تارودانت من بودميعة بعد ما انخرطت اولاً في ايلته ، ومن تصفو له تارودانت تصفو له كل قبائل راس الوادي من أولوص (174) الى أكادير ، الا ان أكادير نفسه لا يزال فيه ولاية زيدان الى ان انتزعه منهم بودميعة كما ياتي :

(172) الحجرة كالمقدمة معقد الازار ، وموضع التكة من السراويل ، يقال فلان طيب الحجرة أى عفيف ، وشديد الحجرة أى صبور ، وهذا كلام ، اخذ بعضه بحجرة بعض أى متناظم متناسق ، وكذلك كان يحيى مع زيدان من قبل متناظرين منتظمين

(173) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ص 123 . ج 3 ، الاستقصاء »

(174) راجع الحاشية 28

وقد تكون هذه الثورة من يحيا حوالي 1023 هـ في الوقت الذي يرنح فيه الراس الى الامارة العامة ، وان يكن ابتداء امره انما هو لاجل مدافعة بودميعة باسم زيدان ، ثم لم يصرح امره الا بعد ، وايا كان فقد استطاع يحيا ان يقتطع من ايالة بودميعة منطقة تآتمر بأمره ، وقد ذكر اسم قبيلتي ادا وكنسوس واولاد جرار (175) بين القبائل التي تآتمر بأمره سنة 1022 هـ ، ولكن القبيلتين خرجتا من يده بلا ريب يوم تنضم تارودانت الى بودميعة ، ضرورة ان مواطن القبيلتين تقع فيما بين ايليغ وتارودانت ، ولا يتصور ان تستولى ايليغ على تارودانت ما لم تتمكن من ازاغار الذي هو موطن اولاد جرار ، ومن الجهة التي فيها قبيلة ادا وكنسوس ، ويكاد موطنها يطل على السفح الشمالي للاطلس الصغير ، وهو السفح المشرف على رأس الوادي (176) ولا نشك الآن كثيرا في كون هاتين القبيلتين رجعتا بعد الى ايالة يحيا اثر ثورته ، لأن موقعهما لا يساعد على ذلك ، فأما اولاد جرار فان كان المقصود هذه القبيلة الموجودة الآن في ضواحي تيزنيت ، وهي بين سحر ايليغ ونحره (177) ، فيبعد كل البعد ان تؤول اليه لأن كل ما في ايدينا يدل على ان ايالة بودميعة كانت من أول وهلة ممتدة الى هشتوكة وماسة ، ثم لم يتقلص ظلها قط عن تلك الجهة ، فلا يتأتى الا ان تظل دائما في ايالة ايليغ ، نسم هناك جراريون آخرون يذكرون في جهة ايت باها إلا انهم لم يحملوا فيما نعلم اسم هذه القبيلة عند الاطلاق ، على ان ايت باها وقعت في موقع يبعد ايضا ان تمتد اليه يد يحيا .

(175) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ذكرت القبيلتان في الرسالة التي ارسلها يحيا الى ابي محلي ، وهي في الاستقصاء »

176 المراد بالوادي هنا وادي سوس الذي يشق القطر السوسي من اعلى اولوس ليصب في البحر حوالي اكادير ، وبهذه المناسبة ننبه القارئ الكريم الى ان في اللغة البربرية كلمات كهذه فيها زاي مفخمة ويكتبها السوسيون صادًا مفعودة اي عليها ثلاث نقط اما ابن خلدون فقد ذكر في مقدمته ان النواحي البربرية التي شاهدها تكتبها بصاد وسطها زاي لتدل الصاد على تلفخيم الزاي وذلك ككلمة اولوس هذه - بفتح الهمز وتسكين الواو الاولى - ومثلها تاماصط قرية عياد السوسي ، وكاماريف وكناصاليت بمعنى الصلاة ، ورأس الوادي يطلق على اولوس فما حوله

(177) النحر معروف والسحر بفتح السين واسكان الحاء وفتحها وضم الاولى واسكان الثانية الرينة وبين السحر والنحر هو المصدر ، اي ان اولاد جرار متصلة بايليغ فيبعد ان تمتد اليها اطماع غيره

ولهذا نرى ان الحد بين اiale يحييا واiale بودميعة فى هذه الناحية امتد من شرقي هشتوكه فيمر بسفح الاطلس الصغير من الجنوب الى الشرف الى سكتانة ، فالاطلس الصغير كله لبودميعة ، كما ان الاطلس الكبير ليحييا فى الجهة التى توالى تلك الناحية ، وهذه المنطقة التى ليحييا وفيرة القبائل حتى استطاع ان يجمع منها جيشا عظيما يلبي به استفانة سلا يوم استفانات به (178) ، فقد قيل ان جيشه (179) وصل مائة ألف ، وذلك فى سنة 1025 هـ فقد وصل بالجيش الى ايميتانوت ثم رجع بامر زيدان ، وبامتثال يحييا امر زيدان سنة 1025 هـ نعلم انه لم يصرح بعد امره الى مجابهته فى تلك السنة ، ومن قدر هذا الجيش ، وان كان يظهر فى تكثيره غلو ومبالغة ، نعلم ما استطاع به يحييا مدافعة بودميعة عن تارودانت وكل راس الوادى الى هواره .

هذا ما اصطدمت واياه ايليخ يوم قامت للامارة ، ولم نعلم لها معاندا «آخر فى كل سوس سم» ، يحييا هذا ، بل جرى على الالسنه ان كل السوسيين دخلوا فى بيعة امير ايايخ طواعية من اول يوم بلا حرب ، وذلك ما كان ينتظر من السوسيين نحو ابن شيخهم الجليل سيدى احمد بن موسى ، فلولا يحييا لتجاوزت بيعة بودميعة فى فجر يومها الاطلس الكبير الى حاحة فالحوز ، الا انه وقف وقوف المعاند فتوقف كل من اليه ومن وراءه من اهل الاطلس عس البيعة ، وفى جهة الصحراء من الجنوب ، وكذلك فى جهة الشرق الى تخوم درعة كان الناس يتتابعون فى الانخراط فى البيعة ، فقد صفا ما بين تخوم درعة الى ساحل البحر المحيط السوسى لبودميعة فى الوقت الذى كان فيه يحييا وجيشه العتيد يدافع حكم بودميعة عن جهات تارودانت .

(178) علق المؤلف على ما هنا بقوله : « الفوائد الجمة » وقد تقدم الكلام عنها مرارا

(179) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « من مجموعة فيها وقائع سوسية توجد فى كتاب بالخزانة العامة بالرباط »

درعة تنضوى تحت ايلغ

أول سنة أطلت فيها ألوية أهل الساحل - كما يسمى به السوسيون اذذاك في درعة وما إليها - هي سنة 1029 هـ (180)، فقد زحف جيشهم بقيادة سعيد بن عبد الله المراكشي، فدارت رحا الحرب بينه وبين الزيدانيين الراسخين في القصبة المخزنية القديمة - تونزولين - فدامت المعارك أكثر من ثلاث سنين هلك فيها كثير من الجانبين حتى عقد النصر لراية السوسيين فاستولوا على ذلك الوادي الطويل من اعلاه الى اسفله، وقد صرح بعض أهل ذلك العصر ان درعة لم يحتلها بودميعة الا بعد موت يحيى، الا ان الذى يظهر جمعا بين النصين ان سعى بودميعة فى ذلك ابتداء قبل موت يحيى بسنين ثم لم تنزل الحرب سجالا بين الجيشين حتى صفا الامر للسوسيين بعد موت يحيى سنة 1035 هـ، وهذا الجمع هو المتعين بلا ريب، فان العقل يقضى ان لا يتم الامر الا شيئا فشيئا، وحين كان الزيدانيون يدافعون عن ذلك الوادي الذى يعتبرونه موطنهم الاصل كانوا ولا بد يدافعون بقوة ومصابرة تسترسل سنين، وهذا الذى قضى به العقل هو الذى تأيد بعينه بما ترى فى صفحة 190 من الجزء الثالث من السلسلة الاولى المطبوعة فى فرنسا من مجموعة دى كاسترى، نقلا عن كتاب «أهل الأندلس الواردين على سلا وعلى العياشي» (181) لما تكلم صاحب الكتاب على القرصان من أهل سلا وما كانوا يأتون به من العبيد من شواطئ اسبانية، قال: «ان مولاي زيدان الف منهم جيشا جعله تحت قيادة الزاروى قائد سلا - واسمه عبد العزيز - وهذا الجيش مؤلف من 400 جندي (182) ارسله للحاق بمحلة (183) كانت تحارب فى درعة جيش سيدى

(180) علق المؤلف على هذا المحل بقوله: «من تلك المجموعة فى المكتبة العليا بالرباط، ويعمهم منها فى محل آخر ان ابتداء الحرب هناك كان سنة 1031 هـ، بل صرح بذلك، وتلك المجموعة كتبت بخط محرف كثيرا، وانما يستأنس ببعضها»

(181) راجع الحاشية 77

(182) علق المؤلف على ما هنا بقوله: «وهريسون الانجليزى ذكر انهم الف، كما علقه على ذلك صاحب المجموعة»

(183) المحلة: المحل يحله القوم وينزلون فيه، فهو محل لحلولهم، كالحلة بفتح الحاء وكسرهما، وحيث ان الجيوش اذا عسكرت بالمحل فقد حلته اطلق المغاربة على الجيش محلة وذلك هو المراد هنا.

على بن محمد - بودميعة - ، ولما طال العهد على الجيش ، وقلت المؤونة شق الجيش العصا فرجع الى سلا وحاول قائده المذكور ان يرده مرة اخرى فاخفى في محاولته ، لان هؤلاء الأندلسيين مفترون بقوتهم ، فقرروا اعلان استقلالهم باطنا الا أنهم أخفوا مقصدهم ، فكتبوا الى المولى زيدان يعلنون له ولائهم وتشبثهم بعرشه ، ويقترحون استبدال هذا القائد بقائد آخر ، فأمر زيدان باعتقال الزاروى سنة 1625 م - ، ثم قتل سنة 1626 م - ، فارسل اليهم قائدا «آخر اسمه المملوك حاجب في «آخر شهر مارس 1627 م »

أقول ان في هذا النص ما نفهم به سبب اندحار الزيدانيين من درعة سنة 1625 م - وتوافق عام 1034 هـ - من ان ذلك بسبب قلة المؤونة وعدم طاعة الجند ، فنكص على عقبه ، فاخلى درعة للجيش السوسى ، وذلك بعد مارس 1627 م (184) - الموافق عام 1036 هـ - ، وذلك هو الذى انفصلنا عليه قبل ، وقد علمنا الآن اسم القائد الزيدانى المدافع عن درعة وهو عبد العزيز الزاروى ، كما عرفنا قبل القائد السوسى المهاجم لها وهو سعيد بن عبد الله المراكشى .

تأسيس ايليخ

اشتهر الآن فى الأحاديث ان منشأ «ال بودميعة من حصن تاكوجكالت ' وهو موضع حصين فوق جبل عال مشرف على بسيط تازروالت شرقيا ، توفر فيه الماء والحواجز الطبيعية للدفاع ، قالوا انهم لم يزالوا هناك حتى اسس بودميعة مدينة ايليخ ، وهذا القول تؤيده الرسوم القديمة ، فان الاراضى التى تسقى بعين تنفجر عند حصن تاكوجكالت قد صارت الآن كلها الى ايدي المجاطيين ، ولكن صارت اليهم بالشراء من افراد هذه الاسرة ، وكل من لا يشتري منهم لا يعد ملكه صحيحا ، وهذا امر ذاع وشاع ولا ينكره أحد ، هـ¹ مع ان مساكن «ال الشيخ هي قرية الزاوية ازاء مشهده ، ولا يمكن عادة ان ينتقلوا منها الى مثل مكان ذلك الحصن الا لضرورة ماسة .

(184) علق المؤلف على هذا الخل بقوله : « ان كان اعتقال الزاروى من درعة وتعيينه¹

هناك ، والا فيكون اخلاء درعة قبل هذا التاريخ »

قالوا ان سبب تأسيس المدينة « ايلخ » ان الأمير كان يصطاد يوما في تلك الناحية فاعجبه المكان فاستخار الله فشرع في تأسيس دار فيه ، ثم بدا له فتوسع في المشروع وجعل المكان عاصمة امارته ، لان ذلك الحصن الموجود في قنة الجبل لا يمكن ان يصار اليه من تازروالت بسهولة ، ولا يتأتى ذلك الا من جهة مجاط فقط ، واما من غير هذه الجهة فالتسلق اليه من الجبال الشديدة الوعورة صعب ، ثم ان ما كان يحفز اسلافه الى الانجحار الى ذلك الحصن - ان صح انهم احتاجوا في وقت ما الى الانجحار فيه فرارا من عدو - قد زال الآن بعد ما تمهدت الامارة وتوطد الامر ، وكانت كلمتهم على أهل جوارهم من الناس هي العليا ، ولا ينبغي للامارة ان تتحصن الا وراء حرابها ، والحاجة الآن في وقت الامارة ماسة الى ما تتوفر فيه العمارة وتظهر فيه ابهة الرئاسة اكثر مما تمس الى حصن في قمة جبل ، ثم ان هذا الحصن مع كل هذا قريب من العاصمة الجديدة ولا يبعد عنها الا باميال غير كثيرة ، ومتى احتيج اليه فانه على طرف النمام (185)

اجتهد الامير في ادارة السور على العاصمة المؤسسة ، وفتح فيها أبواباً مختلفة ، وانتدب الناس الى سكنها ، وقد فصل فيها اسواقا مختلفة بدكاكين مصفوفة ، وجعل لها أربعة أبواب : باب العين وباب ازاغار ، وباب تالعينت وباب الملاحين ، هكذا وجدناه مقيدا (186) ، بيد بعض من يظن بهم عدم الاعتساف ، وقد ذاع ان الامير فرض السكان على القبائل ليرتحلوا من فراههم الى المدينة الجديدة لتعمر بهم ، ولا يزال معروفا الى الآن في شرقي المدينة وفي غربها محل ينزل فيه الافرانيون والاعراب الصحراويون ، فكثرت فيها الناس ومال اليها التجار وغيرهم من ارباب الحرف .

185 النمام كالفراغ نبت ضعيف قصير ، وكون الشيء على طرف النمام معناه انه سهل التناول

186 علق المؤلف رحمه الله على هذا المكان بقوله : « بعض علماء سوس من أهل الثاني عشر ، وقفت على المقيد في خزانة بالفاجعة ولا اعرف اسم هذا المقيد »

ومما يتعلق بذلك ان طائفة من الاسرائيليين اتخذوها مسكنا فأسسوا فيها كنيسة يؤدون فيها شعائر دينهم ، فحدثت بعد ذلك محاورة بين الفقهاء فيما اذا كان يجوز احداث كنيسة جديدة في بلاد اسلامية أولا ، فمنهم من مال الى ان ذلك معمول به منذ الفتح الاسلامي في كل المدن الاسلامية المحدثه على ايدي المسلمين ، فكم بلد محدث أسست فيه الكنائس ، ومنهم من اصم اذنيه وابتى ان ينقاد ، فتضاربت فتاوى الجزوليين ، فرفع الامير سؤالا في الحادثة الى قاضي الحمراء سيدي عيسى السكتاني السوسي (187) فاجابه في الموضوع ، والسؤال والجواب موجودان في كتب التاريخ (188) ، وانما يهمنا من السؤال هذه الفقرات :

(187) أحسن ما نترجم به هذا العلامة هو ان ننقل بالحرف ترجمته من صفحة 15 من الجزء الخامس من الممسول لانها تغطي عنه نظرة عامة وموجزة ايضا : « عيسى بن عبد الرحمن السكتاني ابو مهدي قاضي تارودانت ثم قاضي مراكش ، صاحب الفتاوى الشهيرة ، وصاحب القضية المملومة بينه وبين يحيى بن عبد الله بن سعيد الحامي ، يوم عزم على ما عزم عليه ، وقد اطلعت على مراسلة بينهما وهي في الاستقصاء ولم تحضر عندي الآن .

وعيسى السكتاني اشهر من نار على علم ، وذكره في التواريخ كلها يتأرجح للقارئ طيبة . فلا نطيل بسوق ترجمته وان كان من اعيان السوسيين لاننا لا نأتي فيه بجديد ومجموعة فتاويه مشهورة وفي الفتاوى البرجية - راجع الحاشية 188 - بعض فتاويه ، وهناك مراسلة في قضايا بينه وبين تلمينه ابن يعقوب - هو العلامة الكبير الصالح المتوفى عام 1052 بتزاموت بجزولة ، ترجمته في نفس الجزء من الممسول - يصفه فيها عيسى بفتيه سوس ويحليه احسن تحلية ، توفي وهو على قضاء الحمراء في 7 صفر عام 1061 هـ ، وهو ركراكي النسبة فيما اشتهر عنه ، وفي (الفوائد الجيدة) ذكر له كثير .

ويعني رحمه الله بقوله « يوم عزم على ما عزم عليه » يعني من الوثوب على السلطة والاستحواذ على الملك ، والمراسلة التي بين يحيى وبين ابي مهدي في « نزعة الحادي » وهي مفيدة لمن اراد ان يعرف نفسية الرجل التي رفعت قدره بين اهل عصره ، ومضمتها نهيه له عن الثورة على السلطان الشرعي وتأييد النهي بالنصوص الشرعية والافكار المنطقية

(188) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ص 132 ج 3 الاستقصاء ، وفي الفتاوى البرجية فتاوى جزولية في الموضوع - مخطوط »

وهذه الفتاوى البرجية هي مجموعة فتاوى لفقهاء سوسيين موثوق بهم ، وانما قيل لها البرجية نسبة الى جامعها أولا ، ثم مرتبها ثانيا ، فجامعها هو القاضي علي بن محمد بن ابي بكر البرجسي الرسومي المتوفى اواخر القرن الحادي عشر الهجري ، واما مرتبها فهو العلامة محمد بن احمد بن مسمود المتوفى في اوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وقد قال في اولها : « هذا تقييد نبذة من اجوبة جماعة من المتأخرين من فقهاء سوس من مقربنا الاقصي ، رضى الله عنهم وحياهم من الخير ما لا يحصى ، حسبا وجدتها مرقومة بخط الفقيه القاضي سيدي علي بن محمد بن محمد بن ابي بكر ابن احمد بن بن يعقوب الرسومي مختلطة غير مبوبة ، وفصلتها اثني عشر بابا مرتبة تقريبا لشور الطالب على المطلوب »

« وبعد فقد تقرر عند سيدنا امر هذه الحضرة العلية العلوية « ايليج »
آدام الله بهجتها ، كما رفع كفيرها من الحواضر درجتها ، وانها محدثة فتوفرت
ببركة بانيتها عمارتها ومبانيها ، فاتخذها مسكنا أهل السهول والحزون ،
وجمعت لطيب تربتها بين الضب والنون » (I89)

من هنا نعرف كيف ينظر الامير وحاشيته الى مدينتهم ، فهي في
نظرهم « كفيرها من الحواضر » ، أي كالقاهرة في نظر المعز وحاشيته جوهر
وشيعة ، وكبفداد في نظر المنصور العباسي وأهل سواده ، وكمراكش في
نظر يوسف بن تاشفين وفقهائه ، وكفاس في نظر المولى ادريس والملتفين
حوله من بربره وعربه ، « فلها بهجتها ، ورفعت درجتها » كما رفعت درجات
سواها ، وقد توفرت عمارتها وسكنها مختلف طبقات الناس فجمعت ما بين
الضب والنون ، وأهل السهول والحزون ، فذلك ما قاله في ايليج الأولون ،

(I89) الضب حيوان برى يقولون انه لا يرد الماء ابدا ، والنون نوع من السمك ، فكان
اجتماعهما من المستحيل حتى صار مثلا في الاستحالة ، غير ان بعض المحرومين من الادباء وهو
ابو اسحاق الصابي يرى ان اجتماعهما ربما كان ممكنا ، وان الأكثر منه استحالة هو اجتماع المال
والادب فقال :

قد كنت اعجب من مال وكثرته	وكيف تففل عنه حرفة الادب
حتى انشئت وهي كالفضي تلاحظني	شزرا فلم تبق لي شيئا من النشب
واستيقنت انها كانت على غلط	فاستدركته وافضت بي الى الحرب
الضب والنون قد يرجي اجتماعهما	وليس يرجي اجتماع المال والادب

وقد ولع الناس بمدح المنازل الواقعة على المياه كالانهار والبحار لما في مواقعها من الطرافة
والتسلية بامطياد حيوانات البر والبحر معا ، ومن احسن ما ورد في ذلك قول شاعر يصف موقع
قصر كان بالبصرة :

زر وادي القصر نم القصر والوادي	لابد من زورة من غير ميماد
زوه فليس له ند يشاكله	من منزل حاضر ان شئت او بادي
تجد به السفن والظلمان حاضرة	والضب والنون والسلاح والحادي

والظلمان جمع ظليم وهو ذكر النمام ، والضب والنون تقدما ، والملاح هو النوتي اي العامل
في السفن البحرية ، والحادي هو الذي يحدو الابل اي يرتجل لها الاراجيز لتنشط للسير

ثم قال فيها حديثا - بعد ما هدمت ايلينج القديمة واقامت في محلها ايلينج الحديثة - بعض الأدباء (190) من سكانها اخيرا من ابيات :

ايلينج ارض خيرها واسبع وفضلها ليس له دافع
يا من يسوى ما سواها بها هل يستوى المعتر والقانع
حسبها در وتربتها مسك وان عرفها ساطع
ونبتها الريحان يشذى بها من حلها في راحة حاجع

ثم ان اسم ايلينج مشهور لمواطن متعددة من قرى سوس ، فهناك قرية في قبيلة ادا وزكري وأخرى في الفاتجة آزاء تاتلت (191) ، كلتاها تحمل هذا الاسم عينه ، وما يقوله بعض الناس من ان اصل هذه الكلمة واطلاقها على تلك العاصمة نشأ من قول الامير حين رأى المحل يوم الصيد المتقدم قبل فاعجبه موقعه : ايليق (أى يليق) ، يقصد ان هذا المكان لائق (192) معجب يصلح للسكنى ، ثم اطلقت كلمة « ايليق » على المكان عند تأسيس المدينة فيه ، ثم تغيرت الكلمة بتطاول الزمان وتداولها في الألسن الى « ايلينج »

(190) علق المؤلف على ما هنا بقوله : « سيدى محمد بن احمد الغياطى من المتخرجين من مدرسة الخ ، وبقية الابيات في ترجمته في المسول » فحضرنا على ترجمته في «آخر الجزء العاشر منه ، وقال عنه المؤلف فيها انه مولود سنة 1306 هـ ومات سنة 1346 هـ ، وانه من الاسرة المينية المسكدادية المذكورة في جزئه 13 ، وانه كان يتولى القضاء في ايلينج كابيه وجده ، وان له قطعة يعارض بها عينية الامام السهيل الغنعمى دفن مراكش سنة 581 هـ المشهورة في التوسل ، والتى اولها :

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع انت المعد لكل ما يتوقع

واما بقية القطعة المذكورة فى الاصل فالذى وجدناه فى المسول بيتان فقط وهما :

رب غفور بلد طيب بمانه ، وروضه يانع
ذات الظلال والمياه التى معينها من كوثر نابع

(191) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « انتقل الزكريون من تلك القرية بالفاتجة فنقلوا معهم اسم قريتهم ، هذا ما يقولون »

(192) علق المؤلف على هذا المحل : بقوله : « لاق الشيء يليق ، فاللفظة عربية ثم تسلمت كثلاف غيرها تتبعناها فى كتاب خاص يسر الله اتمامه »

كل هذا يدفعه ان هذا الاسم معتاد ان تسمى به البلاد كما رايت ، والغالب ان المكان كان يحمل ذلك الاسم قبل تأسيس المدينة فيه ، لأننا لم نر من الاسم ما يدعو الى اختياره كاسم عاصمة ، ولو كان ذلك الاسم متولدا من اختياره عند التأسيس لصار ولا بد مما يدل على مباهاة كما تراه فى اسم الزهراء والزهارة والباهية والقاهرة ورباط الفتح ، وسر من رأى (I93) ، ومثل ذلك ، وكان من قال هذا رأى ما قيل فى التسمية بمراكش وفاس فاحب ان يتحدثلق بدوره ، والحقيقة ان مؤسس ايليج هم كمؤسس فاس ومراكش كلهم سدج بدويون لا يهتبلون بالاسماء كما يهتبلون بالمسميات ، على ان دفع ذلك المقول يكفى فيه ما مر من سؤال الامير للقاضى عيسى السكتانى ، وقد سمي العاصمة ايليج ولما يمض على بنائها اذذاك الا سنوات ، ولما تتداول الكلمة حتى يمكن تأثير الالسنه فيها .

ومثل هذا يقال ايضا فى الذى قالوه - كما مر - فى كون الامير خرج الى الصيد فرأى المكان فاعجبه ، وقال ان هذا المكان يليق للسكنى ، فان هذا لا يقال الا فى الامكنة البعيدة التى لا تطرق كثيرا ، واما ذلك المكان فانه تحت انف قرية الزاوية التى ينشأ منها كل ءال الشيخ ، وقد مرت به الطرق ولا يمكن عادة ان يجهل الامير المكان من صغره ثم لا يتفطن لحسن موقعه الا بعد امارته ، وكان ناسج الحكاية تحدثلق ايضا فأراد أن يكون حول تأسيس ايليج ما يشبه ما عرف فى التاريخ عن تأسيس فاس ، ولم يدر ان بين المكانين بونا بعيدا .

هذا وقد أكثر التفتيش عن وقت تأسيس هذه المدينة فلم أجد ذلك عند أحد ، الا اننى بينما كنت افتش فى خزانة ازاريق (I94) اذ وجدت قى طرة كتاب ما نصه بعد ذكر اسم بودميعة :

(I93) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « اسس الزهراء عبد الرحمان الناصر والزهارة ابن ابي عامر ، والباهية بمراكش الوزير احمد بن موسى ، والقاهرة جوهر باسم المعز ، ورباط الفتح يعقوب المنصور ، وسر من رأى المعتصم العباسى »

» وشرع فى بناء ايلينغ سنة 1021 هـ ، وسكن فيه سنة 1031 هـ ، فعرفنا ان الامير صمد الى تأسيس عاصمته بمجرد ما بويج من الناس ، ثم استمر البناء عشر سنين ، ثم اتخذها له ولحاشيته مسكنا ، ولا ريب انه لا يزال بعد ذلك يزيد فى بناياتها ، وسترى فى فصل ما بينه وبين الأوربيين انه كان يستخدم اسراهم فى البناء ، فسبق المولى اسماعيل فى استخدامهم ، فقد علمنا ان غالب بنايات مكناس كان بايدى هؤلاء الأسرى .

قد زرت اطلال هذه المدينة سنة 1361 هـ فرأيت شارعا من شوارعها يشقها من نحو الشرق ، وحواليه آثار دكاكين التجار لا تزال اسسها ظاهرة بينة ، وفى هذا الشارع دار الامير الواسعة ، واثارة بارزة (195) ، من بينها موضع حمام وهرى كبير ، وفيه ايضا المسجد الجامع ، وهو غير بعيد من الدار ، وهناك موضع السجن وهو سرداب محفور تحت الارض ، تذكرت حين وقفت عليه سجن البديع وسجن مكناس ، وباب هذا السجن لا يزال مفتوحا يشبه باب مطورة ، وقد درت حول ما بقى من أساس السور فتراه لى ان المدينة المسورة بهذا السور الذى نراه غير متسعة فهى دون السويرة (196) بكثير ، ولا تزال جدران صغيرة تقف باسافل بعض ابراجها ، وهى دون القامة ، والسور مبنى بلوح المركز ، وبعض الابراج يسمى الصقالة (197) فدل هذا الاسم على ان المدافع وضعت هناك ويظهر لى ان هذا المسور انما هو دار

(195) الاثارة والاثرة بضم الهمز واسكان المثلثة : البقية من العلم والكرمة المتوارثة ، والراد هنا البقية مطلقا

(196) المراد بها المدينة المشهورة حالا فيما بين الشياطة وحاحة والتي هى من تأسيس السلطان المولى محمد بن عبد الله ، اسسها هناك ليخفق بمرساها امر مرسى اكادير الذى كثيرا ما يستبد به الثوار السوسيون فيتجرون منه مع الاجانب الاوربيين ويستوردون منهم الاسلحة لمقاومة السلطة المركزية الشرعية كما وقع ايام بودمجة نفسه ، وهناك مدينة اخرى قديمة تحمل نفس الاسم تبعد عن هذه الجديدة بنحو 17 كيلومتر ، وعامة الناس يكتبونها بالصاد ، غير ان حذاق الادباء كالمؤلف يكتبونها بالسین اخذا لها من السور ، راجع صفحة 175 من ثانى فهرس الفهارس (197) الصقالة تطلق على المكان الذى توضع به المدافع للدفاع عن المرافىء

الامير وحاشيته فقط ، وقد اخبرت ان الابنية اتسعت خارج هذا السور بكثير ، ويصدق هذا الخبر وجود اطلال كثيرة ممتدة الى بعيد ، فهناك المحل الذى يقطنه الافرانيون ، وكذلك المحل الذى فيه منازل الاعراب ومسكن اليهود يبتعد عن هذا المسور ، فبذلك ندرى ان كل ما تنتشر فيه اليوم قرية ايلينج الحديثة كان اذذاك مسكونا معدودا من المدينة أدير عليه سور آخر قد تهدم ايضا ، وكثرة الجداول المندثرة ووجود اطلال منتشرة فى خارج هذا المسور مما يقوى ما يذهب اليه الناس هناك ، وقد وقفت فى وسط اطلال الجامع فجال فى نفسى تلك الدروس العليا التى كانت تلقى فيه ، فكأننى ارى اليوسى الوارد على ايلينج يجلس فى احد جوانب الجامع يستمع الى احد العلماء الذين كان يأخذ عنهم اذذاك (198) ثم تذكرت ايضا ازدحام الناس فى هذا المسجد يوما اثر قيامهم من مجلس احد الوعاظ ، فادت شدة الزحام الى موت أحد الحاضرين (199) ، وبعد ان قضيت فى جولتى حول ذلك ما قضيته فى

(198) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « فهرس اليوسى - مخطوط - » واليوسى هذا هو العلامة الجليل المفتوح عليه المدرس الكاتب الشاعر المحدث المفسر وعلم جرا ، ابو على الحسن ابن مسعود بن محمد بن على بن يوسف بن داود بن يدراس اليوسى البوحدوي ، وفهرسه قليل توجد منه نسخة فى الخزنة العامة بالرباط ، ذكر فيه عن ابتداء تعلمه ان الحياء من استئذان استاذ الكتاب للذهاب لقضاء الحاجة كان ينفره من التعلم ، وكثيرا ما تظاهر لاهله بانه ذهب الى الكتاب فى حين انه انما يختبئ الى ان يخرج التلاميذ فيذهب الى البيت كانا كان فى الكتاب فعمل اهله ذلك فزاروا به ضريح الشيخ ابي يعزى فدعا الله عنده ان يمنحه العلم والسال والحج فادركها كلها . وقد بلغ من علمه انه حج صحبة ولده ابي عبد الله محمد عام 1101 هـ فلم يستجيزا احدا من علماء المشرق مصريين وغيرهم اكتفاء بما عندهما من العلم ، ومع ذلك فقد ناله الزمان واهله بما يتالون به امثاله من اهل الفضل والصلاح مما هو معروف فى ترجمته الموجودة بكثرة ، وقد ضرب فى كافة انحاء القرب بحثا عن كبار العلماء ليأخذ عنهم فأخذ عن اهل زاوية الدلاء وعن ابن ناصر بدرعة وعن عبد العزيز الرسموكى فى ايلينج واثنى فى فهرسته على علمه وطريقة تدريسه - راجع الحاشية رقم 203 وتلاميذه من فحول العلماء كثير كابى على الحسن بن رحال المتوفى عام 1140 هـ ، وشيخ الجماعة بفاس ابو عبد الله محمد المسناوى الدلائى المتوفى سنة 1136 هـ ، والامام أبى الحسن على بن محمد المكارى الرباطى المتوفى عام 1118 هـ وقد قال فيه الامام ابو سالم العباسى :

من فاته الحسن البصرى يصحبه فليصحب الحسن اليوسى يكفيه

توفى سنة 1102 هـ

199 علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « وجدت ذلك بخط الخياط الجد التازروالتى فى كناش له » ولاخباره تلميح فى ترجمة حفيده «آخر الجزء العاشر من المعسول ، كما ان اخبار جميع اسرته المسكداوية توجد فى الجزء الثالث عشر منه

عشية طلقة (200) وقفت اترحم على تلك الدولة المزهرة ، وعينى شاخصة الى قمة أكمة علياء كانت مدافع المولى الرشيد تلقى منها قذائفها المدمرة على المدينة يوم محاصرتها حتى خر سقف ذلك الهرى المتقدم على كل من التجأوا اليه فهلكوا فى الهالكين ، فصارت المدينة اذذاك نسيبا منسيا الا من ذاكرة التاريخ (201) .

الايلىيون يستردون تارودانت بعد موت يحيى

رايت فيما تقدم ما كان فيه يحيى تجاه بودميعة فقد وقف امامه كالصخرة العظيمة التى تقف فى سيل الوادى فى مخرم من مخارمه ، فقد وقف بقوة عظيمة وصوله عنيفة دون انتشار ايالة الدولة الجديدة ، فيقاومه بكل ما فى مستطاعه مقاومة عنيفة تتكون من قواف ينقذف بها الخيال الشعرى فيكون تأثيرها عند من يعرفها أنسف من تأثير ما ينقذف من أفواه المدافع ، ومن معارك وحروب عظيمة ، حتى قدر ان يزحزحه عن تارودانت حيث بقى نحو ثلاث عشرة سنة يجر النار الى قرصه ، ويفترق قصد امتلاء مزوده ، ولم يزل كذلك حتى قضى نحبه فى سادس جمادى الثانية عام 1035 هـ (202) ، فخلفه فى رئاسة حزبه ابن اخيه احمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد ، فحاول ان يقف امام ايلخ الا انه غير محظوظ ، ويظهر انه ليس له مثل عزيمة عمه ، ولا كان له مثل تأثيره فى الناس ، فان ليحيى شفوفا بعلمه الجم ، وحسس سمته ، وصراحته بما يراه حقا ، ولذلك نرى ان ابن اخيه معذور ان لم يقدر أن يملأ مركزه بكل جدارة ، ولهذا لم يطل به الامر حتى زحف اليه أهل ايلخ

200 علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يوم طلق : معتدل لا حرارة فيه ولا برودة »

201 هم المولى الرشيد ايلخ سنة 1081 تطبيق للمؤلف فى صفحة 310 من الجزء 18 من المصنوع

(202) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « وجدنا ذلك بخط بعض الممتنين بالتقييد »

فلم ينشبو ان احتلوا تارودانت ونزعوا من يده كل تلك الناحية ، ومما يتعلق برجع تارودانت أن الامير بودميعة زارها فكان امام اول صلاة تراويح صلاحها فيها هو القاضي ابو فارس عبد العزيز الرسموكي (203) ، فيمكن ان هذا وقع الآن ، ويمكن ان يقع عند استيلائه عليها من اول مرة (204) .

هذه تارودانت رجعت الى ايلة ايلخ ، ولكن كيف رجعت اسلما ام حربا ؟ وفي أى سنة رجعت ؟ اما كيف رجعت فانها رجعت سلما ، وسترى من الرسالة الآتية ما يدل على ذلك ، والحامل على ضعف أحمد بن محمد خاف يحيا هو وقوع خلاف بين جيشه ، واليك نص ذلك ، ففي ص 40 ج 3 من السلسلة الأولى . فرنسة . ما نصه (205)

« انقسم جيش يحيا الى ثلاثة أقسام : أهل مراکش مكثوا مخلصين للمرابط - يعنى بودميعة - وأهل سوس مخلصون لابن اخي يحيا او ابن اخته ، وأهل حاحة التحقوا بعبدة » .

وفي ص 358 من نفس الجزء أيضا بين مذكرات عن المغرب :-
نصه :

(203) هو الملامة الجليل القاضي عبد العزيز بن ابي بكر بن احمد الرسموكي البرجسي من قرية البرج برسموكة ، - راجع الحاشية رقم 198 - اخذ عن الشيخ الكبير عبد الله بن يعقوب الذي درس بتازاموت خمسة وثلاثين سنة حتى الحق الابناء بالآباء واجداد والمتوفى بها سنة 1052 هـ عن 84 سنة ، كما اخذ عن ابي مهدى عيسى السيكتاني بتارودانت - راجع الحاشية 187 - وقد عظم شأنه في حياة شيخه الأول ، وصار من جهازة علماء سوس علما وعملا ، ساجل بمضى أهل مراکش في الفقه والادب فيلزمهم ، وتولى القضاء بإيلخ وفيها ورد عليه اليوسى واخذ عنه واثني في فهرسته على ذكائه وسعة علمه ، وله تاليف عديدة مفيدة ، توفي شهيدا بالفرق في احد انهار هشتوكة بسوس يوم الجمعة تاسع جدى الثانية سنة 1065 هـ ، ترجمه الحضيكي في طبقاته ، والرسموكي في وفياته ، واليوسى في فهرسته ، واجمل المؤلف كل ذلك عنه رحمه الله في ترجمته ابتداء من صفحة 20 من الجزء الخامس من الممسول

(204) احوال المؤلف هنا على ما تقدم في رقم - 202

(205) يعنى من كتاب ديكاسترى المترجم في الحاشية - 128 -

« وتارودانت مدينة جميلة على بعد نحو 12 من اليابسة (206) ، وهى فى قبضة صالح ماسة اشتراها من صالح «آخر بمثنى دوكة فقط (207) .

اقول : عرفنا الآن وقوع الخلاف بين الجيش الذى خلفه يحيى ، وان المراكشيين منهم هم الذين سهلوا استيلاء بودميعة على المدينة ، كما عرفنا انه دفع فى تملكها دراهم معدودة لبعض الخائنين من المرابطين فى الحاشية التى بقيت بعد يحيى ، ولا نخال ان احمد بن محمد خلف يحيى هو الذى تولى ذلك بنفسه ، وانما الذى يظهر ان ذلك صدر من بعض المخالفين عليه من اهله .

واما السنة التى رجعت فيها المدينة الى بودميعة فهى سنة 1039 هـ بعد موت يحيى بثلاث سنين ، وسترى النص على ذلك .

من تأمل كيفية رجوع هذه المدينة بسبب الدعاية فقط ادرك مقدار ما يتمتع به بودميعة اذذاك من السمعة الحسنة عند الناس لان الدعاية لا تجدى الا مع سمعة طيبة ، وكيف لا يكون كذلك وهو يصيخ الى علماء عهده ويراعيهم ويتقبل ما ينصحونه به ، بدليل انهم يجروون على ذلك بكل طمانينة وبين ايدينا الآن رسالة كتبها اليه قاضى تارودانت ابو زيد التامانارتى (208) اثر استرجاعها نعرضها لان فيها فوائد جلية تبين لنا روح تلك الايام ، وما هى المثل العليا عند ارباب الفضيلة فيها زيادة على فوائد اخرى تتعلق بالموضوع .

قال : ولما ولى الرئيس ابو الحسن الجزولى أمر سوس سنة تسع وثلاثين والى ، بعد وفاة شيخنا أبى زكرياء بن عبد الله بن سعيد الحاحى كتبت اليه بما نصه :

(206) علق المؤلف على هذا المحل بانها على بعد 81 كيلومترا من اليابسة ، وذلك هو الواقع اذ ذلك هو ما بينها وبين اكادير

(207) كلمة اللوكة من اصل لاتينى ، وتكتب بالفرنسية duchal وهى سكة ذهبية ضربت لأول مرة فى البندقية فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وكانت فى اوائل القرن العشرين تعادل 12 فرنكا ، فاذا كانت من الفضة قيل لها سوكاطون ducaton

(208) - راجع الحاشية رقم - 7 - وهذه الرسالة منقولة عن كتابه « الفوائد الجبة » باسناد علوم الامة »

« غوث الدهر وجابر كسره ، وتحفة المغرب وفاديه من اسره ، وجامع امره ، وقامع شره وذممه ، ومحمد ضرام جمره ، الماجد الهمام ، وظل الامس الوارف على الانام ، سيدنا ابو الحسن ابن السيد المبرور ، المنعم المشكور ، ابي عبد الله ابن ابي عبد الله ابن الشيخ الكامل الواصل الرباني ، غوث الاغواث ، وقطب الاقطاب ، الذي يقصر عن احصاء مناقبه الخطاب ، اسوتنا ووسيلتنا ، وشيخ شيوخنا ابي العباس احمد بن موسى بن عيسى بن عمر ، كلاً الله بعصمته علاه ، ووالى فى مراقى العز اعتلاءه ، سلام على مكاتكم المكيّة ، ورحمة الله وبركاته تحفان مقامكم العلى بالوقار والسكينة ، هذا وقد اتصل بمعظم جنابكم فى محل سكناء بقبيلة سندالة (209) فتحكم لقاعدة سوس سلما لا حربا ، فتقاذفت اليكم قبائلها عجماً وعرباً ، فشكرت الى الله من زوال المانع من شق انصا ، لاكاتبكم بما يجب على الاستقصاء ، فاعلم انى كنت استنشق نسيم الأرج ، وارقب من الله الفرج ، وارجو الولوج فى حوزتكم ، والانحياش لشيعتكم ، لما اعلم فى ذلك من صلاح العباد والبلاد ، وانحسام مادة الظلم والفساد ، وكنت اضرب فى وجه من يجهم وجهها ، وينكر تجاهها ، ويصد عن سبيلها ، ويتلوى عن ذكر جميلها ، حتى لقيت من ذلك ما الله يجزى عنه بفضلها ، ويزيح اله بقوته وحوله ، وقد تلقى اهل الحاضرة وسائر من يعتبر من اهل البوادي وهذه الجبال ، هذا الفتح الميمون بالبشائر ، واذاعوا به فى الاهلين والعشائر ، وعدوه غبطة لا توازى ، ونعمة من الله لا تجازى ، واطمانت نفوسهم ، وزال عنهم به بؤسهم ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وبتيسيره وحسن تدبيره تنوالى الخيرات وتزداد البركات ، وقد املوا بهذا الفتح العزيز اعزاز بلادهم ، واحراز طارفهم وتلاذهم ، وحفظ اقطارهم من كل عوار ، ودفاع من عسى ان يثور فيها من الثوار ، والرفق بهم بما تطاير اليهم من رفقكم بما

الى نظركم من الاقطار ، تمم الله ذلك بيمين الاقبال ، والسعد القائم المتوال
هذا فيمن هم بالصلاح ، ولهم بين العباد الفوز والفلاح ، واما فئة البغي
والخسران وطوائف الظلم والعدوان ، فقد سقط في ايديهم ، وشالت نعماتهم .
واختنأ (210) في اسمال الخمول خاصتهم وعامتهم ، وطارت قلوبهم روعا ،
وضاقوا مما نزل بهم ذرعا ، فما وجدوا ارضا تقلهم ، ولا سماء تظلهم ، ولا
امكن لذؤبان خطافهم الا الشرود ، ولا لغربان اذا يتهم الا الطيران بمفتت
الكبود ، وعن زمن قريب بحول الله (يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم
عليهم ويشف صدور قوم مومنين) (211) فيعم بلاد الله الامان ، وتعود كل قرية
«امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان» ، وتأمين هودج الحرم في نجوعها
ورجوعها ، ويسكن روعها في منامها وهجوعها ، وتنسرب شاء الفياض
حيث شاءت برعائها ، وسقبان الفدافد اينما توجهت برغائها (212) ، وتنتهج
مناهج الأمن في فلواتها ، وتسيح في الارض بضخم ذراها وعلواتها ، وتبتهج
طوائف الدين في مناراتها ومساجدها ، والعلوم الشرعية في منصاتها ومعاهدنا ،
والحرف الحاجية في مصادرها ومواردها ، والمعيش في رغدها ورياشها (213) ،
والاسباب في ازديادها وانتعاشها ، حتى يحفظ للمصالح نظامها ، ويتم للبرينة
وثامها ، فآكرم بها خصلة جمعت لكم شرف الدارين ، وضمت لكم من رحمة الله
كفليين ، واوقار المعدلين ، وهى الوراثة النبوية التى يجب على وارثها ان يقدرها

(210) اختنأ اختنأ : انكسر من حزن او مرض فتخشع ، والراد هنا خاف وذل

(211) هذا اقتباس من سورة التوبة ، والافعال فيها مجزومة على انها جواب امر سابق وهو
قاتلوم ، اذ الآية هى قوله تعالى : « قاتلوم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف
صدور قوم مومنين ويذهب غيظ قلوبهم » الآية ، فابقاها صاحب الرسالة على جزمها وان كان سياق
كلامه يقتضى رفعها

(212) السقبان جمع سقب وهو ولد الناقة ، والرغاء صوت الابل والنمام والضباع والفدافد الفلاة

(213) رغد العيش : طيبه وخصبه واتساعه ، والرياش كالكتاب : الخصب والمال وحسن
المعاش ، ولاحق المتاع

قدرها ، ويحفظ من الخسوف شمسها وبدرها ، ويلم بالعدل والتيسير أمرها
وشعثها ، ويجمع بالفضل والاحسان متفرقها ومتشتتها ، ويعظم حرمايتها
وشعائرها ، ويسدد الى مناهج الحق انظارها ، حتى يشكر فى الملاء الاعلى
سعيه ، ويثبت فى ديوان العناية رعيه ، فيصبح فرحا مؤيدا منصورا ، ينقلب
له كل عسير ميسورا ، وكل قليل مباركا موفورا ، واذا فتح الله لسيدنا أيده
الله هذه المدينة وفكها من اسرها ، واستنقذها من وبال أمرها ، فليعتن بها ،
وليختر من يقيم كناسها (214) ، ويظهرها من فاحش ادناسها ، فقد طالما تمخط
شيطان الفجوة فى اطوارها واجناسها ، واجلب بخيله ورجله على اطباق اناسها ،
حتى عطلت بها صوامع يؤذن فيها بكرة واصيلا ، وهدمت منها مساجد يذكر
فيها اسم الله كثيرا ، واستحبوا العمى على الهدى ، وغلبت على طباعهم ألفة
الردى ، وهى على ذلك منذ مات المنصور رحمه الله فى مدة تنيف على خمس
وعشرين سنة ، لم يقيم فيها للعدل فرض ولا سنة ، فتحتاج أيديكم الله
لناس (215) من بطانتكم بحسن علاجها ، ولييب يشرع للرشاد منهاجها ،
ويصرف عن العذب الفرات أجاجها ، حتى يعود الى القويم مزاجها ، وتتسع
بحسن نظره اعمالها وفجاجها ، وقد علم من سيرة سلف الأمة اعتبار الامصار ،
بمزيد الاستبصار ، لكون الاقطار ، بمنزلة العيون والابصار ، وأبهة الاسلام
وعدة الأعصار ، وخصوصا هذه المدينة التى هى كالفاتحة لبقية أمصار المغرب ،
والباب الموصل الى الغرب (216) واقصاء المغرب ، وانتم بحمد الله فى قطر
اشتهر علماؤه ، وامتاز فى الدين فضلاؤه ، قطر نفذ من مشكاة النبوة مصباحه ،
واسفر بالهداية فى الاقاليم صباحه ، وازدان اوله وءاخره ، وفى العلم والديانة

(214) قم يقيم بالضم من باب نصر : كنس ، والاسم القمامة ، والكناس بكسر الكاف بيت الطيب
والمراد من يكنس ساحتها ويظهرها

(215) الآسى وجمعه اساءة كقاض وقضاء : الطبيب

(216) الغرب عند أهل سوس مراكنش فما فوقها الى جهة لاس

مناقبه ومفاخره ، وشهد من مضى من كبار الملوك بشهامته وشجاعته ، وفى عراقة الحسب باصالته وجزالته ، وفى غرر المشاهد الاولية بصلافة عصائبه ، ودربة كتائبه ، فليعرف لهم ذلك ، وليستعن بهم فيما هنالك ، فهم الشعار والدثار (217) ، والرعيلى (218) الآول المختار ، والانصار الذين تباؤوا الدار ، والجناح الذى انتم قواده ، والغارب الذى انتم قوائمه ، فلتبتهج بذلك نفوسكم ، ولترتفع به رؤوسكم ، وما حقكم الا أن تتمثلوا فيهم بقوله :

إذا ما المطايا قد بلغت ربوعها * * * حرمن على الانتقال بعد ظهورها

ثم الأمر الذى هو ملاك (219) الآمور ، واليه مرجع الخاصة والجمهور ، العدل الذى جعله الله عمدة ارضه وسماؤه ، وجعله - تشريفا له - من جملة اسمائه ، به يرفع الميزان ، وبه يقعد على منابر الكرامة عن يمين الرحمان (220) ، وله تنقاد العجم الشرس (221) ، وعليه يعين القطب والجرس (222) ، وبه ترسل السماء ودقها ، وتخرج الأرض بركتها ورزقها ، وبه تعمر الارجاء ، ويتقوى الرجاء ، وفى منطوق الحكمة : « اذا نطق العدل بدار الامارة ، فثق لها بالعمارة » ومن عظم الجرأة على الله ان يشرك احدا فى ملكه ، ثم يدخل عليه الجور فى حكمه ، وفى نصيحة ابن الخطيب :

(217) الشعار من اللباس هو الذى يلى الجسد ، وله معان اخرى غير مقصودة هنا ، والدثار هو الثوب الذى يكون فوق الشعار

(218) الرعيلى الجماعة ، ويقولون الرعيلى الاول اى الجماعة المتقدمة على غيرها

(219) الملاك بكسر الميم : القوام وملاك الشيء قوامه

(220) هذا طرف من الحديث الشريف : « ان المقسطين على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمان وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهلهم وما ولوا عليه »
قال العلماء ومعنى كونهم عن يمين الرحمان : انهم فى حالة حسنة

(221) الشرس جمع اشرس كالحمر جمع احمر : من ساء خلقه وصعبت عشرته

(222) القطب جمعه اقطاب ، والجرس جمعه اجراس هما فى اصطلاح الصوفية من رجال النيب الذين يترقى الى احوالهم المباد والنسائك القاهرون للنفس الامارة المقيدون لها

بالعدل والفضل فاحفظ زر طائره • • فالعدل والفضل ان تعلم جناحاه

والمعين على سلوك هذه الجادة الناجية ، بعد تقوى الله العظيم ،
الاعتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الكافية الواقية ، واتباع
السلف الصالح الذين هم القدوة الصافية ، ثم من بعدهم علماء الامة وحملة
شريعة هذه الملة ، ففي اللجوء الى ذلك السلامة ، وتمام العصمة ، وفي مشورتهم
سقوط الملامة ، وغاية المعذرة ، وقد أشار ابن الخطيب الى هذا المعنى بقوله :

وشاور العلماء المستضاء بهم • • فان معذرة السلطان شورا

وقد استفاض ان الملك الزاهد الصالح باني مدينة مراكش ومتقن
احكام الاسلام في المغرب ، ومطهره من دنس مذاهب الطوائف ، يوسف بن
تاشفين الصنهاجي اللمتوني رحمه الله وجد بركة هذه الخصلة فاتسع له ما لم
يتسع لاحد قبله ولا بعده من العمال (223) ، واجتمع له ما لم يجتمع لاحد من
الجيوش والاموال ، وعمر مئة سنة ، وهو يأكل الشعير ويلبس الصوف في
اكثر الاحوال ، وملك من اقصى بلاد افريقية ومن اقصى بلاد الاندلس ، وسوس
الاقصى في سائر جهاته الى جبال الذهب من بلاد السودان ، ولم يوجد له في
ذلك رسم مكس ولا مغرم ، الا ما يجبي اليه من الزكوات والاعشار واخماس
الغنائم ، والجزية واموال البغاة وطوائف العدوان ، فعلى الوالى العاقل ان
يتعلق بهذه الخصلة التي هي ابقى لعمره ، وافسخ لمدته ، واحصن لحوزته
ورعيته ، ولأن من تعلق بها يجلب بها دعوات اولياء الله تعالى ، وصلحاء المؤمنين
وضعفاء المسلمين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من عباد
الله من لو اقسام على الله لأبره » (224) ومن سعى له في ضدها فقد سعى في

(223) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا صحيح ولو في مقابلة الموحدين لانهم وان
زادوا عليه بالجزائر وتونس وليبية فقد زاد عليهم بالصحراء والسودان ، فتأمل »

(224) هذا حديث صحيح ، وسببه ان الربيع بضم الراء بنت النضر بن ضمضم عمة انس بن
مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر عليه السلام بالقصاص فقال اخوها انس « يا رسول
الله اكسر ثنية الربيع ؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتهما » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« يا انس كتاب الله القصاص » فاذا بأهل الجارية ينفون ، فتعجب النبي عليه السلام وقال : « ان
من عباد الله تعل من لو اقسام على الله عز وجل لأبره » ، وسبب التعجب ان انس اقسام على فعل
غيره الذي لا يعرف ايوافق مراده ام لا ، فابر الله تعل قسمه

قصر عمره ، وخراب دولته ، وتلاشى امره ، فليتحفظ من بطانته من ذلك وليتعوذ بالله وبعصمته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل امير بطانتان بطانة تأمر بخير وبطانة تأمر بشر ، والمعصوم من عصمه الله » وقد سر بنا في المذاكرات في هذا المعنى حكاية عجيبة ، وهي ان ملكا من ملوك المسلمين اعتسف على رعيته فدفعوه عنهم فاستجار بملك من ملوك الروم ، فانزله لما وفد عليه في دار فيها نارنجة خضراء يانة ، عليها قيم يتعهدا بالسقى وغيره ، فقال : لا اسافطك (225) بما طلبت من المدد حتى تبيس هذه النارنجة ، فسقط في يد الملك المسلم وأيس من الرجوع الى بلده ، فجعل يدعو عليها أن تبيس ، فلم يمض الا قليل من المدة حتى يبيست وسقط ورقها ، فجاء ملك الروم وقال له : ما صنعت بهذه النارنجة حتى يبيست في قليل من المدة ؟ فقال : انك ظلمتني بالحبس وليس لي ناصر ، فرجعت الى الله ادعوه في تبيسها فأجاب الله دعوتي فيها ، فقال له ملك الروم : هذا انت وحدك تدعو الله عليها لكونك مظلوما فأجاب الله دعوتك ، وهي لم تباشر ظلمك ، فكيف بمن يباشر الظلم ويدعو عليه اهل قطر أو أقطار ظلمهم ، افلا تجاب دعوتهم عليه ؟ فدعوات رعيته التي ظلمتها هي التي اخرجتك من بلادك ، فتأب ورده لرعيته مكرما .

ومن هذا المعنى ما حكى لنا عن مولانا جدك رضى الله عنه لما وفد على الملك ابي عبد الله مولانا محمد الشيخ رحمه الله فانزله بمشور دار الامارة بتارودانت فأثام الناس يزورونه ، فوقف خادمه الرجل الصالح صاحب شرطة الامير زكرياء بن الغازي (226) يذود الناس عنه ويقول « من زار خرج يرحمكم

(225) يعنى بقوله لا اسافطك : لا ارسلك ولا اوجهك بما تحب وتطلب ، والكلمة شائعة في الاستعمال الدارج

(226) الذي في نزعة الحادي وغيرها ان صاحب الشرطة الذي قال ذلك هو ابو عمران موسى ابن مخلوف - راجع العاشية 102 - وان الملك الذي وقع ذلك في ايامه هو عبد الله الغالب ، ولم تبين محل وقوعه ، قال المؤلف مطلقا على هذا السجل : « يحكى ايضا ان هذا وقع مع الغالب بالله في مراكش ولعل ما هنا اصح » ولعل مما يؤيد ذلك انه في دار الامارة المذكورة الى الآن بقية معروفة بقية سيدي احمد بن موسى ، وان في ساحة اسوارك بتارودانت مسجدا يسمى مسجد سيدي احمد ابن موسى

الله ، فقال له الشيخ : بل قل « من جار خرج يرحمكم الله » فارسلها مثلاً ، فخذها وصية جدك ، وابن عليها اساس مجدك ، ثم يجب ان تعان هذه الخصلة التي هي روح الوثام ، وحياة الانام ، باقامة سور علائها ، وتوفير جيوشها التي بها تستقل امارتها ، وتكمل عمارتها ، بملازمة مادة التسكين والتيسير ، واجتناب دواعي الضغطة والتقصير ، وبتعهد الرعايا باخذ ما دعا اليه الوقت بوجه لا يثير نفرتها ، ويهيج نفرتها (227) ، ثم بملاقاة الحوادث بقوة الجاش وصلابة القلب حتى يصغر في عين واليها كل عظيم ، ويهون لديه كل واصب (228) اليم ، كما اشار الى ذلك أبو الطيب بقوله :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر العظيم العظائم
ويعظم في عين الصغير صغيرها وتصغر في عين العظيم العظائم

ثم بالقدره على ضرب الرقاب ، وسل الحسام ، واغماده في جماجم شرار ولد سام .

فكم آية تهدى الوري وتروعههم واصدقها بالمجرمين حسام

وهذه هي نتيجة القياس ، وفذلكة قضاياء التي عليها مدار مصلحة الناس ، ثم بشكر نعمتها ، والاعتراف بمننتها ، لاستدامة رحمتها وبركتها .

« رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه ، واصلح لي في ذريتي اني تبنت اليك واني من المسلمين »

(227) النمرة بضم النون وفتح العين : الهيجان والاضطراب اخذاً من هيجان الدواب اذا عضتها النمرة او دخلت في انوفها وهي ذبابة ضخمة زرقاء

(228) الواصب الدائم : قال الله تعالى في سورة الصافات : « ولهم عذاب واصب »

وهذه نصيحتي لك ، واعينها بالله أن تكون نصيحة دريد بن الصمة (229) لأخيه عبد الله ، والسلام .

تلك هي الرسالة الطويلة النفيسة ، وقد فهمنا منها امورا ، منها : كون ايليج استردت تارودانت سلما لا حربا ، وان تلك المدينة كانت قاست عينا وجورا ، فتامل من ايليج عدلا يزيل عنها ما قاسته ، ومنها كون سيرة ايليج العادلة المشهورة عند كل اهل ذلك العصر هي التي امالت اليها الأعناق ، وفتحت نحوها القلوب ، ومهدت لتوسع اياتها السبل ، ومنها معرفة المثل العليا التي يحب امثال القاضي التامانارتي أن يتمشى عليها أمير ايليج في حكمه ليستتب له الامر ، وقد ضرب ايضا على مثل الوتر الذي كان الشاعر أمحاولو (230) جسده في قصيدته النونية المتقدمة ، فذكر الأخذ بأيدي العلم ، وما العلم اذذاك الا العلم الذي يدور عليه الشرع الحنيف ، فتأيد بهذا ما كان سلف لنا ازاء ذلك البيت من قصيدة أمحاولو .

(229) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « من قصيدته الدالية المشهورة التي منها

امرتهم امرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا التصح الا ضحى الفد »

ودريد بن الصمة بن الحارث من شعراء العرب وفرسانهم المفاوير ، كان اخوه عبد الله سيد قبيلة بني جشم بن بكر بن هوزان فزراهم وبنى عمهم بنى نصر بن بكر قبيلة غطفان فساق ابلهم فلما كان بمحل يقال له منقطع اللوى اراد ان يستريح فيه بضعة ايام فنهاه اخوه دريد وذكره ان القوم سيتبعون ابلهم ليستردوها فلم يطمع فجاءت غطفان وتحارب الفريقان فقتل عبد الله وجرح اخوه دريد واستردت الابل ، فقال دريد قصيدته المملومة التي اولها :

ارث جديد الجبل من ام معبد بعاقبة واخلفت كل موعبد

ومنها البيت الذي هو محل الشاهد هنا وهو :

امرتهم امرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا التصح الا ضحى الفد

وبعده :

وقلت لهم ان الاحاليف كلها	قعود على ماء التبلبل فثهم
وقلت لهم ظنوا بالفى مدجج	سراتهم فى السابرى المسرد
فلما عصوني كنت منهم وقد ارى	غوايتهم وانسى غير مهتدى
وهل انا الا من غزية ان غوت	غويت وان ترشد غزية ارشدد

والعلم كيف يكون نشر ضيائه * * في الناس حتى يعلم المسكين

وقد زاد التامانارتي ذكر الاخذ بأيدي أصحاب الحرف ، لأنه حضري يعرف ما للاخذ بأيدي المحترفين من العمارة التي تزدهر بها الايالة ، ومنها غير ما تقدم مما تقرأه في السطور وبين السطور ، خصوصا ما لوح اليه القاضى من ان عهد يحيا كان جائراً ، ومن جوره ما وقع منه الى هذا القاضى حتى عزله ، والغالب انه ينصحه فلا يصيخ له ، ولعل كل ذلك واقع فيكون ذلك هو السبب الحقيقى فى تقوض امر ال يحيا بسرعة ، فغادروا مركز الرئاسة الى زاويتهم بتافيلالت حيث يزاولون المرابطية بعد ان خابوا فى مزاوله الملك :

اعطيت ملكا فلم تحسن سياسته * * كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

من هم ال يحيا

تكون مقصرين ان مررنا بأسرة سيدى يحيا دون أن نلقى عليها نظرة ولو موجزة يمكن بها اعطاء صورة واضحة لأسرة جاذبت زيدان وبودميعة حبال المملكة ازمانا ، بعد ان كانت من الحياض الصوفية الصافية ازمانا اخرى ، ولا يصح لنا أن نوازن اسرة ال بودميعة بأسرة ال يحيا الا بعد ان نستعرض من حياة رجالاتها كما استعرضنا رجالات الاسرة الاخرى ، فالمقارنة لا تكون الا بين معروفين ليصح الحكم بينهما حكما يكون بالقسطاس المستقيم .

هذه الأمرة المباركة تسمى ايت داود (231) وترفع نسبها الى احمد ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، ويقولون انهم اخوان الكثريين (232) السوسيين ، وأول من عرف من الأسرة داود دفين مكان قرب قرية ايت داود بقبيلة ادوبوزيا من قبائل حاحة ، ثم

(231) راجع العاشية 78

(232) راجع العاشية 43

تسلسل المجد والصلاح فى اولاده واحفاده : الحسن بن داود ، ثم ابراهيم بن عبد الملك بن الحسن بن داود ، ثم محمد بن ابراهيم بن عبد الملك ، ثم الحسن بن ابراهيم بن عبد الملك ، ثم عبد النعيم بن الحسن بن ابراهيم ، ثم ابنه الشيخ الشهير شهرة واسعة فى عصره سعيد بن عبد النعيم شيخ التربية . وامام العلوم ، وعميد السنة ، ثم ولده عبد الله بن سعيد الامام الفريد علما وصلاحا وورعا وتربية ونصحا للعباد ، دفين تافيلالت فى سفح الاطلس الجنوبي (233) ، ثم الامير يحيى بن عبد الله بن سعيد هذا الذى نحن فى وسط اخباره مع بودميعة ، وقد كان اولافعا لراية أهله فيما عرف عنهم ، فعلم وأرشد وعدى وهذب ، ثم خالط فى تموجات عصره مدافعا ومهاجما على بية الاصلاح ، وكعبه عال عند الناس اعتقادا ، وقد استنصره زيدان ملك وقته على أبى محلى (234) فزحف اليه فأهلكه فى كيليز ، فزاده ذلك علو شأن ، ثم وقعت المشاحنة بينه وبين زيدان الى أن استقل عنه فى تارودانت فكون له جندا وعصيبة فابداً واعاد الى أن توفى عام 1035 هـ كما تقدم ، ثم خلفه ابن اخيه احمد بن محمد الذى لم يتم له أمر ، ثم رجع الاخلاف الى زاويتهم فى تافيلالت والى حاحة ، ثم هناك أيضا الأديب احمد بن الحسن بن عبد الله بن سعيد ، ورث أباه الحسن وعمه يحيى وجده عبد الله ، وهو شاعر وفقه له آثار ، ثم الحسن بن يحيى ابن عبد الله بن سعيد قاطن تاحودا بحاحة ودفينها وقبره مزاراة كسعيد دفين تامانار بحاحة الذى يقام عليه موسم سنوى ، وكعبه الملك بن يحيى الذى له ايضا بين أهله ذكر كأخيه محمد بن يحيى وكمرىم بنت يحيى المتأخرة المزورة المشهد حوالى تامانار حيث يقام عليها موسم كل سنة كما يقام على عبد الواسع ابن سعيد بن عبد النعيم .

(233) الطريق إليها مرصفة من تارودانت فى شمالها ، تبعد عنها بنحو 90 كيلومترا

(234) راجع الحاشية 75

الى غير هؤلاء من رجال الأسرة قديما وحديثا صلاحا ورياسة ، وقد ذكرناهم بالتفصيل فى « الممسول » (235) ، وانما نريد هنا أن نعرف مكانة هذه الأسرة الماجدة بين الأسر الماجدة السوسية لنرى اية اسرة قامت تجاذب الحبال اسرة آل الشيخ سيدى احمد بن موسى ، على ان ليحيا والحق يقال لمقاما علميا وادبيا ساميا ، نراه اجل واعلى واولى وافضل من قرينه بودميعة فى نواح شتى ، الا ان السعد اعطى لبودميعة ما لم يعطه ليحيا ، فقاتل بسعد والا قدع :

فكم فى العرس ابهى من عروس * * ولكن للعروس الدهر ساعد

وقفة ادبية

نلاحظ فيما بين ايدينا من عدة مراسلات بين المتنازعين اذذاك ان عقلية من كانوا يتناولون ببروزهم حينئذ يعتمدون على المراسلة بالاقلام مثل ما يعتمدون على المناضلة بالسهم ، والمبارزة بالحسام ، فهناك المراسلة بين يحيا وبودميعة المارة قريبا ، واخرى بين بودميعة والمولى محمد بن الشريف ستاتى ، وهناك المراسلة بين زيدان ويحيا (236) وهناك اخريات بين بودميعة والدلائين سترى بعضها قريبا ، وهناك مجموعة كبيرة تذكر فيها مراسلات بين يحيا وابى محلى (237) ، كما كانت هناك ايضا اخرى بين ابناء زيدان والناخب الاول من الاسرة العلوية الماجدة (238) ، كما كانت ايضا اخرى بين هذا الناخب المجيب وبين الدلائين (238) ، واخرى بينه وبين الاتراك ولاة الجزائر اذذاك ، واخرى بين ابناء زيدان وبين الدلائين (238) .

(235) يطلبون فى الجزء 19 منه ابتداء من صفحة 73 وقد اوصل المؤلف رحمه الله رجالاتهم الى 38 شخصا

(236) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ج 3 ص III الاستقصاء ، هناك البعض »

(237) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ج 3 ص III الاستقصاء ، وقد كانت المجموعة فى زاوية (تأويلات) فى جبل درن - راجع الحاشية 233 - ولا ندرى الا تزال فيها ام لا »

(238) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : - الاستقصاء - هناك كل هذه المراسلات ، وهى منه فى اواخر الجزء الثالث واولى الرابع ، وبعضها فى نزعة الحادى

ان هذه المراسلات التي يتخذها الرؤساء بينهم محاجة ومقارعة او مفاخرة - وهى ما هى من الصناعة البيانية السائدة اذذاك ، وقد افرغ فيها من حرروها الجهود - لتدل على عقلية تميل الى الاقناع والاقتناع ، قبل ان يكون اعتمادها على رؤوس الحراب يوم القراع ، وقد كنا نعهد مثل هذا فى العصر الأموى ، ثم فى العصر العباسى الأول ، كما اعتدناه فى الجاهلية بل وفى فجر الاسلام ايضا وان كان ما يستعمل فى تلك العصور فى الغالب شعرا ، وما يعتمد عليه فى هذا العصر نثراً ، أفلا يكون اذن ما نراه فى هذا الدور فى المغرب بدعا محدثا ، وذلك ايضا دال على ان صناعة الانشاء مزدهرة يتخذها البارزون مفخرة يتحلون بها امام اقربائهم ، ولا بدع اذا راينا ايليج البارزة قد طفحت فيها واليها امواج ادبية يدل عليها ما بين ايدينا من قصائد ومقطعات وقليل من الرسائل ، منها رسالة ايليج الى يحيى المتقدمة ، ورسالة التامانارتى الى ايليج المارة قريبا ، وذلك بلا ريب كمجهر يرى به ما وراه وسنعرض لكل هذا الذى يروج حول ايليج بعد حين ، وانما حفزنا ما عن لنا فى الحين فوقفنا هذه الوقعة التى هى - وان كانت بين قوسين فى تتبع ما نحن بصده - ذات فائدة قيمة للادباء اللهجين بامثال هذه الفوائد العامة ، والنظرات المستكشفة ، وما ذلك بقليل لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

فكرة ايليج فى التوسع

وصل البشير الى ايليج يعلن قرب استرجاع تارودانت ، فاهتزت ايليج فرحا ، واكتست سماوة ذلك البسيط غضارة تكاد تقطر بشاشة، فاندفع شاعر من شعراء ايليج (239) يقول بملء فيه معلنا للبشرى يزفها الى العاصمة بهذه القطعة :

الا ابشروا فالفتح دقت بشائره ودبت الى فجر النجاح تباشره
ردانة دانت فليطيلن شكـره امام البرايا المجتبى وعشائره
تزف الى كفـه ، وتعرفه ، وطا لما خطبت نحوالهجين (240) تناكره
اذا ما عروس زفها الدف والغنا فذا عرس فيه تزف بواتره (241)

الى ان قال ، وهي قصيدة كبيرة تنيف على الخمسين :

اذا دار دور الفتح حول ردانة فزد قدماً للحوز يتبع دائره (242)
اقول ان هذا الشاعر يمثل فكرة حاشية الامير فى ان وقت الامتداد
الى الحوز فما وراءه قد ءان ، ويؤيد هذا ان شاعرا ءاخر وقف فى مجمع كبير
القى فيه من قصيدة قوله وهو يشيد بمدح الامير ويشنى على جنوده ولعل ذلك
فى هذا الطور :

طوعا ابا الحسن المولى (243) اننا نوليك شكرا وسط هذا المجمع
اعليت هذا الصقع بالعدل الذى تولى وبالجيش العتيد الطيـع
رضعت جميع جنوده رسل البسا لة لا ترى فى جمعهم من رضع (244)
فهم كرام ما راوا اعداءهم الا فروهم فى الوغى بتصدع
وثب الفهود على الثعالب ثم لا تلقى مفاصلها بغير تمزـع

(240) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يعنى يحبا »

(241) علق المؤلف على هذا المحل بقوله « الفتح كان سلما لا حربا ، ولكن الشاعر قد يهرف
بما لا يعرف »

(242) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « النفحات » ويعنى كتاب نفحات الشباب المذكور
فى الحاشية رقم 159 والحاشية 170

(243) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : كان هنا بالاصل كلمة غير طاهرة المعنى فوضعنا
مكانها هذه ، يعنى « المولى »

(244) المراد بالرسل - بكسر الراء واسكان السين - اللين ، والرضع كالركع جمع راضع من
رضع بالضم رضاعة اذا كان لثيما

فكأننى بالحوز قد طلعت على
فيشتتون جنود من قد ضيعوا
شغلوا بلهوهم فضاغ الدين بيـ
حتى تبدل ارى ملكهم اللذيـ
هيهات ان يبقى الوليد كجسده
ان المالك لا يقام عمادهـ
بالقتل والفتك الذريع يشيد من
كم من انوف لا تقاد براتهاـ
لا يجتنى ثمر السيادة فى الوغا
حتى اذا غلب العدو اتى بما
بسياسة ليست بأرى لا ولا
والطب ليس بياتر عضوا سوى
من اخطائه سياسة فى امره
قم يا امام الدين وانهض نهضة
وقد الجيوش وقدمن ما بينهم
وجس البلاد بفتحها جمعاء وانـ
ان الهوينى غير نافعة اذا
ما دام هذا الامر امرك فاصرخـ

ارجائه الفيحاء شر المطلع (245)
ملك الجدود برقدة المتضعض
من الكاس والذلفاء ذات تمنع
نذ بعلم من ذلهم والخروع
فى الملك ان لم يغد قطب المعص
الا براعفة القنا فى الاذرع
يبقى بناء الملك وسط الزعزع
بمقاود الطاعات ان لم تجدع
من لم يطب نفسا متى ما يصرع
يستل منه الضغن بين الاضلع
شرى ولكن بين ذاك لمن يعى (246)
ان كان فيه دواؤه لم ينجع (247)
لاسيما ملك الورى ، يتضعض
جمازة تذر العدى فى مفزع (248)
من كان حلف جراءة وتدرع
ظلم فى يدك الامر وحدك واجمع
لن المقالة فى الورى لم ينفع (249)
من به على راس المخالف واصدع

(245) علق المؤلف على ما هنا بقوله : « يعنى لما توقعه هناك من التدمير »

(246) الارى : المسمل ، والشرى : الحنظل - مؤلفه

(247) الطب بفتح الطاء : الطبيب - مؤلفه

(248) الجمازة مؤنث الجواز : وهو الذى يسرع فى عدوه ، من الجمى وهو العدو السريع

(249) الهوينى : التؤدة والرفق

فأله والملا الكرام معاونـــــو ن ببت رعب فى العدى وتزعزع
فكاننى بالامر تم كما تشـــــا ويشاؤه من كان فى ذا المجمع (250)

ذلك ما يقوله محمد بن الحسن اللكوسى المانوزى لهذا الامير وقد وفد
عليه بعد موت يحيى لاننا رأيناه معه الى ان توفى فرثاه بقصيدة ، وقد كان
كاتبه الخاص ، ويوجد توقيع اثر تلك الرسالة المشهورة فى التاريخ من يحيى
الى زيدان (251) .

وقد مر بنا اننا قول القاضى التامانارتى اثناء تلك الرسالة حين هناك
بفتح رودانة وطلب منه الاهتبال بها « فهى كالفاتحة لبقية امصار المغرب ،
وبالاب الموصل الى الغرب ، من ادناه الى اقصاه المغرب » .

فدل ذلك كله على فكرة التوسع فى المملكة ، فهى فكرة ايليج ، وفكرة
كل امثال التامانارتى ، وهذا التوسع فكرة طبيعية اذذاك ، لان تارودانت فتحت
ما وراءها ، فينخرط سكان الاطلس الذين يسكنون فيما يوالى سوس فى هذه
الايالة ، وما كان المانع سوى تارودانت وقد زال ، والنصر لا يدعو دائما الا الى
الاقدام الى الامام ، فقد امتدت الايالة سنة 1039 هـ فضمت سوس كله ودرعة ،
وقد تقدم ان درعة انخرطت فى سلك ايليج من سنة 1036 هـ أى قبل تارودانت .

(250) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « القصيدة بشامها فى السابع من المعسول » ، وقد
رجعنا اليه فوجدنا القصيدة خمسين بيتا اورد المؤلف منها هنا خمسة والعشرين الاخيرة وترك
الاول اذ لعله لم يرد ان يوردها لما يتعلق به صدر القصائد عادة من النسيب والمدح والتوسل .

واذا لم نوردنا نحن ايضا تبعا له لنفس المانع فلا يفوتنا - ما دمنا بصدد التاريخ - ان نورد
خبر قائلها فهو العلامة الاديب محمد بن الحسن بن ابي القاسم المانوزى اللكوسى من الشعراء
المكثرين فى الاساليب المختلفة ، كما كان من كتاب الانشاء المعبرين المقتدرين ، وهو الذى حرر
ليحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد النعيم رسالته الشهيرة الى زيدان بن المنصور السعدى - الحاشية
238 - وقد كان اولاً مع يحيى هذا ثم انضم الى بودميعة فى ايليج حتى توفى فيه سنة 1048 هـ
ودفن بزاوية سيدى احمد بن موسى

الاستيلاء على اكادير

كان اكادير دخل فى ايالة بودميعة فى فجر ثورته ، كما دخلت فيها ايضا تارودانت اذذاك ، وقد رأيت السبب كيف انجلت جيوش ايليغ عنها ثم كيف استرجعتها ، واما اكادير فسنرى حوله فيما ياتى تفاصيل ملخصها : ان بودميعة تنازل عنه لزيدان حين رأى ضعفه عن ذود ما عسى ان يهاجمه ، ثم بنى فى هشتوكة ، وقد فتح مرسى ماسة لمقايضة تجار اوربة ، ثم لم يلبث ان صار يشن الغارات على نواحي اكادير حتى حاصره سنين كثيرة من سنة 1623 م . الى سنة 1637 م . فاحتله بالقوة وذلك نحو 1045 هـ بعد احتلال فونتي بسنين

وحين كان ما يتعلق باكادير لم نقع عليه فى الكتب العربية التى استقينا منها ، وانما وقعنا عليه فيما ترجم لنا من الكتب الاوربية ، نرجى تفاصيل ما ذكر حوله فى هذا العهد حتى يحشر كل ذلك المترجم فى صعيد واحد ، وان كان ملخصه الذى يتعلق به المقصود الآن ما ذكرناه .

انفتح الباب الى حاحة فانخرطت فى ايالة ايليغ الى المحل المسمى بوريقى ، فرأينا هناك قاضى ايليغ ، وسيرى القارىء اسمه قريبا ، كما انفتح الى ناحية القبائل التى تدين لزيدان وابنائهم ، فتقع محاربات على الحدود ، ومما يتعلق بذلك ما ورد فى كتاب « نفحات الشباب » اثناء محادثة بين ادبيين :

« ومما احفظه ايضا لهذا الكاتب — يعنى محمد بن احمد امحاولو — ما حدثنى به والدى رحمه الله قال : كان القائد محمد المسوفى يغير كثيرا على اعمال سيدى على باذن اميره بمراكش ، وهو الذى كان يشخن كثيرا فى جيوش سيدى على بالفدر والحرب ، فجاءت يوما رسالة من هذا القائد الى سيدى على يتندد عليه ، فلم يردان يجيبه بالمراسلة لانه يراه دونه ، فقال كاتبه هذه الابيات فكانت هى الجواب ، ونصها :

مهلا فلا تستعجلن حتوفا فذا ترون اسنة وسيوفا
فالجند جند الله حقا لا يرى الا الثبات ولا يخاف مخوفا
فى كل يوم تستثيرون الليو ت بعيتكم اهل الردى مسوفا (252)
لكنكم لابد ان تلقوا غسدا جندا امامكم يصف صفوفا
فهناك يلقي من يعيث جزاه ان كان ماحول الترائب سيفا (253)

سجلماسة تبايح ايليغ بدورها

سنرى فى المراسلة بين ايليغ والدلائين الآتية ، ان من جملة الحوافز
لأهل ايليغ حتى قاموا قومتهم هذه أن يكونوا - فيما يزعمون - سياجا دون
اذاية أبناء الرسول ، ولا ريب انهم سيفمزون نسب السعديين مع الغامزين
ويرونهم من أبناء سعد بن ابي بكر حقا (254) لا قرشين فاطمين ، وانما
تطفلوا على الانتساب لأهل البيت كما تطفلوا بسبب تلك النريعة على العرش
المغربى ، وبهذا اللز قام شاعرهم الماضى عند اعلانه لبشرى فتح تارودانت
فى القطعة المتقدمة :

. تزف الى كفء - وتعرفه - وطا * * لما خطبت نحو الهجين تناكره

(252) « يعنى بامسوفة » - مؤلفه ، حذف التاء للترخيم واتى بالالف لاشباع القافية

(253) « اى قطع بالسيف » - مؤلفه

(254) اشار المؤلف بذلك الى الاضطراب الواقع فى هذه النسبة السعدية هل هى لكون الناس
سعدوا بحكم هذه الدولة او سعد بها أهل درعة لما ورد عليهم احد اجدادها وهو زيدان بن احمد بن
محمد بن قاسم ، فصارت بذلك تنسب الى السعد او السعادة ، او انما هى لكونهم من بنى سعد بن
بكر بن هوزان الذين منهم حليلة السعدية ، طئر النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما اشاعه عنهم
خصومهم السياسيون كمولاى محمد بن الشريف مؤسس الدولة الملوية الشريفة اذ لم تكن هذه
النسبة معروفة عنهم قبل الانغمار فى السياسة ، وقد بحث محمد التشيخ الثالث الى مولاى محمد بن
الشريف بعض الكتب تنسبهم الى الشرف كمناهل الصفا للفشتالى والمدود والمقصود لابن القاضى
فاجابه مولاى محمد بما من جملته : « ولا معمول على كتاب المنصور من الفشاتلة ولا ابن القاضى ولا
ابن عسكر الشريف الشفشاونى وسواهم اذ الكل اهل بساطكم ، ومحل مزاحكم وانبساطكم » ،
وذلك مبسوط فى نزهة الحادى وبعضه فى الاستقصاء ، والمراد بلفظة كتاب جمع كاتب

ويقصد بالهجين سيدى يحيا الحاحى المتناول الى الامارة ، ففمز
نسبته الى أهل البيت كما غمزها قبله ابو محلى حين خاطبه بقوله :

ايحيا الخسيس النذل ما لك تدعى
بزور شعارا للفحول الأوائس
كدعواك فى بيت النبوة نسبية
وانت دنىء من اخس القبائس
ووجهك وجه القرد ، قبح صورة
ورأسك رأس الديك بين المزابل(255)

ولهذا كله لابد ان يكون بين أهل ايلخ وبين من يسلمون لهم تلك
النسبة كشرفاء تافيلالت اتصال لتكون الشيعة واحدة ، ويكون بعضهم لبعض
ظهيرا ، وحين كان لهؤلاء الشرفاء العلويين السجلماسيين نسب محقق عند
الناس كالشمس فى رابعة النهار ، لم يكن بالعجيب ان يتصل الامر بينهم
وبين أهل ايلخ الذين يعلنون انهم ما قاموا الا للمنافحة عنهم وعن امثالهم
لثلا يسومهم هجين بأذى .

كان فى سجلماسة اسرتان بينهما ما يكون بين الجيران من المنازعات
والمشاغبات، وهما اسرة الشرفاء العلويين، واسرة الزبيريين ال تابوعصامت،
ثم استحكمت العداوة بين الفئتين حتى ضاقت بهما سجلماسة ولم يبق الا ان
يخرج الأعز منهما الأذل ، فاراد الشريف ابن على رئيس الشرفاء ان يتكفى فى
نصرته على أهل ايلخ ، وقد سبقت بينهم اسباب التعارف والحمى وشائج
الارحام ، وقد كان فى الاتفاق اذذاك فى تلك الجهة لأهل ايلخ اثر استيلائهم

(255) هذا اقل ما يوصل اليه التناحر على الدنيا ، فان ابا محلى وهو من هو علما ودعوة الى
الرشاد وتاليفا فى ذلك يقول مثل هذا الشعر فى يحيا بن عبد الله الحاحى شيخ ابي زيد التامانارنى
وابى مهدى السكتانى ، وانه لمن العار لهم ان يذهبوا فتبقى بدمهم هذه العورات مكشوفة فى
اخلاقهم لمن يأتى بدمهم بُعْذُ بالله من تبعات الدارين

على درعة طفاوة من العظمة والجلال ، وقد بلغت اياتهم الى دادس ، فلم ينشب
أقتال (256) الشرفاء الزبيريون أهل تابوعصامت ان وصلوا ايديهم بسادة
آخرين سطعت لهم قوة بالدين والعلم تلفت الابصار ، ويتحدث بها الركبان ،
وهم أهل زاوية الدلائيين الظاهرين في جبل الاطلس ايضا بشيعة عتيدة ،
وقوة ملحوظة ، وقد صارت الفكرة التي اثارت ايليج تحوم ايضا حول شبانهم ،
وتختمر في ادمغة اغرارهم فيحلو لهم ان يغامروا ايضا في الميدان ، وان كان
هؤلاء الذين تجول هذه الفكرة في صدورهم لم يصروحوا بها الا بعد سنة 1046 هـ
بعد هذا العهد الذي نسوق فيه هذا الحادث ، وعلى كل حال فان الدلائيين
اخذوا بضبع (257) الزبيريين فاعلنوا حمايتهم لهم ، وقاوموا من يحوم حولهم
باقلامهم وبالسنتهم وبجاههم .

لبي بودميعة نداء الشريف بن علي رئيس الشرفاء الفيلالين ،
واصرخه (258) بنفسه ، فقاد الجيش السوسي من دادس (259) فخرق به
تودغة وما يجاورها ، واطل على بسائط سجلماسة المكتظة بالنخيل ، فاذا به
يصطدم والدلائيين الذين حضروا باصحابهم وقوتهم لمناصرة من بسطوا عليهم
حمايتهم وهم أهل تابوعصامت ، وكادت رحا الحرب تدور ، لولا انه سادت
على الجيشين اخيرا فكرة المصالحة حقنا الدماء (260) .

(256) الاقتال جمع قتل بكسر القاف واسكان التاء . وله معان من جعلتها العدو وهو المناسب
هنا ، فيكون الشرفاء مجرورا بالاضافة والزبيريون تمت لاقتال الذي هو فاعل ينشب

(257) الضبع كالفلس وسط العضد او هي كلها ، واخذ بضعه قواه واعانه

(258) اصرخه : اغائه واعانه ، وفي سورة ابراهيم : « ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي »

(259) علق المؤلف على هذا المحل بقوله « الترجمان المرعب »

(260) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « وسرى عند ذكر الدلائيين ما يلقي الضوء

على هذا »

هذا ما يذكره المؤرخون ، ويظهر ان الدلائيين ادركوا عدم الفوز لو ناجزوا الايليبيين والشرفاء الأباة الاحرار المقاديم ، فلووا رؤوسهم تحت طى اجنحتهم وسلموا الامر فى صورة مصالحة ، ولا أدل على ذلك من كوننا نرى قدم ايليف قد رسخت فى سجلماسة فاعلنت ان القطر منضو تحت ايليف نهائيا ، ولو تكافأت القوتان لوقع الصلح على ان يخلى كل فريق سجلماسة ، وفى كلام مؤرخ (261) ما يأتى : « كان بودميعة بدادس حين استصرخه الشريف على بنى الزبير ، فكاتبه محمد الحاج — يعنى الدلائى — ان لا يحارب بنى الزبير لأنهم حلفاؤه فانكف بودميعة عنهم بعد ما نزل على تابوعصامت ، فقبل منهم المثونة والهدية » .

ترى ان هذا المؤرخ اقتصر على نصرة الدلائيين للزبيريين برسالة فقط ، على حين ان غيره ذكر ان هناك جندا دلائيا ، فيمكن الجمع بان الدلائيين بعثوا من بعثوا مع رسالة من رئيس زاويتهم ، فقضت الرسالة ما لم تبق معه حاجة الى الرجال ، ولا ننس ان رئيس الزاوية فى هذا العهد — على راس الاربعين بعد الالف — هو الشيخ سيدى محمد بن ابنى بكر رضى الله عنه المتوفى عام 1046 هـ ، لا محمد الحاج (262) كما فى الكلام القريب ، لانه لم يتصدر لما تصدر له الا بعد وفاة هذا الشيخ ، ولذلك صار من القريب الممكن الذى يجوز العقل وقوعه ان لا يكون هناك جيش بمعنى الجيوش المعدة للمغالبة من جانب الدلائيين ، فلا يكون هناك الا اصحاب الشيخ وان كثروا ، يجرون بالمصالحة وبحقن الدماء ورأب ما انتشعب من الاحوال ثم يتحول امام من يريد غير ذلك كالامير بودميعة الذى اغتنم هذه الفرصة فاستحوذ على ذلك القطر الفسيح ،

(261) علق المؤلف على هذا بقوله : « المناهج السوية ، كتاب مخطوط لشيخنا مولاي الكبير ابن زيدان ، وقد نقل كلام صاحب الترجمان المعرب »

وفى الكلام على الدلائل ترى انهم جمعوا حقا جيشا كثيفا لكن لم يتيسر بعثه ، فكان ذلك هو الحامل على تلك المصالحة ، وقد صرح هناك بان الحامل للشيخ ابن ابي بكر على ذلك هو اغاثة الشرفاء تدينا منه ومحبة لهم ، ثم انه كاتب بودميعة فانتهى الامر الى المصالحة ، فتفاهم الشيخ وبودميعة فبقيت تافيلالت لهذا الاخير .

كذلك توسعت ايليغ شرقا ، فاحتلت بغير حرب قسما غير قليل من جنوب المغرب له مكانة وخطورة ، فقد تولى هناك لبودميعة القائد ابو بكر واسس بناية يتحصن فيها ، وقد قال الضعيف (263) فى ذلك :

« بنى أهل الساحل السوسيون فى تافيلالت وفى درعة قصورا وقصبة ، وقال آخر : (264)

« وفى عام 1041 هـ أخذ ابو حسون تافيلالت وبنى فيها قصبة ،

السودان السعدى ينضوى تحت ايليغ

تخطو ايالة ايليغ خطوات واسعة ، فتنال عظمة لم تكن تدور بحسبان من لم يطلع عليها ، فقد امتدت فى كل الجنوب امتدادا عظيما اوسع من امتدادها فى الشمال ، وما ذلك الا لانها لم تلاق من العراقيل هناك ما تلاقيه فى الشمال حين وقف يحيا امامها سنين كثيرة وقوفا له تاثيره فى كبح موجها وكبت انسياحها .

(263) ابو عبد الله محمد بن الرباط عبد السلام بن احمد بن محمد الضعيف بصيغة التصغير الرباطى المولود فى ذى الحجة 1165 هـ ، وتاليفه هو مجموعة تقاييد لحوادث وقعت فى وقته او قبيله فى تاريخ الدولة العلوية الى حوال سنة 1233 هـ ، وهو متداول على قلة ، وموجود بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم D 660

(264) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « تلك المجموعة فى المكتبة العامة بالرباط » ، ويعنى بها ما تقدم فى الحاشية رقم 179 بصفحة 58

تخطت الايالة تينبكتو وتاودنى الى غينية فاستولت هناك على المعادن التى كان السلطان مولاي احمد الذهبى يغترف منها ثروة هائلة من الذهب الخام ، كما انها استولت على تجارة كل تلك الناحية ، فتستورد السلع السودانية فتصدرها الى اوروبا على يد التجار الاوربيين فى اكادير وماسة، وكان كل الساحل من حاحة الى السودان تحت نظر ايليخ المباشر ، فيضطر البرتغاليون والاسبانيون وغيرهم من ارباب التجارة السائدة اذ ذاك مع البرازيل والهند وجنوب افريقية أن يصنعوا ايليخ ليتمكنوا من الالمام بمراسيه هذه ليتزودوا ما يحتاجون اليه فى سفنهم الشراعية ، وكانت هذه السفن كثيراً ما تصاب فى هذا الساحل فيوسر أصحابها ويقضون فى ايليخ ما يقضون فى الأشغال السلطانية حتى تتفاهم دولهم مع بودميعة فتفتكهم من الأسر ، وقد دارت بين هولاندة وبريطانية وبين بودميعة مكاتبات حول ذلك ، ولهذا نرى أن للاستيلاء على السودان السعدى شأنًا عظيمًا فى رفع شأن بودميعة فى انظار هذه الدول ، ولولا الاستيلاء على ذلك القطر ونفوذ أمره فيه لما وصل شأنه فى أنظارهم ما وصل . وسترى فى الفصل المخصوص بالاتصال مع تلك الدول الأوروبية شواهد طافحة بكل هذا ، ففى رسالة اسحاق بلاش الاسرائلى الى هولنده :

« . . . ان شركة الهند الغربى التى تتجر مع غينية يمكنها عند الشدة أن تستغيث بسيدى على الذى يمتد نفوذه الى غينية المذكورة » وفى كلام آخر له الى تلك الدولة ما معناه : « فى استطاعة سيدى على منع الذين يتجرون مع الهند الشرقى والغربى وغينية من التزود أو اصلاح بواخرهم أو حمل السلع الضرورية التى فى مقاطعته »

وفى رحلة مارج الفرنسى : « وقد أصبح سيدى على فى هذه الأيام هو المسيطر على نومدية (265) جمعاء وله تجارة مهمة مع غينية بمملكة كاكو - يعنى السودان السعدى - التى أصبحت تابعة له اذ لم يبق لمراكش بها شئ » ، وقد استولى على تاغازه وعلى منجم الملح فيها ، وهى على بعد يومين من تاودنى .

وفى مذكرات عن المغرب لأوربى « آخر ما معناه : « ان المنجم الذى كان الذهب يتوفر فيه وهو أحسن ذهب فى العالم انتزعه سيدى على من الزيدانيين ، وهو الذى كانوا يستخرجون منه كمية كثيرة » .

وفى كلام « آخر عند ذكر بعض أمراء ايليخ : « وأعظم تجارة مع تينبكتو ببلاد غينية »

هذه نصوص فى الموضوع صريحة للمعاصرين لم نجدها الا فى الكتب الأوربية ، وأما فى العربية فلم نر منها ولو بصيصاً يلقي أدنى ضوء على هذا ، حتى أهل ايليخ الحديثة الآن يجهلون أن مملكة أجدادهم امتدت الى ذلك القطر ، نعم كنت قرأت كتاباً بالعربية عن تلك الجهة من زمن بعيد مطبوع فى باريز لم أجده عندى الآن لعل فيه ذكراً لهذا الذى لم نجده فى الكتب العربية .

هذا وقد وقفت على رسالة رسمية مكتوبة الى قائد تلك الناحية سنة 1040 هـ ، وجدت بها بين طهائر مخزنية عند أخلاف علماء تيلكات الحامدين الذين كانوا أصهار بودميعة والرؤساء على كثير فى جزولة فى عهده ، وهم مذكورون

(265) نومدية احد اجزاء تقسيم الشمال الافريقى تحت الاحتلال القرطاجنى ثم الرومانى ، تقع بين قرطاجنة وموريطانية وتشتمل على كثير مما يعرف اليوم بالجزائر ، كان بها الملك البربرى ماسنيسا الذى جعل عاصمته سيرتا وهى القسطنطينية الحالية ، وكانت رومة صديقة له لفرضها فى الاستمانة به على تحطيم قرطاجنة ، فتم لها ذلك .

والمقصود هنا طرفها الصحراوى الجنوبى الذى كان احتله احمد المنصور السعدى فاستولى عليه بودميعة بعد موته .

فى الرحلة الثانية من « خلال جزولة » ، (266) وقد اختل غالب ما فى الرسالة وسقط اسم كاتبها ويتقوى فى ذهننا أنها مكتوبة من ايلخ الى ذلك القائد ، ونصها :

(266) « خلال جزولة» هى مجموعة متكونة من اربعة كتب سماها المؤلف الرحلات ، ويميز بينها بالارقام فالكتاب الاول يعرف بالرحلة الأولى من خلال جزولة ، والثانى بالثانية منه ايضا ، وهكذا ، وهى مرتبة على حسب ترتيب ازملتها ، ومن احسن ما يستفاد منه فى تاريخ المغرب عموما والقطر السوسى خصوصا ، وقد ضمن رحمه الله هذه الكتب زبنة ابحاثه العلمية التاريخية فى جهات من سوس فى الاربعة اعوام الاخيرة من نفىه الاول الذى دام ثمانية اعوام فقد نفى الى بلده الخ من مراكش سنة 1356 هـ ولم يسمح له بالرجوع اليها رسميا الا سنة 1364 هـ .

وابتداء من سنة 1360 هـ صار يسمح له بالتجول فى بعض النواحي بسوس بفضل ما تظاهر به من الاكتفاء بالبحوث العلمية عن الاشتغال بالسياسة وبفضل سياسة رئيس امرته اخيه الاكبر سيدى الحاج محمد خليفة الشيخ والدهما على زاويته فى الخ ، وهذا رجل رحيم يأخذ الامور بالرفق واللين ، ولكون السياسة الفرنسية فى المغرب قد تطورت مدة سنين نفىه ، خصوصا ايام الحرب العالمية الثانية التى تبدلت فيها النظريات السياسية وتيسر فيها اجتماع حى انفا بالدار البيضاء بين جلالة المغفور له الملك العظيم محمد الخامس قدس الله روحه وبين الرؤساء العالميين اذذاك ستالين وروزفيلت وتشورشيل فصار الاحتفاظ بالاستاذ محمد المختار السوسى فى منفاه السحيق مما لا فائدة منه اذ اصبحت السياسة الداخلية على وشك التبدل .

وايضا فانه رحمه الله قد صار يستغل الافراج الجزئى عنه فى الاتصالات الكثيرة بالطبقات العلمية التى لا يلحقها الاتهام بالسياسة، اذ صار يتصل بعلماء تلك الناحية ويزورهم ويستزيرهم حتى احدث بينهم رابطة للمباحثات العلمية الادبية والاجتماعات المتوالية وعلى رأسهم استاذ العلامة الجليل السيد الطاهر بن محمد الافرانى محترم تلك الناحية ومزورها ، فاخذوا يتنقلون كل اسبوع تقريبا بين القبائل والقرى للاجتماع عند كل واحد منهم مرة ، فتوجس منه الفرنسيون انه سينقل لهذه الافكار الطاعنة فى السن الهادئة فى اعماق القطر السوسى عدوى ما يملأ نفسه من اهتمام باستقلال المغرب وتحريره ، فردوا اليه حريته التامة سنة 1364 هـ فصار الى مراكش واستأنف فيها احياء مدرسته ، واخذ يخرج ما كان سوده ايام فقدان الحرية ، زيادة على اجتماع الطلبة عليه من جديد .

وقد قال فى مقدمة طبع الرحلة الأولى :

« ثم لما من الله بان تتفرج عنى الازمة ، سرحت فى سوس ، فامكن لى ان اقرى بعض نواحيه، فصرت اعمل خطواتى على البغال غالبا ، فاقيد كل ما سنع بلا تكلف فتكررت الرحلات ، حتى كانت اربعا ، فجمعت الكل تحت هذا الاسم « خلال جزولة » فهى التى يقرؤها القارىء ان شاء الله من هذه الرحلة الاولى الى الرابعة ، وقد كان بودى ان تطول هذه الرحلات حتى تستوعب كل نواحي سوس ولكن هذا ما تيسر ، ثم انقطعت بعد تسريحى التام الى مراكش مختتم 1364 هـ »

« أيد الله تعالى بعز نصره وسلطانه ، وأعمل في الفتوحات غضب عزمه
وسنانه ، وأسعد عصر القائد على جيوشنا الذى له من على مقامنا كمال الرعاية،
ومن جوار من الله وجوارنا كل الاحتفال والعناية ، الأوتاد الأتقياء
النصحاء الأرشاد المرعيين الملحوظين المرضيين ، أبى الحسن ومجدكم
. سلام عليكم ورحمة الله وبركته ، أما بعد حمد الله الذى جعل السعادة
منوطة بهذه الامارة العلية ، وألهم من أراد الله به خيراً الى الاستمسك بعروتها
الشريفة السوية ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أنقذ من الضلالة ،
ومحا ببعثته الكريمة غياهب الجهالة ، الدين وأعلامه ، وأكمل بهم
لهذه الأمة المحمدية تمام الاسلام وانتظامه ، . . الكبرى . . . سعادة ومصايح
الظلام ، ومواصلة الدعاء لهذا المقام ، بنصر تخفق على الدوام الويته
وأعلامه ، وتتوالى بالتأييد والنصر لآياله وأيامه ، فلت . . . حضرنا العلية
. المحروسة بالله المحمية ، ولا زائد بحمد الله الا ما سناه من تدوين
البلاد ، وتمهيد أقطارها الحاضر منها والباد ، حتى دكت بعزائمه وعنايته
الشوامخ من الهيبة ، وتضاءلت الجبال لعظيم ما لسلطاننا المؤيد بأمر من الله
. . . فأصبح الكل خاشيا ، ومن بطشنا متلاشيا ، لله الحمد والشكر . هذا
وموجبه اليكم . . . قبل هذا . . . ما اتفق عليه أهل هذه الأقطار المغربية
الخاصة منها والجمهور ، وأهل الحل والعقد فى المبايعة وأهل الفناء
وفى دخول الجميع فى شيعتها الناجحة ، وأحزابها المفلحة الراجعة ،
وفى هذا التاريخ ورد على مقامنا العالى رسولكم عبد الله مصحوباً
بكتابكم الذى خاطبتم به أخاه مع ما وجهتم من تحفتكم ، فطالعنا
كتابكم ، وعلمنا ما يضمه خطابكم ، أما ما عرفتم به من أحوال البلاد ، وما عليه
أهله من شمول السلامة لكل من فيها من الرعاية والأجناد ، وما هم فيه من رغد
العيش وتنمية للاعداد ، واتصال الامداد ، فلقد سرنا ذلك مسرة كبرى ،
وعظمت لدينا — يعلم الله — تلك البشرى ، فالحمد لله على ذلك حمداً كفيلاً

بالازدياد ، ولقد أثلج تعريفكم منا الصدور ، وفرحنا بماعليه الجميع من الطاعة ومشكور الخدمة في الورد والصدور ، وأما ما أشرتم اليه من انتجادكم لجمع الخيل والفتيان ، وحصول البعض من ذلك بأيديكم واجتهادكم على استكمال ما أمرتم به ، وبعد ذلك توجهون بذلك صحبة خديمتنا الأرضي كما ذكرتم ، فبادروا بذلك لمقامنا العالي في الفور ان سهل وأما ما ذكرتم عن الشيخ علي بن منصور وفراره بنفسه وأهله الى دار الشيخ محمود ، فقد أمانه بالأمان التام الشامل العام في نفسه وماله وسائر من معه ، فقد وسعه ما لم يسع غيره من أهل الجنايات والمعتقلين في التبعات ، فلتطمئن نفسه كل الإطمئنان بحول الله ، وأما ما ذكرتم من تقديم خديمتنا عبد القادر العمراني مكان الفاندي الفاسي القصري لكونه في الحالة التي ذكرتم من نسبه ومسكنته ، وكفايته وديانته ، فقد وافقناكم على ذلك ، فليبذل مجهوده فيما هو بصدد معاناً بحول الله وقوته ، وأما ما ذكرتم من جنوح سنغاي وكذا رئيس التوارك للسلم ، ورغبة جميعهم في الدخول في حصن الطاعة ، والانتظام فيما عليه الجماعة ، من الانقياد لأوامرنا العلية المطاعة ، فقد وفقهم الله لما يجمل بهم ، فخذوا بنواصيهم الى الارشاد ، والهداية الى ما يرضى رب العباد ، وينظمهم في سلك الخدام والأجناد ، فقد قال تعالى « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » (276) وقال عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه : « لان يهدي الله على يدك رجلا خير مما طلعت عليه الشمس » (268) ، فشددوا ارواحكم في حياطة البلاد ، وطهارتها من كل غي وفساد ، وعموم السعادة للحاضر منها والباد ، وانتجدوا

(267) محل الاستدلال بهذه الآية هو ما نزلت فيه من الحرب بين الاسلام والكفر . اما هنا فالجواب انما هي بين المسلمين عفا الله عن الجميع

(268) الحديث : « لان يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » وفي بعض رواياته « رجلا واحدا » والمعنى ان هدايتك للرجل ولو واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت على فرض ان لو ملكته وتصدقته به ، وذلك لان هداية الخلق من وظائف الانبياء التي عظم اجرها ، فكان صاحب الرسالة جعل الانقياد له من نوع تلك الهداية

لما يراد منكم من مشكور الخدمة أتم انتجاد، حسبما يعهد منكم ويعتاد، وإياكم ان تضيعوا في مقامنا العالى محل ايثاركم ، ومقر اعتباركم ، فأنتم أقرب من لدينا من أنجاد القواد ، ولا تالوا الجهد في نصحكم ، ولا تقصروا والله ينجدكم بمنه والسلام .

ثم مما يؤكد به عليكم أن تبحثوا عن وصفان الدار عند من كانوا في تينبكتو وغيرها من مملكتنا السودانية ، وقد بلغنا أن هناك لديكم منهم ما ينيف على سبعين وصيفاً فما كان من عند التجار يشتري منهم لمقامنا العالى ويبيع بهم لدارنا الكريمة ، مع ما هنالك منهم لا عمره الله ، وكذلك الخيل العتاق الجياد يبحث عنها غاية ، وتبعث أيضاً لمقامنا العالى ، فانتجدوا لذلك وابدلوا مجهودكم فوق ما أمكنكم ، وبه وجب الكتب اليكم والحمد لله . . . والسلام وفي سادس ذى الحجة أربعين وألف .

هذه هي الرسالة على ما فيها ، فان صح أنها من ايليخ فان ذلك يتأيد بالنصر الذى أدركته سنة 1039 هـ يوم استولت على تارودانت وما اليها ، فان في ناحيتها قبائل كثيرة لها عدة وعدد ، وقد انضوت فى الايالة سلماً ، وكذلك اتسعت الولاية الى أعالي الأطلس الى دادس ، وكذلك قطر سجلماسة كان الآن فى مختتم 1040 هـ مفتوح الأبواب لبودميعة سلماً أيضاً ، ولعل هذا كله ما يقصد فيما انمحي من الرسالة عند قول كاتبها :

« هذا وموجه اليكم . . . قبل هذا . . . ما اتفق عليه أهل هذه الأقطار المغربية الخاصة منها والجمهور وأهل الحل والعقد فى المبايعة وأهل الفناء . . . فى دخول الجميع فى شيعتها الناجحة وأحزابها المفلحة الراجحة . . . »

ومما يتقوى به أيضاً كون الرسالة من ايليخ ان قبيلة التوارك وهي دون تينبكتو تكون قبل دائماً فى ايالة السعديين ولو اسماً ، فتدوم فى أيدي الزيدانيين ولا ينتظر منها الولوج من جديد الا الى ايبالية ايليخ الممتدة الى تلك الناحية ، أو ليس الأمر كذلك ؟

وأيًا كان ، فإن الرسالة وثيقة تاريخية ، فإن صح أنها من ايليخ فأنها

قد تمكنت في كل تلك الناحية قبل مختتم 1040 هـ ، وإن صح أنها من الزيدانيين
فإن تمكن ايليخ في تلك الناحية إنما يكون بعد 1040 هـ بقليل جداً ، على
استبعادنا الكثير أن تكون الرسالة من الزيدانيين وإن كانت بعض أسماء وردت
فيها ربما تؤيد ذلك ، ولكن ما المانع أن يكون الفاسي والقصري من المستخدمين
في ايليخ ؟ فسترى من المستخدمين فيها بلا ريب مراكشيًا ومصلوحياً ودرعيًا ،
والناس أبناء أغراضهم المادية فأينما وجدوها طاروا إليها .

تسقط الطير حيث يلتقط الحـ سب وتقشى منازل الكرماء

وسنرجع لتحقيق هذه النقطة فيما يأتي حتى نهتدي إلى الوقت الذي
استولت فيه ايليخ على تلك الناحية ، فليكن معنا القارىء من المنتظرين .

نظرة عامة على ايالة ايليخ نحو 1044 هـ

امتدت الايالة الايليغية كما يرى من يتتبع ما تقدم بعد موت يحيى ،
فاستتمت الاستيلاء على درعة سنة 1036 هـ ، واسترجعت تارودانت وما إليها
سنة 1039 هـ ، وتمكنت في دادس حوالى قمم الأطلس الكبير سنة 1040 هـ ،
ووضمت إليها قطر سجلماسة سنة 1041 هـ ، وتمكنت في فونتي (269) نحو هذا
الحين ريثما تتمكن في أكادير بعد قليل ، وتمطت إلى الجنوب تمطياً بعيد المدى
حتى وصل نفوذها غينية وتجاوز تينبكتو وساد في كل تلك النواحي ، أما في
سنة 1040 هـ وأما بعدها بقليل ، وهكذا اتسعت الايالة اتساعاً عظيماً وساد فيها

(269) فونتي هو القرية القريبة من البحر في أكادير المحاذية لمرسأه ، وهي التي كان بها
البرتغاليون 72 سنة حتى أخرجهم منها محمد الشيخ الأول السعدي سنة 947 هـ بعد أن تآوشهم
هو وأبوه وأخوه أحمد الإمرج ستين قبل ذلك ، وأما أكادير - وممراته الحصن - فهو البناء المسور
على قمة الجبل فوق فونتي وقد بناء محمد الشيخ نفسه في تلك السنة ليكون مرقباً لاستكشاف
البحر ، وقد كان أغاضل السوسيين كالمعلماء والنسابة يرابطون فيه لذلك ، فقد ذكر القاضي أبو زيد
التامانارتي في فوائده الجمة أنه رابط فيه سنة 1016 هـ قال : « وكنت أبيت في السطح أراقب
البحر » وأمام القارىء تفصيل ذلك .

الامن التام كما ستراه فى كلام الأوروبين وازدهرت التجارة مع هؤلاء فاستغنت ايلينغ استغناء عجيباً تطفح به أقلام ذلك العصر ، وقد رقاهما الى منصة عالية موقعها فى ممر البواخر التجارية ما بين أوربة وبين البرازيل والهند وافريقيه الجنوبية ، فكاتبته الدول تسترضيها ، وتحاول كل واحدة منها أن لا تخلى يدها من صداقتها لتسهل التجارة ، ولتأتى فداء من ترميمهم البواخر الذهبية الآتية على هذا الساحل (270) فأمكن ايلينغ أن تنال عظمة تملئ رسالة ذات قيمة على ملك انكلتيرة تعلن اليه فيها مهادنة عامة ما دام يحزر كل من سقط اليه من أسرى المسلمين فى أية جهة كانوا من المعمور ، ولتنتظر الرسالة بنصها ،

(270) كانت الملاحة الى هذا المهد الذى يتحدث عنه المؤلف رحمه الله ما زالت محفوفة بالاطار رغما عن كون البحارة يستعينون بالآلات الموجودة اذ ذاك ، وهى البوصلة التى كانت فى أول أمرها عبارة عن ابرة مفروزة فى ثبته وهما موضوعان فى حق صلبه ماء ، وبلاسطراب ، وبالمسبار الذى كان عبارة عن عمود طويل من الخشب يجلس به أحد البحارين فى مقدم السفينة فيفطسه من حين لآخر فى الماء ليرى ما اذا لم تكن السفينة مشرفة على مس صخور أعماق الماء حتى لا ترتطم بها .

فلما اكتشفت البرتغال طريق الهند وبلغت كوا فى فبراير 1488 بواسطة قائدها بطليموس دياز بعد نصف قرن من التضحيات الجسيمة والمجهودات الجبارة ، واكتشفت اسبانيا اميركا فى ثانى أكتوبر 1492 م. (18 ذى الحجة 897 هـ) بواسطة كريستوف كولومب صار لزاما على الأوربيين القاسدين اليهما أن يعروا بالسواحل الافريقية التى اولها المغرب بالنسبة اليهم ، ومن المعروف عند البحارين ان الشواطىء الغربية لافريقية — خصوصا الجنوب المغربى — تصعب فيها الملاحة ، وكانت تقمع جراءة امهر البحارين — كما قال أحد مؤرخى ذلك العصر — وكانوا يحاولون الابتعاد عنها بحسب الامكان . ولكن الضرورة كانت تلجئهم اليها كالتموين وتجنب الزواجر البحرية وغيرهما مما لا نعرفه اليوم ، فكانت السفن ترتطم بالصخور المستورة بسطح الماء فيصير ركبها عرصة للاسر والاستخدام فى الأشغال الشاقة . فيترتب عن ذلك ما توجه ظروف ذلك العصر فى كافة بلاد الدنيا ، ولا ينبغي أن نعفل هنا ان احمد بن المهدي الغزال القاسى كاتب السلطان سيدى محمد ابن عبد الله وسفيره لفكالك الاسرى وجد فى اسبانيا جماعة من المغاربة اسروا فى طريقهم الى الحج فاستخدمتهم اسبانيا فى شق الجبال النائية عن العمران مع حسن علاقتها اذ ذاك مع المغرب .

وما دمنا بصدد التاريخ ، فلا بأس أن نتبث هنا ان كوا بضم الكاف المعقودة وفتح الواو ، قد ظلت البرتغال متشبثة بها رغم أنها جزء من الهند ، ورغم أن الهند استقلت كلها من يد الانجليز . فكلمنا طالب الزعيم جوهر لال نهرو من البرتغال اخلاء كوا ، ثمانه وتجادله ، فصيحبتها الجنود الهندية يوم 18 دجنبر 1961 م. فاستردتها فى أقل من لمح البصر .

فسبق بهذا الشرط السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى حين كان يحرص على تحرير أسارى المسلمين مطلقا (271) .

كما بلغت ايلخ في هذه الفترة عصرها الذهبى وأوجاً عظيماً يشيد به التاريخ ، وقد رأينا فيما مضى ، وسترى فيما ياتى ما يشهد لاستتباب الأمن فى اياتها ، ووفرة الغنى العجيب عند أميرها ، والعدل المحيط المؤسس على الاستقامة فى كل محاكمها ، مع تان عظيم فى استلحاق اطراف جديدة الى الايالة ، فلا يحملها الشره وكثرة الأطماع حتى تهتك الأعراض فى سبيل ذلك ، حتى كتب كاتب اذ ذاك كلاماً يستهزئ بها حين تختار غنيمة سلامة الأعراض على

(271) هو السلطان المعظم سيدى محمد بن عبد الله بن المولى اسمعيل بن الشريف العلوى وهو أحد الرجال العظام الموفقين تحرسه العناية الربانية عن مواطن الزلل ، زار الحرمين الشريفين دون البلوغ سنة 1143 هـ صحبة جدته لأبيه خنانة بنت بكار المذكورة فى الحاشية - 8 - ، وعينه والده خليفة براكش فأراد أن يبنى بها داراً لسكناء فمنعه سفهاء الرحانة فلم يحاربهم بل اتجه الى أسفى حتى جاءه أعيان الرحانة معتذرين وردوه الى مراكش ، وهذا من دلائل توفيقه ، وفى سنة 1162 هـ ثار العبيد والبرابر على والده بمكناس وزرهون ووافوه براكش ليبايعوه فلم يقبل منهم وردهم الى والده وأصلح ما بينهم وبينه ، وأعادوا ذلك فى 1164 هـ فرفض الانقياد لهم وصحبهم الى والده ، وهكذا كانت بواكير أعماله التغلب على المطامع والتحكم فى النوازع النفسية .

لما بويغ بعد وفاة والده سنة 1171 هـ اتجه الى اصلاح مملكته ولم يدع أى ناحية فسى مجتمعه لم يتجه اليها ، فقد أخذ رأى العلماء فى الجبايات وضبطها ، وأصلح التعليم ، وأصلح نظام القضاء وطهره من كل ما يحدث الشغب والتشعب ، وجدد الاسطول المغربى وادخل عليه التحسينات والاصطلاحات المالية فى عصره ، وعقد لذلك المعاهدات مع غالب دول عصره ، وكان أعظم حرصه متجها الى تحرير الاسرى المسلمين عموماً من ايدى الأوربيين والى تحرير التراب المغربى والاسلامى عموماً ايضا ، وكان له سفراء متخصصون فى الشؤون الدولية ، وهو الذى حرر البريجة من يد البرتغاليين بعد حصارها أربعين يوماً براً وبحراً سنة 1182 هـ ، فهدمها لما خرجوا منها خوف أن يعودوا اليها وظلت هذه تسمى المهذومة حتى أعادها عامل تامسنا حفيده الشريف سيدى محمد بن الطيب بن عبد الله أيام السلطان مولاي عبد الرحمان وسماها الجديدة وتوعد من سماها بغير ذلك ، واعتنى سيدى محمد بن عبد الله بمساعدة الدول الاسلامية فى حروبها للجانب ، فقد قدم للمترك كثيراً من المساعدات فى محاربتهم للروس ، ووجه كثيراً من المساعدات لاهل الحرمين الشريفين ووقف هناك الأوقاف المهمة ، وبلغ من اعتنائه بالنبوية انه ألف فيها وجمع كثيراً من كتبها .

كل ذلك لم يمنعه من أن يكون حازماً صارماً فى الشؤون الداخلية فكم صادر من عمال وكم قتل من ظلمة حتى كانت أيامه الطويلة أحد عهود الازدهار المغربى الذى قلما يتوفر الا نادراً . مرض رحمه الله فى طريقه الى الرباط وتوفى بين وادى الشراط ووادى يكم وحمل الى داره بالرباط فدفن باحدى قببها سنة 1204 هـ .

غيرها من الغنائم كما يوجد في رسالة الى الدلائيين في الثالث من الاستقصاء ،
(272) فيحاول أن يجعل من هذه المزية المدوحة عيباً مشنوئاً .

إذا محاسنى اللاتى أدل بها

كانت ذنباً فقل لى كيف أعتذر (273)

فلم تدخل ايليج غالب ما استولت عليه الا بالدعاية الحسنة ، فبذلك
استولت على تارودانت وعلى سجلماسة ، وربما كان كثير من ذلك أيضاً في تملكها
لدرعة رغم حروب ذكرت هناك نحو ثلاث سنين ربما كانت بين بعض أهالى درعة
وبين الزيدانيين أولاً ، ثم كان بودميعة فى جانب الأهالى بجيشه ، ولعلنا نقول
مثل ذلك فى السودان السعدى ، فقد رأيت فى الرسالة «انفاً ما رأيت مما يدل
على المسالمة لا على المعاركة والمقارعة ، ان صح انها من ايليج كما نرجح .

(272) الرسالة المشار اليها هي من انشاء العلامة الكبير عبد الله المسناوى بن محمد بن
ابى بكر الدلائى . مؤرخة بيوم الأحد 22 رجب عام 1047 هـ ، وجهها الدلائيون الى محمد الشيخ
الثالث السعدى ، ونص ما قصده المؤلف منها : « وأما صاحب ايليج السوس - يعنون بودميعة -
فما مراده وذويه الاغنيمة سلامة الاعراض ونجاة سلب النفوس » .

على حين انهم وصفوا له فيها مولاي محمد بن الشريف بن عل العلوى بانه : « عقاب اشهب
على قنة كل عقبة لم يقنعه عد المال عن حسم الرقبة » ، كما وصفوا جيوشه بأنهم « ذوو النفوس
النفيسة ، بربر صنهاجة ودخيمة ، بزة النزوات ، والمحال والفزوات » .

وغرضهم ان يمتطوا لمحمد الشيخ الثالث أمر مولاي محمد بن الشريف ليفزعوه به .
وان يهونوا له أمر صهره بودميعة ليفتوا فى عضده . والاجدل أو الأجلد الصقر وهو نوع من
البزاة يصطاد به .

(273) البيت لأبى عبادة الوليد بن عبيد البحتري ، وهو العاشر من قصيدته التى أولها :

فى الشيب زجر له لو كان ينزجر	وبالغ منه لولا انه حـجـر
ابيض ما اسود من فوديه وارتجمت	جليه الصبح ما قد اغفل السحر
ومنها :	

اهز بالشعر اقواما ذوى وسـن	فى الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا
على نحت القوافى من مقاطعها	وما على اذا لم تفهم البقـر

هذه الايالة الفيحاء المتسعة من سوس الى سجلماسة ومن حوالى قسم الأطلس الكبير ومن حاحة من الشمال الى الصحراء ، (274) والى غينية وراء تينبكتو ايالة تضم من الرجال الأشداء ومن موارد الأموال وطرق التجارة وموارد السلع التى تعد للمقايضة مع تجار أوربة شيئاً عظيماً لم يفز به من كانوا اذ ذاك من ملوك الطوائف بالمغرب ، كالزيدانيين والعباشى والدلائيين ، فهذا سر عظمة ايليج فى هذه الفترة ودعامة تلك الدعاية المكيئة التى تسيل بها أقلام كل من يزورون تلك الايالة الطافحة بالأمن والعلم والعدل ، كما يوجد كل ما يدل عليها بين يدى القارىء فى هذا الكتاب .

مستاصل ايليج ينبعث من مهده

اذا تم شيء بدا نقصه ترقب زوالا اذا قيل « تم »

(274) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « 276 ج 4 تاريخ مراکش للقاضى عن رحلة ابن مليح ، الحاج سنة 1041 هـ » .

وابن مليح هذا هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد القيسى المشهور بالسراج ، ويلقب بابن مليح ، ورحلته المسماة : « انس السارى والسارب » من اقطار المغرب الى منتهى الآمال والمآرب ، وسيدى الأعاجم والأعارب ، صلى الله عليه وسلم . خرج من مراکش فى الموكب الرسمى للحج فى آخر صفر 1040 هـ ، وبعد الحج وصلوا المدينة المنورة يوم الجمعة 3 محرم 1042 هـ ، ومهمهم هدية الى الروضة الشريفة من السلطان المولى الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور السعدى ، وهى شمعدانان (حسكتان) من المسجد مركبتان على يواقيت من الزبرجد ، وزن كل واحدة منهما اربعة أرتال من ذهب ، واثنان اخريان من الفضة الخالصة وزن كل واحدة منهما عشرة أرتال ، وصندوقان مملوءان من شمع المنبر ، وعشرة آلاف من الذهب المطبوع ، ورسالة وقصيدة ، وكتب على حسكتى الذهب بخط أخضر .

متح لحاظك فى محاسن منظرى لترى عجائب مثلها لم يمهـد
قصر على غصن الزبرجد قائم ينبيك عن حب (الوليد) لـ (أحمد)

أما ما قصده المؤلف رحمه الله من التعليق المذكور فهو قول القاضى سيدى العباس بن ابراهيم رحمه الله أثناء استعراضه لمحتويات الرحلة المذكورة فى الرجوع الى المغرب وهو : « ثم وصلوا بلاد فزان ثم توات ، ولقوا سرية جاءت للساقية الحمراء لنهب ابل الرباط سيدى على نجل سيدى أحمد بن موسى فلم يظفروا منها بشئ » ومعنى ذلك ان وجود ابل سيدى على بودميعة فى الساقية الحمراء وكون النهاب جاءوا لنهبها فلم يقدروا عليها يدلان على أنها من ايلاله وانها محصنة .

ما رفع الله شيئاً الا وضعه ، فهذه ايليج بلغت فى هذا الحين أوجاً عظيماً كان يدل بظاهره على أن قدمها فى الامارة راسخة ثابتة ، وعلى أن الأيام قدمت اليها كاساً دهاقاً لم تكن لتنزعاها من شفيتها الا بعد أجيال متعددة ، ولكن امر الله هو الغالب ، وما الحكم الا له وحده ، واليه تصير الأمور ، فقد ألفت الأقدار البذرة الاولى التى ينبت منها من يستأصل ايليج فى هذا الوقت الذى تنتشى فيه بالعزة .

قد رأينا استغاثة الشرفاء ببودميعة واغاثته اياهم فى الحين ، ثم تمثيله لدور الذئب الذى أعطى وطبا (275) ليفسله فى النهر فأكله ، فلما طلب منه قال أكلته فيما أستحقه من الأجرة عن غسله ، وكذلك بودميعة فانه عمد الى سجلماصة فانتزعها من كلتا الأسرتين المتنازعتين عليها ، أسرة الشرفاء التى استغاثت به وأسرة الزبيريين التى تخصمها ، ولا ريب أن ذلك تمثيل لدور ان كانت سياسة الملك والاستيلاء تستسيغه ، والمستضعفون أصحاب اللوثة (276) يتقبلونه ، فان أمثال آل الشريف الأباة الأحرار يانفون من تمثيله أمام أعينهم وفوق رؤوسهم ، والأنفة لا تعرف الاستخذاء ، ولهذا رأينا ما بين آل الشريف وبين بودميعة يحول الى تفاقم ، فانفصمت عرى المودة وانحل ما بينهما من الالتئام .

هل بويح الشريف بن على فى سجلماصة قبل هذا الحين ؟

يذكر التاريخ ما ياتى :

(275) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الوطب الجلد الذى يمشى فيه الحليب وهو المسمى الشكوة » .

(276) اللوثة الضعف والاسترخاء ، يقال رجل ذو لوثة اذا كان بطيئاً متمكناً فى الأمور مسترخياً ذا ضعف .

« كان المولى الشريف بن علي بسجلماسة وأعمالها على ما وصفناه قبل من الوجاهة والرئاسة والسيادة ، ممثل الأمر ، متبوع العقب (277) منذ نشأ ، ثم بايعه أهل سجلماسة سنة إحدى وأربعين والف ، ونازعه بنو الزبير أصحاب تابوعصامت ، وبذلك استصرخ عليهم أبا حسون السملالي حتي ملك سجلماسة كما مضى .

هذا ما قيل من أن الشريف بويغ له سنة 1041 هـ فعاكسه جيرانه هؤلاء ، ثم لم يجد ملتجدا (278) من مناوئهم ولا متملصا منهم الا بالاستنجد بالآليغيين ، وللنفس في هذا توقف ، فالعاقل كالشريف يستبعد منه أن يستنصر بعد أن تزيا بزى الامارة بمن يعرف منه انه يمثل معه قول ابن الحسين :

ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده تصيده الضرغام فيما تصيده

وربما كان بعض ذلك ، فيضيق الحال بالشريف حتى يقف مع أقتاله (279) موقف عبد الله ابن الزبير مع الاشر النخعي يوم الجمل وقد تلازا وتقابضا بالأيدي فرفع عقيرته يقول

اقتلونى ومالكاً واقتلوا مالكاً معي (280)

(277) من معاني العقب بفتح العين وكسر القاف : مؤخر القدم ، ومنها الحديث الشريف « ويل للأعقاب من النار » لأن الناس يغفلون عن غسلها في الوضوء ، ويقولون فلان موطوء العقب ، ومتبوع العقب اذا كان يتقدم الناس وهم يتبعونه أى انه رئيسهم والمقدم فيهم ، وهذا هو المراد هنا .

(278) الملتحد الملجأ والمهرب ، أى يجد مناصاً من محاربتهم .

(279) الاقتال جمع قتل يكسر القاف كسدر له معان من جعلتها القرن والعدو وهو المراد هنا .

(280) الاشر صفة من شتر كفرج وبالبنا للمجهول أيضا ، اذا كان جفن عينه منقلبا ، وهو لقب للبطل العربي الشاعر مالك بن العارث الاشر النخعي نسبة الى النخع بفتح النون والخاء قبيلته ، وهو أحد قواد الاسلام ، كان على ميمنة جيش الامام على يوم الجمل وبارز على شيخوخته وكونه لم يذق الطعام ثلاثة أيام عبد الله بن الزبير بن العوام على شبابه فصرعه وبرك عليه ، فجعل عبد الله ينادى أصحابه وينشد البيت الذى اوردته المؤلف هنا ، وحيث أن ام عبد الله بن الزبير هي اسماء ذات النطاقين أخت ام المؤمنين عائشة ، فان الاشر يقول :

عائش لولا اننى كنت طاووسا	ثلاثا الفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادى ، والرجال تجوزه ،	باضف صوت : «اقتلونى ومالكاً»
فلم يمزقوه اذ دعاهم وعمه	خذب عليه فى المعجاة باركا

ولو كنا بصدد منشأ هذه الدولة العلوية المباركة العلية ، لكانت لنا مندوحة فى التوسع فى هذا البحث حتى نقف معه على ما يثلج الصدر ويكشف الريب ، ولكن حيث اننا بصدد ذكر غيرها فليعد القراء هذا المستدرك رمية من غير رام ، فلعل من يتصدى لتلك الدولة الشريفة يحقق ويدقق فى هذا الموضوع حول هذه النقطة التى وقفنا ازامها ونحن فى شك مظلم ، لان ما يتبادر غير ما ورد فى كلام المؤرخ المذكور

مولای محمد بن الشریف يتلع رأسه

كان ما بين هؤلاء الشرفاء الامجاد وبين ال ايلخ متلاثما ملتحما كما تقدم ، فما الذى احدث الشقاق بينهما جديدا حتى رأينا بينهما هذا التنازع ، فيخرج مولای محمد الى الميدان بشجاعته التى لا تدرك ، وعظم بخته الذى لا بخت يوازيه

يقول المؤرخون ان الزبيريين ال تابوعصامت هم الذين حاكوا بنسجهم مكرًا كبارا (281) بيتوه فاحكموا الدسائس بين بودميعة وبين الشرفاء حتى افسدوا القلوب ، ونسفوا الثقة المتبادلة بينهما ، فلم يزالوا بالامير حتى تمكنوا من اصاخته اليهم ومن ثقتهم فيهم خاصة ، فظهروا من جديد فى سجالساسة بعد ما كانوا فى اقماع المذلة والهوان ، فتم لهم ما ينشدون من قبل من السيادة هناك ، فكانوا هم عمد ايلخ فى ذلك القطر ، واليك ما قاله اليفرنى فى نزهة الحادى :

« لما رأى أهل تابوعصامت ما بين المولى الشريف وابى حسون من الصداقة والوصلة مالوا بكليتهم الى ابى حسون ، وخدموه بانفسهم واولادهم، واطهروا له النصيح وصدق المحبة طمعا فى استفساده على المولى الشريف اذ

كان ظاهرا عليهم به ، فلم يزالوا يسمعون فى ذلك الى ان اظلم الجو بينهما واستحكمت العداوة ، وتوفرت دواعيها ، ولما رأى ابنه المولى محمد بن الشريف ذلك اهتبل الغرة فى اهل تابوعصامت وخرج ليلا فى نحو مائتين من الخيل مظهرا انه قاصد لبعض النواحي ، ثم كبسهم على حين غفلة وتسور عليهم حصنهم ، فما راعهم الا وهو فى جاعته ، فوضع فيهم السيف ، وحكمه فى رقابهم ، فلم يكن عندهم دفاع ، واستمكن منهم ، واستولى على ذخائرهم وشفى صدر ابيه مما كان يجده عليهم .

وقال سيدى ناصر المزوضى فى كناشته :

« دخل مولاى محمد بن الشريف تابوعصامت فى شعبان 1047 هـ فقتل الشيخ عبد الرحمان والشيخ عبيدا ، هذا ما قاله هذا السيد ، ولا ريب ان هذا التاريخ بـ 1047 هـ فيه ما فيه .

وقال صاحب مقيد موجود بالمكتبة العامة بالرباط :

« وغدر الشريف اهل تابوعصامت : الشيخ عبيدا والحاج ملوكا بمعاونة ابن عمهما الشيخ احمد ، وقتلهم الشريف مع جماعة من خدامهم ، واكل جميع اموالهم ، وهدم ديارهم فهرب من بقى الى ابي حسون ، وبعث اليهم ابن عمه واولاده بجيش فيه نحو الفين من الرماة وخمسماية من الخيل مع اولاد عبد الكريم ، وكانوا بتاڤيلالت ، وردوا البوعصامين الى بلادهم ، وحاصروا الشرفاء فى قصبته »

وقال العربى بن عبد السلام فى الدرة المكنونة الغالية : (282)

(282) « الدرة المكنونة الغالية فى وصف الدولة العلوية العالية » لابی حامد العربى بن عبد السلام الفيلى ، فدين طيبة ، كان حيا سنة 1212 هـ اثني عشر ومائتين وألف ، موافق 1797 م . استعملها بقوله : « الحمد لله الذى لا يملك غيره ضرا ولا نفعا » الخ يقع فى نحو الخمسة كرايس توجد بالخزانة الزيدانية نسخة منه تحت عدد 1022 .

« لما دخل بين الشريف وبين ابي حسون اهل النقص والجرائم
والسعاية والنميمة ، جند الجنود وبند البنود ، وجاء بخيله ورجله ، وشيخه
وكهله ، حتى وصل درعة فبداله وانتظر فيها ما عنده ، فوجه له مولاي الشريف
ابن اخيه مولاي عبد الكريم بن الفضيل ، وحفيد اخيه محمد بن احمد بن محرز
وابن اخيه مولاي عبد الواحد بن حجاج وبعض الكراوة والسيد عبد السلام بن
احمد فى حدود تكون بينهما محدودة ، وتلقى رماح الحرب بينهما منبوذة ،
بشرط ان يرحل من درعة ولا يحذو ابدا حذوه ، فعظمهم سيدى على واكرمهم
واعطاهم ووعدهم ، فطلب مولاي عبد الكريم من سيدى احمد بن على فرسه
الادهم فاعطاه له ، وطلب مولاي محمد بن احمد دار القائد والدمنة (283) فاعطاه له ،
وزاده مدفع اكزيز ، وطلب مولاي عبد الواحد جنان الغازى واقرنين فاعطاهما
له ، وزاد مدفع افريمان ، وكسا الكراوة ، فالتفت سيدى على الى سيدى عبد
السلام : ما حاجتك انت عندنا ؟ وقيل له : رد جواب سيدى على ، فقال ماذا ؟
مولاي الشريف ومولاي محمد يقرئانك السلام قائلين لك : ان رحلت من درعة
التي ملكها الله لهم فالعهد باق بيننا ، وان بقيت نقضت عهودنا ، ولا نسلها
ابدا بالهوان والعنا ، فقال له سيدى على ظننتك مسكيننا وانت بهذا جئت
وسكت تتعجب ، فقال انما تعجبت من السادات ، تحققوا ان سجداسة ملكت
بالسيف ، ويطلبون منك منفعة الخريف والصيف ، واذا ذلك دخلت على سيدى
على رسالة بان سيدى احمد بن ابراهيم فى مرض شديد لا يدرون ان ابطلا هل
يجده حيا اولاً ، فشيعهم بلا جواب ، فرحل منزعجا باذن رب الارباب ،

(283) والدمنة هذا : شكله المؤلف بضمة على الواو وضمة على الدال المشددة ، وسكون
على اليم ، واذا كان اصل اللفظ عربيا فامرء طامر ، واذا كان اصله شلحيا فان الواو المضمومة
تستعمل فى الشلحية لما تستعمل له ياء النسب فى المربية فكانه نسبة الى محل يسمى الدمنة ،
وكثيراً ما تشتهر كبار الشخصيات بمثل ذلك .

اقول يظهر ان هذا اللقى فى درعة كان بعد الوقعة بالزبيريين ، فربما كان ينوى بودميعة ان يفتك بالشرقاء بزحفه الى تافيلالت ، الا انهم تحيلوا فلاقوه كانهم ما فعلوا بالزبيريين الا ما يستحقونه ، فيطمع بودميعة ان يتالفهم حين لاقوه هذه الملاقاة ، وذلك هو الموافق لسياسة اللين المعروفة عنه ، فوصلهم كما ترى ببساتين وبخيل وكسوة وسلاح ، الا ان التفاهم الذى يميل اليه بودميعة كدره عليه قول عبد السلام الصريح حين اعلن اليه ما ينوونه بغير مجمعة ولا مؤاربة ، والمقصود بكون تافيلالت ملكوها بالسيف انهم بصدد تملكها تماما بعد الوقعة بالزبيريين ، لا انهم ملكوها بالفعل ، والا لتم الامر ، فلا يمكن ان ياتى هؤلاء الشرفاء الى بودميعة لانها مفامرة لا يسيغها العقل ، فهل يكون نصيبهم لو كان ذلك واقعا حقيقة الا الاعتقال ؟ ولو كانوا رسلا لما جاءوا اجمعون ، ولما طلبوا منه ما طلبوا ويؤيد ان ذلك انما المقصود به ما سيقع ما قاله عبد السلام ايضا ان درعة ملكها الله لهم ، يعنى ان ما عندهم من اخبار الحوادث التى ستقع يدل على ذلك ، وكثيرا ما رأينا من كلام مولاي محمد الشريف نفسه استدلالا بالجفريات فى انه سيكون له ملك يورثه ذويه

وايا كان فقد اسبل الله ذيل حفظه على الشرفاء فى هذه المرة فانزعج بودميعة بخبر مرض الفقيه احمد بن ابراهيم فرجع ، واحسب ان الجيش الذى ذكر فيه الفان من الرماة وخمسائة من الخيل كان بعثه فى هذا الحين الى سجلماسة بعد رجوع بودميعة ليرد الزبيريين الى ديارهم ، وليحتال رئيسه على الشرفاء ، لأن الحوادث لا تنتظم الا بذلك . وعند الكلام حول الدلائل ما يدل على ان بودميعة ذهب الى تافيلالت بنفسه فحاصر الشرفاء حتى استسلموا مكرهين ، وسيأتى ذلك .

مولاي الشريف فى سجن ايليغ

قال الضعيف (284) « اوعز بودميعة الى قائد سجلماسة ابي بكر بعد

284 هو ابو عبد الله محمد بن المرباط عبد السلام بن احمد بن محمد الضعيف بصيغة التصغير ، الرباطى المولود فى ذى الحجة عام 1165 هـ وتأليفه مجموعة تقايد لحوادث وقعت فى وقته او فيما قبله فى تاريخ المولة العلوية الشريفة الى سواى سنة 1233 هـ ، وهو متداول على قلة ، ويوجد بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم « D 660 » .

ان استقر الزبيريون فى ديارهم ان يحتال على رئيس تلك الأسرة حتى يعتقله فيسوقه مسجوناً الى ايليج فتعارض ابو بكر فعاده الشريف فاعتقله فوجهه الى ايليج منفذاً للأوامر الصادرة اليه بكل دقة ، وبذلك توترت العلاقات بين أسرة الشرفاء وبين ايليج توترا عظيماً ، فانفجرت الشقة بينهما انفراجاً لا يمكن معه اى التثام ، فعرف الشرفاء انهم امام مجاذبة عنيفة لابد ان يشدوا لها حيازيمهم ، ويستنفدوا فيها جهودهم ، فانه لا امان لهم بعد ، ولا حياة ترجى لهم مع بودميعة ، فقد صرح الشر وزال الغطاء ، وان هذا السبب ظاهر يتخذونه ذريعة الى ادراك تلك الأمنية التى هى من عهد بعيد مرماهم فى الحياة ، وفى تفصيل اعتقال ابى بكر للشريف قال الضعيف :

« اشتد غضب بودميعة حين فتك ابن الشريف بالزبيريين »
تابوعصامت ، ثم طلب من ابى بكر صاحب الشريف ان يعتقله ، فاعتذر اليه بالصحبة ، ثم بداله فنزل ازاء دار الشريف ، فتطلب ملاقاته ، فمنعه اولياؤه ، ثم تمارض ابو بكر فارسل الى الشريف يستعيده ليتمكن من مال لبودميعة ، فاغتر الشريف ولم يستشر اولاده ، فذهب اليه فاعتقله ابو بكر فى القصبه ،
اقول : ان بعضهم يزيد ان الشريف صرخ فى وجه معتقله : « انسى تركت لكم ايها الغدارون اسداً كامراً مترون منه ما سترون »

وقال سيدى ناصر المزوضى فى كناشته :

« اعتقل بودميعة مولاي الشريف يوم الثلاثاء ١٠ شوال سبعم واربعين والى ، فسجنه بتازروالت حتى ولد له مولاي اسماعيل »

اقول ان فى تعيين هذا التاريخ ما فيه ، لان الاعتقال وقع قبل 1046 م كما عند آخرين ، كما ان مولاي اسماعيل لم يولد فى وقت الاعتقال كما يقوله اهله

ادخل مولاي الشريف معتقلا الى ايلينغ فامر به بودميعة احتياطاً ان يوضع في حصن بقنة جبل جنوبي ايلينغ ولا يزال طلل ذلك الحصن الى الآن ، وهناك يقضى هذا الشيخ تلك الايام التي قدر عليه ان يقضيها في الاعتقال ، وقد وسع عليه بودميعة بدليل انه انعم عليه بسيدة اقترن بها هناك ، وهي ام مولاي اسماعيل ، واصلها من الوداية اهداها الجراريون الى بودميعة ، كما يقوله الضعيف وغيره ، وقد اختلف المؤرخون هل ولد مولاي اسماعيل اذذاك وأبوه في الاعتقال ، أو لم يولد الا بعد رجوع والده وتخلصه من الأسر ، فهناك من صحح انه ولد في ايلينغ ، فقد رايت بعض من ذكر ذلك فيما سفتناه قريبا ، ووجد ذلك ايضا بخط بعض المعتنين من السوسيين ، كما ذكره ابن الصباغ أيضا من غير السوسيين ، وهناك من صرح بأنه ما ولد الا في سجلحاسة سنة 1056 بعد تسريح والده من الأسر ، وتأيد هذا القول بان رجال الاسرة يتناقلون بينهم تعيين مسقط راسه من دار ءال الشريف ، ومن يميل الى هذا ويرجحه شيخنا المولى عبد الرحمان بن زيدان مؤرخ الدولة العلوية ، وأهل مكة أدري بشعابها (285) وقد استدلل لذلك بأمر ذكرها في مؤلفه الخاص بمولاي اسماعيل ، وإيا كان فامه — كما ترى — اقترن بها والده وهو في سوس او تسرى بها على احتمال عندهم ايضا

ومما يتعلق باعتقال مولاي الشريف تبعا لجريان ذكر اولاده ، ما يذكره اهل قرية الدهائرة من ايفيرملولن جيران ايلينغ ان مولاي الرشيد كان في صغره يتعلم في مسجد قريتهم يوم كان أبوه معتقلا ، يتناقلون ذلك فيما بينهم ، ويقولونه بكل تصحيح ، ونحن نعلم ان مولاي الرشيد ولد سنة 1040 هـ فان كان ما يقولونه صحيحا فان والده استقدمه ليأنس به في غربته ، وقد عرف في التاريخ انه كان يلهج به دائما ، ولا مؤنس للاب الغريب كولد له صغير يدرج بين يديه

(285) أهل مكة أدري بشعابها : مثل متداول يضرب لكون أرباب الشيء أدري بخفياته وخباياه من غيرهم .

ايلخ تصطك ءاذانها لثورة ابن الشريف

زج بالشريف فى مطبق ايلخ ، وهو سيد عظيم القدر له حرمة وجاه فى بلده ، فلم يبق حينئذ امام ءاله الا احد امرين : اما الخضوع لايلخ والبصبة عند منازع نعالها يستشفعون الرحى من الايليخين بدموع الذل والانكسار ويستنزفون الاعتذارات الممكنة عما اقترفوه فى الزيريين بين ايديهم مستسلمين مستكينين ، واما مصارحة ايلخ بالعداء والبروز الى الميدان باعلان الثورة ، والصراحة بالمقصود فى قطر سجلماسة ، ولو كان هناك غير مولاى محمد بن الشريف الأبى المقدام لكان ربما اختار الشق الاول ، لكن مولاى محمد بن الشريف الأنوف لا يختار الا الشق الثانى ، فيصارع بما فى نيته ويقامر لعله أن يكون من الفائزين ، وهذه المغامرة امر طبيعى يؤيدها ذلك العصر وبئثته ، فكما أن سجن الذهبى لعلى ابن الشيخ سيدى احمد بن موسى انقل (286) عليه صدور ذويه ، كذلك سجن بودميعة للشريف بلغ بلا ريب من نفوس اهله مبلغا عظيما ينفذ معه كل صبر ، وتتأصل به كل ضغينة ، فلا غرو ان رأيناهم يركبون الأسنة ويديرون الى المناضلة والمبارزة الاعنة

اذا لم يكن الا الأسنة مركب فلا رأى للمضطرب الا ركوبها

قال مؤرخ فى ذلك (287)

« لما قبض ابو حسون على المولى الشريف وسجنه عنده كان ولده المولى محمد مجمعا على اهلاك من بقى من أهل تابوعصامت ، واستئصال شأفتهم (288)

(286) يقال نخل الجلد من باب فرح اذا فسد فى الدباغ . وانغله الانسان افسده ، فصار يكتئب به عن فساد قلب انسان على آخر ، اما خير سجن المنصور السعدى لعل بن الشيخ سيدى احمد بن موسى فى تارودانت فقد تقدم صدر الكتاب .

(287) علق المؤلف على ذلك بقوله : «الناصرى فى الاستقصاء» ، صفحة 8 جز 4 .

(288) الشافة مهموزة وغير مهموزة واستعمالها مهموزة اكثر وأحسن ، قرحة تكون فى باطن القدم أو الكف فيحدث تورمها الألم ، وكانوا يستأصلونها بالكي حتى لا يبقى لها أثر وربما استأصلوها بالقطع كما وقع لرجل الامام عروة بن الزبير المذكورة فى الأغاني ، فاستعير ذلك لعلح دابر الشئ . وحسه واكثرها تستعمل فى نحو ما استعملها فيه المؤلف رحمه الله .

وكان قد تقوى عضده بعض الشيء بما أخذ من أموالهم في الوقعة السالفة ، فاتخذ بعد تفريب أبيه الى سوس جيشا لا بأس به ، وانضم اليه جمع (289) من اهل سجلماسة واعمالها ، وذلك سنة خمس وأربعين والـف (290) ، وكان اصحاب أبي حسون قد اساءوا السيرة في سجلماسة ، ونصبوا حباله الطمع في الناس حتى ملتهم القلوب ، وزرعوا بغض المملكة السوسية (291) في قلوب الخاصة والعامة ،

الى ان قال :

« ولما قدم المولى محمد واجتمع عليه من ذكرناه انفا دعاهم الى الايقاع بأهل السوس ، فاجابوه ووجد عندهم داعية لذلك ، فاعصوبوا عليه ، وصرفوا عزمهم الى محو دعوة ابي حسون من بلادهم ، فطاروا بعماله للحين ، واخرجوهم عنها صاغرين بعد قتال شديد »

هكذا ابتدا أمر مولاى محمد ، فانه اغتتم ما كان لابد ان ينال اهل سجلماسة من اهل السلطة الجديدة ، وذلك طبيعة كل سلطة جديدة ، فبت الدعاية ، وجسم افعالهم ان لم تكن حقا جسيمة ، فثار ثورة عامة وجد فيها من الانصار ما يهاجم به حامية ايلخ التي لابد ان تكون موجودة هناك قليلة او كثيرة ، فيجد من اصحابه ومن الناقمين على اصحاب السلطة اعوانا اشداء

(289) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « سترى عند تكلما حول الدلائين مع ايلخ ان كل قبائل تلك الصحراء حول تافيلالت كانت مع مولاى محمد » .

(290) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « هذا ما عند هذا المؤرخ - يعنى صاحب الاستقصاء - وفي كلام اخرين ان هذه الثورة ما كانت الا بعد هذه السنة ، فارجع الى كلام سيدى ناصر المزوضى يوم وقية مولاى محمد بالزبيريين التي ارخها بسنة 1047 هـ ، ولكن من تأمل ما سيأتى من كلام ابن أبى بكر الدلائى يذهب الى ما ذهب اليه الناصرى في الكلام الذى سقناه » .

(291) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل فى الأصل بقوله : « وفى الكلام حول الدلائين نصوح لهذا الحيف المنسوب الى بودمية » .

يقدر أن يتغلب بهم على الحامية التي يفجأها بثورته قبل أن يتخذ الاحتياط الذي تقتضيه مجارى الاحوال ، وربما كان السوسيون هناك يخالون انهم ملكوا ناصية البلاد بعد اعتقال الشريف ، ويتوهمون ان اولاده يسكنون خوفا عليه ما دام معتقلا ، ولذلك يفجأون بهذه الثورة من غير احتياط منهم ، فتنال منهم ما تنال ، والمفاجآت فى الثورات دائما معهودة قديما وحديثا ، واليها يرجع فوز كثير من الثورات المحبوكه حيكما متقنا ، ثم لابد ان مولاي محمد واجد من أصحاب السلطة السوسية مقاومة مستميتة مع ذلك ، لكنهم لكونهم غرباء عن البلد يندحرون بسرعة امام اهل البلد الذين شرعوا يطردون العمال السوسيين واعوانهم من امصار سجلماسة الواسعة (292) ، وكل غرباء وقعوا فى مثل ذلك مباغتة سيسيتون بكل اهل البلد ظنا فينابذون الجميع ، وبذلك يتقوى جانب البلديين على الغرباء ، وتضعف القوة المعنوية من الغرباء بقدر ما تتقوى فى الآخرين ولو كان الغرباء أكثر وأقوى .

طارد السجلماسيون تحت قيادة الثائر الجديد اهل ايليج حتى صفت لهم سجلماسة بعد قتال شديد كما ذكره ذلك المؤرخ ، وذلك يدل على أن الايليغيين عرفوا انهم يقاتلون قتالا لا تترتب عليه حوادث اخرى ، وان الفائز الآن سيظل الفوز محالفا له دائما ، ولكن مع ذلك مالت كفتهم كعادة الايليغيين فى كل المواقف الحاسمة ، فانسحبوا مرغمين الى درعة ، فتركوا ذلك القطر القسيح الافيح بين يدى صقر الشرفاء ، وقد انتزعه منهم مغالبة وهم ينظرون ، فصح ما كان قاله الشريف مولاي عبد السلام «انفا لبودميعة من تملكهم سجلماسة بالسيف .

292 علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « يقال ان هناك ثلاثمائة قرية كبيرة ونصف ، وفى كل قرية مئات من الديار ، وتقع الجمع فى كلها » ، يعنى انها كلها تصل فيها صلاة الجمعة .

تسريح مولاي الشريف من الاعتقال

ورد في كلام بعضهم ، بعد ما ذكر اعتقال الشريف ، ما يأتي :

« فاستغاث ابن الشريف بالدلائيين بوفد أبطأ هناك حتى استحوذ عليه القلق ، وكان الدلائي استمهلهم حتى يكاتب بودميعة فأبوا ، ثم ذهب المولى محمد بن الشريف بنفسه الى الدلائيين فعاد بلا طائل ، (293) وحين وصل الشريف الى بودميعة معتقلا قال لمن اعتقله لو أطلقته لما قلت لك شيئا ، ولكنه الآن لا بد من اداء ما انفقناه في قضيته ، ثم أطلقه بعد ما كان الشريف بدرعة - كذا - بقنطار ونصف ، ثم غدر بودميعة فعدا على الشريف وقال له : لا بد من اخذ ولدين من اولادك رهينة ان اردت تسريحك ، فقال له الشريف : اما محمد فانه سلطان ، واما الرشيد فلو قلعت عيني ما تنازلت لك عنه ، وافعل بغيرهما ما اردت ، فضيق عليه ، ثم كاتب الدلائي في اطلاقه فاجابه واطلقه ، وكان رجوع الشريف من سوس سنة 1051 هـ » (294) .

وقال « اخر وهو يذكر مولاي الشريف :

« ومن فراسته لما سجنه اهل الساحل واستعملوا كل حيلة في تملك البلاد عجزوا ، اذ ترك فيها اولاده الآساد ، فطلبوا منه قنطارا ذهبيا ليسرحوه فاعطوه على يد سيدي محمد الحاج ، فقدر فيه يعني بودميعة ، وادخره لنفسه وبنيه ، فقال مولاي الشريف ، يا اولاد سيدي احمد بن موسى والله حتى يهدم الرشيد هذه الدار ويأخذ ذلك القنطار (295) .

(293) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « سترى عند الكلام حول الدلائيين بذل الشيخ الدلائي جهده على قدر طاقته » .

(294) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الضعيف » راجع الحاشية 284 .

(295) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الدرة المكنونة الغالية » ، راجع الحاشية 282 .

نال مولاي محمد بن الشريف ما نال من الانتصار الباهر في تافيلالت
ووالده لا يزال معتقلا عند الايليقيين وهم يطمعون ان يسترجعوا بسببه البلاد ،
وان يتوصلوا بأولاده رهائن — كما ترى — فأعوزهم ذلك ، وقد اهتم مولاي
محمد بامر والده ، فصار يجيل قداحه كيف يقع استخلاصه ، فاتخذ في اطلاقه
وساطة الدلائيين ، فأخذت تلك الفدية الكبيرة من ابنه ، فأطلق والده بعد ما
تردد بودميعة في اطلاقه كما ترى ، ويؤتى لى ان بودميعة فعل ذلك كتزلف الى
الثائر الجديد ، وما مثل ذلك التزلف وتلك الملاينة من بودميعة اللين الجانب
السهل المريكة ببعيد ، ولا يقال ان الفدية مما يستبعد معه التزلف المتوهم ،
لانا نقول ان اخذ الفدية لا ينافي التزلف كل المنافاة بل ولا المنة ، لان يد
بودميعة مستطيلة على اسيره ، فلو اراد الفتك به نكاية بولده لفعل ، غير ان
هذا التزلف ان صح لم يجد شيئا امام المولى محمد الضرغام الحديدي الارادة ،
فلم يكذ يتصل بوالده حتى كان منه ما كان .

ثم ان بودميعة الذى يقبل الفدية والحالة هذه ، لمتجاوز الحد فى
الطمع من جهة ، وضئيل السياسة المحنكة التى يقتضيها المقام من جهة اخرى
مع ان المقام يقتضى سلوك غير هذا المسلك ، واتباع سياسة الحزم والصلابة
وقرع التبع بالنبع ، لكن مثل بودميعة المتورع عن الدماء (296) خصوصا دماء
امثال هؤلاء الشرفاء ، المحب للمال خبا جما (297) ، يعذر ان صدرت منه مثل
هذه الاحوال المتناهية فى الضعف واللؤة (298) وخور العزيمة ، وسنعلم فيما
ياتى ان من طبيعته المرتكزة فى صدره محبة المال ، والاهتبال بالتوصل به
كيفما كان الحال ، واين حاله من حال ذلك الهزبر الذى يزأر فى سجلماصة
وهيمته امتلاك الرجال لا الأموال .

(296) علق المؤلف رحمه الله على ذلك بقوله : « يعبره بذلك الدلائيون فى رسالة ، وسترى
عند الكلام على الدلائيين تورعه حقا عن دم هؤلاء الشرفاء ، صرح بذلك فى رسالة له الى الدلائيين » ،
ولعله يعنى بقوله يعبره الدلائيون الخ ما تقدمت اليه الاشارة فى الحاشية 272 .

(297) علق المؤلف على ذلك بقوله : « يصفه بذلك بعض معاصريه ، ويظهر ان ذلك
منه صحيح » .

(298) تقدم تفسير اللؤة فى الحاشية 276 .

ان الأسود أسود الغاب همتها * * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

بيعة مولاي محمد وانقضاضه على درعة

رايت كيف اجتمع السجلماسيون على مولاي محمد وكيف استطاعوا تحت رايته اجلاء السوسيين عن قطرهم ، ولا ريب أنهم يتيمنون بسعد طالعه فتتراءى لهم تلك التنبؤات التى لها اذذاك روجان فى الاندية على الافق ، فيفتبطون به ويزدادون فى امره بصيرة حين يونسون منه قوة نادرة ، وبسالة ما مثلها بسالة ، فيكون ذلك كله فى انظارهم ارهاصا لامارته المنتظرة ، فسرعان ما يجيبون الى بيعته يوم يدعون اليها، وما بيعته الادعامة لامرهم الذى يحاولون أن يستقلوا به وينتزعوه من السوسيين ، وقد علموا انهم لا ييأسون منهم الا يوم يرون لهم اماما مطاعا ، وامير: ثابت القدم معروفا ، فاذذاك فقط يكفون عن استرجاع تلك الناحية وييأسون منها « كما يشس الكفار من أصحاب القبور » .

قضى الامر ، فرسخت قدم الامير الجديد فى الامارة التى انتصب فيها سنة 1050 (299) ، فما ذا يصنع أهل ايليخ امامه وهو من هو اصالة فى الرأى واقداما فى الميدان ، وعراقه فى الشرف الناصح ، فها هو ذا يتصل بوالده الراجع من معتقله ، ثم يجمع قوته فيزحف الى درعة وما اليها ، فبعد ان كان الايليغيون مهاجمين عادوا أمام زحفه هذا من المدافعين .

كان الايليغيون انسحبوا الى درعة بعد ما طردوا من سجلماسة ، ومقصودهم ان يتخذوا فيها خطا يحد ايالتهم شرقا بعد ان حرموا تافيلالت ، وحصنا حصينا دون هجمات الشريف السجلماسى ، ولكن هل صفت لهم قلوب

299) علق المؤلف رحمه الله فى الأصل على هذا المحل بقوله : « وفى كلام للشيخ ابن أبى بكر الدلائى ما يفهم منه انه يبيع قبل 1046 هـ ، ولعلها البيعة الأولى يوم ثورته ، او المقصود بيعة أبيه سنة 1041 هـ التى كنا شككنا فيها قبل ، وليس تحقيق ذلك من موضوع كتابنا » . ويعنى بقوله « كنا شككنا فيها قبل » ما تقدم فى فصل هل يبيع الشريف بن على فى سجلماسة قبل هذا الحين ! .

كل الدرعيين حتى يمكن لهم أن يعتمدوا عليهم ؟ فقد جرى في كلام الدلايين ،
وستراه ، كلام حول سيدى الطيب بن عبد الله ابن عمرو الذى له وراثة عن ابيه ،
المكانة الرفيعة فى القلوب والتجلة العظيمة فى العيون ، فقد فسد ما بينه وبين
بودميعة ، فلا ريب ان كل من اليه يستأوون لاستيائه ، وهذا السيد يقطن -
لعل - فى زاوية ابيه فى سبجلماسة ، ولا يبعد ان يكون الصلحاء ارباب الزوايا
فى مثل موقعه من بودميعة فيجتون (300) اهل الساحل ، فلا يكادون يرون
انهزامهم الشنيع من سبجلماسة حتى يهملوا بما يهملون به بدورهم او يتمنون
وقوعه على الأقل .

وهذا بمينه ما وقع ، فقد حدثنا التاريخ بقوله :

« وفى عام خمسين وألف وقعت الفتنة بين أهل الساحل وأهل مزكيطة
وهلك من أهل الساحل مائتان وسبعة وثمانون رجلا ، ونهب لهم مائة وعشرون
من الخيل ونيف وستون من البغال وأربعمئة مدفع - بندقية - وقتل فيهم
القائد محمد بن منصور الملولى وابن عمه ابن موسى بن الحسين وابن عمه
يوسف بن محمد » (301) .

وحدثنا أيضا بقوله :

« ثم قدم سيدى على أبو حسون ونزل درعة فى عاشر رجب عام خمسين
والف ، وتمادى حتى نزل بجيشه دابر - كذا - وهدمه وهدم القصور والساقية
واقتل مع أهل مزكيطة ومع أهل امفران فى ساقية المان ، وبقي فى ذلك
الموضع واحدا وأربعين يوما . فلما كان السابع من رمضان بعث قائدا من
قواده يسمى عدى الى تاملكالت فسقط عليهم أهل مزكيطة وامفران وقتلوا منهم

(300) من اجتوى الشئ، كرهه .

(301) علق المؤلف على هذا السجل بقوله : « من المجموعة فى الخزانة الرباطية » وليراجع
القارى، الحاشية 179 .

تسعمائة ، واكلوا منهم مالا كثيرا ، بعد ما اعطى سيدى على على غدارة اهل
مركبته سبعة عشر الفا ، ونهاية ما نزل به سيدى على عشرة الاف من الرماة ،
وثلاثة الاف فارس ، فلما مات هؤلاء انكسر ورجع الى سوس ، وقتل من اهل
السوس كلهم تسعمائة ونصف .

هذه الواقعة كانت قبل المناجزة بين الشريف وبين بودميعة فى درعة
يوم زحف الى ذلك الوادى بخيله ورجله ، وواقفه بودميعة ايضا بكل قواه ،
ولا تشك فى ان الالفين يستنفدون جهودهم فى الاستعداد لهذه المعركة
الحاسمة بكل ما اوتوا من عدة وعدد ، لأن دماهم صارت تغلى حنقا على الشريف
الذى خرج من تحت ضبنهم (302) ، ثم رأوا منه فى قليل ما لم يروا عشره فى
حينين كثيرة من زيدان وابناء زيدان ، فانه ذلك المقدم المفاخر الجلد القوى
العضلات « الاجدل (303) الذى لا يؤوده برد زمهرير الشتاء ولا حرارة قيظ
الصيف ، غراب اشهب على قنة كل عقبة ، لم يقنعه عد المال دون حسم
الرقبة » (304) ولا مراة ان ما يقع فى درعة بين الجيشين سيكون عنيفا
ويديدا ، وذلك ما ورد عن لسان اقلام التاريخ ، فقد قال احد المؤرخين :

« لما تمت البيعة للمولى محمد بن الشريف وجمع الله سبحانه شمله
بابيه ، شمر لمضايكة ابيه حسون واهل سوس ببلاد درعة اذ كانت تحت ولايته
كبرا قلنا ، فنهض اليه فى جمع كثيف ووقعت بينهما حروب فظيعة يشيب لها
الوليد ، ثم انقشع سحاب تلك الفتنة عن انتصار المولى محمد وانهزام ابيه

(302) الفين بكسر فسكون ما بين الابط والكشح الذى هو اسفل الجنب ، ومعنى خروجه
من تحت ضبنهم انه كان فى امكانهم ان يتلافوا امره .

(303 - 304) علق المؤلف على هذا الحل بقوله : « هذا الوصف للشريف من رسالة
للدلائين الى الزيدانيين ص 142 ج 3 استقصاء » ويعنى بها ما تقدمت الاشارة اليه فى الحاشية
272 ولها تفسير الاجدل .

حسون وفراره الى مسقط رأسه من ارض سوس ، فاستولى المولى محمد على درعة واعمالها ، واتسعت ايلته وتوفرت جموعه وعظمت جبايته ، (305) .

من جملة اقوال هذا المؤرخ نعرف ان بودميعة هو الذى قاد بنفسه جيوشه الى درعة اثر ما انهزم له جيش فى مزيطة ، وبذلك ندرك مقدار الخطر الذى تحس به ايلين حتى يحتاج الامير نفسه ان يرأس الجيش المدافع ولا يكتفى ببعض القواد الذين لابد ان يكثرؤا فى بابہ ، ولكن نشأ عن ذلك ما يتخوف منه دائما كبار الامراء السياسيين الذين يجتهدون ان يقودوا بانفسهم جيوشهم الى امثال هذه المعارك الحاسمة ، ويرون ان الاولى من جهة القوة المعنوية للجيش ان يبقى صاحب السلطة العليا بعيدا عن ميادين المناجزات حتى اذا وقع انهزام للجيش يبقى منه رجاء للغاثة ومد المعونة ، واما اذا انهزم بنفسه فان القوة الادبية تضمحل من الجيش فى لحظة بل ومن كل الدولة، وهى فكرة حربية قديمة لها فى تلك الاعصار قيمة ثمينة ، وقد تمشى عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتأخر عن قيادة جنوده فى القادسية (306) ، الا ان هناك

(305) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « مى 8 ج 4 الاستقصا » ونص المراد من ذلك : « ثم انقشع سحاب تلك الفتنة عن انتصار المولى محمد وانهزام ابى حسون وفراره الى مسقط رأسه من ارض السوس ، فاستولى المولى محمد على درعة واعمالها ، واتسعت ايلته وتوفرت جموعه وعظمت جبايته . وطار فى بلاد المغرب صيته ، وكان من امره ما نذكره » .

(306) هى المحل الذى وقعت فيه بالمراق المعركة الكبرى بين المسلمين والفرس . وكان القائد العام لجيش المسلمين سعد بن ابى وقاص مريضا ومع ذلك استطاع ان يسير معركة حاسمة تدوم ثلاثة ايام بلياليها حتى انتصر ، وفيها فتحت مدائن كسرى وبلاد الفرس ايام الخليفة امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكان عدد المسلمين فيها ستة عشر الفا وعدد جيش الفرس ثمانين الفا يقودهم رستم ، وفيها كان وعاطد جيش المسلمين يقولون ان النصر لمن يصير بعد خصمه ساعة ، وصل سعد بالناس اول جمعة لهم هناك فى ايوان كسرى قرا فى ركعتها الاولى « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم » الآية .

ورأى عمر رضى الله عنه فى ذلك انه اذا انهزم قائد أو جيش فان تلافيه ممكن ، اما اذا انهزم رئيس الدولة نفسه فان امره قلما يقبل التلافى ، زيادة على ان الحروب الاسلامية لها ضوابطها الانسانية التى لا يمكن العدول عنها ، اما الغزاة الآخرون فان اعتمادهم يكون على الارهاب والتخريب .

آخرين كتيمرلنك (307) والصفار (308) ونابليون (309) لا يرون هذه الفكرة

(307) تيمورلانك هو الغازي الفاتح الشبيه بسيزار والاسكندر ونابليون ، ولد سنة 736 هـ . ونشأ بين قمقه السلاح وصهيل الخيل وفوران الدماء . كان أبوه عاملا لبعض ملوك عصره . يدعى انه من سلالة جانكيز خان ، ومعنى لانك الأعرج . خاض الحروب والمغامرات نيفا وعشرين سنة جنديا وعاملا وتأثرا ، حتى اعتلى عرش بلاده في بلخ ببلاد الفرس سنة 771 هـ وحارب لافتتاح خوارزم الى سنة 782 هـ ، ولما دخلها تقوى سلطانه وهابه جيرانه من مسلمين وغيرهم ، كان مسلما شيعيا يسير معه في غزواته كثير من رجال الدين والعلماء ، امتلك جميع بلاد آسيا ما عدا الصين اذ مات وهو على امية التوجه اليها ، كان لا يتحمل ان يقاومه من يفرههم والا دمرهم ، فقد قتل في اسبهان سبعين ألفا واقام الابراج من جاجهم ، وكذلك في تكريت ، واحتل مسكو عدة أعوام ، ودخل دلهي عاصمة الهند فاعجبته كثيرا ومع ذلك قتل من أهلها ثمانين ألفا ، ودفن في سيواس أربعة آلاف جندى نصراني أحياء ، واباح مدينة حلب لجنوده ثلاثة أيام ، اما دمشق فقد اكفى باستعباد أهلها ، وطلب الى علماء الشام اصدار فتوى باستشهاد من مات من جنوده ، ودخل بغداد سنة 803 هـ وقتل أكثر من عشرين ألفا من أهلها ، وقاتل السلطان يا يزيد العثماني واسره حتى مات في اسره حول انقرة سنة 805 هـ ، واتخذ سمرقند عاصمة لمملكته حيث مات سنة 807 هـ عن واحد وسبعين سنة وقبره فيها بديع الزينة والعظمة ، وكان قلما يبعث احد اولاده لقيادة بعض جيوشه بل هو الذي يتولى قيادتها ، وذلك ما يعنيه المؤلف .

(308) هو يعقوب بن الليث الخارجي الصفار لأنه كان يعمل في النحاس الاصفر ، وقيل له الخارجي من باب نسبة الشيء الى ضده اذا اشتهر به ، فقد كان أول أمره يقاتل الخوارج لردهم الى مذهب أهل السنة ، ثم ضرى على الحرب وسفك الدماء وقطع آلاف الرؤوس ، ثم صار يحارب الدولة العباسية نفسها ويهزم جيوشها في بلاد الفرس ، ثم عاد يسألمها ويطلب ولاية بعض أعمالها ويمد على ذلك بالاموال الطائلة ويهدى اليها الهدايا النفيسة ، فقد اهدى مرة للخليفة المعتز بالله نفائس من جبلتها مسجد من الفضة مخلع ، اى يمكن تفكيكه ، يسع خمسة عشر رجلا ، ولكن الدولة كانت تتخوف من طموحه .

وقصد في أيام المعتد العباسي الى غزو بغداد نفسها فبرز اليه الخليفة وهزمه ففر تاركا أمواله وخزائنه .

كان يشع المنظر من ضربة سيف بوجهه في احدى وقائمه مع الخوارج سقط فيها بصف وجهه فرد وخيط وظل مدة لا يتخذى الا بواسطة انبوبة يصب له منها الغذاء في حلقه ، وظل فيه مفتوحا مدة طويلة لئلا يتغفن جرحه .

استمر بواسط بعد انهزامه امام الخليفة المعتد العباسي ، واشغل بتدبير شؤون دولته الواسعة حتى مات بمدينة جنديسابور في خوزستان سنة 265 هـ .

(309) هو نابليون بوناپارت المولود في اجاكسيو سنة 1769 م . من اسرة فقيرة مفروط الذكاء ، سعيد الحظ ، تكون كقائد حربي في الوقت الذي عصفت فيه الثورة الفرنسية بكل مفومات المجتمع الفرنسي واضاعت الاموال واراقت الدماء حتى ملها الناس فصاروا ينظرون لنابليون كمنفذ منها ، ثم قاد الجيوش الفرنسية في ايطاليا لتقهر المتألبين على فرنسا فانصر ثم ذهب بجيوشه لمصر حيث ظل نحو ثلاث سنين ليقطع على انكلترا طريق مستعمراتها كما يزعم ، ولكنه في الواقع كان يتربص هناك الدوائر بالحكومة الفرنسية لينقض على الحكم ، فدخل البرلمان الفرنسي بجنوده سنة 1799 م وشنت النواب ، وبعد مراوغات سياسية أعلن نفسه امبراطورا على فرنسا وممتلكاتها

ولا يرفعون لها راسا ، فانهم يقودون دائما جيوشهم بانفسهم ثم لا يبالون انتصروا ام انهزموا الا انهم فى شجاعة فائقة وبسالة نادرة لا نضمن مثلها لأميرنا بودميعة ، ولذلك لا نلزه معهم فى قرن واحد (310) .

ها نحن اولاء نرى بودميعة ينهزم ثانية من درعة فيقبع فى كسر بينه وقد فقد كل القوة التى تحمله على معاودة تلك الجهة ، فقد ايس منها ، ونرى ان الشريف لو كان له ارب فى سوس لربما نجح فى الاستيلاء عليه فيستعجل ما قضاه اخوه المولى الرشيد بعد ثلاثين سنة من هذه الواقعة وما سهلنا امر سوس امام هذا الشريف المحظوظ الا لما علمناه منه من اقدام لا يقف امامه شئ ، ولكن لعل هناك قوة عظيمة انتصبت امامه ، ولم يحدثنا عنها التاريخ ، وان كان قد حدثنا بكثرة ما فى ايالة بودميعة من الرجال الذين تتكون منهم جيوش جرارة لو كان هناك امير غير امير ايليج الذى يختار « غنيمة سلامة الأعراض » ، « والتورع عن الوقوع فى الدماء » (311) وما أجدر ذلك الشريف الهمام المقدام أن ينشد فيه :

فاصبح يمثل دور الملك لويس الرابع عشر فى البذخ والفخفة ، وتوج اخاه جوزيف ملكا على إيطاليا ثم على اسبانيا ، واخاه لوسيان ملكا على هولندا .

وكان من طبعه انه كلما انتصر ازدادت مطامعه وازداد خصومه ، ففاسى الشدائد فى محاربة الانجليز الذين جروا عليه حرب اسبانيا التى انهكته ثم حرب روسيا التى ذهب اليها على نية التمجيل بالانتصار عليها والرجوع حينئذ الى فرنسا فخاب امله ورجع منهزما ولم يبق له مما كان يسميه الجيش الاكبر حتى ثلثه ، فتتركزت له فرنسا وخطته ، ثم سيق منها الى جزيرة صغيرة فى البحر الابيض المتوسط ، ففر منها وعاد الى فرنسا لاتارتها من جديد ، فسيق الى جزيرة سانت هيلين بالاطلانتيكى الجنوبى كسجين حرب تحت يد الانجليز وهناك مات معوزا سنة 1821 م .

310) اللز الشد والربط والقرن بفتح القاف والراء : الحبل يلز فيه شيثان ويقرنان . وهذا اقتباس من قول جرير :

وابن اللبون اذا ما لَزَ فى قرن لم يستطع صولة البزل الفناعيس

وابن اللبون هو الجمل الذى دخل فى سنته الثانية والبزل جمع بازل وهو الجمل الذى انشق نابه وذلك يكون فى السنة التاسعة غالبا ، والقناعيس جمع قنماس وهو الجمل العظيم الطويل . أى ان صولة القوى تغلب الضعيف اذا لَزَ معه فى قرن واحد .

311) راجع المسطور الأولى من العاشية 274 فان فيها ما قاله الدلائيون لمحمد الشيخ الثالث فى شأن بودميعة هذا .

وقائلة لم عرتك الهموم وامرك ممثل فى الامم
فقلت ذريتى على حالتى فان الهموم بقدر الهمم

وان ينشد فى بودميعة الامير الوديع المسالم :

وقائلة مالى اراك مجانباً امورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة فنحن اناس بالسلامة نفرح

ذكروا ان تيمورلنك (312) التترى انهزم مرات كثيرة أمام أحد أعدائه ، فضاقت نفسه ، فركب فرسه منفردا الى خلاء ، فلما ابتعد جلس القرفصاء (313) متأملا فى حالته ، فاستمالت نظره نملة تحمل شعيرة تحاول ان تطلع بها فى منحدر عال ، ففى كل مرة تسقط بحملها فلم تياس ، وفى كل مرة تعاود الطلوع حتى نجحت اخيرا ، قال : « فانتفعت بعملها ، واقتديت بصبرها ، فعادت عدوى فلم ازل اناجزه حتى تغلبت عليه » ، وقد كنا ننتظر مثل ذلك من بودميعة انر انهزامه من درعة مرتين ولكن اليأس غلب عليه فنفض يديه من درعه وتافيلالت فحرمهما فى العشرين عاما التى كانت باقية من حياته ، ولم نعلم ان ايلاته انبتر منها شىء ثم لم يسترجع الا درعة وسجلماسة ، واما كل الايالة من حاحة فسوس فالصحراء فالسودان فانه باق تحت ايلين حتى ايامها الاخيرة ، وما ذلك الا لكونها لم يدب الى طرف من هذه الأطراف مثل اسد سجلماسة الوثاب .

بهذه الحرب التى وقعت فى درعة اختتمت معلوماتنا عن حروب بودميعة ، ثم لم نعلم له مناجزة عظمية غيرها حتى توفى عام 1069 هـ ، وكان انهزامه من درعة أمام ابن الشريف بعد 1051 هـ بقليل .

(312) تقدمت ترجمته فى الحاشية 307 .

(313) جلسة القرفصاء هى ان يجلس الانسان على البتية ويضم بطنه لفخذه ويجمع ركبتيه (أى يحثي) بيديه .

مراسلة بين بودميعة ومولاي محمد بن الشريف

عثرنا على رسالتين تبادلتها اذذاك ايليج وسجلماسة ، وذلك على ما فى تاريخ الرسالتين ، بعد ان تمكنت الدولة السجلماسية فى درعة ، وهاك الرسالتين على ما فيهما من تحريف وتصحيف فيما لم نستطع فيه ادراك الاصل من بعض الالفاظ ، وقد سطرناهما بمقدمتيهما ومؤخريتهما من الناسخ لهما فى أواخر القرن الثانى عشر :

« الحمد لله ، هذه رسالة كتب بها مولانا ابن مولانا الشريف رحمهما الله لاهل ايليج السيد على بن محمد وصنوه السيد ابى حسون بنى محمد بن محمد ابن أبى العباس سيدى احمد بن موسى فى غرة محرم عام احدى وستين وألف :

« الحمد لله الذى ينسخ ظلال ضلالة المردة الثائرين بأشعة شمس الخلائف، ويفسخ ضباب بطالة الجبابة الجائرين الطغاة الطوائف ، الصائب سبحانه فى تصريف صواب أفعاله وأقواله « الله يعلم حيث يجعل رسالاته » ونشهد يقينا انه لا تعزب عنه سرائر كل ظاعن وقاطن ، اذ هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، يقهر بقوة البطش اى شيطان مريد ، ويظهر دون سطوة الجيش كل سلطان يريد ، وان سيدنا ونبينا وشفيعنا محمدا مصباح الوجود ، المنتشر شروقه على حضيض الاغوار وجيود النجود ، وعلى آله خوافى الجوانح وقوادم الجناح ، وصحابته عراييد الكفاح ، وصناديد الصفاح ، وعن التابعين الهادين المجتهدين ومن لهم مقتف الى يوم الدين .

وبعد فقد عطفنا الكنتد والمناكب ، لخطاب أقطاب المراكب ، ولمواكب ينابيع الوفاء والسخاء ، ومرايع الصفا فى الأزمة اللازمة والرخاء ، حفدة من علق السفرة من الثرى على عاتق قرن الثريا (314) ، بالعناية الربانية دون سمعة ولا

(314) السفرة طعام المسافرين . والخوان الذى ييسط عليه الطعام . وهذا هو المراد هنا ، وقد اشار صاحب الرسالة بذلك الى ما يشاع اذذاك ككرامة للشيخ سيدى احمد بن موسى الجزولى جد بودميعة من انه اخذ سفرة ومد يده فعلقها فى الثريا وهى الكواكب السبعة المعروفة على شكل عنقود عنب .

ريا ، ابي الحسن على ، والاخ على ابي حسون ، وغيرهما من الاعمام والاخوان ،
المعتكفين على الخير وعليه اعوان ، كسا الله اعراضنا واعراضكم والمسلمين
بحلل الحياء والرحمة والحلم ، وجنبنا من الهفوات فى ظلمات الضيم والظلم ،
سلام عليكم ما جمع بالرضا النافع رعد ، وافترغ وعيد المعتادين دون ضرب
ميقات ووعد ، ورحمته سبحانه مع البركة الكافيتان بانفكاك اوكية الحرج ،
المضمختان اخلاء الخواطر بمختوم الارج ، فقد كاتبناكم من روضة الحنظل
المرقوم ، وغيطة العلقم والزقوم ، فى القلب والحلقوم ، من ذاقهم مفترأ
لا يرقد ولا يقوم ، سر الرياسة ، وستر السياسة ، وحومة حزمة الحماسة ،
مسقط رؤوسنا سجلماصة ، جبع (315) لا يجنى منه شهد العسل ، الا بمدى
السنابل وسموم الاسل ، كتب الله لنا نشرة انتزاح المراحل ، المعطلة ارحال
وأحوال سحرة الجواليت وأهل السواحل .

ولا زائد بعد حمد الله الواحد القهار ، المزهر الربا بتيجان الازهار ،
الا ما قدره فى علمكم يقين الخبر والعيان ، واعتقدته عقول العوام والاعيان ، ان
البستان الاخضر وادى درعة ، ماؤها كما قيل ينشئ الشحناء والشر والمجاعة ،
كما ينبت كل واد ذيبه ويراعه ، بذلنا المجهود فى صونه وتحصينه من كل
تنية وترعة ، الى ان اتسد الامان بعد كل يوم روعة اما حركة او جوعة ، الى ان
صفا محض غرضه من كد كل نكد الكدر ، ولم يراع صولة صائل ورد ام صدر ،
وقال لسان حاله « انحلت عنا والحمد لله عقدة الحذر » ، فطرقنا أن خريتمكم نحوها
الحارث أبو مرة ، زخرف لاخلادكم الأياب والخلود فيها ثاني مرة ، فخشينا ان
تقودكم ارسان الاوهام ، بعد مروكم منها مروق السهام ، فالمسلم لا يجمع بين

(315) الجبع بضم الجيم وكسرهما حيث تعمل النحل اذا كان غير مصنوع ، قال
الطرماح لابنه :

وان كنت عندى انت احل من الجنى جنى النحل اضحى واتنا بين اجبع

اثنين حرتين ، والمومن لا يلدغ من حجر مرتين ، وانتم لدغتم مراراً من الشقوق والفران ، الى ان عافتكم الخنافس والطوامير والفيران ، فالسعيد من اعطى الهاما بغىي غيره ، والبعيد الشقى ينعط بقلبة ايره ، كم جر عليكم الدهر فيها من ذبول المزائم ، فمقدم لها الحزم فمؤتمها لوازم المزائم . اللهم انى اعوذ بك ممن لا يراعى ستر عورات شحات العار ، ويعرض جواهر عرضه للاسواق البخسة الاسعار ، ومن الشنيع الشهير وقعة زاكورة بعد فضيحة ابي دهير ، كاد ولدكم ان يجعل للمنية فى مخالاب القبضة ، لولا جواد الشراد اقتحم به غضون الفيضة ، أسأرتكم (316) جيفتكم للذئاب والهوام والنسور ، وبأدرتم فرار الخزى للقصور المحصنة بالسور ، ومن غد اصبح نصيبكم منها مطروحا مطرودا ، وطلقها عليكم قاضى القهر بعدول الصواهل والصوام والصعاد والبارود ، ولسان الحرمان ينادى عليكم لا عطف ولا رجوع ، الى ان تعود شرور الجزع والوجع واعوام الجوع ، ولا لعقتكم من علقها الاكف والاصابع ، حتى حطت فيكم محاور الحروب أظطح الطوابع ، فما استفتحننا الا فتكة العبد حمو منصور ، فى عرين سليمان الأسد الهصور ، وان كان فيما سلف عدوا ازرق ، فقد صاحب الوالد فى الاخذ وصدق ، ولما بيننا وبين اخيه ابي الحسن على بن سليمان من مصاهرة ابنته رحمة المنكورة ، قبله وزور النسوان ، تحقق لدينا ان مسعودة والدتها من سبى بنى مغفر ، فاستخلصها فقفا سيدها الاثر ، فى اقرب زمن الى ان باعها لهم باعلى قيمة واغلى ثمن ، على ان من انكر نسله ، فقد اترف نسله ، ولو وقع أحدهما بأيدينا لقمنا بواجب حقه ، وراعينا فاخر قدره ودقه ، لاريب انكم ضعفتكم قديما بوطننا الاوكان والاركان ، وزعزعتكم اكنان الطاعنين والسكان ، اعرتكم وغرتكم غبائر الغدر فى كوني اذ ذاك صبيا غبيا صغيرا فخلا لك الجو والدو ، وشرعت

(316) اسار : ابقى وترك . من السؤر بالهز وهو ما يبقى فى الاناء من لبن أو طعام .

تشن غارات الغدر وتغير ، صبحت مصباح الصباح ، وجدلت على بودادان مع
بنى حديد بتلك البطاح ، ففرست بالصقع عروق المقام ، على يد العصبنة
التي اعتكفت على عداوتنا وصامت ، غنجاوة الغير وتابوعصامت ، ولا هاجت
منى همة الهم الطارف والتالد ، الى ان غدرتم كهف ودكم الوالد ، فكانت غيبته
علينا حمدا لله غنيمة الاختيار والخيرة ، حازها لنا حاكم الخلق الذي لا تنفد
لربحه فى خزائن الاختيار ذخيرة ، فلم يزل سعدنا بعده يزداد فى طلوع
وشروق ، وشفق مع غسق ادباركم لدياركم تساقط اوراقه الى العروق ، كم
وقعة قاد النصر لنا عليكم فيها كل راية خافقة وبند ، واليمن والبركة يجلبان
لنا من الجهات أجمل وأجلد جند ، الى أن بقى الحرب بيننا قسطاس وسجال ،
ومناجل المنية تحصد اجال الرجال ، أجلها عليكم غمرة وبلاء ضحوة ضحى
الحمام فحمو بلا ، حملت على حمائكم العقبان العلوية ، والشواهن العبدان
والحراطين النسور ، وخلفوكم اسارى الاحياء للنساء ، وحيارى الحشرات فى
حاسى السور ، ولا تسئل عن حطمة لطام البحائر ، اسأرت الأبصار
حاسرة ، والحشا حائرة ، اما الطراد بيننا ولو تعدد ما فيه باس ، ولا على جيعنا
فيه عار ، وغدركم الأب تسربلتم منه الدثار ، وتدرعتم الشعار ، مع علمكم أن
الملوك الانجاد ، لا تبالى بفقد الأبناء والآباء والأجداد ، فان الأعمار لا تنتقص
ولا تزداد ، فعلم يحتمل الحلاحل مذلة الأضداد والأنداد ، وما كان لى
حضوره فى الحضرة الا شكالا وشكيمة ولجام ، واذا توارى عنا خلعت عذار
الاعذار للصولة تارة محارب وطوراً هائجاً هجام ، حتى قدس المطهر من البلدة
ادناس عمالكم وخدامكم ، ونسخ دواء الدائم سبحانه ما ابتلى به من الم جذامكم ،
ولا كاتبناكم الى حين انبأنا صاحبنا الاصدق الخير ، الصفى الاصيل ابو حمو
الكبير ، فقد وجهنا نحوكم الفقيه المحزوم السيد محمد التاجموعتى من فخذ
بنى محزوم ، وصاحبه الشيخ محمد النزروجى ، ومنتظرون جوابكم معهم يجرى ،
وحاصل القصد ان المجتمكم اليهود والعقود ، فكونوا من بأسنا على فرشكم من

الأمّن رقود ، والا أنشأنا الشر الأشمط شبابا شديدا احوشا ، والله يؤيد بنصره
ويوتى ملكه من يشاء ، ومتمثلون بيت ابي حمو الذى طعن فيه

نقود الى الهيجاء كل مضمّر * ونقدم اقدام الاسود الضراغم

والسلام (317) .

وهذا جواب اهل زاوية ايلخ لمولانا محمد بن مولانا الشريف رحمهم
الله ونحن والمسلمين :

« الحمد لله الذى انبسطت على الاقطار سطوته وسلطانه ، وانضبطت عرا
عزمات الاوطار فارتبطت بعزتها اوطانه ، المنفرد بالغيب والغلبة ، والنهر والقهر ،
والمقدر للاوقات كل ليلة ويوم وشهر ، والمقدر اقوات خلقه بامتداد ذهاب
انقلاب الدهر ، حبا الرسل منحة الوحي فخصها بمحض الوصول ، وحرص
بالنص كل حلال وال ، أن يحمى هذا الدين الأحمدى من كل لص بالصواهل
والنصول ، ونشهد انه سبحانه متحد فى الصفات والافعال والاقوال ، ومقدس
عن صفات ونعوت المعتدين على غرة عرين الاعمام والاخوان والاخوال ، وان
سيدنا وهاديننا وشفيعنا محمداً نعم البشير المشمر عن ساعد وساق الجدد ،
واكرم واكمل كفى كفله بعد العم العميد الجد (318) ، صلى الله عليه وعلى هالة هاله
اهلة الاسعاد والاعباد ، والاجلة الاصحاب المعتدين للمعتدين بالعوالى والقطب على

(317) هكذا وجدنا هذه الرسالة فى الاصل ، وهى وان كانت محررة بالعبارات الجارية
اذ ذاك على السنة متوسطة الثقافة ، فانها تعبر عن جراءة واقدام مرسلها الذى كان غرضه الأول
منها بلا شك هو اقزاع خصمه وارهابه . ويظهر انها قد ادت الى الغاية المقصودة منها ، يظهر
انرها فى الرسالة المجاب بها عنها .

(318) صواب هذه العبارة أن يقول : « كفله بعد الجد العميد العم » لأن عبد المطلب بن
هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم مات فى السنة الثامنة من عمر الرسول عليه السلام فكفله
عمه أبو طالب حتى توفى قبل الهجرة بثلاثة أعوام بعد امنا خديجة بشهر فسمى الرسول عليه
السلام ذلك العام عام الحزن لوفاة سندين عظيمين له فيه وهما عمه وخديجة ومعنى العميد هنا
السيد والسند .

العناق الجياد ، هذا وموجبه لمن أوجب الله لهم اليد الطولى ، وأنجب سؤالهم وجوابهم فى الآخرة والاولى ، حفدة على من فاطمة الزهراء ، الحائزين قصبات سبق الستر سرا وجهرا ، واخص من خصه المهيمن قبل اخوانه ، واعمامه وأخواله ، بفوائد وموائد اليمن الشامل سيرة أفعاله ، وثقة أقواله ، مولانا عماد ابن مولانا الشريف بن مولانا على أعلى الله خطوته ، واطلق فى اقطار اوطانه خطوته .

« سلام عليك وعلى والدك الجواد الجليل، وعلى من شملته حضرتكم المولوية من الوالد والوليد ، مع كاتبكم الذى هو فى صواب صراط مخاطبته بليد ، ورحمته تعالى وبركته المطيبان طريف خطابكم والتلبد ، فقد كاتبتناكم من زاوية الولي العزيز البليغ ، والدنا السيد احمد ابن موسى الغريب بمعنى ايليغ ، كتب الله لنا ولكم والمسلمين من تقلبات الاوقات براءة السلامة، واسدل على اعراضنا سوابغ الفناء عما يفرينا ان نظلم ولو قلامه .

« ولا زائد بعد حمد البارى الا جوابكم بما يشفى لكم من جانبنا الغليل ، ولا يفادر من غاية الغرض اى جليل او قليل، حيث تصفحت بصائرنا منشوركم، وما اليه أوما واشار ، الفينا شوره بين التشور والانتشار ، فوهت افهامنا وهدها الوله والبله والذهول ، لما هذبتم اهدابه به من الدها المأهول ، فحرت فى شرح مساويه وفرج مناقبه ، اذ أبت عبارات عنوانه ، عبور وعر معرة عواقبه ، فالاقدام يخوض مداخل مخارجه ، ولا اقدام تعرج لعرش مدارجه ، فبقينا كالمرهون المرهوب بين السكر والنوم ، او من عراه الريب بين الفطر والصوم، لولا الصنو ابو حسون كلفنى صعود الصعود وشفا هذا الجرف ، ما اجبتكم بلفظة ولا حرف ، ولكن خشينا من جيود بعض الشؤون ان تتعطل ، وقلنا قول عمرو : مكره اخاك لا بطل (319) ، وامثلة الاعراب لكل سراب ءال ، وسر الجواب يحده السؤال .

(319) هذا مثل يضرب لمن هو مدفوع الى فعل شئ ليس فى طبعه ، كما ان هذا الذى قاله انما هو مدفوع الى القتال وليس شجاعا بطبعه .

ويرويه النحاة بالالف ، ويصلون به للزومها للاسماء الخمسة فى كل الاحوال ، ويعملون ان اول من قاله عمرو بن العاص لما حمل عليه الامام على كرم الله وجهه يوم صفين .

ولكن أهل اللغة والمعتنين بالامثال كالמידاني يشبثون انه مقول قبل ذلك ، وان قائله أبو حنشى خال بيهس حينما اختلف عليه هذا الاخير حتى سلحه واقحمه فى غار كان فيه قتلة اخوة بيهس ، فارتاع منهم أبو حنشى وقال المثل ، والمعنى واحد على كل حال ، ويكتبونه بالواو .

« اما خطة الإمارة التى اشترت اننا نشرنا لاستخلاصها الحبائل ، وازعنا على الايالة السعدية المدن وقرى القبائل ، فعماد الله ان نسعى لها فى الفساد ، او نعرض بضائعها لاسواق القلة والكساد ، الا حيث عايينا ابناء مولانا زيدان قصرت خطاهم عن قصوى اقاصى البلدان ، ونبغت على مغناهم الثوار من النواحي ، وكدر سماء صيتهم الصاحى ، وقلت كن ذنباً لثلاث تاكلك الذئاب ، ومتادباً ولو لم تزنك خرق الثياب . »

« واما انتم ان نصبتم لها الشباك والاركاس والافخاخ فلا وصمة ولا عار على عرش عشمش فى خمائله العقبان والارخاخ ، فتورث ترات فخره الاشياخ للافراخ ، ولا لكم غير الملك تجارة ، ولا يقنعكم من ارباحه الا جزيل وجميل الاجارة ، ونحن واهل الدلاء اقتحمنا بساط الانبساط ، بالنعال وسطونا كالسباط ، بأخبث الأقوال وافحش الافعال ، وهم أسوأ سيرة ، واسمج واقبح سريرة ، ملكوا الحلل والامصار ، ومدوا فى العدوان الايدى والاسماع والابصار ، ولا خلفوا سنة نبينا ولا ديوان ولا جهاد ، ولا خصلة محمودة تكون لهم فى الغرب اشهاد ، الا ما ينكر ولا يذكر ، او يحمد فيشكر ، هزموا مولانا محمداً الشيخ كما علمتم بوادى العبيد ، وعولوا كابى محلى على ان يفرقوا شمل شأنه فيبيد فكاتبناهم على أن يجتنبوا جنابه ، أو يعاينونا نلازم ساحته وبابه ، فاقترضوا ، وكان ذلك سبب العافية ، او تسليط جلم الاختيار على بردة اطماعهم الضافية . »

« وقولك ان نضم اكف الامتداد لدرعة ، والا اسقطت زهرنا وعضدت فرعه ، سمعنا وطاعة ، عجزا منادون الاستطاعة ، لم نزل متشبثين بعرى العهود والعقود ، وغافلين عن تلبية الشرور الآمنة رقود ، وما مضى لا يعود ، لم يبق بيننا الا نسج العوام على مناول الخير ، الا مراسلة او خبرا مسموعا او بالسير ، فلقد اوردمت ساحتنا العالم العامل الحى ، السيد محمد التاجموعتى الفجيحى المخزومى ،

الطيب الطبع ، ذى حيلة الين من الحرير ، صحبة الشيخ محمد النزروجى ،
فأطلعنهما على مكنون السر وسلوة الاعلان ، حتى استوى لديهم منا خبء الخبر
وعنوان العيان ، فوجدانا ببعض الابناء قادمين ، بعد عض بعض الانامل على ما
فرط مما صرنا منه نادمين .

« واما بنو محمد العرب الوحوش ، حيث نفروا لكم من ساحة منزلهم
اخوش ، علمنا انهم بديارنا زوار وضيوف ، والغريب لا يطيب له فى غير مقناه
قعود ولا رقود ولا وقوف ، فمذ بلغهم منكم العفو والسماح ، اجملنا تسريحهم
مساء قبل الصباح ، والبكرى لم تراخ فيه جوارنا حيث غدرك هدمت قصره ،
وابلغت اخوانه عسرة صعبة وحسرة ، فقلنا هذا اقل جزاء من قلد الامر فقدر ،
دون موجب يقبل منه مهما اعتذر ، والماعك ومحمد بن يوسف الجندبار ، كلا
وحاشا ان يكون لداركم خوانا ولا غدار ، وانما كسحته الحملة ، فجفاه بالجملة .
والماعك لى باستئصالنا بنى جديده مع الصباح بوادى الرتب ، لا يلحقنا فى
اعدامهم عيب ولا عار ولا عتب ، اذ هم مدبرون بين هاك وهات ، ولا لهم همه
الاتجاه لجهة من الجهات ، ليست هيبتهم على يدى هالكة ، فكل من سقط من
الشياطين تفرح له الملائكة ، فبعد سكون حبس رجسهم أبى الحسن ، خلعنا
لجام الجموع والقينا الرسن ، وقتكك بابن عمارة صادف الصواب ، وسد عليك
من الاشرار امثاله عدة ابواب ، وعينا عليك حسم اعمار اعيان درعة ، اذ هم
ضيوف بساطك ، وعجر وبجر باطك (320) ، واما فى نفس الحقيقة فكفايتهم
أبلغ من ذلك ، ليس لهم شغل فى هاته البلاد ، الا الونوب على الاوتاد ، والجرى
على غير المعتاد ، ففرتهم ملاعبة الثعالب والضباع ، حتى وقعوا فى عرين

(320) المجر والبحر بضم اولهما وفتح ثانيهما : كناية عن الميوب الظاهرة والباطنة ،
والباط فى الدارجة معروف وهو الابط بالفصحى ، أى انهم مطلعون على خفايا امورك وطوايرها .

النعابين والنمر والسباع ، وكذلك فعل سعيد العمارة ، يشعل فى كل جهة جماره ، لكن ذلك لا يلام فى مراعاة انداده، وقد نزغته جبلة آبائه واجداده .

واما وقائعنا معكم بسجلماسة ، التى اسهر القادر عليك فى اثنائها حمالة الحماسة ، فليس يدفع حزمك وحزمك وعزمك فيها كل صائل صنديد غالب ، اذ ورثت الكل نصيبا من جدك مولانا على بن ابي طالب ، لا عصم العاصم القاصم عصمة تابوعصامت ، ولا دردر اشياخها ما فى قيد الحياة دامت ، جروا لنا جبل الطمع جر اسراف ، الى ان استغرقوا ذمنا فى دماء الاشراف ، فمرقنا بالخزى من تلکم الاوطان ، كما يطرد الاذان المارد الشيطان ، وقد امکن القاهر منهم بالنفوس والرؤوس ، والاحوال والفلوس .

« واما نحن واهل آقا، فاخوان فى خدمتكم اشقا ، فאלله يرزقنا نعم رضاكم، وغنائم ودكم ، ويحشرنا واياكم ، فى ظلال ظلة جدكم ءامين » .

« وكتب فى خامس جمادى الاولى سنة احدى وستين وألف ، من انشاء عبد الله سبحانه أبى العباس أحمد بن عبد السميع ، كان الله له وللمسلمين آمين »

ايلیخ والدلائیون

كاد - فيما قالوه - يكون الاصطدام بين جيش ايلیخ واصحاب الزاوية الدلائية فى سجلماسة من جراء ما بين الزبيريين والشرفاء العلويين ، فقد كان الدلائيون اولاً نصراء الزبيريين ، وايلیخ شيعة الشرفاء ، ثم انقلب الحال ، فكان الزبيريون منضمين الى ايلیخ والشرفاء يستغيثون بالدلائيين عند اعتقال مولای الشريف ، حتى افرج عنه بودميعة بغدية وصلت اليه من الشرفاء على يد الدلائيين،

هذا كله نعرف منه الاتصال بين ايلیخ والدلائيين ، وهو اتصال حقيقى تتخلله مراسلات ومداولات ، فلنعرض امامنا فى هذا المكان كل ما سيق فى

تاريخ الدلائيين مما وقع بينهم وبين بودميعة نسوقه برمته ، وفيه فوائد كثيرة ، قال مؤرخ الزاوية الدلائية (321) :

« ولما ملك الثائر ابو الحسن على بن محمد ابن الشيخ الولي احمد بن موسى السملالي بلاد الصحراء ، ولم يترك لاهلها بيضاء ولا صفراء ، وكان فظا غشوما ، مبيرا ظلوما ، لا يحسن السير في طريق السياسة ، التي توصل الى بيت الرئاسة ، وكان اول شيء فعله بسجلماسة من اساءته ، ان وجه لمن بها من خيار الاشراف سهام اذائته ، فوقع الاستصراخ في امرها بهذا الشيخ الجليل القدر ، ولي الله ابي عبد الله محمد بن ابي بكر ، بل حملته حامية المودة في القربى ، وشدة الغيرة على آل البيت التي تزيد من الله ورسوله قربا ، على ان يبعث اليه رسالة تقطع صوارم زواجها اوصاله ، ينصحها فيها ويحذره ، ويعظه ويذكره ، ويحضه على مودة من أوجب الله مودتهم ، ويصده عن اهانة من عظم الله حرمتهم ، وهو مع ذلك يلين له رضى الله عنه تارة ويغلظ اخرى ، عسى ان ينتفع باى اوجه الذكرى ، ونصها :

« الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، وفق الله وهدى ، وسدد وارشد الى سبيل النجاة وطريق الهدى ، ابن الامام قدوة الانام ، بركة الاسلام ، حسنة الليالى والايام ، ابا الحسن سيدى على ابن الشيخ الشهير الذكر فى الآفاق ، وولى الله باتفاق ، سيدى احمد بن موسى ، افاض الله علينا من بركة السلف ، وانال بسببه الخلف ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، هذا وانه تردد فى خاطر من قبل اليوم معاهدتكم ومواصلتكم بالكتاب ، اقدم فى

(321) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « البور الضاوية (مخطوط) » ويمنى به كتاب « البور الضاوية فى التعريف بالسادة اهل الزاوية الدلائية » تأليف ابي الربيع سليمان ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن موسى الشفشاوني الحسنى العلمى الشهير بالحوات ، ولد بشفشاون فى رجب سنة 1160 هـ وتوفي بعد عام 1233 هـ ، توجد منه بالمكتبة العامة بالرباط نسختان احدهما تحت رقم 454 د ، والاخرى تحت رقم 261 د ، وهو كتاب نفيس مهم فى بابه .

ذلك رجلا وأخر أخرى ، خشيّة مقابلة ما نخاطبكم به من النصيح الذي هو من قواعد الاسلام بالاھمال ، والفائھ فی زوايا الاغفال ، ثم قوى العزم على ذلك فی الوقت ولكم النظر بعد فی القبول والرد ، اول شيء تتعرفونه منا وتعتقدونه ، ان تعلموا اننا نعتقد ان فضل داركم بمكان لا یجھل ، وبذروة مجد شهیر لا یخمل ، ثم كان من قدر الله ان اقامكم فی تلك الطريق ، ومكنكم وبسط أيديكم ، واعلى كلمتكم ، واحد شوكتكم ، هذا كله معلوم بالضرورة ، فما نافسناكم على ما اولاكم ، ولا حسدناكم فيما اعطاكم ، قل اللهم مالك الملك توتی الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وليس ببعيد منكم وانتم من أبناء الناس ، ومن أعظم بیوت مغربنا ، لا ينكر هذا جاحد ، ولا ینازع فيه الا معاند ، لكن المرجو منكم ، والمأمول من شیعتمكم ، رحمة المسلمین ، والشفقة على الضعفاء والمساكين ، لانكم دار رحمة ، لا دار نقمة ، ان كان الملك مطلوبكم فاتوه من بابہ ، وتوصلوا اليه بأسبابه ، ويسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، وخذوا اموركم بسياسة ورفق ، لا بشدة وعنف ، واسعوا فی عمارة البلاد ، برحمة العباد ، ألفوا الشريد ، واصفحوا عن الطريد ، واعرف لكل قوم حقهم ، وخاطبهم بما یسكنهم ، وول عليهم جنسهم ، « ولا تتبع اھواء الذين لا یعلمون ، انهم لن یغنوا عنك من الله شيئا » ، وللناس فی الناس أغراض ، فحقك مقابلة ذلك بالاعراض ، وبلغنا ان ابن السيد الفاضل الذي اشتهر فی المغرب والمشرق سيدي عبد الله بن عمرو ، نودی على رؤوس الاشهاد بعداوته ، وقصد مضرته ، فما وجه ذلك ؟ واتقباضه عنكم لاجل الخوف ، فلو وجد الامان وتحققه لم ینقبض عنكم ، ولكانت لكم فيه مصالح ، ويكون مفتاحا بینكم وبين الناس امثاله ، یحصر ویطالب ، ولا تراعون فيه حق النسبة ، وهل كانت حرمتكم وعظمت الا بنسبتكم اليه (322) ووجه آخر یستدرك : ما حکم الله عندكم فیمن

(322) المراد بالنسبة هنا الميل الى طريق الله من التصوف وارشاد العباد الى الله ویقصدون بها الانتساب والانتماء الى الله . ويعنی صاحب الرسالة ان مخاطبه لم یراع فی سيدي عبد الله بن عمرو حق نسبته الى الله ، مع ان هذا المخاطب نفسه لم یكتسب ماله من حرمة عند الناس الا بكونه من المنتسبين الى الله المتشعین بحق نسبتهن اليه ، وقد علق المؤلف على ما هنا بقوله : « ای حق النسبة . یعنی ما عظم بنسبته الى سيدي احمد بن موسى ، وانما عظم بحق النسبة الى الله » .

قاتلكم دافعا عن نفسه وقتل او قتل فى قتلاكم وقتلاه « فإى الفريقين احق بالأمن ان كنتم تعلمون ، الذين ءامنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ومقابل هؤلاء حكمهم على الضد ، نسال الله سبحانه السلامة ، مما يعقب الندامة والملامة ، ايعجبكم خراب البلاد ، واهلاك الحرث والنسل واثارة الفتن والفساد ؟ ، فالملك يدرك بارفق من هذا ، واقرب الناس من امركم فى حيرة ، واعظم حسرة ، فمن اطاع ، أكثر عليه من التكاليف ما لا طاقة له به حتى ضاع ، ومن أبى وخشى ما وقع لمن قبله وعصا على بالعصا ، الناس فى سجون حصونهم النساء والرجال والدواب ، كأنهم فى حشر ، (323) الا رحمة ترحمون بها الضعفاء ، الا شفقة ورقة تحملكم على تسريحكم من السجون ؟ ولقد كثرت استغاثتهم بأخوانهم المسلمين ، ووجبوا عليهم بالشرع انقاذهم واستخلاصهم مما هم فيه ، الثمار تجنى وأهلها ينظرون نظرة حسرة ، والأشجار تقطع (324) وقد حرم الشارع قطع اشجار الكفار فضلا عن المسلمين ، وصح بدليل الاستقراء ان قاطع الأشجار لا يعقب ، ومن جملة من استغاثوا به والحوأ عليه هذا العبد الكاتب البائس ، ومن اغاثته لهم ، الشفاعة لهم الى فضلكم ، وسؤالكم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم يجدكم القطب ، ان ترحموا محنتهم وتفيثوا لهفتهم ، وبلغنا ان من لا يبالى بما يقول ولا فيما يقول يكتبونكم بسوس (325) ان العبد الفانى العاجز عن اصلاح نفسه يريد تافيلالت يتولى امرها ، فتأمل

(323) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « معنى يوم حصار قرى بسجلماسة » .

(324) علق المؤلف على ذلك بقوله « يكون ذلك وقت الحصار » .

(325) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « سترى رسالة التامانارتى تدل على ذلك » وقد تقدم لنا ان ذكرنا ان رسالة القاضى أبى زيد التامانارتى هذه توجد من هذا الكتاب فى «آخر فصل » ايليك والدلايون « وهى الموالية منه لفصل « بوميمية والعباشى » وهناك تقدمت أيضا ترجمة ابن كانون - لا أبو كانون - كما يسبق به قلم بعض اعلام هذا الفن ، انجرارا منهم فى احيان ذهولهم مع ما يسمونه من غيرهم ، وقد صدرها كاتبها بما يدل على انه بلغه ان الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى عازم على التوجه الى تافيلالت اذ قال : « فقد ثار الى كثير من اخوانكم فى العلم والدين بهذه البلاد السوسية انكم عزمت على الحركة الى تافيلالت ومنازعة من بها قبلكم فاستمظموا ذلك منكم واضفقوا عليكم » .

ارشدك الله وسددك ادنى تأمل حل لهذا الكلام وجه ، او يلتفت المنصف اليه ؟
هذه البلدة بينكم وبينها نحو ثلاثين مرحلة ، وبيننا وبينها ست مراحل ،
ولضئف ملك المغرب نحو ثلاثين عاما ما المانع لنا لو كانت لنا فيها شهوة او
رغبة ؟ فمن بلغ أو قرب سنه الثمانين ، والتفت للملك المحدود بالسنين ، فاعده
من المجانين ، حاصله ان كانت لكم رغبة فى الملك ولا بد وعلمت من نفسك
القدرة على وظيفته من أحاطتك بالعدل والرحمة للقوى والضعيف فتقدم ، وان لم
نعنك لم ننعنك ، وان كان مرادك جمع المال ، والغناء النظر عن مصالح العباد ،
والقاء امورهم فى زوايا الاعمال ، فانت وذاك ، فالله عالم قادر رحيم بعباده قوى
عزيز ، ارحم نفسك وارحمنا معها بقطع تضرعهم اليها مع عجزنا ، وارحم عباد
الله برفع الضرر عنهم ، وطرق اسماعنا على غير يقين منا انك تقصد
اغريس (326) لرفع ما لنا فيه من الزرع ، فاننا غير قابلين لذلك (327) ، وان
صح ولا بد فدونك واياه ، وكف عن المسلمين ، وابعث اليه من يرفعه اليك
بلا كلفة وانت فى حل منه ، وان شناعة قصدك لذلك ، غير لائقة بمقامك ، فلنا
نسبة الى جدكم من طرق ، والنسبة التباعية (328) ايضا تجمعنا ، فيجب على

(326) علق عليه المؤلف بقوله : « اسم واد يطل على تافيلالت »

(327) علق عليه المؤلف هنا بقوله : « لذلك الذى يقال » ، يعنى بذلك ان مراد الشيخ
الدلائى بهذه العبارة اننا غير مصدقين بانك قد قلت هذا . ولو كان مراده انه غير قابل لان ياخذ
الزرع ما ارفده بقوله « فدونك واياه وكف عن المسلمين ، وابعث اليه من يرفعه » .

(328) كان الايق ان يكون هذا التطبيق عند قول المؤلف فى صفحة 22 : « وهى التربة
الاصلاحية المعروفة عند القوم » ولا يخلو تأخيرها الى هنا من فائدة .

ويعنى صاحب الرسالة بقوله : « النسبة التباعية » ان كلا من أهل زاوية الدلاء وأهل
زاوية تازروالت سلالة سيفى احمد بن موسى يجتمعون فى الانتساب الى الطريقة الصوفية التباعية
الجزولية الشاذلية التى أخذها سيدى عبد العزيز بن عبد الحق التباى دفين مراکش المتوفى عام
914 هـ ، عن الشيخ محمد - فتحا - ابن عبد الرحمان بن أبى بكر بن سليمان الجزولى دفين مراکش
المتوفى عام 870 هـ ، عن أبى عبد الله محمد امغار الصفيى بزاوية ايت امغار بعين الفطر بدكالة .
واتصلت السلسلة الى الامام أبى الحسن على الشاذلى الضارى الشريف الادريسى دفين عيذاب بصعيد
مصر ، وكان يطلب الله أن يدفن فى ارضه لم تقع عليها معصية توفى عام 656 هـ وأخذ ابو الحسن الشاذلى عن
المولى عبد السلام بن مشيش المتوفى عام 625 هـ والمدفون بالقرب من تطوان ، واتصلت الطريقة
الى الامام أبى القاسم الجنيد المتوفى عام 277 هـ والذي يعنيه ابن عاشر بقوله : « وفى طريقة الجنيد

الكل وصل رحمها والسلام ، عبيد الله تعالى خديم المساكين وغبار نعال الصالحين ، محمد بن ابي بكر وفقه الله بمنه »

« فاجاب كساء الله ثياب الغفران ، بما يقتضى القبول والاذعان ، والتلطف فى الاعتذار على قدر الامكان ، حسبما اعربت عنه رسالة اخرى بعث له بها شيخ الاسلام المذكور جوابا عن فصول جوابه المسطور ، وها هي ذى :

« الحمد لله وصلى الله على مولانا محمد وآله »

« وعلى الرئيس المقدام ، المطاع ابن الامام ، حجة الاسلام ، حسنة الليالى والايام ، سيدى على ابن الشيخ الفاضل ، ذى الفضائل والفواضل ، سيدى احمد بن موسى افضل السلام ، والرحمة والبركة تترى على الدوام ، وبعد فقد ورد علينا كتابكم الفصيح ، وخطابكم الفسيح ، انتهى الكلام فيه على اصول ، واشتمل على فصول ، يطول شرح كلها ، ونشير الى مواضع منها أو جلها ، من جملة فصوله ان قصدكم الأول اخماد نار الفتن ، وازهاب الضغائن والاحسن وردهم عما اقتحموه من المحرمات ، وانتحالهم كباثر السيئات ، وكف اذايتهن عن سادتنا وموالينا اهل بيت نبينا ، فهذه مقاصد صحاح ، ثمرة بحول الله

السالك » ثم الى الامام الحسن البصرى المتوفى عام 110 هـ وهو عن جماعة من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد اخذ سيدى احمد بن موسى المتوفى عام 971 هـ عن سيدى عبد العزيز التابع مباشرة ، اما أبو بكر بن محمد بن سعيد جد الدلائبين المتوفى عام 1021 هـ فقد اخذها بواسطتين فشيخه المباشر هو الشيخ ابو عمر (بفتح العين والميم) القسطل دفين رياض العروس بمراكش عام 974 هـ عن الشيخ عبد الكريم الفلاح الحاحي المتوفى عام 933 هـ والمدفون بقبة القاضي عياض المتوفى سنة 544 هـ بمراكش وهو عن الشيخ التابع .

فطريقة الزاويتين اذن تباعية جزولية شاذلية مشيشية ومحملها التفرغ لعبادة الله وحده ، وارشاد عباده اليه ، والسعى فى مصالحهم الدنيوية والاخروية ، وقهر النفس وكسر سورتها ، والوقوف مع كتاب الله وسنة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان الشيخ ابن سليمان الجزولى اذا ورد عليه من يرغب فى الدخول فى طريقته يلزمه بالتوبة الى الله من سالف ذنوبه ، وبخلق راسه وصيام اربعين يوما ، وشروط التوبة عنده تسعة وهي : الحسرة والتدم والانابة والخشوع والتواضع والابتهاال والمداومة على الذكر والرضى بالقضاء وحسن الظن بالله . ومن اراد التوسع فليراجع كتب الصوفية وخصوصا « متن الاسماع فى اخبار الجزولى والتابع » لسيدى العربى الفاسى .

لنجاح السعى والصلاح ، وفقكم الله وسددكم واعانكم على اتمام المقاصد ،
ورزقكم مزيد خير يعين على الخير ويساعد ، اما المقصد الاول الذى هو الزجر
عن الفتن وارتكاب المحرمات واذاية الشرفاء ، فهو سر التمكن فى الارض ، قال
الله تعالى : « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر » ، فقد اوجب الله حقهم ، وعظم حرمتهم ، كتابا وسنة
واجماعا ، يعظمون ويحترمون ، وعلى غير ما جاءت به شريعة جدهم لا يعاونون ،
فمن اهانهم فقد سلك سبيل المعتدين ، ومن اعانهم على غير ما يرضى جدهم
فقد اعان على هدم الدين ، وكيفية تعظيمهم وتوقيرهم قدرتها شريعة الجدد ،
وشرحتها بالرسم والحد ، والافراط فى الامور كلها كالتفريط ، فمن زاد وحاد
فقد ورط نفسه اى توريط »

« ومن فصول الكتاب ، ودليل الخطاب ، اجابتكم لداعينا ، واستماعكم
لمنادينا ، فى قبولكم شفاعتنا فى الرفق بالعباد ، ورحمة البلاد ، جزاكم الله
خيرا ، ووقاكم ضيرا ، فانتم لذلك والحمد لله اهل ، والفضل على من سهله الله
عليه سهل ، والفضل لا يستغرب ان خرج من معادنه ، وانما يستنكر ان وجد
فى غير مظانه ، وقد قيل قديما : ان المعادن ولو طمست محالها ، وتنوسيت
دلائلها ، لا بد لها يوما من الظهور ، ولو طالت السنون والدهور ، والشيخ جدكم
رضى الله عنه وارضاه ، ورزق كلامنا ومنكم متمناه ، احد الطوافين فى الارض ،
الجائلين لسهلها ووعرها بالطول والعرض ، لا اضاع الله تبارك وتعالى له سر
تلك الحركات ، ولا قطع من تلكم الدار البركات

« ولنلو العنان الى شرح حال تلكم البلدة سجلماسة ، حتى انك تشاهدها
بالعيان ، فهى قاعدة القرى الصحراوية ، فبصلاحها يصلح كلها او جلها ،
وبفسادها يفسد غيرها ، وقد كانت فيما قرب من تاريخ وقتنا دار علم ودين
وصلاح ، ومستراح القاصدين والواردين ومتجر الارباح ، فتعاقبت عليها

ايدى الولاة والعمال ، ونظر اليها ملوك وقتنا نظر اهمال ، ثم اعقب ذلك سنو الغلاء والشرور ، ودام عليها ذلك الاعوام والدهور ، فكان دخولكم اياها على حين ضيعة وافتراق اهلها ، واضطراب احوالها وتزلزلها ، والزموا قوة المطالب ، وأخذ الحاضر ناجزا بالغائب ، فزاد الامر ضيعة ، والخرق سعة ، وكان المامول من فضلكم والمرجو من اصلكم ، ان تجعلوها كبستانكم ، فيجنى اليانع ، ويرحم الضائع ، فيعمر بكم الخالى ، ويستجد بكم البالى »

« واما ما انهى اليكم بعض من لا يبالى بأكل لحوم الناس ، ولم يتفطن لما يتعرض له من الضر والباس ، اننا نروم مزاحمتكم على بلدة سبجلماسة ، واننا حملنا على ذلك انفة ونفاسة ، كلا والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، ما خطر لنا قط ذلك ببال ، ولا طاقة لنا ولا قدرة على تحمل ما فى تقلد امرها من الوبال ، تنافس العقلاء فى ملك لا يبلى ، وتزاحمهم فى عز لا يفنى ، ولا يتناول الى الملك الا احد رجلين ، رجل علم من نفسه القدرة على القيام بحقه ، وهذا لا باس له به ، ورجل «اثر دنياه على اخراه واستبدل رشده بغيه ، فالويل لاهه ، لعظيم حمقه ، فلسنا من رجال الاول ، ونسأل الله العصمة من الثانى وعلى فضله المعول ، وقد تولى قبلكم وفى زمنكم الاوغاد والاعلاج (329) فما نافسناهم ولا زاحمناهم بل نعالج اخلاقهم المعوجة بما أمكن من العلاج حتى انقضت دولتهم ، وانكسرت صولتهم ، فالسعيد من اتعظ بغيره ، والشقى من اتعظ به غيره ، والسعيد من سعد به غيره ، والشقى من شقى به غيره ، واذا من الله تعالى

(329) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يشير فيما نرى الى الزيدانيين واعلاجهم ، وقد ذكروا مرارا فى رسائل الدلائيين » ، والمقصود بهم الترك الداخلون عن طريق الجزائر . فقد جاء فى رسالة من الدلائيين الى محمد الشيخ الثالث : « وانت تمتثل تدبيرا بإشارة الاعلاج المجولين على طباع الخدائع والنفس ، على تل ملككم المخرج من عريش العرش ، ومن الدليل والشاهد والبرهان . فتكهم بأخيك مع مشورة النسوان ، على غيب من الجند والديوان ، غرضهم نشر سبة الباس التى نشروها فى الشرق بعد المعتصم من بنى العباس » . . . « وهم سلبوا روح جدك السسى من غمد الجسد وحموها فى مخلاة من مسد » الخ ، وكل ذلك صريح فى ان المراد بهم الترك .

سماعكم لكلامنا سماع قبول ، وان كان كل كلام غير كلام المعصوم فيه مردود ومقبول ، فاتموا فضلكم وخيركم برجع الاجناد ، عن تلکم البلاد ، وتخیرکم رجلا من اصحابكم صالحا يخلفكم في البلاد ، ييسر ولا يعسر ، ويؤلف ولا ينفر ، لعل الله سبحانه ان يجبر على يدكم كسرهما ، ويفك من ايدي الفتن اسرها ، « فارحموا ترحموا والراحمون يرحمهم الرحمان » ، « لا يرحم الله من عباده الا الرحماء » ، « من لا يرحم لا يرحم » ، وانتم أعرف بأصحابكم من يليق ومن لا يليق ، والفظ والغليظ واللين والرفيق ، واهل مكة ادري بشعابها ، فاجتهد بنظرك واختبر بفطنتك ، فلك النظر والاختيار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « من ولي على قوم رجلا وهو يعلم ان فيه خيرا منه فقد غش » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم من شق على أمتي فاشقق عليه » ، ولا شك انه طرق سمعنا من قبل اليوم ان خديمكم الانجد القائد حمو بن بلا واسع الصدر ، ذريع الحلم ، مبالغ في نصحكم ونصح رعيتكم ، فان ظهر لكم ان تستخلفوه فانه ، والله أعلم ، من ميل قلوب الناس اليه ، يليق لجمع مفترقها وللم شعثها ، واوصه بالرفق والرحمة ، « وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة »

وما ذكرتموه عن ابن السيد الصالح المتبرك به سيدي عبد الله بن عمرو وهو سيدي الطيب وان ما بلغنا لم يخطر قط ببال ، ولا سددتم الى جانبه بيادى الاصرار والنبال ، فهذا بحمد الله عين المطلوب ، والمرجو منكم والمرغوب ، فقد صدقناكم في نفى ذلك ، وعذرناه في انقباضه عنكم لكثرة الناقلين اليه من هنالك ، ولعل ان يطرق سمعكم تحرك القبائل ، ويترك في ذلك قول القائل (330) ، قال صلى الله عليه وسلم : « احب الحديث الى الله اصدقه » ،

(330) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يعنى يترك في قلوبكم تأثيرا بكونه هو الذى حرك القبائل » .

لا شك انا لما كثر الارجاف ، وشاع وذاع ، وتواردت اخبارهم على ما تمجه الاسماع ، وترددت الانظار ، فى القبول والانكار ، والخبر من حيث هو يحتمل الصدق والكذب ، والحكم له باحدهما من غير دليل جور ، وقوى العزم على ان العزم فى الدفع مشروع ، والزائد عليه ممنوع ، حتى ورد علينا اصحابنا من مقامكم صحبة الشريف الزكى العفيف مولانا سعيد بن عبد الرحمان مع ولد خديمكم القائد حمو بن بلا ، فاخبر الجميع عنكم بما يليق بمحلکم ، فاطمأنت لذلك النفوس ، وذهب عنها ما تداخلها من القاء الشرور والبؤس ، فحمدنا الله تعالى على ما اولى من النعم ، وشكرناه على ما دفع من النقم ، فثق بما تسمعه منا وتلقه باليمين، وشد عليه يد الضنين، فانا لا نحب لكم ولكافة المسلمين الا الخير ، ولا نجد فى نفوسنا حينما نسمع ما يسوءهم أو يضرهم الصبر، وترى مع اصحابنا التافه من الطعام ، والنزر من الصابون والادام ، وجهناه اليكم لنذيقكم طعامنا بعد اسماعكم كلامنا ، فاقبلوه وان كنتم عنا اغنياء ، والمقصود به صلة ابناؤ السادة الاولياء ، فالله يخلص المقاصد ، وهو لكل فعل وقول وضمير بالمرصاد ، والسلام ، عبيد الله تعالى خديم المساكين وغبار نعال الصالحين ، محمد بن ابي بكر وفقه الله ،

« وكان رضى الله عنه لما حاصر هذا الثائر قرى من الصحراء محاصرة طويلة الامد ، فى عدد كثير من القبائل الضالين معه وعدد ، حشر رضى الله عنه لمدافعته ، ما لا يقدر احد على محاربته ، من بين فرسان ورماة ، وانصار للدين وحماة ، ثم انه اتفق ان اصابه رضى الله عنه رمد فى عينيه ، فعلم بذلك ان الله ارشده الى احسان التوكل عليه ، فصرف العنان عن توجه تلك الجنود اليه ، ثم دافعه برفق وسياسة ، ومراسلة زواجرها امضى من سيوف اولى الحماسة ، حاقناً بذلك الدماء ، ودافعاً لما عسى ان يتوهمه بعض الجهلة من طلب الرياسة، بعد ان عوفى رضى الله عنه من رمد العينين ، فاعقب ذلك فرحتين ، واذهب الله

عن قلوب اهل الدين ترحتين ، شفاء ولى قد عم المسلمين من الرحمة ، وصرف ما غم قلوب المظلومين من كيد ولى ملحمة »

« ولما طال على اهل سجلماسة امر صاحب الساحل ، ولم تفدهم معه وسائل ، التقوا مع الاعراب المجاورين لهم دخیسة وذوى منيع والصباح والمعاصيد واولاد غنام وحميان واضرابهم ، واتفقوا معهم على نبذ طاعته ، وعدم موافقته ، وبايعوا مولاى محمد بن الشريف ، فبلغ الخبر الى السيد على ابى حسون صاحب الساحل ، فجمع جموعه ، وقصد سجلماسة ، ونزل عليها وحاصر اهلها ، وطال القتال ، ثم انه اعطى مالا الى بعض من هو من ناحيته من اهلها فخدعوا مولاى الشريف وقبضوه ومكنوه منه بان اوثقوه فى الحديد ، وحاصر كل من هو شيعه له من اهل سجلماسة حتى دخلوا تحت طاعته كرها وارتحل عنهم ، وذهب بمولاى الشريف الى الساحل ، فبلغ الخبر لصاحب الترجمة الشيخ الامام سيدى محمد بن ابى بكر رضى الله عنه ، فكتب اليه كتابا يطلب منه ان يسرحه ويترك لولده بلاده ، فاجابه السيد على ابو حسون بكتاب يتضمن ان اهل سجلماسة بايعوه ثم نقضوا بيعته وبايعوا غيره ، فحل له ان يحكم فيهم باجتهاده ، « واما ما قلت من ان تترك سجلماسة للشريف المذكور كفيهما من البلاد التى بيد غيره فلا اتركها ، لانهم رضوا بى وبايعونى ورضوا به وبايعوه ، فان بعضهم معى وبعضهم معه ، كاهل العراق مع الحسين بن على الذين خرجوا على يزيد بن معاوية ، وانظر ما فعل بهم وبه ، وانا لم افعل بهم ولا به شيئا من ذلك ، وقد سلم ابن العربى فعل يزيد للحسين فى كتاب « القواصم والعواصم » (331) وقولك ان لى فيه مرادا بالامتحان فليس لاحد منا فيه اختيار ، وانما فعلنا به ذلك ادبا لغيره »

(331) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « الكتاب مطبوع ، وقد قال فيه : « قتل بسيف جده ، وبهذه الكلمة كاد ابو عنان ينبش قبر ابن العربى لولا ان رده عن ذلك بعض العلماء معتذرا عن ابن العربى » .

« ثم ذكر امورا لا ينبغي ذكرها ولا يوصف بها اهل البيت، فاجابه الشيخ
سيدى محمد بن ابى بكر برسالة نصها :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، حفظ الله
سيادة الخير الفاضل الماجد الواصل ، الفقيه النبيه السيد الجليل ، المبارك
الاصيل ، المتفرع من الشجرة العرفانية ، والدوحة السنية النورانية ، سليل
السادات الكبراء ، الأفاضل السرواء (332) الذين سما فى الماثار فخرهم وطال
فى المكارم مجدهم وذكرهم ، ابو الحسن سيدى على ابن سيدى محمد ابن ولى
الله سيدى احمد بن موسى روق الله درايته ، وضاء فى المكرمات سرايته (333) ،
سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، ورضوانه الاعم وتحياته ، اما بعد فقد ورد
علينا من سيادتكم ومحيا مكانتكم ، كتاب بالتواصل وافى ، فاثت المدارك
والتصافى ، مخايل الوداد على طلعتة تطلع ، ومعارفها على اساطيره تلمع ،
فشكرنا الله على عافيتكم ، وحمدناه على ما اولى من سلامتكم ، اذ كلنا بحمد الله
على ذلك العهد ، السليم من الرد ، فقرأناه فاذا مضمعه السؤال عن حال الكتابين ،
وارتسامهما فى اى البابين ، اكملنا بالنسخ ، ام حالهما فى الفسخ ، وسألتم
ان نحملهما حامل الكتاب ، ويحملهما حالة الاياب ، ان ساعد الوقت والتيسير ،
ووسع البعث والتيسير ، اما كتاب الاستيعاب ، فقد امرنا به فنسخ ، وكتب
وسلخ ، وبهشنا به لفاس ، اذ لم نرض سوى تفسيره لباس ، فان وافانا وجهناء
اليكم ، وقفلناه عليكم ، واما القسطلانى ، فقد اجهد امره المعنى به والمعانى ،

(332) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « السرواء بالواو وبضم السين وفتح الراء من
جموع السرى بمعنى الشريف » من سرا وسرو يسرو سراوة : اذا كان ذا مروءة وسخا .
قال الشاعر : ان السرى هو السرى بنفسه وابن السرى اذا سرا اسراهما .

(333) اذا كان مراده معنى الشرف كما فى العاشية قبله يليه فانها سراوته بفتح السين
وبالواو ، واما بالياء فهى السير بالليل وهى بكسر السين . ولا معنى لها هنا ، بل السراوة بالواو
هى المناسبة هنا ، اللهم الا اذا كان مراده : وضاء سرا .

فليس فيه الى سبيل تسلك ، او حيلة تدرك ، لا بالبيع ولا بالشراء ، ولا بالنسخ ولا بالكراء ،

« وقد ذكر كتابكم ، وافصح خطابكم ، بان اهل سجدلماسة على الطاعة ، وانكم قد تخيلتم فيهم التثام امر الجماعة ، والفضلاء القادات سهامهم للقتال مفوقة ، مع ان اعناقهم بالبيعة مطوقة ، هذا وللبيعة شروط ، وطريق مفروط (334) ومخايل ووسائط وشعائر وبسائط ، فانظروا فيها اين انتم ، وعلى اى شرط منها حصلتم ، من اداء حقوقها ، واطلاع كتابها وخفوقها (335) وليت شعري من اوجب هذه البيعة وامضاها ، وواقعها مواقعها وارساها من العلماء الماتنين (336) ، وأهل الصلاح المهتدين ، الذين اليهم الحل والعقد ، والتشهير والجد ؟ اين من تبين من نفسه ارتقاءها ، وعرف قضاءها واداءها وفرق بين خاسرها وربحها ، ونافعها وعائدها ؟ والا فمن تقلدها من غير اهلها فقد تقلد زورا ، وضلالة وفجورا ، واولد نار الفتنة ، واولد نفسه فى مهاوى المحنة ، وحق به وعيد الحديث ، والنكال الحثيث ، وحقت مكافحته ، ووجت مدافعته ، واستخلاص من حصل فى حبالته ، وتحت نكايته وصيالته

« واما ما وقع لمولانا الشريف بن على فلم يعهد لاحد من هذه الامة ولا سمع ان احدا اقتحم ذلك الشنيع واهه ، بعد الايمان التامة ، الموثقة العامة ، واعطائكم له كراء الاموال ، لياخذوا الشريف بالاحتيال ، لا جانب الشريف يحتسمى ولا مقام ابائه الكرام يستسمى ، او ليس لكم بهذه الفعلة ارعواء ؟ او لم يبلغكم قوله صلى الله عليه وسلم ينصب لكل غادر لواء ؟ (337) وهل هى الا سبة تحتوى على

(334) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يقال فرط فلان اصحابه اذا تقدمهم الى المورد ، وكان المقصود هنا : طريق مفروط فيه ، وحذف للحذف والايصال .

(335) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « اى خوف الاعلام فيها من باب البجاز » .

(336) الماتن هو واضح متن الكتاب ، خلاف الشارح ، والمراد العلماء المتكئون فى العلم .

(337) فى صحيح البخارى : « حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد عن ايوب عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لكل غادر لواء ينصب لغدرته » قال شارحه القسطلانى اى لاجل غدرة فى الدنيا ، او بقدرها ، ولايى ذر وابن عساكر بغدرته بالوحدة بدل اللام ، اى بسبب غدرة ، والمراد شهرته فى القيامة بصفة الغدر ليذمه اهل الموقف ، وفيه غلط تحريم الغدر .

سببتين ، ومعرفة تحتوى على معرفتين ؟ وقولكم ليس لاحد منا فيه اختيار ، ولا له عليه اقتدار ، مذهب خارج عن الاعتدال ، موزون بميزان الاعتزال ، بل فيه صراحة بمذهب أهل الجبر ، الذين ليس لانصداعهم من جبر ، وحسبك ما ذكر فيه علماء السنة ، من الطعن بالالسنة والاسنة ، واحاشيكم ان تتخذوا بين ذلك مذهبا ، او تتخذوه مطلبا ومركبا ، على علو كريم نسبتكم ، وعظيم رتبتم ، هذا وقصدنا بهذا الكلام ، النصيحة لا الملام ، يعلم ذلك عالم الحفريات ، المطلع على السرائر والطويات ، والسلام عائد عليكم ورحمة الله ، وكتب خديم المساكين وغبار نعال الصالحين محمد بن ابي بكر الدلائى وفقه الله ،

« ومع هذا كله لم يسرح الشريف المذكور من قيد اعتقاله ، ومكث عنده معتقلا مدة مديدة ، من شهور وسنين عديدة ، وبعد قبضه بايع باقى أهل سبجلماسة وما والاها من عرب بادية الصحراء كلها مولاي محمد بن الشريف المذكور ، ووقعت بينه وبين السيد على ابي حسون المذكور حروب كثيرة عجز فيها الفريقان ، وبعد ذلك بمدة سرح الشريف المذكور من الاعتقال فى حديث يطول جلبه ، ولا حاجة لنا به ، اذ لسنا بصدد »

نعلم من كل ما تقدم من الرسائل ومن كلام المؤلف ما بين تلك الرسائل امورا كثيرة ، واغلبها مما يتعلق بموضوع كتابنا هذا :

(I) — ما هو المقصود الاصلى لبودميعة ولاهله بقيامهم الى هذا الامر ؟ فقد قرأت فى اثناء ذلك الجواب الذى وجهه الشيخ ابن ابي بكر الى بودميعة من بعض الفصول ما يصرح بتلك المقاصد ، وهى مقاصد شريفة يعترف لمن قام من أجلها بانه محق ان وافق فعله قوله عند كل منصف ، وقد الم الشيخ بذلك الاحقاق وان لم يسلم له انه أهل لان يكون محقا فيما قام به .

(2) — كما نعلم نظرة امثال الشيخ ابن ابي بكر اذذاك الى البيعة التى حصلت لآل بودميعة ، فانها منخرمة فى نظرهم لعدم انعقادها على يد أهل الحل

والعقد ، كانه لم يعتبر اهل جزولة الاولين الذين تأسس الامر بادى ذى بدء على ايديهم ، ثم ينسحب الذيل على كل من انخرط فى سلك امرهم من كل من اختاره بلا ارغام ، على ان كل الدول المؤسسة انما تؤسس بالقوة ، ولا يذكر أهل الحل والعقد الا بعد استيلاء مؤسسيها الاولين ، فليتفكر المؤرخ فى الكيفية التى تأسست بها دولة الامويين والعباسيين والعثمانيين والادريسيين واللمتونييين والموحدين والمرينييين والسعديين ، والواقع فى الجميع ما كان ابن تومرت يتمثل به دائما من قول ابى الطيب :

الناس كالناس والايام واحدة * والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا
وهل دولة ايلخ الا مثلهم لو تم لها الامر كما تم لهم ، ولكن :

الناس من يلق خيرا قائلون له * ما يشتهى ولأم المخطيء الهبل (338)

3. - وكما نعلم اتجاه ما يرتكبه بودميعة اذذاك ان وقفنا مع ادلته وبراهينه ، وقد رايت بعضها ، وما تلك البراهين الا مسموعة مقبولة عند كل ذى علم لو تأيدت بالقوة الكافية التى لا تسمع ردا من المناوئين ، فقد قرأت ما يسوقه من النصوص التى تدل على علمه وعلى انه على بصيرة فيما يفعل وما يذر ، وسترى امامك عند ذكر سيرته وعند ذكر العلم فى عهده بسوس ما تدرك به انه فى امواج من العلوم لا تعوزها امثال هذه النصوص والبراهين والحجج ، على ان فى كلام التامانارتى فى رسالة له تاتى قريبا ما يدل على عدل بودميعة وعلى انه لا يتعدى الحدود .

4. - وكما يرى القارىء ما تتركه الدعاية الواسعة التى تطفح من سبجلماسة فى اذهان امثال الشيخ الجليل محمد بن ابى بكر ، فقد تأثر بها

(338) الهبل الشكل ، يقال هبلته امه من باب فرح اذا تكلته وفقدته ، اى ان الناس يمدحون من ساعده الحظ فتوفق فى عمله ، ويلومون من اخفق فيه .

وخالفها كلها مؤسسة على انحق اولا ، فقد صدق كل المظالم والجور والفرطسة التي يذيعها السجلماسيون عن بودميعة ، ولا يهمنا نحن ان نقف في موقف قبول ذلك كله او رده كله ، او قبول بعضه ورد بعضه ، فسنخصص فيما سيأتى فصلا لذلك ، وانما نحب ان يكون القارىء فى الذى ذكر هنا على ذكر (339) ، لأن كلام هذا الشيخ الجليل رضى الله عنه كلام يحسب له الف حساب ، ولا يلقى الا بنظر مصيب .

(5) — وكما نرى من الشيخ نفسه تراجعا عظيما عما كان يخاله كله حقا ، فقد صار بعد الرسالة الاولى المتقدمة يزن القول الذى يوجهه الى بودميعة ، فلا يلقيه فى الرسالتين الاخرين كما كان يلقيه فى الرسالة الاولى (كجلمود صخر حطه السيل من عل) ، وما ذلك الا لادراكه ما كان يجمله من عدل بودميعة السائد على معاملته ، ومن أن ما كان حقا من الجور فى سجلماسة انما هو من الاجناد ومن قائدها هناك ، فيجب سحب الجند واستبدال القائد .

(6) — وكما ندرك ايضا سمو اخلاق بودميعة وانصياغه للحق ، فقد قبل نصيحة هذا الشيخ الجليل ، واعلن له انه مصيخ لكل ما يقول ، فلم ينزع الشيطان منه منزعه فتأخذه العزة بالاثم حين « قيل له اتق الله » وهذا الخلق سيرى القارىء فيما يأتى انه هو الخلق الثابت فى بودميعة ، وذلك سر عدله المانور عنه كما سنخصص له فصلا خاصا .

(7) — وكما ندرك اعتناء بودميعة بالوجهة العلمية ، فقد رايتَه يستنسخ الكتب القيمة ، وسترى فصلا خاصا فى ذلك .

(8) — وكما نتيقن الآن كيف المواصلة بين ايلخ وبين الزاوية الدلائية فى عهد الشيخ محمد بن ابي بكر ، وسترى فى عهد محمد الحاج امير الدلائيين مراسلة اخرى بينه وبين بودميعة

9) - وكما نتيقن الآن ما هو الحامل لهذا الشيخ حتى بسط حمايته على السادات الشرفاء السجلماسيين ، فانه ما فعل ذلك الا غيرة وتدينا ، وندرك الآن ان الجيش الكثير الذى هياء للدفاع عنهم لم يصل الى سجلماسة وانه ما وصلها الا اصحابه ، فصحت تلك النظرة التى كنا نظرناها الى ذلك فى مكانه المتقدم .

على ان الشيخ لم ينج على جلالته من مثل الدعاية المكذوبة التى حامت حول بودميعة ، فاقرا الرسالة الآتية ترعجبا :

« ولينا فى الله ، والمحِب فى ذاته ، السيد الصالح والبركة سيدى محمد ابن ابى بكر ، عصم الله من طائف الشيطان حوزته ، وصرف عن زخارف القول قلبه وفكرته ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته هذا فانه قد ثار الى الكثير من اخوانكم فى العلم والدين بهذه البلاد السوسية انكم عزمتم او واحد من بينكم على الحركة الى تافيلالت ، ومنازعة من بها قبلكم ، فاستعظموا ذلك منكم واشفقوا عليكم ان تكونوا مثل من استزله الشيطان قبلكم ، كابى العباس الساورى ، (340) وكشيخنا ابى زكرياء الحاحى ، (341) والمصلوحى ، (342) وابى كانون (343) ، حال ذلك بينهم وبين ما هم فيه من الهداية والارشاد والتعليم والمواساة ، والاخذ بايدى الضعفة ، والقاهم فى مهواة الهوان ، فلعبت بهم عامة اخر الزمان ، فصاروا لما ترى وليس الخير كالعيان ، وانك بحمد الله فى غاية نفع الامة بما انت فيه ، والله يشكر لك ذلك ، ونبيك صلى الله عليه وسلم يذكرك به ، ولا تحقرن ما انت فيه ، فليس فى مغربنا فى هذه الساعة انفع منك

(340) المقصود به ابن ابى محلى ، راجع الحاشية 75 .

(341) راجع الحاشية 78 .

(342) المقصود بالمصلوحى هو العلامة الشريف مولاي ابراهيم بن احمد بن عبد الله بن حسين - وجده هذا هو المذكور فى الحاشية 79 - كان من اكابر الصالحين ، يقال ان القطب سيدى احمد بن موسى زارهم بتمصلوحت ومولاي ابراهيم اذ ذاك صبي فاذا بدجاجة تفرق فقال لجنه هل عندكم محل قريب يقال له كيك هنا ، فقال له نعم ، فقال له ان هذه الدجاجة تقول كيك كيك اشارة الى ان هذا الصبي سيكون له شأن هناك ، فلما كبر اجتمع عليه الناس يرشداه لطريق الله فخافه زيدان بن المنصور السعدى فاراد القبض عليه فذهب الى كيك ، فمظ شأنه هناك ، وقصده ١٠ آلاف الزوار من كل جهة ، وكان يغلب على امره ويغيب فيتلفظ بالمغيبات فتظهر كما تكلم . وكان الى ذلك من كبار العلماء ، اخذ عن المنجور ، وعبد الله بن طاهر الحسنى وابى مهدى عيسى السكتانى ، وكان يقول مقامنا هذا مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، توفي سنة 1072 عن سن عالية تنيف على المائة ومشهده مزار مشهورة بضاحية مراکش .

(343) راجع الحاشية 80 .

للأمة بما أنت فيه من واضح الاستقامة والحمد لله ، ومن قصد استئزلاك فقد غشك وغشى الله ورسوله ، فافهم ذلك ، واقبل النصيح ، وقد ثار إلينا قبل هذا أن أهل فاس قديمة مدائن المغرب وأعظمها طلبوك بامارتها ، فاييت حفظا لما أنت فيه من الخير والصلاح ، فأردت أن تسلمه في قبضة من حشف ، وبقعة سغب وشظف ، لا تدري أتدرك وتسلم أم تدرك فتسلم ، فيضمحل شأنك ، ويشمت بك شانيك ، وهذا يسوء سائر الأمة ، ويحدث الثام الكبير في هذه الملة ، فاقدر نعمة الله قدرها ، واستنزل بالشكر درها ، « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم » ، وقد شاهدتم كل من القى نفسه بهذه الشبهة ، بعد المنصور رحمه الله ثم لم تتم له فيما يروم حجة ، ولا اتضحت له في سمت قصده محجة ، غير أنهم انقلوا ظهورهم بالدماء والأموال ، والحقوق التي تقل النجاة معها ، والسعيد من وعظ بغيره ، وصاحب الأمر بهذه البلاد السيد أبو الحسن عن أخيه (344) أبي سالم لهم في ضبط البلاد والسعى في مصالحها وإصلاح مفاصلها ما يقرب أو يفي بالثلاثين سنة ، فأمنوا الأموال والحرم ، وافاضوا فيها الفضل والكرم ، وحققوا الدعاء ، وأمنوا السبل ، وعمروا السهل والجبل ، وشكر المسلمون سيرتهم ، واختبروا في صدق النصيحة سريرتهم ، فثأروهم قاطبة ، وأذعن لهم القبائل راغبة وراغبة ، فشملت العافية البلاد والعباد ، فلم يكن من الشأن ولا من الشرع أن تتعرضوا في هذه النعمة بالفساد ، ولا أن تثيروا شرر الفتنة في طرف من أطراف البلاد ، فإن ذمة المسلمين واحدة ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فاقبل نصيحتي تنفعك ، فاني كما قيل :

إذا المشكلات تصدين في	كشفت غوامضها بالنظر
ولست بامعة في الرجال	أسائل ذاك وذا ما الخبر
ولكنني مدره الأصغرين	أبين مع ما مضى ما غير »

هذه هي الرسالة ، فبالله عليك ابعثل هذا الشيخ يظن نظير هذا الظن ، لولا الدعاية الفاسدة المفرضة ، واَقوال الذين لا يبالون ما يقولون ولا فيمن يقولون ، ولا ريب ان القاضي التامانارتى ما كتب الى الشيخ هذه الرسالة الا وقد صدق ما يتقوله الناس حول هذا الشيخ الجليل ، وذلك خير تذر نعتذر به عنه .

كان تحت يد المجاهد الكبير الصنديد سيدى محمد العياشى (345) منذ استوى على فرسه الذى اركبه عليه شيخه سيدى عبد الله بن حسون (346) دفين سلا غالب الشاطيء الجنوبي الغربى من المغرب ، وقد انضوت فى تصرفه بتتابع الاعوام التى طارت فيها شهرته الطنانة كل مدن تلك الناحية ، فكان له فى المغرب الشمالى على الساحل الاطلنطيكى مثل ما كان لمعاصره الامير على بودميعة صاحب سوس من الاستيلاء ايضا على ساحل تلك الناحية ، وقد كان يحول بينهما فى الساحل حوالى الجديدة واسفى ما يملكه البرتغال وءال زيدان البقية الباقية من السعديين بمراكش (347) ، فان اسفى لا تزال تحت ايديهم وحدها اخيرا من بين مراسى المغرب فى هذه الجهة ، وحين كانت يد الزيدانيين تتطاول الى ان تنال من المجاهد الكبير كما كانوا ايضا فى غالب ايامهم فى حرب وفى معاداة مع ايليخ ، لم يكن بعجيب ان يتصل الامر بين المجاهد الكبير وبين بودميعة فتكون بينهما وصلة ابرمتها منافع الطرفين المتحدة ، وقد كان هذا طبيعيا ، وهذا ما وقعنا على ما يشهد له فى التاريخ ، ففي الرسالة التى كتبها بلاش سنة 1639 م الى حكومة هولاندة - وستاتى - ما نصه :

(315) راجع الحاشية 77 .

(347) هو الشيخ البركة الواصل المرينى سيدى عبد الله بن محمد بن الحسن الخالدى السلاوى المعروف بابن حسون ، توفى فى ثمانى عشر محرم 1013 هـ وترجمته الحافلة الشينة موجودة فى اخبار :اواخر الدولة السعدية من (الاستفصا) ، وفى طبقات الحضكى ، وفى « الصنوة » وفى « نشر المثاني » وغيرها .

(347) المصنوع بهم زيدان بن احمد المنصور وولده الوليد ومحمد الشيخ الثالث واحمد بن هذا الاخير وهو آخر ملوك هذه الدولة . وقد تقدمت اخبارهم فى بعض التعاليق السابقة .

« وقد بلغنى ان سيدى عليا الم رابط العظيم المذكور وسيدى احمد العياشى - كذا سماه ولكن اسمه الحقيقى محمد - متحالفان ، وليست لديهما عدد حربية ، الخ ما سياى فى علائق هولاندة مع ايليج .

وجاء ايضا فى مذكرة لهاريسون الى الحكومة الهولاندية ، مورخة بما قبل 26 مارس 1631 م - وهى مذكرة فيما سياى - ما نصه :

« ولما وصلت الى سلا دفعت لى مكاتب من سيدى العياشى - وسماه ايضا احمد غلطا - احدا من موجهة الى سيدى على الذى يستولى على شواطىء المغرب الغربية ، وعلى جميع مملكة سوس » ، وقد علق المؤلف دى كاسترى على هذا ان هرسون وصل الى سانت كروا ، اكادير ، ولكنه لم يستطع ان يمكن الرسالة لسيدى على (348)

هذا يكفيننا نصا على ما قلنا انه طبيعى اذذاك ، وان كنا لا نملك الآن كيف هذه المحالفة المعقودة بينهما، ولا وقعنا على رسالة من الرسائل التى يتعاطيانها، ولم يخدمنا السعد فى هذه الرسائل كما خدمنا قليلا فى الوقوف على بعض المراسلات بين ايليج والزاوية الدلائية ، ولكن يكفيننا ان نعرف ان بين بودميعة والمجاهد الكبير مضافة من قبل أن يستولى بودميعة على أكادير وبعده .

ايليج والزيدانيون

منذ فجر ثورة ابناء الشيخ سنة 1018 هـ ، كانت مجاذبات مسلحة بينهم وبين اولاد المنصور الذهبى الذين كانوا ينتصبون على العرش بالتوالى ، فقد تقدم عند ذكراول امير من ابناء الشيخ وهو ابراهيم بن محمد بن احمد بن موسى ما وقع بينه وبين زيدان يوم ثار ونهب زاوية من زوايا سوس المفعمة بالودائع،

(348) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « كانت أكادير اذ ذاك لم تدخل فى حوزة بودميعة » .

وربما كان من بين ما استودع فيها أموال لزيدان أو لبعض قواده ، فأرسل اليه زيدان ثلاثة آلاف في جيش الا ان الجيش لم يلبث ان ارتد على اعقابهِ وتشتت لعدم المؤونة واجرة الجند (349) فكانت هذه الباكورة لأبناء الشيخ كفال (350) فزالج لهم ، وكقدح المنيع (351) بين سهام الميسر للزيدانيين ، فلم يعودوا للثبات بعد منذ ذلك الوقت ، وقد التفت جيوش الفريقين ايضا في وادى درعة فتعاركت ازيد من ثلاث سنين ، انهزم اخيرا فيها الزيدانيون كعادتهم مع كل من حاربوه (352) وهناك القائد المسوفى يذكر من الزيدانيين كان لهجا بشن الغارات على ايلة ايليج ، ولكنه اخيرا رجع في حافرتهِ (353) ، ولم يقض طائلا ، الا ان ابياتا ادبية زفت اليه خلدته في التاريخ (354) ، وكذلك وقع ايضا فى ثغر اكادير ، فقد صمد الايليقيون الى ذلك الثغر في فجر امارتهم فملكوه ، ثم حدثنا التاريخ انهم تنازلوا عنه (355) لزيدان في مقابلة دراهم معدودة يتوصلون

(349) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا كله تقدم في محله » .

(350) قال ، «الهمز وعلمه ، معروف ، ما تستبشر النفس لسماعه أو رؤيته رجاء نيل ما يوحيه معناه من اليمن . والفالج على صيغة اسم الفاعل من الفلج ، كالضرب ، وهو النور والظفر . وفعله كنصر . وبضم فاء مصدره . ويقال أيضا في سهام الميسر سهم فالح أى فائز عكس الغفل .

(351) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا أحد السهام الثلاثة التى لا يكون لصاحبها شئ من لحم الميسر ، والققدح ، على وزن الربيع : أحد قداح الميسر ، وهى الاسهم التى تقسم العرب عليها الجزور التى يتقائمون على لحمها ، ومنها الرابع والغفل ، والمنيع اسم ل أحد السهام الاعفال ، وهى الوعد والسعيح والمنيع ، قال الشاعر :

لى سهام ليس فيهن ربيع * * من وعد وسفيح ومنيع

وبعنى المؤلف رحمه الله بذلك ان هذه الوقعة كانت ابتداء فوز الايليقيين وخسارة الزيدانيين.

(352) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « كل هذا تقدم » راجع الحاشية 66 ، ويضاف الى ذلك ان زيدان بن النصور هزم فى 27 معركة ، كما تقدم ان الشاعر امحاو وصفه بالمهزم .

(353) للحافرة عدة معان استعملتها فيها العرب ، والسياق هو الذى يميز اختلاف معانيها ، ومن معانيها اول الشئ ، وهو المقصود بقول الله تعالى « أننا لمردودون فى الحافرة اذا كنا عظاما بخرة » ، أى مردودون الى حياتنا الاول ، ومن ذلك رجع على حافرتهِ أو فى حافرتهِ ، أى طريقته الذى جاء منه . والمراد رجع على اعقابهِ بدون طائل .

(354) هى ما تقدم فى صفحة 87 .

(355) علق المؤلف على ذلك بقوله : « الله يعلم كيف كان ذلك التنازل » .

بها فينة بعد فينة ، ثم كان زيدان لم يف فرجعت الحرب جذعة (356) حول ذلك الثغر ازيد من عشر سنين ، فقد صمد اليه الايليغيون فقطعوا عنه المواد حتى لا يتمون من فيه الامن البحر بالوسق من اسفى ، وقد مالوا بالتجارة اذذاك الى ماسة ، وبعد معاركات مستمرة امكن لهم ان يستحوذوا على قرية تيلضى وهى معروفة الى اليوم ، ثم على قرية فونتى اسفل حصن اكادير ، وبعد اربع سنين قضاها من فى اكادير فى الحصار ممن تمكنوا فى فونتى وقع احتلاله ، فجلا من فيه من الزيدانيين الى سلا - وسترى كل ما يشهد لهذا قريبا - ولم يجد الزيدانيين نفعا ما كانوا يستعينون به من اساطيل الدول الاوربية فى الذب عن حمى هذا الثغر ، بل ما زالوا يقهرون شيئا فشيئا الى يومهم الاخير سنة نحو 1045 هـ .

هذه هى المواقف التى عندنا الآن من مواد التاريخ بين الزيدانيين والايليغيين ، وكلها تجر فيها الهزيمة ذيوؤها - وان اخيرا - على الزيدانيين ، ولا بد ان تقع ايضا حروب فى السودان السعدى الا ان التاريخ لا يحدثنا عنها بصراحة ، وكذلك قضى ما بين الفريقين ، فلم يتمكن لا زيدان ولا ابناءؤه ولا احفاده من قمع هذا الثائر عليهم ، وقد قابلهم بجبين مرتفع ، فقد اقتطع عنهم سوس اولا ، ثم درعة فسجلماسة ثانيا ، ثم السودان السعدى ثالثا ، فقد وقعنا فى التاريخ على ان الجيش الايليغى الكثيف البالغ خمسين الف رجل قطع الطريق بين المغرب والسودان السعدى على قوافل الزيدانيين وعلى رسلهم الى ذلك القطر ، ثم ادى ذلك الى ان ملكوا كل ما كان السعديون يملكونه . فاحتلوا طريقا من الطرق التجارية الكبرى فى نصف افريقية الشمالية بتلك العصور ، تدر على سالكيها الارباح الوفيرة ، والقناطير المقنطرة من الذهب ومواد التجارة

(356) أى شابة ، والجذع الصغير من البهائم ، والجذعة مؤنثه ، ومنه ما فى حديث ابيدء، الوحي اذ قال ورقة بن نوفل للرسول صلى الله عليه وسلم : « يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك » أى شابا جذعا ليستطيع نصرته صلى الله عليه وسلم .

الرابعة ، كل ذلك استولت عليه ايليج ففتحت بسببه باب اوربة فاستمالت الى مرافئها بماسة ثم اكادير - بعد ان استحوذت عليه - بواخر التجار الضاربين على اثباج (357) البحار ، وطالما حاول السعديون ان يلقوا أمام الايليغيين هذا الباب بمخابرات شتى مع الدول التجارية ذات الشأن ، لكنهم قلما يحفظون بكل ما يريدون ، فلم تسعفهم الا بريطانيا فوضعوا بين ايديها مرفأ آسفى الذى هو الباقي لهم من مرافئ المغرب على الاطلانطىكى لتستبد به وحدها ليتمكن لسفنها ان تقفل التجارة مع اكادير ، ولكن هذا الاقفال لم يتم كما يريد من سعى فيه كل السعى وهو محمد الشيخ الثالث (358) .

هكذا دامت الحرب والمجاذبة بين الطرفين ولا ريب ان معارك كثيرة تقع بينهما لم نفع عليها فى التاريخ الى الآن ، وما وقع لنا فى عدم الوقوف عليها ، مع وجودها فى الواقع بلا ريب ، هو الذى اعترف به البحاثه دى كاسترى اذ قال فى تعليق على كلام فى الموضوع سترهه قريبا : « كانت حروب مستمرة بين

(357) الشيخ كالقلم : معظم الشئ ، والمراد هنا البحر ومعظم مائه ، وجمعه اثباج كآفلام .

(358) لعل القارى لاحظ هنا دافع التنافس والعجز عن الانتقام يوحى الى الزيدانيين حمل الدول الأجنبية على مقاطعة الاتجار مع ايليج لعجزهم عن اخضاعها بالحلات العسكرية ، وهذا من الأعمال التى يحارب بها السياسة خصومهم فى كل عصر ، فان نابليون بونابارت حاول مرتين خنق التجارة الانجليزية ، وكذلك فعلت انكلترة بالمانيه ابان الحرب العالمية الثانية ، وقد وجدنا الكاتب الفرنسى الفيلسوف فولتير النقاد اللاذع يذكر فى روايته (كانديد) بأسلوبه الساخر الساحر ان بعض الدول المسيحية تخنق تجارة اخواتها فى الدين فتطلب من ملك المغرب ان لا يتجر الا معها وحدها ، فقد قال عن خصى أوربي التقى فى المغرب بأميرة ايطالية قصت عليه ما كانت عرضة له من أهوال (القراصنة المغاربة) وقص عليها هو انه : « مولود فى نابولي بايطاليا حيث كان يقع اخفاء ثلاثة آلاف صبي فى كل سنة ، فكان بعضهم يموت ، وبعضهم يكتسب صوتا أجمل من أصوات النساء ، وبعضهم يكونون حكاما فى المقاطعات ، وانه اجريت له هذه العملية بنجاح كبير فاصبح مغنيا فى كنيسة الاميرة باليسترينة Palestine التى شئت الاقدرا ان تكون هى ام تلك الاميرة ، وانه جاء الى المغرب فى مهمة دبلوماسية ، وهى ان احدى الدول المسيحية اوفدت له لى ملك المغرب لمقعد معاهدة معه ، تسلم له تلك الدولة بمقتضاها البارود والسفن لاعانته على القضاء على تجارة دول مسيحية أخرى ، وان مهمته انتهت ، وانه سيبحر من سبتة ويأخذ معه الاميرة الى ايطالية » ، فكان فولتير المعروف بعدائه للإسلام يشعر عندهما يرى دولة مسيحية تستعين بالمسلمين ضد اخواتها بمثل ما نشعر به نحن اذا رأينا مثل ذلك بين المسلمين .

مولای زیدان والمرابطين ولكن لا نعلم تفاصيلها » ، ويعنى بالمرابطين سيدى على والعايشى .

هذا واننا الآن لا نزال نتعجب من بودمعة كيف لم يتقدم الى الحوز وقبائله وسهول الشياظمة وعبدة ودكالة ، فيحتل الحمراء لينفتح له ما وراءها ، مع ان ذلك - بلا ريب - فى مستطاعه على ما يتراءى لنا نحن الآن حين عرفنا قوته ورايناه استطاع فتح اقطار واسعة ، وهذا ايضا رأى معاصريه من بعض الاوربيين الذين يصفونه بالقوة وكثرة الرجال حتى كان منهم من وصف جيشا من جيوشه بخمسين الف رجل ، وهذه القوة اذذاك قوة عظيمة الى الغاية ، تقابل الآن مليونا من جيوش هذا العصر ، فقال قائل منهم : انه لو تقدم لاستولى على مراكش ، ونقول نحن - وقد ضمنا تعجبنا لتعجبه - انه استولى على جبال دادس ، وكاد يطل على تلك الجهة التى يمكن ان يشرف منها على مراكش من جبل كلاوة كما استولى على كل حاحة الى بوريقي (359) فيتصل ببسائط الشياظمة فيكاد يطل ايضا من جهة الغرب على تلك البسائط التى فى بحبوحتها مراكش ، ولعله مستول ايضا على جبل الاطلس الفاصل بين سوس والحوز أو على غالبه ، فقد علمنا استيلاءه على ادواتانان من قصيدة ادبية ستاتى (360) ، فما المانع له اذن من التقدم ؟

وقفنا فى ذكر لابناء زیدان أثناء كلام لبعضهم على ما يلى : (361)

(359) محل فى حاحة قرب السويرة بين قبائل نكنافة وايت زلزن وهو قريب من منابع النفط هناك متكون من ارض فيحاء يقصدها الناس للحرث . وفيها كان المولى الحسن الاول يوم بادته الاقدار لاعتلاء عرش المغرب فكان خير خلف لخير سلف .

(360) لم نجد هذه القصيدة فيما ياتى من الكتاب ، ولا شك ان المؤلف رحمه الله كان ينوى الحاقها فمات قبل الاجل عن ذلك .

(361) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « تلك المجموعة بالخزانة العامة بالرباط » ويعنى بها ما تقدمت الإشارة اليه فى الحاشية 179 من 58 .

« وهرب مولانا احمد بن زيدان الى فاس ، فقبضه اهل فاسي وسجنوه نحو ثلاث سنوات ، وقدم اليه - أى الى احد اخوته (362) - اخوه الذى بفاس وهزمه وهرب من بلاد الى بلاد حتى وصل بلاد الساحل عند ابى حسون ، وفى سنة سبعة واربعين والف اراد ابو حسون ان يقدم الى مراکش مع السلطان المذكور عنده ، وهو مولانا احمد بن زيدان ، فعجز عن القدوم فاعطاه نحو ثلاثمائة مدفع - بندقية - وجيشا من الجمال ، وشيئا من البقال ، واعطاه سبعة آلاف من الذهب قبضه بوادى درعة وبوادى تافيلالت »

اذن كان بودميعة عازما على القدوم الى مراکش فى صورة معاونة للسلطان احمد بن زيدان ، وهى وسيلة قلما يفلتها اهل السياسة المحنكون ، وقد رأينا بودميعة نفسه تتبعها قبل مع مولاي الشريف يوم استغاث به فجعل تمس اغائته له الاستحواذ على تافيلالت ، وقد اراد بودميعة ان يمثل هذا الدور نفسه ايضا مع احمد بن زيدان الا انه احجم عن ذلك ولم ينفذ عزيمته ، ونحن اذا تأملنا ما دهمه اذذاك من امر شرفاء تافيلالت حين قام مولاي محمد بما قام به ، نعرف ان ذلك حقيقة هو المانع ، ولم يكن بودميعة بالمقدام الرابطط الجاش الذى لا يشغله شأن عن شأن ، فقد تهاون بامر مولاي محمد فى سبجلماسه وفى درعة حتى افلت الفرصة من يده افلاتا لا رجوع بعده ، فليس من الطلاعين لكل ثنية ولا من المخامرين فيلاكم بكلتا يديه

(362) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الكلام غير منظم كما ينبغي ولكن مرادنا منه ظاهر » .

واحمد هذا الذى اشار اليه ذلك المؤرخ هو احمد بن زيدان بن المنصور السعدي ، فانه لما توفي ابوه زيدان اوائل عام 1037 هـ بويع ابنه عبد الملك ، فثار عليه اخواه الوليد واحمد هذا ، فتحاربوا حتى غلبهما ، ففر احمد الى فاس فدخلها فى 25 صفر من نفس السنة ، فانصب ملكا وضرب سكتته ، ثم انتهى به الامر الى التشرذ فى البلاد ، وفى آخر عام 1037 هـ عدا قائد فاس الجديد عبو اباها على احمد هذا فسجنه فبقى مسجوناً عدة أعوام حتى خرج مستخفيا بين نساء فى رجب سنة 1044 فنصرته العامة التى شعارها اذ ذاك « الله ينصر من اصبح » ثم بقى يطفو تارة ويرسب اخرى حتى كان سنة 1047 هـ عند بودميعة ، وفى 24 ذى القعدة 1051 هـ رماء احد اولئك العامة برصاصة فى فاس الجديد فانهى امره . اما الوليد فقد قتله العلوج فى نفس الليلة التى كان هو فيها عازما على قتل اخيه محمد الشيخ فى 24 رمضان سنة 1045 هـ راجع الحاشية 329 .

هل التام شمل البديع وايلغ اخيرا ؟

فى ص 140 ج 5 ، هولاندة ، من مجموعة ديكاستري ، من رسالة لاسحاق بلاش الى حكومة هولاندا مؤرخة بـ 31 مايه 1647 م . ما نصه :

« أنهى لعلمكم ان سيدى عليا صالح سانت كروا - أكادير - حصل على صداقة متينة مع جلالة السلطان ، وزوجه بنته ، وأعطاه معها قدرا من الذهب وعددا من الخيل والعبيد السود ، ليتم الصلح مع جلالته ، وان بقصر سيدى على ثمانية وعشرين أو ثلاثين عبدا هولانديا (363) ، وارجو اذا كتبتم لجلالته ان يطلق سراحهم ، كما فعل جلالته مع الاسبان منذ ثمانية اشهر بواسطة سفير اسبانية الوافد عليه حاملا هدايا كثيرة، فرد له السلطان جميع العبيد الاسبانيين الذين بمراكش وعددهم 76 عدا الرؤساء منهم ، زيادة على العبيد الذين طلب جلالته من سيدى على أن يطلق سراحهم . »

هذا النص نص عجيب جدا ، ولولا انه رسمى لربما شككنا فيه ، ولكنه صحيح بلا ريب كما ترى ، فقد تصالح محمد الشيخ الثالث وبودميعة أخيرا وتزوج السلطان الزيدانى بنت بودميعة المجلوة (363) بجهاز يعلن فيه الذهب والخيول والعبيد السود مما يكون كالعنوان لجهاز ملوكى خطير ، وقد كنا نجهل كل هذا لسكوت توارينخنا عنه ، ولم نر من عرج عليه ولو بتلويح ، والعجيب ان مثل هذه المصاهرة لا تنساها الاجيال فى الأسر ، ولكن اسرة ايلغ الحديثة تجهل الآن كل هذا ، كما يجهله كل التاريخ العربى فيما نعلم الآن .

(363) من المعلوم انه ليس المراد بهؤلاء العبيد الحقيقيون ، بل هذا تعبير بالصيرورة ، أى الذين صاروا عبيدا لوقوعهم فى قبضة بودميعة لما لفظتهم امواج البحر التى اقلت بسفنهم الى الشاطئ، الذى الى نفوذ بودميعة .

(364) من جلا العروس يجلوها جلوة ، بتثليت الجيم ، على زوجها : عرضها عليه مجلوة أى ظاهرة منظورا اليها .

وفى سنة 1647 م . توافق 1056 هـ . وهذا العهد كان السلطان من الزيدانيين فيه هو محمد الشيخ الصغير (365) ، ولذلك عرفنا اسم المتزوج وان لم يصرح به فى ذلك النص .

ويظهر ان بودميعة ربما يسر الحسو فى الارتقاء (366) بسبب هذه المصاهرة ، فقد رأى ضعف الزيدانيين البالغ نهايته ، فأراد أن يمثل معهم ما مثله كروم الحاج (367) مع آخرهم ، ولكن ذلك لم يقدر له ، أو انه أراد أن يتساند مع الامير الزيدانى ضد هزبر سجالماسة الذى انتصر عليه قرب هذا العهد فى درعة فرده عن ذلك الوادى على عقبه منهزما (368) .

(365) من المعلوم ان محمد الشيخ هذا بويع يوم 25 رمضان 1045 هـ وتوفى سنة 1061 هـ . ولا بأس أن نذكر القاضى، الكريم بن المسمين بمحمد الشيخ من ملوك هذه الدولة السعدية ثلاثة أولهم محمد الشيخ بن محمد القائم بن عبد الرحمان بن على بن مخلوف ، وهو الأول منهم . ثم محمد الشيخ الثانى ابن احمد المنصور بن محمد الشيخ الأول ، والثالث هو محمد الشيخ بن زيدان بن احمد المنصور . وهذا الأخير هو المقصود هنا وهو أصغرهم .

(366) الارتقاء هو ازالة الرغبة عن اللبن عند حلبه . ومن يزيلها بامصاصها يسر معها حسو اللبن الصريح ، فصار ذلك مثلاً يضرب لمن يسر خلاف ما يظهر ، فيقولون « يسر حسوا فى ارتقاء » ، قال الكميت :

فانى قد رأيت لكم صدودا وتحساء بعله مرتفنا

(367) كروم الحاج هو اللقب الذى عرف به عبد الكريم بن ابي بكر الشيبانى الحريرى الذى كان سبب انقراض الدولة السعدية ، وهذا الذى اشار اليه المؤلف رحمه الله هو ان بودميعة ربما يكون صاهر محمد الشيخ الثالث لنفس الغاية التى صاهره لاجلها هؤلاء الشبان فان ام ولده احمد هذا شيبانية ، وقد استفحل امرهم فآلحوا فى التضييق على ابن اختهم هذا الذى اقعده الجبن وخور المزيعة عن الدفاع عن حوزته فحاصروه فى مراكش نحو ستة اشهر ، فاشارت عليه امه بان يخرج الى احياء اخواله ويخالطهم ليزيل ما له فى انفسهم من سخائم . فلما صار عندهم فنلوه سنة 1069 فدخلوا مراكش وبايعوا كروم الحاج هذا الذى دخل مع المجاعة حتى عرفت سنته بعام كروم الحاج ، وبعد عشرة اعوام قتله احد جنوده فتولى ابنه أبو بكر الذى لم يدم ملكه سوى اربعين يوما فدخل عليه المولى الرشيد العلوى فقتله وتبع الشبان حتى افناهم سنة 1079 هـ .

(368) تقدم تفصيل ذلك ، فراجع فصل « بعة مولاي محمد وانفصاضه على درعة » .

ايليج والتجارة مع اوربة

للمغرب مركز مهم فى التجارة العالمية مع اوربة وما اليها من كل الاقطار التى تتجر على بحر الظلمات (369) - الاطلانطيكي - ، وذلك معروف من عهد الفينيقيين (370) «اياء التجارة البحرية ، وقد ازدادت أهمية المركز المغربى فى التجارة منذ اكتشفت اميريكا الجنوبية (371) واستولى البرتغاليون

369 يقول الذين كتبوا عن الملاحة وتطوراتها من اقدم المصور الى الآن . ان سبب اطلاق بحر الظلمات على الاطلانطيكي هو ان القرطاجنيين الذين يحترفون التجارة وكونوا على شواطئه مراكز للمبادلات التجارية ، خافوا ان يزاحمهم فيه غيرهم كما زاحمهم فى الابيض المتوسط ، خصوصا اعداءهم الرومان ، فاشاعوا ان ما وراء اعمدة هرقل - بوغاز جبل طارق - كله مخوف ، وان ما بعد ذلك ابتداء من رأس بوجاضور فى وسط ريو دو اورو فى الشمال الغربى للصحراء الافريقية ، كله ظلمات ، فى حين ان بحارهم حنون الذى جاس خلال شواطئ ذلك البحر قد تجاوز رأس بوجاضور فى بعثة مكونة من 60 سفينة على كل واحدة منها 500 رجل بينهم 50 جدافا ، وبلغ الى القرون وذلك سنة 500 قبل الميلاد .

ولكن فى سنة 1433 م ظهر كذب هذه الاشاعة حين تجاوزت هذا المحل بعثة البحار البرتغال جيل يانيس Gil Eanis فكان ذلك خطوة جريئة الى الامام سارت عليها البرتغال فساد نفوذها الاطلانطيكي قرونا .

ثم عاد البرتغاليون الى ارتياد ذلك البحر حتى وصلوا الراس الابيض فأخذوا منه بعض السود ، فكان ذلك فاتحة عهد الشؤم على الانسان الاسود بسبب استرقاق اخيه الابيض له واتجاره به ، وتصديره كالبضائع للبلاد النائية كأميريكة وصار مشتريه يستعمله فى التجديف فى السفن والعمل فى حقول البطاطيس والتبغ ، وربما قيده اذا خاف عليه الفرار بقطع بعض اعضائه كالأيدي والارجل .

370 الفينيقيون أمة من أقدم أمم العالم العتيق ١٠ منذ ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح عليه السلام يفتنون شريط الشاطئ اللبناني فى شكل ولايات سحدة متكونة من المدن ولها رئاسة مركزية فى مدينة صور ، وقد مهروا فى ركوب البحر ومخر مجابهة للاتجار على سواحله حيث انشأوا المراكز التجارية العظيمة كما فى تونس وطنجة وغيرهما ، بل كان لهم معمل فى الجزيرة التى امام الصويرة لصنع الصبغ الأرجوانى اللطيف من محار الموريكس Murex لصبغ الملابس الفاخرة التى كان اباطرة الرومان يجرون ادينتها ويلتحف بها الفينيقيون والقرطاجنيون فى محافلهم ، وقد اورثوا مدنيتهم لسلبيلتهم قرطاجنة ، وكان فى اخلاقهم سلف وتعاطف (ان الانسان ليطنى ان رءاه استفتنى) وكانوا مولعين باقتناء الاشياء الثمينة ، وهم الذين اخترعوا البلور ، والحروف الهجائية لضبط معاملاتهم .

371 كان ذلك بعد الاكتشاف الاول الواقع فى اكتوبر 1492 م وقد ظلت الشواطئ المغربية ممرا للسفن الاوربية الذاهبة الى اميريكة الجنوبية من ناحية والى افريقية نفسها والى الهند واسترالية وما حوالىها من ناحية اخرى ، خصوصا ابان تحضير العهد الصناعى الأوروبى لجلب المواد الخام اليه والمواد الغذائية ، ولم تتحول طريق الهند واسترالية وناحيتها عن الاستدارة بافريقية الا بعد حفر قناة السويس الذى وقع تدشينه فى 17 نونبر سنة 1869 م راجع الحاشية 270 .

والاسبانيون ثم الفرنسيون والانكليزيون على السواحل الجنوبية لافريقية وآسيا ، فان كان المغرب ممراً للسفن في الذهاب والاياب ما بين القارة الأوربية وهذه القارات الاخرى ، فلا بد ان يلم به الذين يقصدون البرازيل في اميريكة الجنوبية او البلاد الهندية وما اليها من الاسواق التي فتحتها لتجارته التاجر الأوربي النشيط المطوح على البحار بسفن لا تسير الا بالرياح ولا تمخر الا بالشراع (372) .

(372) بدأ الناس يفكرون في استغلال البخار منذ اوائل القرن السابع عشر المسيحي ، ومن اوائلهم في ذلك المهندس الفرنسي سالومون كون . وجاء بعده دونيس بابان الفرنسي أيضا فحرب سنة 1707 م سفينة بخارية على نهر بالمانيه ، ثم جاء بعده المهندس الانكليزي جيمس وات في أواخر القرن الثامن عشر فاعطى للقوة البخارية مكانتها واشاع استعمالها .

وفي 1830 م كان العالم يعد 97 في المائة من سفن الشرع مقابل 3 في المائة من السفن البخارية اما في سنة 1914 م فان الامر صار بالعكس ، وكانت السفن الشرعية قد بلغت غاية الاتقان سنة 1850 م . وكانت تقطع مسافة ما بين لوندرة وميلبورن في استرالية في طرف 90 الى 100 يوم ثم صنعت بالولايات المتحدة الاميريكية سفن شرعية ابتداء من 1850 م حولت هذه المسافة الى 75 يوما ونجح الناس في الوصول من كريستوك في ايكوسية بانكلترة الى كيبك في كاند في 15 يوما . وابتداء من نهاية القرن الثامن عشر صارت جفان السفن الشرعية تصنع من الحديد بدلا من الواح الخشب .

ولما استعمل البخار طفر بالملاحة طفرة أخرى الى الامام وفي سنة 1812 م استعملت أول سفينة بخارية في البحر ، اذ كانت لا تستعمل من قبل الا في الانهار ، واول سفر لعمور الاطلانطيك بالسفن البخارية كان سنة 1819 م فان الباخرة سفانك قطعت ما بين الولايات المتحدة الاميريكية وانكلترة في 27 يوما حاملة مائة طن من البضائع ولكنها سارت بعض هذه المسافة بالشرع لان السفن البخارية الاولى ظلت محتفظة بشارعتها مدة غير قليلة حتى تمت الثقة بالبخار .

وابتداء من 1837م تم تنظيم اول خط بحري بخاري لعمور الاطلانطيك، فان الشركة البريطانية « كونار » المؤسسة سنة 1840 م جعلت ذلك الممر يتم في 14 يوما ونصفا سنة 1840 م . وفي 9 ايام سنة 1862 م ، ثم قل استهلاك الفحم في السفن فاستغنت عن حمل الكثير منه واضيفت مخازنه الى التوسعة . ثم صار الاتساع يزداد كما ازدادت الحموله ايضا ، فقد كانت في سنة 1820 م 148 طنا ، وفي سنة 1870 م 317 طنا ، وفي 1917 م 870 طنا .

وكما كانت تتحسن السفن باستمرار كان يتحسن القيام بالرحلات البحرية ايضا ، فان التقدم الحاصل في الآلات الفلكية والجوية سمح بضبط التوجيهات ومعرفة الابعاد والاغوار ، ثم صارت تشيع في الناس معرفة الامور الضرورية للبحار كالشواطئ والرياح وكل ما كانوا قد عرفوه ونشروه الى ذلك الوقت ، وان المهندس الاميريكي موري جمع بين 1845 و 1855 م كثيرا من الوثائق والنشرات الجوية من قصاصات اثني عشر ألف جريدة تتعلق بالواخر والبحار ، ونشر منها في مجلد خاص عدة خرائط و « ارشادات بحرية » وقد انعقد في سنة 1853 في بروكسيل مؤتمر للشؤون البحرية وقرر تعميم نشر كتاب المهندس موري بين الشعوب فكان ذلك مما سهل على الناس سلوك البحار بشقة وامان .

ومن بين المرافى فى المغرب اذ ذاك مرفأء اسفى ومرفأ أكادير ، وقد اشتهر هذا الاخير منذ أسس فيه البرتغاليون قرية فونتى فى عهد احتلالهم لشواطىء المغرب عند انتهاء الدولة المرينية وضعف اللوطاسيين ، وقد ازداد هذا المرفأ شهرة بعد ان استرجعه السعديون (373) وأسسوا القصبة العليا التى تطلق عليها الآن أكادير ، وقد ازدهرت هناك تجارة الصادرات من سوس والواردات من اوربا ، وكان السكر على رأس ما يصدر من هذا المرفأ ، يستورده منه الاربيون ، وزراعته فى سوس حوالى تارودانت قديمة (374) ، تذكر من القرن الرابع الهجرى فما بعده وهلم جرا ، وفى عهد السعديين ازدهرت تجارة السكر ازدهارا عظيما ، وبعد ضعفهم تراجع تجارته ، الا انه فى عهد زيدان

(373) راجع الحاشية 269 .

(373) ذكر المؤلف فى صفحة 170 من الجزء الرابع من تأليفه « خلال جزولة » ان زراعة السكر بسوس قديمة من قبل القرن الرابع الهجرى وانها ما زالت الى القرن الحادى عشر الى عصر بودمبة. وانه لم ينقطع السكر هناك الا فى عهد المولى اسمعيل. قال : « فاننا لم نر له ذكرا منذ تولت الدولة العلوية فى سوس سنة 1081 هـ ولا يزال فى (تازمورت) صهريجان يكون احدهما نحو 20 خطوة طولا ، وعرضه اقل من طوله . وثانيهما يناهز صهريج البفر بمراكش . كبير متسع . ولا يزال جدار كبير عليه جدول ماء يصب على معمل السكر قائما الى الآن ، وهناك وراء تازمورت صهريج آخر ذكر لى ولم اراه كما رايت هذين ، وهو كبير ايضا ، وقد رايت ازاء دار القائد بوشميب فى هواره فى محطة 44 - تسمية لها بالمسافة بينها وبين أكادير - كما يسمى هذا المكان . صهريجا » . اخر كبيرا تمتد اليه ساقية . وذكر لى ان اثر هذه الساقية المندثرة يمتد ميده من اولوس . ثم مرت نحو الاطلس الصغير فمرت بتازمورت ، ولا ريب ان هذه الآثار كانت فى عهد الدولة السعدية التى نشطت من جديد زراعة السكر ، ولم تكن هى التى أوجدتها مبدئيا كما يظن من لاطلاع لهم . فان لسكر سوس ذكرا فى كتاب (الاستبصار) المؤلف نحو 590 هـ ، وكذلك كتاب (خريدة المعالج) المؤلف فى القرن الثامن ، وذكر فيه ان سكر سوس هو الذى يسمى الطيرزد الذى يذكر فى كتب الطب . وانه يصدر الى المشرق فضلا عن نواحي المغرب والانديلس . والاماكن التى سماها هنا كلها مشهورة معروفة حوالى تارودانت ، ويأتى لديكاسترى ان سبب اضمحلال انتاج السكر هو الفتنة التى حدثت بين اولاد المنصور السعدى لما كانوا يتناحرون على الملك ، وحيث ان المؤلف ذكر انها لم تنقطع الى ايام المولى اسمعيل ، فان ذلك يفسر بانها بقيت منها بقية بعد ابناء المنصور السعدى اذ لا يعقل أن تضمحل دفعة واحدة ، ودام ما بقى الى ايام المولى اسمعيل ، لكن يظهر ان سبب انقراض ما تبقى منه هو الفتنة التى وقعت بين اولاده من وقت وفاته سنة 1139 هـ الى أن تولى حفيده السلطان سيدى محمد بن عبد الله سنة 1171 هـ ، فقد كانوا كلهم يارزون لسوس ليتزودوا ويستجيشوا على انه نبغ هناك عدة ثوار فى هذا المهد كانوا سبب فتن وحروب .

وما ذكر المؤلف انه وراء تازمورت هو قرية اولاد مسعود جنوبى فرايجة الواقعة لشرقى تارودانت ، فيها المعاصر ونماذج القوالب ، ورؤية ذلك متبسرة ، ولا بأس بمراجعة الاصل المذكور .

فما بعده لا يزال السكر الموسى يذكر ، وعلى هذه الحالة ادركت ايليج مرفاً فوتنى يوم استولت عليه نحو سنة 1633 م . وقد بقيت تحاصر اكادير حتى استولت عليه سنة 1637 م .

وقد كانت ماسة هي المرفأ المقصود من التجار بسلعهم ، حتى مهدت فوتنى فانتقل غالب تجارة ايليج اليها ، وهناك في جوار سيدى محمد بن عبد الله بين قبيلة الساحل وقبيلة آيت بمران محل آخر اشتهر في الألسنة فقط انه ايضا متخذ في عهد ايليج للتجارة مع الخارج ، ولا يزال هناك في الشاطئ آثار للمرسى المبنى مما يؤيد ما تتداوله الألسنة ، ولعل بودميعة فكر في جعله مرسى جديدا ففتحته للتجارة ، الا ان منيته اخترمته قبل فتحه ، أو قبل شهرته بعد فتحه ، وايا كان فاننا لم نجد لهذا المكان ذكرا الا في الافواه ، ولولا آثار تدل على ذلك لما ابهنا لما يتداول في ذلك بين الاحاديث .

هذا الفصل الذى نحن بصدد تنسيق مواده امام القارىء مفقود المواد في تواريننا المغربية فيما نعلم ، فلولا ما ننقله عن كتب الأجانب حواليه لكنا منه في ديجور كثيف ، وقد افادتنا المجموعة التي جمعها المؤرخ ديكاسترى الفرنسى في الموضوع فترجم لنا منها ما يدل على ان لهولندة وفرنسة وبريطانية تجارة واسعة مع ايليج .

وها نحن اولاء سنتتبع ما ترجمه لنا أخونا النايفة السيد احمد بناني الفاسى (375) حول كل دولة من هذه الدول الثلاث من تلك المجموعة الجامعة

(375) هو الاستاذ الفاضل السيد الحاج احمد بن عبد السلام بن محمد بناني الفاسى المولود بها سنة 1905 م . بيته هذا من أمرق ببيوتات فاس علما وصلاحا وفضلا ، دخل المدرسة الادريسية لأوائل نشأتها فتضلّع فيها من اللغة الفرنسية والثقافة المصرية ، وأخذ بها المعارف العربية عن اساتذتها الأجلة الوزير سيدى محمد بن العربى العلوى والسيد عبد السلام السريغنى ومولاي احمد الشيبوى ، ثم دخل القرويين وارتوى من معين ما يدرس بها ، فكان من المتفوقين في الثقافة المزدوجة ، ونفسه عال وقله سيال في كلتا اللغتين ، وباعه طويل في كلتا الثقافتين .

لكل ما يقف عليه جامعا في الوزارات الخارجية من تلك الدول ، في القسم المتعلق منها بالمغرب وربما يخرج ما نسوقه عن موضوع التجارة فيذكر متعلقات ايليخ مع احدى هذه الدول ، أو ما كان لاحداهن اذ ذاك مع كل المغرب من غير ايليخ ، نأتي بكل ذلك حرصا على الفائدة المغربية العامة ، وسندكر نتفا حول أكادير قبل أن يؤول الى ايليخ ، كما نذكر بعض ما يتعلق به وحده من يوم استولت عليه ، وكذلك نذكر شيئا عنه بعد سقوط ايليخ بقليل ، ويجد القارئ ذلك متفرقا في العلائق مع هولندة ومع فرنسة ومع انكلترة .

مع هولندة

معلوم في التاريخ ان السلطان السعدى زيدان لما انهزم في مراكش امام ابي محلى توجه الى سوس على طريق آسفى فأكادير ، واليك ما ترجم لنا حول ذلك :

في الجزء الثانى ص 106 من السلسلة الأولى - هولندة - كتاب مولانا زيدان الى حكومة الولايات المتحدة (376) بتاريخ 27 من ربيع الثانى سنة 1020 هـ

ثم جاء الى الرباط حيث ما يزال الى اليوم فواصل دراسته فى المدرسة العليا وحصل على شهادة الترجمة والحقوق ، فمضى أولا رئيسا لديوان الوزير الأول ثم مستشارا بالمحكمة العليا الشريفة ، وكان ينتدب للمهام السامية عند الاقتضاء ، فكان مثال الاستقامة والنزاهة .

ولم يصده كل ذلك عن دوام الاتصال والتعاون مع اقطاب العاملين فى الميدان السياسى الوطنى لتحرير البلاد ، فكان عرضة للتعطيل عن العمل ومعاونة امتحان الفقر والفاقة والاذى فى سبيل الله .

ولما كان الفرنسيون يهيئون لانتزاع الملك المقدس جلالة مولانا محمد الخامس عن العرش المغربى بايداع كبار الوطنيين اعماق السجون واقامى النافى كان من حظه النفى الى كل من بوغان وبودنيب ثم اغبالون كردوس بالصحراء حيث التقى بالمؤلف ومن فى طبقتهما .

وبعد ان من الله بالاستقلال تقلب فى المناصب السامية اللائقة بثقافته وتضحيته فكان مديرا للشريفات الملكية ثم مديرا للثقافة والفنون الجميلة ثم سفيرا للمغرب بسورية . وهو الآن مستشار برئاسة الحكومة اطال الله بقاءه وادام توفيقه .

اما رجالات بيته فاكتر من أن يأتى عليهم الاحياء ونمثل لهم بوالده المذكور سيدى عبد السلام العلامة المدرس النفاة الزاهد الورع المعروف بعلم الطب والمتوفى عام 1329 هـ وعنه العلامة المحقق المؤلف قاضى فاس سيدى عبد العزيز بناتى المتوفى عام 1347 هـ رحمهما الله .

(376) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « المقصود به هولندة »

الموافق 27 جوان 1612 م . وقبل أن يورد المؤلف (377) نص هذا الكتاب صدره بقوله :

« لما انتصر أبو محلى على مولاى زيدان اضطر هذا الى مغادرة اسفى والالتجاء الى سوس ، لسانت كروا - يعنى اكادير - وقد اكرى فى شهر جوان 1612 م . باخرة القبطان جان فيليب دو كاستيلان التى وردت اخيراً على المغرب حاملة اليه رسائل من لويس الثالث عشر ، والدوق دو كيز ، وقد اكرى تلك الباخرة لنقل أعز امتعته ولكن كاستيلان خان بعد ما وصل سانت كروا - اكادير - ففر ليلاً على ظهر باخرته قاصداً فرانسـة ولكن أعتقله فى شواطئ سلاضون بضرون دولارا الاسباني وهو أحد أعوان الامير فاجاردو ، فساقه الى اسبانية ، وأهم ما فى الباخرة الخزنة الملكوية السعدية ، فأهداها الملك فيليب الثالث الى خزنة الاسكوريال ، فاستاء المولى زيدان من هذه الخيانة ، فكانت سبباً لفتور العلائق بين المغرب وفرنسة مدة طويلة ، وقد علق المؤلف على هذه الخزنة بقوله :

« عدد كتبها ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف ، جمع معظمها فى عهد مولاى احمد الذهبى ، فيها كتب فلسفة وطب وسياسة ونحو ، وفيها جودة خط وزخرفة ، وهى أهم ما تحتوى عليه خزنة الاسكوريال فى القسم العربى ، الا انها اصببت يوم 7 جوان 1671 م . بحريق اذهب معظمها » .

وعلق على تلك الخيانة : « ان المولى زيدان يجعل دائماً التبعة على ملك فرنسة لويـز الثالث عشر فى كل ما ارتكبه كاستيلان » .

وعلق ايضا على ما تقدم من ان هروب السفينة المذكورة كان بعد وصولها الى اكادير قوله : « ذكر لوجندر ان كاستيلان لم يذهب الى سانت

كروا - أكادير - ولكنه ذهب من أسفى قاصدا فرنسة وذكر لابورد دوتوراك ان المولى زيدان كان يريد السفر على الباخرة ليحمل معه تحفه وحليه ويقصد فرنسة ليطلب (375) من ملكها المعونة ، ولكن كاستيلان بمجرد ما حمل على باخرته امتعة السلطان النفيسة ترك السلطان على الارض وفر ، وذكر بورشا ان مولاى زيدان فر من اسفى وأرسل عياله وعددهن مائتان على باخرة هولندية ، كما أرسل أمواله على باخرة مرسيلية فاعتقلها الاميرال الاسبانى لويش ، ووصلت الباخرة الهولندية الى سانت كروا - أكادير - حيث ألقت المولى زيدان فمكنته من عياله ، والظاهر ان مولاى زيدان قصد سوسا برا هو وأتباعه ، ولما وصل اليها لم يجد كاستيلان هناك ، اما لكونه لم يصل الى ذلك المحل ، أو وصله فهرب .

ثم ساق المؤلف نص رسالة المولى زيدان الى هولندة وهى :

« قد وردت علينا فى المدة الاخيرة باخرة من مرسيلية حاملة سفيرا لملك فرنسة اسمه القبطان جوهان فيليب دو كاستيلان ، فوقع بيننا وبينه

(378) علق عليه المؤلف بقوله : « هذا بعيد كل البعد من زيدان ، فكيف يلتجئ الى الأجاب مع انه لا يزال يجد فى قومه امتال يحيا الذى اجابه مع أهل سوس بجيش قبل ان عدده مائة الف ، وهل ينسى بسرعة ما جره ابن عمه محمد المسلوخ يوم التجأ الى البرتغال » - راجع الحاشية 73 والحاشية 75 هذا الذى حاول الاستاذ المؤلف رحمه الله أن يبرى ، منه زيدان لا يبرأ منه الا بكونه لم يصدر منه بالفعل ، واما احتماله فهو لاصق به ، خصوصا مع ملاحظة ما ذكره الإفرائى فى « نزعة الحادى » فى فصل (ذكر الخبر عن دخول ابى محلى الى سجلماسة) ، وهو قوله : « وفر زيدان الى ثغر اسفى وهم بركوب البحر الى بر المدوة » . وقد نقله عنه العلامة الفاضل صاحب الاستقصاء وحاول كالمؤلف ان يلتمس فيه الاعذار ، ولكن من تقصى اخبار ملوك هذه الدولة يجد انهم لا يبالون بأى ثمن اشتروا ملكهم هذا .

واذا كان زيدان لم ينس بعد ما وقع لمحمد المسلوخ ، فما بال اخيه محمد الشيخ الثانى نسي ذلك والتجأ الى الاصبان عام 1017 هـ باهله وحشمه واستنجد بهم على اخيه هذا فاشترطوا عليه تسليم المرائش فافرغها فعلا من المسلمين ولو يقتل من ابى الافراغ وسلمها لهم عام 1019 هـ وظلوا بها الى أن حررها المولى اسمعيل بن الشريف عام 1101 هـ .

وسباق كلام « نزعة الحادى » يفيد انه لم يلتجئ الى أهل سوس الا بعد ما كان فى اسفى ، وعد تقدم فرييا لدوكاسترى ان زيدان ابهر الى اكادير من اسفى ليستنجد أهل سوس .

الاتفاق على الصلح مع ملك فرنسة المذكور ، وأطلقنا له سراح الاسارى
الفرنسيين الذين كانوا فى قبضتنا ، وبمقتضى ذلك الاتفاق استعملنا باخرته
فى ثقل امتعتنا ومالنا ، ولما وصلت تلك الباخرة الى سانت كروا - اكادير -
فرت منها ليلا بدون علم منا حاملة ما كان لنا فيها ، ولما اننا لا ندرى ما الباعث
له على ذلك اوفدنا اليكم خديمنا القائد احمد الجزولى وخصينا ناصر قرطه ،
ليذهبا من عندكم الى فرنسة بمكاتب منكم الى ملك فرنسة والدوق دو كيز ،
وذلك فى اقرب وقت ممكن ، راجياً من الله أن يديم عزكم وصحتكم ويطيّل
حياتكم والسلام . وحرر بسانت كروا - اكادير فى 27 ربيع الثانى عام 1020 هـ .

وفى ص 121 من ذلك الجزء ما نصه :

« جاء فى رسالة معنونة بحكاية أبى محلى ، كتبها أحد التجار
الهولاندين بالمغرب بتاريخ الواحد الى الخامس من غشت 1612 م :

« ولما انهزم مولاى زيدان التجأ الى أسفى ، ومنها أبحر مع عياله
وبعض أتباعه على باخرة هولندية ، قاصدا كاب غير (379) على باخرة مرسيلية
أخرى تحمل أمواله وأمتعته ، وقد حمل معه ما لا يقل عن خمسة وعشرين
فنتارا من الذهب ، ولما نزل بكاب غير صار يستنجد أهل سوس ، ولكن ائى
هذا التاريخ أى فاتح غشت لم يتبعه أحد » (380) .

أقول اننا تحققنا الآن أن زيدان لم يصل اكادير براً بل ركب الباخرة
الهولندية ، وقد علق المؤلف ديكاستري على القائد أحمد الجزولى السفير
المذكور بقوله :

(379) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « سترى المقصود به قريبا » يعنى رقم 383 .

(380) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « قام معه بعد ذلك السوسيون بجيش كثيف
بقيادة يحيا فأهلكوا أبا محلى » راجع الحاشية 75 .

« ان الجزولى الذى أرسله مولاى زيدان الى هولندة ومنها الى فرنسة هو احمد الجزولى الذى كان قاضيا بسوس (381) عند ما التجأ زيدان الى تلك الناحية ، وقد كان السفراء اذ ذاك يختارون دائما فى المغرب من بين القضاة ، وسيرى القارى ان الشريف أرسل سفيرا الى أسطمبول مفتى المغرب الكبير ، .

أقول ان المؤلف علق على جزولة التى منها هذا السفير فى محل آخر غير هذا المكان بقوله : « جزولة تطلق على بعض قبائل سوس كان من عادة الملوك السعديين ان يتخذوا منها رجالا يعملون عندهم فى حرس المشاة (382) ، ذكر ذلك فى ص 812 ج 2 ، السلسلة الاولى ، - فرنسة - ، اه .

وفى ص 12 ج 5 ، السلسلة الثانية - هولندة :

« من الغلط ولا شك التفريق بين سانت كروا وكاب غير ، لأن مرسى سوس كانت تسمى عادة فى ذلك العصر I643 م ، بسانت كروا التى بكابغير »
أقول اغير بالشلحية بكسر الهمزة والفين ، هو المنكب بالعربية ، ويسمى مكان اكادير قديما اغير أفرنى ، وأفرنى محل فى شمالى اكادير ، فيضاف ذلك الحصن المحدث هناك والمعبر عنه بأكادير الى كلمة اغير أفرنى فيقال اكادير ايغير (383) أى حصن المنكب بعد ان يحذف المضاف اليه وهو أفرنى تخفيفا .

(381) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « قاض على تارودانت او اكادير ، وعلى كل حال هو سوس جزولى » .

(382) راجع الحاشية I19 .

(383) كاب كلمة لاتينية الأصل ، ومعناها الرأس ، اما غير فهو تعريف للكلمة الشلحية ايغير ، بكسر الهمزة ، ومعناه المنكب ويطلقه الشلحيون على الجبل المرتفع المنزل ، ولا شك ان اكادير - الحصن - الذى بناه محمد الشيخ الاول السعدي سنة 947 هـ يقع على جبل عال بمنزل ، ومن هناك سبى اكادير ن ايغير أى حصن المنكب ، وهكذا يرميه السوسيون فى تناليفهم ووثائقهم ، لانه مبنى فوق منكب ، وتحذف اداة الاضافة وهى النون المنفردة فيقولون اكادير ايغير باشباع الهمزة المكسورة .

ثم أورد المؤلف في محل آخر - السلسلة الأولى - هولندة - ج 4 من مذكرة للقائد يوسف بيسكاينو سفير المولى زيدان رفعها الى حكومة هولندة مؤرخة بـ 31 يوليوز 1624 م ، جاء منها : « ان جام أبوت ارتكب خيانة ، وهي انه كان بسانت كروا - أكادير - بقصد التجارة ، فدفع له القائد منصور قدرا من الدراهم في مقابلة سلعة ، ثم غادره من غير ان يدفع السلعة ، مع توصله بدراهم الثمن » وجاء منها أيضا : « ان جلالة السلطان اشترى من جاك فابري باخرة بقصد ارسالها الى سانت كروا لتعمل هناك ، وقد كانت هذه الباخرة راسية في آسفى ، فجاء القرصى (384) بتيرزانس فاستولى عليها وعلى ما فيها

و « كاب غير » هذا يطلق على شبه زاوية حادة فيها بعض تقدم فى البحر قبل اكادير بنحو اربعين كيلومترا للقادم اليها من السويرة ، وتكون شبه انعطاف يتقدم فيه البحر فى البر وينحدر الى مرسى اكادير على شكل حرف الراء ، وهذا الرأس اول ما يبدو هناك من الشاطئ للبحارين ، وربما كانوا يفترضون به على انه مرسى اكادير حتى عرفوه فصار علامة على قرب اكادير ، واصبحوا يقولون سانت كروا التى « بكاب غير » ، أى قريبا منه ، راجع اول فصل « مع فرنسة » من هذا الكتاب .

و « غير » هذا الذى يضاف اليه هذا الكاب محرف - كما قلنا - عن ايفير بمعنى المنكب لأن من فوقه جبلا مرتفعا منعزلا يسمى « ايفيرن اوفرنى » ، أى منكب افرنى والاضافة فى اللغة الشلحية تؤدى بالنون الساكنة المنفردة ، وافرنى هذا الذى يضاف اليه هذا المنكب قرية لا بأس بها تقع اعلاه ، والموضع الذى فيه هذا الكاب او الرأس البرى يسمى « دوافرنى » أى أسفل افرنى ، لأن دو بالبدال المضمومة المشددة الممدودة معناها تحت .

وعلى هذا الرأس اليوم برج عال عليه منار كبير ، وارتفاعهما مما سبعة وعشرون مترا ، يرسل ضيائه الدائر المتنقل فى البحر الى مسافة ستين كيلومترا لينتد به السفن كي تتجه نحو مرسى اكادير .

ومن كل ذلك يتضح ان « كاب غير » المضاف لا « يفيرن افرنى » شئ ، و « اكاديرن ايفير » شئ ، آخر ، وقد حققنا هذا بالشخص لعين المحل .

وتسمية هذا المحل بكاب غير قديمة عثرنا عليها فى الخرائط القديمة ولعله يرجع الى عهد محاولة البرتغاليين فى القرن 15 .

اما قول الكونط هانرى دوكاسترى : « لان مرسى سوس كانت تسمى فى ذلك المصر 1643 م بسانت كروا التى بكاب غير » فمعناه بالقرب من « كاب غير » كما تقيمه عبارة اخرى له وهى قوله : « انه وصل الى سانت كروا بعد كاب غير » كما ستأتى له عبارة « سانت كروا بكاب غير » واذا كانت هى فلا معنى لان يجعل احدهما طرفا للآخرى .

384) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « كانوا يطلقون اذ ذاك على اللصوص البحريين القرصان » .

واصل هذه الكلمة ايطالى ، ومنه اخذت كلمة *Corcaires* الفرنسية التى صارت فى العربية « قرصانا » .

من رجال ، وما تحمله من مدافع وقوت ، ولا ندرى الى الآن أين تلك الباخرة مع انها فى ملك جلالة السلطان »

وهناك نوعان من جواىى البحار احدهما المعروف فى الفرنسية بالبيراط « les pirates » وهم اوشاب من مختلف الاقطار الأوربية برزوا للمصوصية البحرية جهارا ولا يحترمون حتى سفن بلدانهم الاصلية وينظر اليهم الناس بما ينظرون به الى اللصوص البريين . اما النوع الثانى فهم المعروفون بالقرصان فى العربية او *les corsaires* فى الفرنسية ، ولم يكونوا فى أول أمرهم لصوصا وانما كانوا ارباب بواخر تجارية يسلمونها باذن حكوماتهم لتستطيع حماية نفسها من اولئك اللصوص ، فكان الناس ينظرون اليهم نظرة احترام لاشتغالهم بالتكسب المشروع وان السفن الغير المسلحة تأمن جانبهم وترجو حمايتهم ضد *les pirates* اللصوص الصرخاء . لكن مع طول المدة أصبح هؤلاء الكورسير انفسهم ينتحلون الاسباب للسطو على السفن التى تضمنها الأقدار فى متناولهم ، ولكنهم مع ذلك يحترمون سفن بلدانهم الاصلية ، وحيث انهم اوربيون مسيحيون فمن العيب أن ينتظر منهم الانسان هوادة مع سفن البلاد الاسلامية ثم بعد اكتشاف اميريكة سنة 1492 م واصبح الطريق بينها وبين اسبانية مطروقا صار مغامرو القراصنة الذين كان معظمهم من الهولنديين والانجليز يغيرون على السفن الاسبانية فاقترضوا منها عددا ضخما .

ثم بعد مدة ايضا انضم الى هؤلاء جماعة من اللصوص يعرفون فى الفرنسية باسم *les flibustiers* كانوا يجوسون خلال جزر *les Antilles* طوال القرن السابع عشر واول الثامن عشر ، ثم انضمت اليهم طائفة اخرى من اللصوص كانوا يطاردون الثيران الوحشية فى اميريكة للحصول على جلودها التى كانت لها قيمة عالية ، فكانت الحكومة الاسبانية تطاردهم واتخذوا مقرا خاصا فى جزيرة *la tortue* أو السلحفاة قرب هايتى ، فاصبحوا لصوصا اقوياء وربما هاجموا حتى بعض السفن الحربية .

ثم صار رؤساء الدول يستغلونهم للمهجوم على خصومهم فلا يكاد سوء التفاهم ينشأ بين دولتين حتى توجه احدهما رسائل الكفالة والضمانة الى بعض جريئى القراصنة تحرضه على مهاجمة سفن اعدائها وتبيح له بيع اسلابها علانية كقضية حربية مشروعة ، وحيث ان اولئك القراصنة يعرفون ندالة حرفتهم للمصوصية فى نظر الناس فقد كانوا يعتزون بهذه الرسائل الملوكية التى تسدل عليهم سترا ولو رقيقا من النظام والمشروعية وتحمل مسؤولية ما يفترون ، فكانوا يجعلون لأولئك الرؤساء حظا ولو رمزيا من مستفاداتهم .

وقد تكون فى احضان هؤلاء القراصنة رجال بحريون عظماء استفادت امهم الاصلية من مواهبهم فأسندت لهم المهام الكبيرة فى اساطيلها ، نخص منهم على سبيل المثال *Jean Bart* الفرنسى (1651 - 1707) الذى كان يعمل فى اسطول هولنده ولكن لما دخلت فى حرب مع فرنسا ، تركها والتحق باسطول بلده فكان متفوقا فى كل ما أسند اليه من مهام و *DuGay - Turbin* (1673 - 1736) الذى كان يتمتع من جنوده بمثل ما كان يناله حكام القواد من المحبة كخالد بن الوليد تابولين ، و *Glaude de Forbin* (1656 - 1733) الذى كان له شغوف عظيم فبسا خاضته فرنسا فى عصره من حروب حول اميريكة ، و *Surooul* (1773 - 1827) الذى اقتنص لبلاده كثيرا من السفن الانجليزية ، واصبح من كبار اصحاب معامل صنع السفن بفرنسة .

ولما استفحل امر القراصنة واصبحوا يزاحمون الدول انعقد فى سنة 1856 م مؤتمر دولى فى باريس تقرر فيه باجتماع نسيى القراصنة ، ولم يشذ فيه عن هذا الالتزام الا ولايات اميريكة المتحدة واسبانية والمكسيك ، فاضمحلت بذلك القرصنة بمعناها الحقيقى قانونيا .

ولما نشبت الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918) واحتاجت الدول المتحاربة لمن يحارب سفن اعدائها كلفت به سفنها الحربية الخاصة .

اما قرصانة المغرب فلا شك ان الذى دفعهم الى ذلك انما هو مقابلة العدوان بمثلته لحماية الشفور الاسلامية المغربية ومن ذلك ما كان يعرف بقرصانة سلا رغما عما كان يحاول الاوربيون الصاقه بهم من النهب والسلب والارهاب .

ومثل هذا أيضا ما أورده في ص 55 ج 2 ، السلسلة الأولى - هولندية ، ونصه : جاء من تقييد لخص فيه اقتراحات صامويل بلاش على هولندية ، وهو ممثل جلالة السلطان لدى حكومة هولندية (385) ، وهو - أي التقييد - مؤرخ بفتح ماى 1612م ومحرر بلهاى ما يلي : « كتب جلالة السلطان الى حكومة هولاندة يذكر ان عامل سانت كروا - أكادير - اشترى باخرة مملوءة زيتا فى ملك تجار من زيلنده ، قبل ان يبلغ العامل المذكور معاهدة بلاده مع هولاندة ، فرد جلالة السلطان تلك الباخرة الى هولاندة على شرط ان يرد اربابها ما ادته حكومة المغرب عنهم ففسروا بذلك ، ولكنهم ادعوا بعد ذلك ان الباخرة سرقت منها سلع قبل ان ترد اليهم ، ولذلك أرجوكم ان تأمروا أولئك التجار ان يردوا لجلالة سلطان المغرب ما بقى فى ذمتهم ، وبذلك نكون قد وفينا بمهودنا مع جلالته »

وورد فى تعليق للمؤلف فى ص 417 ج 4 ما نصه :

« أن محمدا الشيخ الصغير لما توفى أخوه أخرج من السجن اذ كان اعتقله أخوه (386) الوليد ، وقد دام ملكه من 22 فبراير 1636 الى 31 جانفى

385) كان الممتد فى هذا الكتاب ان نرى افراد اسرة ال بلاش الاسرائيليين هؤلاء ممثلين لهولندية لدى سلطان المغرب ، وهنا انعكست القضية اذ صار احدهم وهو صامويل هذا ممثلا للسلطان لدى هولندية ، وربما يدخل ذلك تشككا على القارىء المنتخب فى صحة ما هنا ، لكن الشك سينجلى عندما يطلع فيما ياتى على النص الصريح فى موافقة ما هنا للواقع . كما سيطلع ايضا فيما ياتى على سريان افراد هذه الاسرة فى شؤون الحكومة المغربية ، وعلى انها اسرة مغربية ، ومن ذلك يتبين ان اليهود (كذا خلقوا) منذ كانوا .

386) كان بين ابنه زيدان بن المنصور مثل ما كان بين اعمامهم من الفتن ، فقد تقدمت فى التعليق 362 الاشارة الى ما وقع بينهم بعد وفاة والدهم زيدان فبويج ابنه عبد الملك وحاربه اخواه الوليد واحمد الخ ولما اغتيل عبد الملك فى 16 شعبان 1040 هـ بيد اعدائهم وبايعاز من الوليد - راجع التعليق (329) - بويج اخوه الوليد ، ومع ما يتظاهر به هذا من الخيارة فقد كان مولما بالفتك باخوته وابناء عمومته ، ونجا منه اخوه محمد الشيخ - الثالث - لصفره لان سنه اذ ذاك احدى عشرة سنة ، ولان امه ونساء القصر كن يحرسنه منه ، واخيرا حبسه فى احدى غرف القصر وعزم على الفتك به ، فاولم لاعيان الدولة والجند واهل مراکش ذات ليلة لينشغل نساء القصر بتحضير الطعام حتى يفتك باخيه ، فاراد الله ان يتفج الملوج على قتله هو فى تلك الليلة ايضا ، ولما عرفوا قصده كمنوا له فى محبس محمد الشيخ فلما دخل للفتك به وجدهم قد ذبح وصاح فرموه بالرصاص

١655م . وهو ابن اسبانية ، وتزوج هو نفسه باسبانييتين ، وكان يميل كل الميل الى النصرارى ، فأذن للرهبان الفرنسيسكان بالسكنى بمراكش وبالقيام بعبادتهم (387)، وقد كان يميل الى معاهدة اسبانية، ولذلك استغل أعداؤه موقفه

واجهزوا عليه بالخناجر ، وذلك فى ١4 رمضان ١045 هـ ، ومن القند بايعوا محمد الشيخ هذا الذى توفى سنة ١064 هـ .

والى الوليد هذا تنسب قصبة الوليدية التى بدكالة ولمله اتخذها ليخلو فيها للهوى وظلمه اذ من المعلوم عنه انه لا يفتر عن السماع ليل نهار .

387) هذا الذى ذكره هنا دوكاستري نقل مثله العلامة الناصرى فى الاستقصاء فى اخبار محمد الشيخ هذا عن منوبل المؤرخ البرتغالى وهو : « وشرح الفرائلية الذين كانوا فى سجن مراكش واعطاهم الكنيسة التى بالسجينة منها » .

والفرائلية هم الرهبان ، والسجينة هى اول موضع أسسه ابن تاشفين من مراكش وموقعها قرب مسجد الكتبيين الحال .

اما هذه الكنيسة فيرجع تاريخها الى سنة 627 هـ ايام ادريس المامون بن يعقوب المنصور الموحدى ، وذلك ان امر متأخرى الموحدىين صار ينحل بعد موت يعقوب المنصور سنة 595 هـ وبعد انهزام المسلمين فى وقعة العقاب ايام ابنه محمد الناصر المتوفى سنة 610 هـ ، فسقطت من النفوس هبة الموحدىين كما انحطت همهم فنسوا المصلحة العامة العليا واصبح كل واحد منهم يطعم فى الملك على كثرة عددهم وصاروا الموية فى ايدى الحجاب والوزراء وجرمهم ذلك الى تعود الالتجاء لاستمداد اعدائهم الاسبان فى بلدهم واخوانهم فيشترط عليهم الاسبان التنازل عن ممالك المسلمين ومدنهم فيخنعون لذلك .

ولما افضى الامر الى عبد الله العادل بن يعقوب المنصور سنة 62١ هـ ، اتقاد له البعض من اخوته وبنى عمومته وثار عليه البعض ، فكان ممن ثار عليه عامل اشبيلية اخوه ادريس المامون فدعا لنفسه سنة 624 هـ ، وكتب الى موحدى مراكش باجتماع اهل الاندلس على بيعته فاختلوا العادل بمعامته فى خصمة ماء بمراكش ووجهوا بيعتهم الى المامون هذا فى اشبيلية ، ولكن لما انفصل بها عنهم البريد ندموا لما يعلمون من فتكه وبطشه فنكثوا بيعته واعلنوا بيعه يحيى بن يوسف بن يعقوب المنصور وسنه ست عشرة سنة ، ولما وصل البريد بالبيعة الى المامون فرح وتجهز للجواز الى المغرب فلما بلغ الجزيرة الخضراء تلقى خبر انقلاب اهل مراكش عليه .

وهناك كاتب ملك قشتالة ان يمدد بجيش يجوز به الى المغرب فأمدد باثنى عشر الف نصرانى على شرط ان يتنازل له عن عشرة حصون فى الاندلس يختارها هو ، وان يبني لهؤلاء النصرارى بمراكش كنيسة يملكون فيها دينهم ويقرعون نواقيسهم لصلواتهم ، وبلغه هذا المدد بالجزيرة الخضراء سنة 626 هـ ، ولما علم يحيى بسجيء ادريس فر من مراكش فكتب أهلها الى هذا الاخير بيعة اخرى واستعجلوه للقدوم ، فعبر بنصراؤه الى المغرب فى ذى القعدة 626 هـ وبقي مدة بسبنة ، ثم نهض الى مراكش فوقت بينه وبين يحيى معركة فى 25 ربيع الاول 627 هـ انهزم فيها يحيى ودخل المومون الى مراكش فكان اول ما صنع ان سب المهدي بن تومرت على منبر جامع المنصور واعلن ابطال بدعه ، وبعد ثلاثة ايام جمع رؤساء الموحدىين وقطع منهم نحو اربعة الاف رأس ، ووفى للنصارى بشرطهم وهو بناء الكنيسة ، فهو اول من بنى الكنائس بالمغرب واول من ادخل اليه الجيوش الاجنبية .

ثم ثار على المامون هذا اخوه عمران بن المنصور عامل سبنة وبينما هو فى الطريق اليه لقمه، بلغه ان بعض القبائل تحاصر مكناس فعاد اليهم ، وبعد قتالهم رجع الى سبنة ، واثناء غيبته عن مراكش عاد اليها يحيى من الجبال فنهب القصر ومدم الكنيسة ، فبلغه الخبر فترك سبنة وعاد الى مراكش ، فباع اخوه عمران سبنة لابن هود أحد ملوك الطوائف بالاندلس فبلغ كل ذلك المامون وهو بوادى العبيد قافلا الى مراكش فمات هناك غما واسفا سنة 629 هـ .

هذا فثار عليه العياشي والدلائيون والشرفاء الفيلاليون وسيدى على (388) بن موسى ، فلم يكن له نفوذ قوى ، ويمكن ان يقال انه لم تكن له مملكة « (389) .

وذكر فى السلسلة الاولى - هولاندة ج 3 ص 290 ما نصه من مذكرات روويل الهولاندى فى 5 أبريل 1623 م : « وصلت رسائل من مراکش يامر فيها السلطان القواد والجنود بالرجوع لأن سيدى منصور كتب اليه من أكادير بأن الأمن سائد ، وانه لم تبق حاجة للاعانة » .

ثم قال روويل فى رسالة أخرى مؤرخة بـ 25 مايه 1623 م . ما يلى :

« فى سابع ابريل وصلت باخرتنا بعد ما اذن لها فى الذهاب القائد منصور حاملة كتابا منه الى السلطان يذكر فيه القائد معونة قبطاننا له بالتمكن من أكادير ، لأنه على ما يظهر لولا تلك المعونة لاستولى سيدى على على قصبة سانت كروا ، ولذلك يستاء التجار الذين كانوا ينتظرون رواجاً لسلعهم ، ولولا الاستلاء على القصبة لاصبحت التجارة مفقودة منها »

أقول ان هذه السنة توافق سنة 1031 هـ ، فلا ريب ان بودميعة كان هاجم فى هذا العهد أكادير ليسترجعه اليه ، ولكنه لم يستطع أمام قوة القائد منصور الذى تمكن من ناصية الأمر بمعاونة البحرية - كما ترى - بمدافعها .

ثم قال أيضا روويل : « وفى 14 يوليو 1623 م . وصلت رسائل من أكادير تذكر ان تاجرا نيرلانديا اسمه بول ، وقف هناك فباع واشترى مع الماسيين ، - اصحاب بودميعة - ويقال انه باع كثيرا من المكاحل لأصحاب سيدى على عدو السلطان »

(388) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا هو بودميعة وثورته كانت 1613 م قبل

عهد محمد الشيخ هذا الذى ما تولى الا سنة 1636 م .

(389) اتفق المؤرخون على انه لم يبق تحت نفوذه الا مراکش وبعض اعمالها .

ثم قال أيضا : « وفى 6 أكتوبر 1623 م أمر السلطان باحضار أندلسى اسمه القائد الحسن وكلفه بالذهاب الى اكادير مع مائة كلهم من أصل أندلسى ومعهم ازواجهم واولادهم للسكنى هناك ، لأن السلطان لم يكن يشق برعاياه الذين يلذ لهم ان تتبدل الأحوال كل حين ، وبما انه لاحظ ان الاندلسيين (390) هم الذين احتفظوا له بسلا اراد ان يثبت قدمه بواسطتهم فى أكادير وفى آسفى وفى تافيلالت ، وفى كاكو - السودان - وقد عزم على ارسال خليفة له اسمه القائد يوسف باسكاينو »

وساق أيضا من هذه المذكرات ص 284 ما نصه : « وفى يوم الجمعة 17 مارس 1623م . وصل يعقوب ايدانيز من سانت كروا - اكادير - لدفع ما بقى من البندقيات حسبما وعد به ، واضطر لان يبيع نحو مائتين لقائد سانت كروا ، لأن القصبه كان حاصرها سيدى على مع اثنتى عشرة مائة رجل او اربع عشرة مائة رجل ، وقد استولى على برج تلضى (391) وهو موقع جميل على بعد نصف ميل من القصبه فى جوف البلاد »

(390) قد احسن المغرب ايواء هؤلاء الاندلسيين واعجب بمواقفهم الجهادية ومهد لهم ما ينبغي للمسلم ان يمهده لأخيه المسلم وقدر لهم تضحيتهم فى الهجرة بدينهم ، ولكنهم كانوا معجبين لا يرون لاحد فضلا امامهم ، فبينما هم مع السمديين اذا بهم يثورون عليهم ويقتلون عمالهم ثم ينضمون للمجاهد العياشى ، وبينما هم معه اذا بهم ينقلبون عليه وينضمون للدلائيين منافسيه ، بل ينضمون اخيرا الى اسبانيى المعمورة انفسهم ويسدونهم بالطعام والذخيرة بينما يجاهدونهم العياشى ليحرر منهم البلاد ، وكانوا يريدون تكوين حكومة شورية مستقلة ويريد العياشى ان يضمهم الى الجماعة لتتوحد البلاد .

وبسبب تنكرهم للعياشى حاربه الدلائيون فكان ذلك سبب القضاء عليه ، وليتهم كلهم ذهبوا فداء له .

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شامت من البشر

(391) هذا البرج المضاف الى قرية تلضى هو محل تالبرجت الحالية التى كان بها معظم اكادير ما قبل زلزال 1960 م ، وهذا يفيدنا انه كان هناك برج للمراقبة البحرية .

وموقع كل من تالبرجت وتلضى شمالى التخطيط الجديد لأكادير ما بعد الزلزال ، وهى المقصود بما تقدم فى السطر الرابع تدليا من صفحة 152 من هذا الكتاب .

وهناك قرية أخرى يقال لها احشاش جمع احشوش بمعنى العريش سكنها أولا من يتبعون جيش الاحتلال للاتجار معه ، ثم سكنها العمال والضعفاء ثم صارت حيا من احياء المدينة ، وقد صار الآن محل تلضى مقبرة ، وهى فى تراب قبيلة مسكينة - بالكاف المقودة .

وهناك تلضى اخرى تبعد كثيرا عن اكادير الى الغرب تقع فى تراب قبيلة ايت أمر بفتح الهمز وتسكين الميم والراء بحاجة وليست هى المراد هنا ، وكانت مركزا علميا .

وقد علق المؤلف على هذا ان القسبة لم يستول عليها سيدى على الا
سنة 1637 م .

وجاء تعليقا على الأصل فى ص 236 ج 3 ، السلسلة الأولى — انكلترة ،
ما نصه : « ان المدينة العليا وهى مدينة سانت كروا كان سيدى على باعها
للمولى زيدان ، واحتلها مولاي زيدان ، ولكن لم يستمر زيدان فى أداء ما وقع
الاتفاق على أدائه فهاجمها سيدى على سنة 1623 م . واستولى عليها سنة 1637 م »
اقول عمدا: قدمت هذا الكلام وان كان حول انكلترة لتوقفنا عليه الآن،
فان قوله لم يستمر يدل على انهما اتفقا على ان يدفع له كل سنة او كل شهر مالا.
وفى ص 625 ج 6 سلسلة هولاندة ما جاء فى رحلة دافير : وهو انه
« فى سنة 1660م . اختصم اهل الأندلس من سلا القديمة والجديدة مع سكان
القسبة — يعنى قسبة رباط الفتح ، والرباط نفسه ، هو المعنى
بسلا الجديدة — وكان يحتلها اذ ذاك القا جندى من سانت كروا وغيرها باسم
ملك فاس وتحت قيادة القائد احمد الجنوى » .

وعلق على قوله سانت كروا بأن السلطان محمدا الشيخ الصغير هو
الذى أنزل أناسا من سانت كروا بقسبة سلا فى 1638 م .

أقول عرفنا الآن بعض ما كان يدور حول اكادير بين الايليغيين
والزيدانيين ، وانهم تجاذبوا الحصن حتى استولى عليه اخيرا بودميعة مغالبة
فجلا عنه جنداء زيدان الى الرباط ، وكان أولا من ممالك بودميعة فخرج من
يده حتى استرجعه الآن ، وذلك نحو سنة 1045 هـ .

ثم ذكر المؤلف ص 4 و 5 ، ج 4 السلسلة الأولى — هولاندة — من
يوميات التاجر أدريان ماتان المسافر من هولندة الى المغرب على ظهر باخرة
جيلدرلاند الحاملة لأنطوان ليدريك سفير هولاندة الى ملك المغرب ، وكاتب

اليوميات كان مصورا ، وقد أرخت بفتح شتنبر 1640 م : « وفي 25 ماي 1641 وصلنا الى سانت كروا ، وبها وجدنا باخرة انجليزية وبأخرتين فرنسيتين ، وفي العشي جاءنا الى الباخرة لبرجين (392) ومعه أناس «آخرون يحملون إلينا رسالة من المسمى ديرويل ، وقد كان هذا يتفاوض في شأن فداء الأسارى المستعبدين وفي سانت كروا قصبة موقعها على جبل عال جدا ، ومن العسير الهجوم عليها »

«وفي 27 من الشهر بلغنا ان سكان القصبة ينتظرون من حين لآخر وصول أخى الصالح ، وقد كان احد المغاربة من سكان القصبة اراد اطلاق مدفع فتفرق المدفع فجرح الرجل في معدته وفي اسافل بطنه ففقد «الـة التناسل ومع ذلك بقى حيا ، وقد اصطاد رجالنا حوتا مزخرفا يسميه أهل هذه البلاد فرين » .

« وفي 28 أو 29 بلغنا ان الناس بسانت كروا ينتظرون الصالح نفسه ، وسيربح مقدمه السفير من الذهاب الى ايلينج لأنها تبعد عنا بأربعة وعشرين ميلا ركوبا على الخيل ، والطريق محفوفة باخطار جمة » (393) .

وفي عشية 30 منه وصل أخو الصالح (394) الى سانت كروا ومعه أتباع عديدون ، فانطلقت أفواه المدافع من القصبة (395) ومن بواخرنا احتفاء به ، وقد قوى أملنا الآن في اطلاق سراح المستعبدين » .

(392) علق المؤلف على هذا الاسم بقوله : « تاجر هولاندى اقام باسفى وسلا زمنا طويلا ، وورد ذكره في الوثائق ما بين سنة 1623 م ، وسنة 1629 م احد من حاشية المجموعة المترجمة ، وكل ما هناك من التعاليق كهذا هو لدوكاسترى نفسه المؤلف للاصل » .

(393) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « الحقيقة انه لا اخطار هناك مع وجود الامن » ولكن المسافة اطول من ذلك بكثير كما ياتى بيانه .

(394) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « لا تعرف في التاريخ اسم أخى بودميعة هذا » .

(395) علق المؤلف هنا بقوله : « هذه المادة معروفة اذ ذاك كما هي معروفة الآن » .

« وفي 3I منه ارسل الينا اخو الصالح ثورين واثني عشر كبشا هدية (396) ، فأوفد السفير اليه في القصة ثلاثة من رجال باخرتنا فتداولوا معه طويلا في شأن الأسارى ، ورجع الرسل مسرورين ، وذكروا ان الصالح فوض لأخيه في شأن المفاوضة مع السفير فيما يتعلق بالأسارى المستعبدين ، وفي فاتح جوان نزل السفير نفسه محفوا برجاله ، فحيته باخرتنا بثمانى طلقات من المدافع ، وبثلاث من بندقياتنا ، وقد كان أخو الصالح على الشاطئ بسفح الجبل الذى فوقه القصة ينتظر مع قائد سانت كروا السفير ، فقدم السفير الهدايا ، وكلمهما في شأن اطلاق سراح المستعبدين ، ولكن لم يقع الاتفاق في ذلك اليوم رغم كون المؤتمر ظل النهار كله ، ثم انفض في العشى وكل من الطرفين مسرور باستئناف المذاكرات في الغد ، وقد وجهت الى الصالح رسالتان عن عجل في هذه العشية ، وأخو الصالح يدعى أن الهدايا التى قدمها السفير قليلة (397) فلا يمكنه أن يبيت هو في الأمر الا اذا تلقى أوامر جديدة من عند الصالح » .

« وفي 2 جوان نزل السفير ثانية الى اليابسة ، فوق الاتفاق بينه وبين أخى الصالح على ما يلى : ان جميع الذين كانوا على ظهر الباخرتين المحطمتين المأسورين يطلق سراحهم على شرط ان السفير زيادة على الهدايا التى قدمها يؤدى أيضا للصالح ألفى دوكا (398) ، وأخو الصالح نفسه سيأتى الى سانت كروا بعد ستة أيام أو سبعة بجميع الأسارى من الباخرتين وعددهم اثنان وسبعون ، واختصارا في الزمن ذهب أخو الصالح مستعجلا الى ايلينغ تنفيذ

396) علق المؤلف هنا بقوله : « المغرب كريم يكرم اضيافه ككل الشرفاء » .

397) علق المؤلف هنا بقوله : « وهذه الهدايا من هؤلاء السفراء تحسب من الفدية ، ولذلك يماكس فيها كما سترى » .

398) تقدم تفسيرها في التعليق (207) .

لما وقع عليه الاتفاق ، ويشمل هذا الاتفاق شيخا فرنسيا أسر هنا منذ أربعين سنة (399) على الأقل ، وعندما كنا ننتظر بفارغ الصبر وصول الأسارى اشتغل رجالنا بصيد الحوت ، والباخرة الأولى من المحطمتين اسمها اراسموس من مدينة روتردام فيها 51 رجلا ، مات خمسة منهم ، وأسلم أحدهم ، والثانية اسمها دوميتس من دور دريشت فيها 28 ، وكلتاها لشركة الهند الغربية .

وفى 7 جوان جاء الشيخ الفرنسى المسترق منذ اربعين حولا حاملا رسائل من الصالح الى السفير تحتوى على أخبار محزنة ، ففيها أن السفير يلزمه أن يزيد على ما وقع الاتفاق 500 دوكا ثم أن الكل لا يكون الا فدية لأسرى الباخرة الاولى ، واما 28 الذين أسروا من الاخرى فسيبقون فى يؤسهم وفى أسرهم ولا يمكن ان يؤمل أو ينتظر سراحهم .

ثم قال صاحب اليوميات : « ان هذه الأمة الكافرة لا تعبأ بالوفاء بعهودها واتفاقاتها ، فان الاتفاق الأول الواقع بين السفير وأخى الصالح ينص على تحرير جميع الأسارى ، من كانوا فى الباخرة الاولى والثانية ، وقد بات عندنا بالباخرة الشيخ الفرنسى ووصف لنا حالة الأسارى المستعبدين التعسة ووصف لنا أكلهم وشربهم المستقذرين ، فمن هذا يستطيع الانسان أن يتصور كيف يكون اصحاب الباخرة الثانية اذا رأوا اخوانهم مسرحين أحرارا وهم باقون فى قبضة هؤلاء الهمج المجردين من العاطفة والانسانية ، ولم يقف السفير عند هذا الحد ، بل أرسل جواب رسائل الصالح عن عجل مع رجلين على فرسين.

« وفى 8 جوان ذهب القبطان الوالى على فرس للتيان بالأسارى المسرحين .

(399) على المؤلف هنا بقوله : « فبكون مأسورا قبل زمن ايليج بحو عشر سنين ، ولعله مشتري من عند بعض من اسروه » .

« وفى 14 منه وصل 45 من الاسارى ، وبمجرد مجيئهم نزل السفير الى اليايسة للمذاكرة مع القبطان والى وغيره من المفاربة ، ثم صعد الاسارى الى الباخرة. يقرهم الفرح حتى لا يستطيعون اكلا ولا شربا مع تعبهم بالمشى فى سفرهم ، فقد ساقهم عشرون فارسا .

« ثم أرسل السفير قطعة من الثياب قيمتها الفا دوكا تنفيذا لما وقع عليه الاتفاق بينه وبين اخى الصالح ، ورفع اليه تشكيه العظيم من عدم تنفيذ ما وقع عليه الاتفاق بينهما تنفيذا تاما ، مع انه يشمل كل من فى الباخرتين شمولاً واضحاً .

« ثم ان الصالح طلب فى مقابل 28 الباقين 3000 دوكا ، ورغم انه لاحق للصالح فى طلبه الجديد اضطر السفير ان يجيبه باستعداده لدفع الف فقط ، فتوجه رسول الى الصالح لعله يوافق على ذلك .

« هذا وان اخا الصالح مشهور هنا بكونه عاقلا طيبا متأدبا ، فقد ذهب الى ماسة التى هى بين سانت كروا وايلينج وهى ممر الاسارى فحين رءاهم قال لهم فى لطف : اذهبوا يا اصدقائى فى رعاية الله ، وانى أرجو أن يحفظكم الله حتى تصلوا الى أوطانكم ، وانى ذاهب الى اخى فى ايلينج وسأبذل جهدى فى اطلاق سراح الآخرين ، واما المرابط نفسه فهو رجل جبار ، قاسى القلب ، وقد قال للعبيد الاسارى لما وصلوا الى بلاده : لقد أرسلكم الله سبحانه الى هنا لتعملوا وتكدوا معى ، ولست انا الذى ذهبت للحصول عليكم ، وسترجعون الى بلادكم عندما يشاء الله ، والآن وهم على أهبة الرجوع الى بلادهم قال لهم : اذهبوا وارجعوا عندى بعد عام او عامين فى باخرة مملوءة ايضا لتخدموا معى مرة أخرى .

ثم تتبع صاحب اليوميات اسماء الاسارى الذين كانوا فى خدمة شركة الهند الغربى على الباخرة المسماة اراسموس المحطمة فأسروا فى 17 ابريل 1638 م .

ثم قال : « اما الآخرون فلم يتيسر تحريرهم مع كل ما بذله السفير من جهود عظيمة لأن هذا الصالح الكافر لم يتنازل عن شيء مما طلبه فدية لهم فبقوا في رقهم يقاسون العذاب ، وقد وسقنا من سانت كروا 43 عتروسا (400) ومعزة وشياها ، و 50 دجاجة و 3 ابواز ، أهدى ذلك كله للسفير (401) ، واما ما اشتراه اصحابنا من المغاربة واليهود فهو الريش والنيلة والشمع الأصفر والصبغ العربي والتمر لأن النخيل يوجد بكثرة في هذه البلاد . »

أقول : كان من عادة ذلك العصر الاسترقاق الكثير خصوصا فيما بين المسلمين والنصارى ، ولا ريب ان كل مسترق لا يرضى عن مسترقه نصرانيا كان أو مسلما ، فقد اكتظت دول اوربة بالاسارى المستعبدين من المسلمين ، كما يعج الشرق الاسلامى ايضا بامثالهم من المسيحيين ، وقد كان للقرصان أصحاب السفن البحرية التى توجه همتها الى هذا الشأن يد طولى فى امداد الاسواق فى الجانبين بالعبيد حيث تدر هذه التجارة على النخاسين أموالا عظيمة ، فلا شبهة تلحق فاعل ذلك حينئذ ، ومعاملة العبيد والمستخدمين معلومة قديما وحديثا عند الفريقين .

واما ادعاء صاحب اليوميات ما ادعاه من جبروت بودميعة وقساوة قلبه وكونه لا يحترم المعاهدات والاتفاقات مع الدول ، فنكل الجواب عنه الى ما سيرد من اقلام اوربيين آخرين يعاصرون صاحب اليوميات ويفدون مثله الى اiale بودميعة ، ففى ذلك من الحجج الدامغة ما ينكت كل هذه الدعاوى الضعيفة

(400) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « له اصل فى العربية » ويعنى به ما ورد فى كتب اللغة من ان العترة هى الغضب والغلبة والاخذ بشدة وعنف وجفاء . وان العتريس يطلق على الذكر من الفيلان ، وان العتريس يطلق على الديك ، وان عتريس فعلا ماضيا يطلق على الاخذ بجفاء وخرق ، قال رؤية بن العجاج :

ضخم الخباصات اذا تخبسا * عصبا ، وان لاقى الصعاب عتريسا

ولا شك ان مظهر العتروس يتم عما يقارب ذلك .

وعريبه التيس . ويستعملونه لذكر المعز الذى هو خلاف الضأن وذكر الطباء .

(401) علق المؤلف على هذا بقوله : « شاهد اخر على اكرام المغرب للسفير . »

الغزل ، على ان السفير الهولاندى حين لم تتم حاجته فلا بد له من ان يقول او تقول حاشيته ، وسترى فيما ياتى ان بودميعة يسعى دائما فى ارضاء التجار الوافدين على اياله وبسط الأمن التام لهم ، ولولا ذلك لما ازدهرت التجارة الأوربية معه ، على ان ما مع السفير من الهدايا التى أهديت له على وجه المجاملة فقط من المغاربة ، ولا يكونون غالبا الا بودميعة وولاته ، كفيل بالدلالة على ان أهل ايلنج يحافظون على جبر القلوب ما استطاعوا ، وقول العدو لا يصدق فيما يتهم فيه ولا يتخذ حجة ، هذا فقد رأيت كيف صرح أخو الصالح بانه لا يقدر أن يبت فى أمر الفدية ، وذلك اعلان تام لكونه غير مفوض ، ولا ينتظر بعد ذلك الا ان يتوقف ما يتفق عليه الفريقان على امضاء من لهم الأمر فى ايلنج ، وهل على من هناك ملامة اذا لم يمض ما وقع عليه الاتفاق ؟ ولعل السفير ومن معه فهموا باستمرار المداولة حتى وقع الاتفاق ان ذلك غير متوقف على مشاوره ايلنج ، وكثيرا ما يلعب الجهل باللغة التى تقع بها المفاوضة من احد الجانبين مثل هذا الدور ، وايا كان فان ما اعلنه أخو الصالح من عدم قدرته على البت كاف فى ان هؤلاء لم يخونوا ولم يتنكبوا الوفاء بالمهود كما يزعمه صاحب اليوميات فى (هذه الأمة الكافرة) بما يؤمن به هو من التثليل ومن الصلب ، وسيرى القارىء فيما بعد كلاما آخر حول هذه السفارة .

وفى ص 40 ج 3 السلسلة الاولى — هولاندة ، تعليق من المؤلف وهو :
« سانت كروا مرسى بناحية سوس كثر تردد الأوربيين عليها منذ قام سيدي على بن موسى يدعى الملك بسوس ، وقد سار هذا المرسى ينافس مرسى آسفى منافسة شديدة فيستاء بذلك الشرفاء السعديون ، وفى سنة 1630 م . نص الانجليزى هريسون على الحرية والأمن اللذين يتمتع بهما تجار النصارى بسوس ، وذلك بفضل ما لسيدي على من سيطرة مرتكزة على دهاء وشدة ، وذلك فى مذكرات هريسون المؤرخة بـ 8 أكتوبر سنة 1630 م . »

أقول : تقدم ان اكادير لم يحتل قصبته بودميعة الا عام 1637 م . وحين كان هذا الوصف سنة 1630 م . فما ذلك الا لأن التجارة قد فتحت لها ماسة ، وقد تقدم لنا ان قسبة اكادير محاصرة من قبل الاستيلاء عليها بكثير فيجعل ذلك التجار غالبا على قصد ماسة .

وفى ص 575 ج 5 السلسلة الأولى - هولاندة ، ما يلى : « نورد ملخص أهم ما يتعلق بايلينغ الواردة فى يوميات سالاماندر المؤرخة من 21 جانفي 1644 م الى 3 غشت من نفس السنة ، وصاحب اليوميات هودولوتير البحار الهولاندى الذى يعمل فى البحرية الحربية الهولاندية ، وسالاماندر اسم السفينة التى كان يعمل فيها .

ذكر وصوله الى شواطئ المغرب ومروره عليها الى ان وصل الى غير ، ومنها ذهب الى القسبة حيثلقى عاملها فنصحته بالتوجه الى الصويلج وهو سيدى على بن محمد بن موسى شيخ زاوية ايلينغ ، فقصد ماسة وهى قبيلة فيها قرى على ضفتى وادى تازروالت ، وبها يسكن القبطان والى ترجمان الصالح ، وهو رجل ذو ذكاء حاد بالنسبة الى المغاربة ، فتوجه معه الى ايلينغ مقر الصالح ، ولاحظ فيها عددا من الأسارى المستعبدين فى أسوء حال ، فمثل بين يدى الصالح سيدى على وهو مخفوف برجال مشورته ، فباع له قدرا كبيرا من السلع حاز ثمنها ثلثه ذهب ، وثلثاه شمع وجلود المعز ، ولم يستطع المؤلف صاحب اليوميات اولا ان يستأذن الصالح فى الذهاب ، لأن الصالح توفى له ولد فى تاريخ 28 أبريل ، فكان الصلحاء يردون عليه لتعزيته ، وقد استطاع فداء ستة عبيد هولانديين طوحت بهم الأقدار الى هذه البلاد فى طريقهم الى البرازيل ، وقد اقتدى كل واحد منهم بمائة وسبعة دوكا ونصف من الذهب ، وبقي على الأقل عشرون غيرهم لم يستطع فداءهم ، وأخيرا استأذن الصالح فى الذهاب فسافر ، وقد زاره الترجمان المذكور على ظهر سفينته ، فرحب به باطلاق طلقات من المدافع اكراما للصلح ، وأثناء ذلك اليوم وهو يوم الاثنين

رابع أبريل وصل خبر استيلاء الصالح سيدي على على قصبة (402) ، فنطقت أفواه المدافع احتفالا بهذا النصر (403) من قصبة سانت كروا .

« وفي يومية أخرى للمذكور مؤرخة بـ 22 دجنبر 1646 م . الى 15 شتنبر 1647 م . في ص 625 ج 5 — انه وصل الى سانت كروا بعد غير قاصدا الصالح سيدي على ، وقصد ماسة موطن القبطان والى ، ومنها توجه الى ايليخ فلقى الصالح ورجال مشورته للمفاوضة معه فى شأن السلع التى عرضها عليه ، فباع له شيئا منها ، واقتدى خمسة من الهولنديين ، وفى مقابلة كل واحد منهم 150 دوكا ذهبية ، كما اقتدى اسبانيا بـ 650 دوكا ذهبية .

انتهت اليوميتان باختصار من المجموعة ، والبواقي وصل فيها ذلك التاجر الى اكادير ، وليس فى جميعها بعد ما يلفت الانظار .

وقد علق المؤلف فى ص 270 ج فى السلسلة الأولى — فرنسة على وادى ماسة ما نصه : « وادى ماسة يسمى قبل وصوله اليها بوادى الفاس ، وفى منبعه بوادى تازروالت » .

أقول : ان وادى تازروالت انما هو احد روافد هذا النهر من الاودية الصغيرة ويمتد غير هذا الراقد من الروافد الاخرى الى ابعد مما يمتد اليه هو ، وبعضها يبدأ من اليخ وهو الأبعد .

فى ص 571 ج 5 السلسلة الأولى ، هولندة ، اورد المؤلف نبذة من رحلات الرحالة لوتير (404) الهولندى مأخوذة من كتاب حياة لوتير بقلم جرار براند ، وهو كتاب مطبوع فى امستردام سنة 1698 م . قال : وحدث للوتر

(402) علق المؤلف على هذا بقوله : « لم نقف على المعنى بهذه القصبة التى فتحها بوديمية نحو 1053 م . »

(403) علق المؤلف هنا بقوله : « فعرف من هذا كيف تحتفل ايليخ ايام افراحها بانتصاراتها »
(404) علق المؤلف هنا بقوله : « هو المتقدم نفسه » وقد تقدم قريبا .

حكاية جديرة بالذكر لانها ترينا مثالا عجيبا من ثباته واخلاصه وصبره ، فقد اتفق له ان نزل وهو رئيس باخرة بمدينة ادعى بعضهم انها سلا وقال ديكاسترى ان جميع التفاصيل الواردة فى الحكاية تتفق مع ما نعرفه من اقامة لوتير عند الصالح سيدى على ، وعليه فيغلب عن الظن ان المدينة هى ايلينغ لا سلا ، فعرض بين ما عرض من السلع ثوبا انكليزيا من الملف استهوى الصالح او والى المدينة ، فسأله هذا بواسطة ترجمان هل يريد بيعه ؟ فذكر لوتير الثمن ، فقدم الصالح تمنا اقل من قيمته ، فامتنع لوتير من بيعه بهذا الثمن البخس ، فذكر الصالح انه لا يساوى اكثر مما قاله من الثمن ، فقال لوتير اذن استبقى سلعتى ؟ فأجابه الصالح اننى اريدها ولكن لا اريد أن أعطى اكثر مما قلته ، فقال لوتير لا يمكننى بيع سلعة ساداتى بأقل من قيمتها ، فتجاذب لوتير والصالح الحديث فى ذلك حتى قال لوتير انه يفضل اهداء الثوب على أن يبيعه بخسا ، فقال له الصالح : أتستطيع ان تهدى ما لسادتك ولا تستطيع ان تبيعه بما قدمته لك ؟ فكيف ذلك ؟ فأجابه لوتير : لا يمكن أن أبيع بخسا من دون أن افسد على ثمن سلعتى الاخرى ، فافضل الاهداء على أن أبيع بخسا اجتناباً للضرر ، وحين لم يرد الصالح أن يقبله هدية صار يهدده قائلا : الا تعلم أننى أستطيع ان اعتقلك وأحجز باخرتك بكل ما فيها ؟ فقال له لوتير : اننى أعلم ان ذلك فى استطاعتك ، ولكن ان فعلت ذلك فسيعلم الناس قاطبة انه لا يشق بك أى امرى بعد اليوم ، ثم زاد قائلا : اذا كنت تعتبرنى سجينك فاجعل لى دية أؤديها لك ، فغضب الصالح لذلك غضبا شديدا وصار يتوعده ثانيا ، فقال له لوتير : لو اننى كنت على ظهر باخرتى لما استطعت ان تتوعدنى كما تفعل الآن ، فدخل الصالح الى بيت وهو يحرق الأرم (405) ويضرب برجليه ويقول

(405) علق المؤلف هنا بقوله : « يحرك اسنانه بشدة حتى يسمع لها صرير » والأرم بضم الهمز وتشديد الراء المفتوحة الاضراس ، ومعنى تحريقها حك بعضها ببعض من غيط وحق .

بلغته : اليس من الأسف أن يكون مثل هذا نصرانيا؟ فبقى لوتير مع أخى الصالح لا يدرى ما سيكون مصيره ، ايسجن ام يكون حرا ؟ وهل حياته فى مأمن اولا ؟ فصار يرفع عقيرته بالشكوى مما أصابه ، فطلع عليهما الصالح بعد حين والسكون باد عليه وقد سكنت نامته وفترت حدته ، فسأل لوتير عما لا يزال عازما عليه فى بيع ثوبه ، فلما رءاه مصرا على رايه لا يتحول عنه ولا يتحلحل قال للحاضرين انظروا الى أى مدى يخلص هذا النصراني لسادته ، فهل فى طوقكم ان تخلصوا الى اخلاصه متى دعت الضرورة؟ ثم فتح ثوبه وثوب لوتير (406) فجعل يده على صدره والاخرى على صدر لوتير معبرا بذلك عن ثقته ومحبته واعتماده على علاقتهما فى المستقبل ، وامر كل اتباعه ان لا يلحق احد شرا بلوتير وان يمدوا له الاعانة كلما طلبها منهم (407) وبقي لوتير متمتعا بهذا العطف بعد ذلك حتى صار المغاربة يفضلون معاملته على معاملة أى رئيس باخرة اخرى ، ويفضلون الانتظار مدة شهر او شهرين على معاملة غيره ، وقد كانت اغراضه تقضى بسرعة الى حد انه كان يستطيع ان يقوم برحلتين فى الوقت الذى لا يستطيع فيه غيره أن يقوم برحلة واحدة .

ثم ساق المؤلف ديكاسترى من مذكرات لوتير عن رحلته الاولى انه وقع الاتفاق بينه وبين الصالح فى شأن السلع كلها الا فيما يتعلق بالسكنجيبيل والقطن ، ثم قال : ارسلت اليوم الى الصالح بواسطة ابن عم القبطان والى خمس قطع من الملف ، واثنين من ثياب روان ، وثمانيا من ثياب هولندية ، وخمسا من منسوجات هولندية شفافة هههافة رقيقة ، وستا وثلاثين من ثياب كامبرى ، وست عشرة من الدلاء الكبار ، ثم قال : انه اتفق مع التجار المغاربة على أن يدفعوا له ما اشتراه منهم من السلع فى مدة سبعة اسابيع ، ثم قال : انه توصل

(406) علق المؤلف على هذا بقوله : « عادة لا تعرف عندنا الآن ولعلها كانت معروفة اذ ذاك » .

(407) علق المؤلف على هذا بقوله : « هذه الماكسة لا توافق من كان ذا مروءة فى مثل مركز

بودميمة » .

بسته آلاف رطل من شمع العسل ، ودفع كمية من الحديد ، ثم دفع مرة أخرى حديدا وتوصل بالشمع ، ثم بثلاثة آلاف رطل منه ايضا ، ثم ذكر انه فى مدة اقامته فى سانت كروا وردت باخرة من لوندريز فمرت بآسفى وحملت منه القمح وسلعا تقدر بأربعة آلاف دوكا ، ثم ذكر انه باع للقبطان والى سلعا قيمتها ستة آلاف دوكا ، ثم توصل ايضا بشمع ، ودفع بقية الحديد وأبازير والسكنجبيل ، وكل هذا لليهودى كاسترو ، كما توصل منه بالفى جلد فى مقابلة ما دفعه له ، ثم توصل ايضا بستمائة والفى جلد ، ثم بالف واثنين وأربعين جلدا آخر ، ثم بالف وخمسين منه ايضا ، ثم بشمع ايضا ، ثم ذكر انه فى تاريخ 22 ابريل 1644 م . لم تتيسر له مقايضة لدخول اليهود فى عيد لهم ، ثم توصل ايضا بجلد وشمع ، ثم توصل بقدر من الذهب والجلود ، ثم بقدر آخر من الذهب والعنبر ، ثم بذهب آخر ثم بجلود أخرى .

انتهت الرحلة الأولى باختصار ، وقد تضمنت غالب السلع المتداولة اذ ذاك .

وفى رحلة أخرى ذكر انه اشترى أسرى بخمسة وثمانين دوكا ذهبية ، وانه اتفق مع الصالح على المكاحل التى باعها له ، فدفع نصف قيمتها نقدا والباقى ذهباً وشمعا ، وانه توصل بقدر من الذهب ومن العنبر بالفى دوكا ، ثم دفع الى احد قواد الصالح قدرا من المكاحل والملف مرة ، ثم مثل ذلك مرة أخرى ، وفى الأحد 28 جانفى 1646 م . لم يقايض احداً لكون المسلمين فى عيد لهم ، وتوصل بقدر كبير من الريش والشمع ، ثم بقدر آخر من الريش والذهب .

وفى رحلة أخرى باع سلعا لسيدى على ، واشترى خمسة من الأسرى الهولنديين ، عن كل واحد 105 دوكا ذهبية ، ثم صفى حسابه مع سيدى على واخوانه وافتدى اسبانيا بـ 650 دوكا ذهباً .

وعلق ديكاستري على احدى هذه الرحلات في ص 616 ان سيدى احمد وسيدى بوحسون هما ولا شك من اخوان سيدى على .

أقول : لا ريب أن ابا حسون الذى يذكر اذ ذاك فى ايلينج هو كنية لسيدى على نفسه ، بل بذلك يذكر غالبا فى تواريخنا المغربية ، وقد تقدمت فى هذا الكتاب تسميته بذلك عن صاحبه الاستقصاء ونزهة العادى وتاريخ الدلائين ، وهل يمكن عادة ان يسمى هو بذلك ويعرف به معرفة مشتهرة ثم يعرف بذلك شخص آخر ولو أخا له ، ومعلوم ان ابا الحسن هو كنية على ، وحسون تغيير للحسن على حد تعبير الأندلسيين فى خلدون وبديون وسلمون وزيدون وخيرون .

كذلك نعرف احمد بن ابراهيم ابن عم بودميعة ، وله مكانة مكيعة فى ايلينج ، ولا يبعد ان يشارك فى الادارة ويكون على راس من يعتمد عليهم بودميعة ، وقد رأينا كيف انزعج يوم بلغه مرضه المشرف وهو بدرعة فى منازعة مع الشرفاء السجلماسيين فترك كل ما بين يديه واسرع الى ايلينج ، وقد ذكرنا احمد هذا عند ذكرنا لابيه الامير ابراهيم بن محمد اول ثائر من أبناء الشيخ ، فربما يكون اذن هو الذى يذكر مع بودميعة فى كلام يطلع عليه ديكاستري ولم نطلع عليه نحن وربما يكون لبودميعة اخ حقيقى يسمى احمد ، ولا مانع من ذلك ، وربما يكون اسم هذا هو الذى يذكر دائما باسم اخى الصالح ، فان كان ديكاستري وقف فيما وقف عليه ان لبودميعة اخا حقيقيا اسمه احمد فان كلامه صحيح ، فلنعلمه اسما لآخى الصالح المذكور او لغيره من الاخوة .

وفى ص 470 ج 4 السلسلة الاولى - هولندة - قرار من حكومة هولندة مؤرخ فى لاهى بقاتح شتنبر .

قد تلى طلب جاء منه ان الباخرة اراسموس التى فى خدمة شركة الهند الغربية الكائنة بروتردام فى هولندة كانت ذاهبة الى غينية فتحطمت فى شاطئ المغرب بتاريخ 8 او 9 مايه الفارط ، وان ركبها وعددهم

جميعا 51 اسرهم امير البلاد واسمه سيدى على ، وهو يسكن فى ايلينغ على بعد يوم تقريبا من الشاطئ . ذكر المؤلف هنا تعليقا ان بين ايلينغ وسانت كروا 110 كيلومترات تقريبا ، وفى بعض التعاليق على الاصل ايضا ان بينهما 140 كيلومترا ، وهو الاشبه (408) — وان الموقعين على الطلب المذكور ، وهم ازواج وامهات وأخوات وأصدقاء وأهل الاسارى المذكورين يطلبون من الحكومة الهولندية ان تتوسط فى اطلاق سراحهم ، وبعد المفاوضة قرر أعضاء الحكومة أن يكتب للسيد سوطين التاجر الهولاندى وشركائه بامستردام بالحضور الى لاهاي عشية يوم الاحد للذاكرة معهم طويلا فى هذا الشأن لانه تقدم لهم ان طلبوا ارسال هذه السفارة فينظر ما هى الوسيلة التى ستتخذ لاطلاق سراح الاسارى المذكورين .

وفى ص 496 وردت رسالة من هولندا الى سيدى على مؤرخة بـ 21 مايه سنة 1639 م . ونصها :

« ايها السيد المحترم المعظم

« ان ازواج واهباء وامهات وأهل 51 رجلا الذين كانوا فى خدمة الحكومة الهولندية والذين ذهبوا فى تاريخ 1638 م . من نهر لاموز والذين اصبحوا معتقلين تحت سيطرة حكومة عظمتكم قد رفعوا شكايتهم الينا مرات عديدة ، وطلبوا منا متضرعين ان نلتمس من عظمتكم اطلاق سراحهم ، ولذلك فنحن بدافع الشفقة على رعايانا حسبما تقتضيه الطبيعة والدين المسيحى — لأن الله جل وعلا شاءت قدرته ان يقلدنا أمرهم — رأينا من المناسب ومن الضرورى ان نوفد لدى عظمتكم صديقنا اسحاق بلاش ، وهو حامل هذا الكتاب اليكم ، ليؤكد لكم

(408) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ان قول القائل ما بين ايلينغ وبين الشاطئ نحو يوم صحيح ، وذلك من الشاطئ المسامت له من المعبر وأكلو » .

نيابة عنا ما لنا من عواطف مخلصة مؤبدة نحو شخصكم المعظم الشهير ونحو حكومتكم ورعاياكم ، وليعرب لكم عما لنا من حرص أكيد على أن نتبادل مع عظمتكم ودادا خالصا لا يبلى مع الايام ، وليلتمس من جنابكم شفاهيا كما نلتمس منكم نحن في هذا الكتاب ان تتفضلوا باطلاق سراح اولئك الاسارى لأنهم كلهم من رعايانا ومن سكان اياتنا والاذن لهم في الرجوع على ظهر باخرتنا ، وبعملكم هذا ستفعلون معروفا يرضى المولى سبحانه ، وتضيفون الى ما لكم من سمعة عظيمة فضيلة الحلم ، واننا ورعايانا على استعداد تام لنؤدى لعظمتكم ما يفرضه هذا الواجب مما اردتموه ، ونرجو أن تكونوا على يقين من ذلك ولنا اليقين التام بأن عظمتكم ستقبل هذا الطلب الذى يرمى الى عمل انسانى عادل ، وان الاسارى المذكورين سيقدرّون هذا العمل قدره ، واننا نرجو أن يعاملوا معاملة حسنة مدة اقامتهم تحت سيطرة عظمتكم ، وفى الختام نطلب الله جل وعلا أن يحفظ عظمتكم فى عافية تامه تحت رعايته ولطفه ، وان ينصركم على اعدائكم وان يبلغكم كل ما تتمنونه من خير وسعادة وأن يسعدكم ويمد فى ملككم وحرر بلاهائكم بمقاطعة هولندا فى 21 مايه 1639 م . أصدقاء عظمتكم المخلصون اعضاء حكومة هولندة .

وفى ص 488 ج 4 نص الاقتراح الذى قدمه هذا السفير اسحاق بلاش الى حكومة هولندة ، ونصه :

«الى أعضاء حكومة هولندا من اسحاق بلاش الساكن بلايد :

« انتهى فى احترام الى جنابكم انه قد تقدم لى منذ شهور ان فعلت كل ما فى استطاعى لأبين لكم فى رسالة لى ما لهولندة من الفوائد الجمّة فى ربط علائق ودية بين حكومتها وبين المرباط سيدى على ، والمقصود من ذلك اولا هو احياء علائق هولندة التجارية مع المغرب ، لأن آسفى الذى كان يتجر فيه

مواطنون فى آمن قد أكرت للانكليز (409)، ثانيا ان البواخر الذاهبة الى الجزائر الخالدات والى غينية والى الهند يمكنها أن اصابها عطب أو ارادت التمويل أن تلتجىء الى مرافىء آمنة ولا سبيل الى ذلك الا فى النواحي التابعة لسيدى على ، - قال المؤلف هنا تعليقا : ان المرفأين المفتوحين للتجارة الاجنبية هناك هما ماسة واكادير ، ثالثا ان شركة الهند الغربية التى تتجر مع غينية يمكنها عند الشدة أن تستغيث بسيدى على الذى يمتد نفوذه الى غينية (410) المذكورة ، واخيرا فبفضل هذه العلائق الودية نستطيع ان نحرر 51 هولانديا الذين ذهبوا فى السنة الماضية من نهر موز على ظهر باخرة اراسموس فطوحت بهم الاقدار الى مملكة المراتب ، وهم الآن فى رق وعذاب ، وقد بلغنى كما بلغ بلاش خبر موثوق به، وهو ان سيدي على المراتب العظيم المذكور وسيدي احمد العياشى (411) متحالفان (412) وليست لديهما عدد حربية ، ولذلك التمس من جنابكم ان تكتبوا رسائل وصاية لسيدي على ، واني لأرجو بمعونة المولى سبحانه اذا قمت بهذا العمل ان أحب هولندة الى سيدي على ، وبذلك سيتسارع الى ابداء عواطفه لحكومتمكم ، فيطلق سراح الهولنديين الاسارى المسلسلين عنده ، والا فان تحريرهم بغير هذه الوسيلة صعب ، لأن منهم من هو فقير لا يستطيع فداء نفسه أو تقديم الهدايا (413) ، وفى مقابلة العدد الحربية المذكورة أؤكد لكم أنا وبلاش اننا سنأتى الى جنابكم بملح البارود .

409) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ان مدخول ديوانة اسفى ابرم بشأنه اتفاق مع روبر بلاك سنة 1636 م ، وبمقتضاه يكون هذا المدخول لشركة انكليزية » .
410) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا نصر صريح على ان ايلة ايلنج يمتد نفوذها الى غينية » .

411) علق المؤلف هنا بقوله : « اسمه محمد لا احمد » .

412) علق المؤلف هنا بقوله : « هذا التحالف امتد من تسع سنوات على الأقل قبل هذا التاريخ » .

413) علق المؤلف هنا بقوله : « من هنا نعرف ان امثال هذه الهدايا تمد من الفدية فلا بأس بالمكاسة فيها » . راجع الحاشية 397 .

وفى ص 492 ج 4 اقتراح ثان قدمه المذكور ايضا بعد شهر فقط من تقديم الأول وهو مؤرخ بـ 15 ابريل 1639 م . ونصه :

« الى أعضاء حكومة هولندا من اسحاق بلاش محترمكم ، انى بعد ما رفعت اليكم طلبى الاخير ، بلغنى ان اخى داوود بلاش اخبركم باخبار مزيعة فى شأن احوال ملك المغرب واحوال مرابطين تلك البلاد ، ولذلك فسأشرح لكم باختصار بعض النقاط المتعلقة بهذه المسألة .

اولا : ان ملك المغرب أصبح لا يملك سوى مدينة مراكش والفا أو الفين من الاميال حولها ، لأن فاسا وغيرها من البلدان أخذت منه قبل .

ثانيا ان سيدى محمد العياشى وسيدى على هما مرابطان شهيران قد أخذنا منه كل اراضيه وكل مراسيه باستثناء «اسفى التى أعطيت قبل للانكليز ، وقد منح هؤلاء جميع الدول من التجارة فيها .

ثالثا ان هذين المرابطين لم يكونا قط تابعين لنفوذ سلطان المغرب ، وهما متاصلان فى الثروة اذ ترك لهما جدودهما املاكا واسعة ، وان عائلتيهما من أشرف وأشهر العائلات فى البلاد ، وقد اكتفى هذان المرابطان فى بداية الامر بتقديم هدايا سنوية لجد الملك الحالى الذى يسمى مولاي احمد ، وهو السلطان الثانى من دولته (414) ، وقد كان أبوه وأحد اخوانه من النساك فى بدايتهما .

رابعا ان مولاي زيدان والد الملك الحالى ، بإشارة من بعض المفرضين، أراد أن يخضعهما قهرا لنفوذه فحاربهما ولكنهما دافعا عن أنفسهما لثلا يعدا من اتباع مراكش ، فانتصرا عليه ، ولذلك فمن الغلط اعتبار هذين المرابطين نائرين .

(414) علق المؤلف هنا بقوله : « اقوال هذا الانسان لم تؤسس على التدقيق فى هذا المقام » ويعنى بذلك ان مولاي احمد الذهبى الذى قال عنه صاحب الرسالة انه الثانى فهو الرابع او الخامس ان عدنا جده من الملوك .

خامسا اذا اعتبرنا مصالح هولندة التجارية وفقدان ملح البارود منها ، نرى انه من قلة الحزم رفض حكومة هولندة تمويل هذين المرابطين بالعدد الحربية نظرا لكونهما مستولين على المرافىء المغربية ، وفى استطاعتها منع الذين يتجرون مع الهند الشرقية والغربية وغينية من التزود أو اصلاح بواخرهم او حمل السلع الضرورية ، أو جلب ملح البارود الذى يوجد خاصة بمقاطعة سوس الراجعة الى سيدى على ، ولذلك أؤكد عليكم مرة أخرى فى ارسال بعض العدد الحربية لسيدى على لتستطيع حكومتكم بمعونة المولى تحرير الاسارى الذين بيده ، وهم هولنديون من رعايا دولتكم .

وفى ص 530 ج 4 ساق المؤلف مقدمة فى شأن هذه المذكرة التسي قدمها اسحاق بلاش ، فقال :

«ان اسحاق بلاش أسند اليه بطلب منه — كما يرى القارىء — المخابرة مع سيدى على ابن موسى فى شأن تحرير عدد من الاسارى الهولنديين ، وقد غادر هولندة يوم 19 يوليوز 1639 م . على باخرة لشركة الهند الغربية قاصدة سانت كروا ، ومنها الى البرازيل ، وقد رجع الى هولندة فى شهر ماي 1640 م . بعدما أخفق فى مسعاه ، وقد استدعته حكومة هولندة يوم 22 ماي 1640 م . للحضور بلاهاى ليفضى ببيانات عن المامورية المسندة اليه ، فاجاب من مدينة لايدى فى 25 ماي معتذرا بمرض اصابه فى سفره ، ثم بعد ذلك حضر فى 31 من الشهر ، ووعد بتقديم تقرير مكتوب ، فاستدعى يوم 6 جوان لينفذ وعده ، فقدم تقريرا مؤرخا بالتاسع من جوان ، فاسند أعضاء الحكومة النظر فى هذا التقرير الى السيد هوجين الذى كان اسند اليه ايضا سماع شكوى اصدقاء واهالى الاسارى باسحاق بلاش ، لأنهم كانوا يطالبون بتثقيف امتعته وسلعه ، وامتنعوا من اداء ما كانوا وعدوه به نظرا لعدم نجاحه فى القضية ، فتلى تقرير هوجين على أعضاء الحكومة فى 15 جوان ، فطلب حضور اسحاق بلاش للمدافعة عن

نفسه ، واتفقوا على ان يلزموه ان يرد على أهالى الماسورين ما كانوا دفعوه له قبل سفره ، وهو 1364 فلوران (415) وعشرون ستيف (416) ، فطلب اسحاق رفع الثقاف المجعول على امتعته فرفض طلبه ، الى آخر ما جاء من خبره ، وليس لنا مصدر يدلنا على كيفية انتهاء هذه القضية ، وغاية ما نعلم ان اسحاق فى الاخير أدل بكتاب مولاي محمد الشيخ الصغير يوصى به فيه (417) .

واما المذكرة التى جعلت هذه المقدمة لها فهى التى رفعها بعدما وقع له ما تقدم ، واليك نصها ملخصة :

لما قدمت رسائلكم الى الم رابط رفضها ، فأخذها أحد حاشيته ثم قال للم رابط : من سيفرأ لنا هذه الرسائل ؟ فأجبته : انها مكتوبة يا سيدى بلغتكم ويمكن لجنايبكم ان يقرأها بنفسه ، فأخذها أحد أتباعه وقرأها جهرا ، ثم بعد ذلك قدمت الرسائل الى الم رابط ليراها نظرا لجودة خطها ، فسألنى عن كتبها ، فقلت له استاذ تعلم هذه اللغة قديما من المغرب (418) فقال الم رابط قطع الله يده ، ثم قال لمن معه انظروا يا آل محمد كيف عظمت ذنوبنا الى حد ان رسائل بلغة القراء ان توجد بيد النصارى (419) ، ثم سألنى الم رابط عن قيمة الهدايا وما تساويه من فلوران ، فقلت له ان من عادة الملوك العظام أن يتهادوا بالهدايا ولا علم لى بالقيمة لهذا الذى حملته اليك ، فأجبنى اننى كيفما كان الأمر قد اشتريت هؤلاء النصارى فيلزم ان تتفق معى على فدائهم ، فأجبته بأن

415 - 416) « من مسكوكات الولايات المتحدة الهولندية فى ذلك الوقت .

417) علق المؤلف هنا بقوله : « كان اسحاق عرج على محمد الشيخ الثالث حين اخفق من عند بودمية » .

418) تقدم فى صلب الكتاب ان هذا الاستاذ اسمه كول بالكاف المعقودة ويكتب فى لغته هكذا Gool ، وقد علق المؤلف هنا بقوله : « كانت هولندة يشتغل فيها مستشرقون بالعربية وعلومها ويطبع كتبها فى ليدن قبل الدول الاوربية الاخرى » .

419) علق المؤلف على هذا بقوله : « جهل عميق باحوال العالم ، ولا يزال امثال هؤلاء السذج من علماء سوس الى الآن » ، سبب ذلك هو الانزاع .

لا تفويض لى فى ذلك (420) ، ثم بعد المفاوضة قبلت رجلى المرباط كما هى العادة بالبلاد (421) ، وطلبت أن يرخص للنصارى بالقدوم الى منزلى ، فقال سأنظر فى الامر ، وامرنى بالذهاب الى منزلى ، ثم أرسل فى طلبى ، فالفيته ومعه أخوه وصهره ورجل آخر ، فسألنى عما استقر عليه رأى ، فقلت له ان رأى ان ينفذ ما انا مامور به ، فقال: أتريد ان يأتى الأسارى الى منزلك وبذلك يستريحون من العمل ؟ فقلت : نعم ، اذا أراد سيدي أن ينعم على وعلى سادتي بهذه النعمة ، فقال : لا يمكن أن يعفى جميعهم من العمل ، لأنهم يعملون فى دار ينبغى أن يتم بناؤها قريبا ليسكنها أولادى ، ولكن اختر خمسة منهم أو ستة فاعفيهم من العمل ، وكانت هذه حيلة من المرباط ليعلم الأغنياء من بين الأسارى ، فأجبتهم كلهم عندي سواء لأنهم كلهم فقراء ، فضحك المرباط ومن معه ضحكة الازدراء ، وتهانفوا منى (422) واثّر ذلك قام صهر المرباط فأخذ بيدي وذهب بى الى منزله ، وقال لى : سأفعل أنا واخو المرباط كل ما فى استطاعتنا لكى يستريح خمسة أو ستة من الأسارى من العمل ، فيذهبون الى منزلك ، ولكن من الواجب عليك ان تعطى أخا المرباط خمسة آلاف أو ستة آلاف من فلوران هدية ، ان القضايا تفصل هنا على غير ما تفصل به عند سلطان مراکش الذى تعرفه ، ان المرباط لا يسعى الا فى جمع الدراهم ، فاذا اردت ان تفصل قضية مع المرباط فافعل ذلك بمحضر اخيه ومحضرى لانه لا يفى بما يعد (423) ، ولا يتم ما يقول ، واليك

420 علق المؤلف هنا بقوله : « هذا هو سبب الاخفاق فى فك الأسارى اذن » .

421 علق المؤلف هنا بقوله : « ربما كانت عادة يقابل بها اليهود اذ ذاك » .

422 علق المؤلف هنا بقوله : « التهانف : الضحك باستهزاء » .

قال الشاعر :

زعموها سألت جارتها	ذات يوم وتعتت تبتعد
اكما ينعتنى تبصرتنى	عمركن الله ام لا يقتصد
فتهانفن وفد فلن لها	حسن فى كل عين من تود
جسد حملنه من أجلها	وقديما كان فى الناس الحسد

423 علق المؤلف هنا بقوله : « هل يصدق هذا اليهودى فى كل ما يقول ؟ » .

مثالا على ذلك ، قد أسر في القديم بتافيلالت ابن عم لملك مراکش مولاي زيدان ، فوقع الاتفاق على أن يؤدي للمرابط فداء للاسير مائتا ألف دوكا وخمس فلوران ، وتوصل بجميع ذلك ، ولكنه لم يطلق سراحه وصار يطلب ضعف ما ذكر (424) .

ثم بعد ذلك اذن المرباط لسته او سبعة من الأسارى بالقدوم الى منزلي ، فقدمت لهم أكلا وشربا ، ولكن أحدهم وهو فاندرويل رأى خادمي ينزع خفي من رجلي فقال لي : ان قلبي يتمزق عند ما أرى مسيحيا يخدم يهوديا .

وأما ما ذكرتموه من كون المرباط استاء بكوني يهوديا وبكوني أخالط اليهود القاطنين بمملكته رغم نصيحة الأسارى بالكف عن ذلك ، فالجواب عنه ان ذلك محض كذب اذ كيف يستاء المرباط من ذلك وبديوانه وزراء من اليهود ، وله خدام من اليهود كثيرون ؟ وزيادة على ذلك لو انه استاء من ذلك لكان ذلك من جانبه قدحاً في ملك مراکش الذي هو ابن دينه ومن امائل امته ، فقد كان عنده بديوانه كاتب يهودي وهو اخي موسى بلاش ، ومن بين رجال ماليته أخ لي آخر اسمه جوزي ، زيادة على ان ابي المرحوم يوسف بلاش كان مدة 32 سنة سفيراً للملك المذكور لدى حكومة هولندة ، وأخي الأصغر داود بلاش ما زال الى الآن ممثلاً للملك المذكور لدى حكومة هولندة ، وأما أنا فرغم كوني أكبر اخوتي سناً بقيت متأخراً في الخدم والترقيات في المراتب لأنني اعتنقت الديانة المسيحية ، وعلاوة على ذلك كله فكل من اسمه بلاش في المغرب هو يهودي معروف هناك بيهوديته ، وأعظم من ذلك ان كل السفراء والمبعوثين الى المغرب من قبل حكومة هولندة أو غيرها من الدول ينزلون كلهم (425) في ديار اليهود ، وأنا بنفسى أنزلني المرباط بدار يهودي حسب عادة البلاد ، لأنه

(424) علق المؤلف هنا بقوله : « لا تعرف هذه القضية الا من هنا ، ولم نر من تعرض لها في كتب التاريخ وهذا الغدر الذي ينسب هذا اليهودي لبومبيعة يشبه ما تقدم ذكره حول مولاي الشريف يوم اعتقل » .

(425) علق المؤلف رحمة الله عليه على هذا المحل بقوله : « دامت هذه العادة الى العهد الأخير ، فلم يكن ينزل السفراء الا في الملاح ، والعلة ما ذكره اسحاق بلاش » .
ويعني بتلك العلة فقدان الانزال والنادق ، ولكن يظهر ان هناك أشياء أخرى كثيرة لا تنسب للسفراء الأوربيين الا عند اليهود وهي التساهل في قضاء مشاربهم كالتجسس والخمر . . .

ليس هناك انزال وفنادق للطائنين ، وان هذا ليذكرني بما وقع للمرحوم والدى من نحو عشرين سنة حين كتب احد الحساد الى ملك مراکش بأن حكومة هولنده تواخذه بكونه أرسل اليها سفيرا يهوديا ، وحكومة هولنده لا تزال تستحضر ما كان أجاب به سلطان مراکش ، وأعظم من ذلك ان الم رابط (426) سألنى لما ذا اعتنقت دين المسيح ؟ فأجبت بآن هذا الأمر لا يهم غيرى ، فقال : ان الله خلق النار لليهود والنصارى ، ولكن هذا لا يمنعه ان يجعل الثقة فى اليهود الذين يخدمونه أكثر مما يجعلها فى المسلمين ، فانه يستخدمهم أكثر من سواهم كما تعلمون ذلكم بانفسكم (427) .

ثم قال المؤلف : هذه قضية كبيرة دارت حول هذا اليهودى المرسل ليفك الاسارى من عند سيدى على الا انه رجع بخفى حنين ، فطلب أهالى الاسارى الذين أرسلوه بالأجرة التى اتفق معهم عليها، فرفعوا عليه بدورهم دعوى يتهمونه بالخيانة وباحتجان الأموال التى أرسلوها معه للقدية ، فدافع عن نفسه بما تقدم بعضه ، وقد سبق فى الأصل المنقول منه هذا المخلص كل ما دافع به عن نفسه ، ومن جملته ان الاسارى لم يحسنوا معه ، فقد كاد ينجح لولاهم ، وهناك ذكر سرقة ثياب وأموار أخرى لا نحتاج الى ايرادها .

(426) علق المؤلف هنا على كلمة الم رابط بقوله : « بوديمة » .

(427) علق المؤلف هنا بقوله : « ان المسلمين يحكم دينهم لا يتعصبون فلا مانع من مخاللة غير أهل دينهم ومصادقتهم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرؤم وتقسطوا اليهم » .

وتمام الآية هكذا : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرؤم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهره على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئكهم الظالمون » قيل فى سبب نزول هذه الآية ان أسماء بنت ابى بكر الصديق جاءت الى المدينة أمها نفيلة بنت عبد المزى ، بهدايا من أمور النساء كالافراط ، وكان أبوها قد طلقها قبل الاسلام وما زالت على كفرها ، فلم تستقبلها بنتها ولم تقبل هديتها ، ففى ذلك نزلت هذه الآية . وهى من سورة المتحنة فى آخر الربع الثالث من حزب « قد سمع » . فأمرها النبى عليه السلام باستقبالها وقبول هديتها .

وفى ص 568 ج 4 ساق المؤلف قرارا هولانديا مؤرخا فى لاهاي بـ 21
نونبر 1641 م . جاء فيه : « ان القبطان ليدكيك (428) الذى أرسل كسفير لدى
ملك مراكش ولدى الصالح سيدي على رجع برسائل من عندهما ، وقد شرح
بالتفصيل رحلته ومفاوضاته وكل ما قام به مما كلف به ، وقد اخفق ايضا
فلم يعد بنتيجة ، فأمر بأن يقدم كل ما جرى له كتابة ولكن لم يعثر على هذه
الوثيقة ، واما المكاتب العربية فقد كلف الاستاذ كول بترجمتها (يعنى من
الهولندية الى العربية) .

وفى ص 23 ج 5 - هولندة - من هولندة الى سيدي على بعد رجوع
السفير المتقدم ليدكيك ونصها :

« من الجماعة الوافرة حكومة هولندة الى سيدي على بن موسى ، حرر
بلاهاي تاريخ 23 ماي 1643 م .

« ان جنابكم المحترم يتذكر ولا شك انه خلال سنة 1640 م . بعد
ميلاد مخلصنا وفادينا المسيح ، كنا الهمسنا منكم حبيا بواسطة سفيرنا انطوان
دو ليدكيك وفى رسالة لنا ان تفضلوا باطلاق سراح بعض الأشخاص الذين هم
فى خدمة الحكومة الحرة لهولندة الذين ذهبوا منذ سنتين قبل ذلك العهد من
قنال موز وغيرهم من الهولانديين المأسورين تحت سيطرة جنابكم المحترم
الا ان طلبنا لم يحظ بكل القبول المنتظر ، ولذلك كتبنا الى جنابكم المحترم
هذه الرسالة لنبلغ اليه فيها احتراماتنا وتحياتنا ، ولنطلب منكم حبيا مرة أخرى
عسى أن تفضلوا باطلاق سراح كل افراد رعايانا المذكورين المسجونين عندكم
وتتركوهم ليرجعوا الى وطنهم لأول فرصة سانحة ، فان بعملكم هذا قيام جنابكم

428) علق المؤلف هنا بقوله : « هو عينه السفير المتقدم الى بودمبة » وقد شكله بكسر
اللام والبدال والكاف الأولى احترازا من تحريف النطق به ، ولذلك رأينا ان نثبت هنا اسمه الحقيقى
فم. لفته ليومن فيه التحريف فهو **Antonijs karel Van Liederkorcke** أى انطوان شارل
دوليدير كيرك .

المحترم بعمل برى يرضى كثيرا الخالق الحى الدائم ، وسيكون من شأنه ان يرفع كثيرا ويذيع ما كان لكم من سمعة بالحلم وما لجنايبكم العالى من صيت ، زيادة على اننا سنكون وسنبقى ممنونين بهذا العطف لجنايبكم ولرعاياكم ، ونحن مستعدون لاقامة الدليل على ذلك وقتما شئتم ، ونرجوكم أن تعتمدوا كل الاعتماد على ما ذكرنا ، ولنا اليقين التام بأن جنايبكم العالى سيلبى طلبنا هذا الرامى الى فعل الخير ، والذي هو طلب عادل موافق للصواب ، والذي سيتمتع بنتائجه اولئك الرعايا البائسون من رعايانا ، كما انهم ما داموا تحت سيطره جنايبكم المحترم سيعاملون أحسن معاملة ، نظرا لكونهم من رعايا أحسن أصدقائكم ، واخيرا رأينا من الضرورة ان ننهى الى علم جنايبكم المحترم فى كتابنا هذا انه سعيًا فى الاحتفاظ على العلائق الودية الحسنة بين جنايبكم وممالككم من البلاد التابعة لكم وبين هولندة وبين رعايانا ورعاياكم ، وسعيًا أيضا فى المحافظة على مزايا حرية التجارة التى هى ينبوع رفاهية جل الممالك والبلاد العالمية جمعاء ، قررنا أن نأذن للرجل المحترم العزيز المخلص هاندريك لوبير الذى هو أحد الاعيان من سكان امستردام أن يكون القنصل الأول للمدن والنواحي التى تحت نفوذ جنايبكم المحترم ، وكذلك بباقي العمارات الكائنة فى الشاطئء المغربى ، ولذلك نلتمس من جنايبكم المحترم أن يتفضل بقبول المذكور وان يقره على الوظيفة المذكورة وان يعامله ويامر بهاملته معاملة حسنة ودية ، فلا يأذن ابدًا بلحوق أى ضرر به وبمن معه ، وبهذا تفعلون حسنا معنا .

هذا واننا يا سيدى المحترم ندعو المولى العلى العظيم أن يحفظ جنايبكم المحترم فى صحة شاملة ، وأن يحرسه بعين رعايته ، وأن ينصره على أعدائه ، وأن يرزقه السعادة التى يطلبها ، وأن يمد له فى ملكه ويجعله سعيدا .

حرر بلهاى بمقاطعة هولندا فى تاريخ 23 ماى 1643 م . من الاصدقاء
لاعضاء المخلصين لجنايبكم المحترم جماعة دوستاطن (429) .

وقد علق المؤلف على هذا الكتاب بقوله : يظهر ان هذا الكتاب وقع
العزم على ارساله منذ شهور عدة ، لأنه يوجد منذ تاريخ 17 نونبر 1642 م .
قرار من حكومة هولندة يشتمل ، بطلب من الغرفة التاسع عشرة لشركة الهند
الشرقية ، على انها ستوجه خطابا الى الم رابط سيدي على مستعجلا للوساطة فى
شأن 27 من الناجين من الباخرة مشت التى للشركة المذكورة والذين لا يزالون
فى الرق ، وفى ذلك اليوم نفسه كتبت الحكومة المذكورة الى الاستاذ كول
طالبة منه أن يترجم الى العربية نسخة من ذلك القرار الذى جعلوه فى طي كتابهم،
والكتاب الموجه الى كول ما زالت منه نسخة محفوظة ، ولكن لم نعر على رسالة
أخرى موجهة الى سيدي على غير ما هنا .

مع انكلترة

فى ص ج I - السلسلة الأولى - انكلترة :

« جاء من رسالة لوليام باجى الى ملك انكلترة هنرى الرابع مؤرخة 4
فبراير 1543 م . ان الفرنسيين يفكرون فى جلب المعدن من المغرب لصنع
مدافعهم ، وان سلطان المغرب قبل ان يعطيهم خمسة قناطير مقابل كل قنطار
من القزدير ياتون به الى المغرب .

(429) هكذا وجدنا المؤلف فى الأصل قد جعل توقيع هذه الرسالة بلفظة هولندية مكتوبة
بالحروف العربية فكان من الواجب التعليق عليها ، فمعنى سناطن *De Staten* هذه الولايات ، وهو
نفسه ما تدل عليه الكلمة الفرنسية *Les Etats* لأن الرسالة كما يرى القارىء الكريم مفتوحة بانها
من جماعة حكومة هولندة . ومن المعلوم ان هولندة قد تحررت فيبل هذا الوقت من الاستعمار
الاسبانى فتضامت سبع اقاليم منها الى بعضها وكونت اتحادا فيديراليا يحتفظ فيه كل اقليم
باستقلاله الداخلى تحت اسم جمهورية الاقاليم السبعة التى ليست هولندة سوى واحد منها فتسمت
باسمه لأنه أكبرها ، وذلك هو الذى فصده المؤلف رحمه الله بما تقدم له فى التعليق (376) .

ثم قال فى الرسالة : ان الوصول الى المغرب سهل من مرفأ قادس
وسانت كروا بكاب غير .

وفى ص 17 - ج I :

« جاء من رحلة جامس طوماس الانكليزى المؤرخة بـ 1552 م . ان ثلاث
بواخر انكليزية وصلت الى آسفى فى تاريخ شهر ماى 1552 م . فأنزل منها
السلع المعدة لمراكش ، ثم ذهبت البواخر الى سانت كروا بكاب غير ، ودفعت
هناك السلع الباقية، وهى الاثواب والملف والمرجان والعنبر والزجاج الملون .

وفى ص 29 ج I :

« كانت زراعة قصب السكر مزدهرة ازدهارا عظيما فى المغرب ،
ولاسيما بسوس الى تاريخ وفاة مولاى احمد المنصور سنة 1603 م . وبعده قامت
حروب داخلية بين اولاده فجاحت مزارع قصب السكر (430) .

وفى ص 126 ج I :

جاء من مذكرة لجيرالدى البرتغالى مؤرخة بشانى ماى 1574 م . ان ملكة
انكلترة ستأمر بحصر التجارة الانكليزية فى ثلاثة فقط من المراسى المغربية ،
العرائش وءاسفى ، وسانت كروا بكاب غير (431) لعظيم أهميتها دون غيرها
من المراسى الأخرى .

(430) هذا نص صريح على أن فتنة تناحر إبناء المنصور على الملك سببت اضطلال زراعة
السكر من القطر السوسى ، وتقدمت الإشارة الى ان ما تبقى منها قضت عليه فتن اولاد المولى اسمعيل ،
ونشير هنا الى اننا عثرنا عند المؤرخ الفاضل سيدى محمد بن سعيد الصديقى السورى العدل حالا
بالدار البيضاء فى كتابه « ايقاظ السيرة الى تاريخ السويرة » ان هذه الزراعة كانت عامة فى كل
ما حوالى السويرة الى ضاحية مراكش ، وهذا يفيد انها لم تكن مقصورة على القطر السوسى وحده كما
سيشير اليه المؤلف فى التعليق (442) كما نضيف أيضا ان الدولة السعدية كانت تمتاز بمعاصر
السكر وتبأهى بها وترسل زوارها للفترج عليها ، فقد ذكر القاضى ابو زيد التامانارتى فى
« الفوائد الجمة » ان العلامة المحدث امام الدين المقدسى التلمسانى « لما ورد على المنصور من بلاد
المعجم » أرسله ليرى معاصر السكر بتارودانت .
(431) تقدم ذكره فى التعليق (383) .

وفى ص 129 ج I : « جاء من رسالة للبرتغالى المذكور مؤرخة برابع
ماى 1674 م . ان ملكة انكلترة وافقت على كل الشروط التى اقترحها ملك
البرتغال الا الشرط المتعلق بمنع الانكليز من التجارة مع سانت كروز بكاب
غير لأهميتها » .

وفى ص 131 ج I : « وجاء من مذكرة أخرى للمذكور مؤرخة برابع
ماى 1674 م . بيان الشروط التى يفرضها البرتغاليون على الانكليزيين فى شأن
التجارة مع سانت كروز بكاب غير » .

وفى ص 132 ج I : « جاء من تقييد متعلق بالتجارة مع المغرب محفوظ
فى أوراق الدولة فى لوندرة، أن المراسى التى تؤمها البواخر الانجليزية التجارية
هى اولا المرائش وطنجة للتجارة مع فاس ، وآسفى ثانيا للتجارة مع مراكش ،
وسانت كروز ثالثا ، حيث تصل البواخر فارغة فتحمل السلع الى الربع
الانكليزية » .

وفى ص 134 ج I : « جاء من رسالة لأنطونيو فوكازا البرتغالى ، وهو
رجل جاء الى لوندرة بقصد تسوية الخلاف بين انكلترة والبرتغال ، والرسالة
مؤرخة بفتح جوان 1574 م . » ان الانكليز يفرضون حرية التجارة بشواطئ
المغرب ، ولاسيما سانت كروز التى ينزلون فيها عددا كثيرا من الأسلحة
والعدد الحربية ويأخذون السكر » .

وفى ص 141 ج I من رسالة للتاجر الانكليزى روجى بودينام مؤرخة
بـ 16 نونبر 1574 م . « ان ملك البرتغال اذا استطاع الاستيلاء على سانت كروز
بكاب غير فانه يصبح هو المسيطر الوحيد على تجارة المغرب جمعا » .

وقد علق المؤلف على سانت كروز ان هذا المرسى كان قبل بيد
البرتغال الى ان أخذه محمد الشيخ الكبير سنة 1541 م .

اقول ذكر المؤلف فيما ياتى : « ان فونتى التى هى أصل سانت كروز التى هى نفسها سانت كروا أسسها البرتغال سنة 1505 » (*) .

وفى ص 195 ج I : « جاء من مذكرة لجيرالدى المذكور مؤرخة بخامس مارس 1577 م . ان أحد التجار الانكليزيين بمراكش اسمه بامبتون تعاقد مع سلطان مراكش على أن يبيع التجار الانكليزيون له قذائف المدافع وغيرها من العدد الحربية ، ويشترون منه فى مقابلة ذلك ملح البارود والسكر على طريق مرسى سانت كروز » .

وفى ص 331 جزء I من التعليق الأول للمؤلف : انه منذ الاستيلاء على سانت كروز سنة 1514 م . أدخل الأسارى المسيحيون وسائل تصفية السكر بسوس وحاجة والشياطمة ، وقد كان للسعديين بتلك النواحي أرحاء للسكر عديدة كانوا يكرونها لليهود .

وقد كان للسعديين بتلك النواحي أرحاء للسكر عديدة - كانوا يكرونها لليهود .

وفى ص 510 ج I : « جاء فى رحلة الانكليزى هنرى روبير مؤرخة بفشت 1585 م . الى جانفى 1589 م . انه مكث ممثلا للملكة اليزابيث بمراكش للمفاوضة مع الشريف السلطان السعدى ووزيره ابراهيم السفىانى ، ثم ودع السلطان وأبحر فى ثانى نونبر 1558 م . بسانت كروز مع مرزوق الرئيس الذى أوفده السلطان مولاى أحمد الذهبى الى ملكة انكلترا المذكورة » .

وفى ص 91 ج 2 السلسلة الأولى - انكلترا : « جاء من رسالة تتعلق بالتجارة مع المغرب مؤرخة بسنة 1595 م . ان انكلترا كانت تجلب من المغرب السكر الخالص ، والسكر الخام ، وكثيرا من ملح البارود ، والتمر ، وثفل السكر ، والزرايبى والقطن » .

(*) راجع اول فصل « مع فرنسة » .

أقول : هذا هو شأن اكادير قبل ان تستولى عليه « ايلخ » ولاظهار مكانته سقنا ما سقنا عن عمد ، وان كان هذا العهد عهد ما بين محمد الشيخ الاول واحمد الذهبي .

وفى ص 556 ج 2 : « ان صمويل كاد ، رفع شكاية الى حكومة انكلترا مضمناها انه جاء الى بلادها ليشترى سلعا للمرابط سيدي علي ، وانه وقع الاشهاد بينه وبين احد تجار لوندرة اسمه جوهان بال على شأن تلك السلع سنة 1621 م . ولم يف جوهان بال بما وعد به » .

أقول كان هذا في مبادئ امارة بودميعة المفتتحة بسنة 1613 م . ففد صار يستورد — كما ترى — من ذلك العهد السلع من انكلترا » .

وفى ص 93 ج 3 السلسلة الاولى — انكلترا ، نص رسالة أرسلها سيدي علي الى شارل الاول ملك الانكليز ، وتوجد هناك منقولة بثالة التصوير ، وهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الله يحيى الحق ويبطل الباطل »
« من المقام العلى الأسنى ، ذى المجد الكامل الأسمى ، الهمام المعظم ، غوث الأنام وزين الأيام ، وعلم الأعلام ، ورافع راية الاسلام ، المرباط نجل ولى الله تعالى الامام الكامل ، امام الطريقة ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، ابنى العباس القطب الحافل ، سيدي احمد بن موسى ، برد الله ضريحه ، ووالى عليه جزيل رضوانه ، أبو الحسن سيدي علي بن محمد أعلى الله قدره وأيده ، وأبقاه دعامة الاسلام وسدده ، بمنه وكرمه ، كاتباً به الى التشارلوس بن جيمس عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى ، اما بعد ، فقد بلغ مكتوبكم لمقامنا العلى مقتضيا شكر صنعنا بالأسرى أصحابكم الخارجين بهذه الناحية ، حيث مننا عليهم بالاطلاق من الأسر ، فقد وقع منا ذلك رعاية لمصلحة الاسلام ، لنلا يبقى فى بلادكم اسير مسلم الا واخرجتموه ببلاد الاسلام (432) ، سواء كان من أهل

(432) يدل هذا على مبلغ تمكن الاخوة الاسلامية والغيرة الدينية من نفس بودميعة . ومثله فى ذلك السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وليقارن ذلك باعمال البامون الموحدى ومحمد المسلوخ ومحمد الشيخ الثانى السعديين .

قطرنا او من غيره من اقطار الاسلام ، وكذا من كان خارجا عن حكمكم ووجدتم الى استخلاصه سبيلا ، فان وفيتم بذلك فقد أمناكم في أموالكم ودمائكم على نحو العهد بين بعض من تقدم من أمراء الاسلام وبينكم ، فقد جددنا لكم العهد على ذلك فلا يبقى لدينا من قبائل انكلترة أسير ما دمتم باقين على الوفاء بالعهد ، باذلين في ذلك الجهد ، لثمان خلون من شهر صفر عام أربعين وألف من الهجرة النبوية .

قال المؤلف تعليقا : « لم يقع العثور على كتاب شارل الذي اجيب عنه بهذا الكتاب ، وهذا التاريخ الهجرى يوافق 16 شتنبر 1630 م . أقول : ان هذه المكاتبة كانت قبل احتلال ايلنج لقصبة اكادير 1637 م كما ترى .

وفي ص 176 ج 3 تعليقا من المؤلف : « ان العلائق التجارية التى كانت لانكلترة مع سيدى على بسوس هى التى كانت سببا فى عدم الاتفاق بين انكلترة والشرىف السلطان السعدى .

وفي ص 214 ج 3 تعليقا من المؤلف أيضا على رسالة للسلطان الوليد السعدى الى شارل الأول ، ما يلى : « ان رسالة السلطان الوليد الى شارل الأول المؤرخة بـ 31 دجنبر 1631 م . لم يجب عنها ، لأنه طلب أن يمتنع الانكليزيون من أى متاجرة مع عدوه المرباط سيدى على ، وقد كتب اليه مرة أخرى فى ذلك ، وكان الوليد يرى انه لا سبيل لآى موافقة مع انكلترة الا اذا قطعت علائقها مع سيدى على .

وفي ص 220 ج 3 تعليق ايضا من المؤلف نصه : « ان سبب رفض الوليد تسريح الأسرى الانكليزيين الذين عنده هو معاملة انكلترة مع سيدى على المرباط عدوه .

وفى ص 235 ج 3 : « رفع التجار الانكليز القاطنون بالمغرب الى حكومتهم مذكرة فى شأن احتجاج المولى الوليد السلطان على حكومتهم فى شأن تجارتها مع سوس ، واليك ملخص المذكرة : « ان التجار الانكليزيين هؤلاء ، بتعجبون مما بلغهم من اعتبار سيدى على ثائرا ، مع ان اياه وجده (433) كانا يحكمان قبله معظم قبيله بسوس ، وان ما يؤدى بمراسى سوس من واجب الديوانة أكثر مما يؤدى فى المراسى الراجعة الى السلطان الوليد ، ففى «اسفى لا يؤدى الا عشرة فى المائة على السلع المباعة فى الارض ، واما بماسة فانهم يؤدون زيادة على ما ذكر سبعة فى المائة على السلع المباعة على ظهر البواخر ، وهم يعترفون ان اهل سوس يبيعون بمراكش معظم السلع التى يشترونها من الانكليز من دون ان يصدر منع ذلك من السلطان او من سيدى على (434) ، وهم يستنتجون من ذلك ان تلك التجارة لا تخل بشروط الصلح مع الشريف الوليد ، وزيادة على ذلك ، فان التجار الانكليزيين يتوصلون بقدر من الذهب فى مقابلة سلعهم المباعة فى سوس ، وذلك الذهب يتوصل به سيدى على ورعيته فى مقابلة السلع الانكليزية التى يبيعونها فى تينبكتو ، وكاوو ، وغينية (435) ، وهم يشكون فى وجود اتفاق مع هولندا يقتضى موجه منع هذه الدولة من التجارة مع ماسة ، لأن الهولانديين يتجرون مع ماسة منذ عهد مولاي زيدان ، ثم ان اهل سوس يمكنهم ان يستغنوا عن التجارة مع الخارج لأن عندهم الصوف ومعادن الحديد والرصاص ، فاذا اتفق النصارى كلهم على عدم التجارة مع سوس فان اهل سوس يبيعون سلعهم لأهل مراكش

(433) علق المؤلف هنا بقوله : « انما كان هناك عمه ابراهيم وابن عمه الحسين بن على كما تقدم » ، ويعنى بذلك ما تقدم فى صدر الكتاب .

(434) علق المؤلف هنا بقوله : « هذه المحافظة على الحدود التى تفصل بين ايتالين والتى عرفت فى هذا العهد لم تكن معهودة اذ ذاك بين دول الاسلام ، وخصوصا فى وطن واحد كالمغرب ، فالوحدة الاسلامية تفسر كل الاعتبارات » .

(435) علق المؤلف على هذا بقوله : « فيكون امتداد سيادة ايليج الى السودان السعدى واقعا قبل 1637 م كما ارجح به الاحتجاج الآتى ، او قبل 1631 م كما ارجحت به الرسالة الماضية للوليد »

وسلا ، بحيث يضطر التجار الأجانب ان يشتروا تلك السلع بواسطة أو واسطتين ، عوض ما يشترونها كفاحا (436) من سوس .

اقول : وضع الآن بهذا النص ان التجارة بماسة كانت مزدهرة قبل ان تحتل ايليغ اكادير بسنتين وهذه المذكرة ألقت ضوءا مشعا على الحركة الاقتصادية اذ ذاك ، فليمعن فيها القارئ نظره امعانا مستنتجا ، ففيها اشارات لامور لا نجدها الا فيها .

وفى ص 358 ج 3 ملخص تقرير رفعه بينو الانكليزي في شأن تجارة الانكليز في المغرب ، نصه : « ان المرباط سيدي على استولى على الحكم بسوس منذ مدة طويلة ، وقد كان دائما حبيبا الى انكلترا ، وان السلع التي يجدها التجار الانكليزيون ببلاده كثيرة جدا بالنسبة لما يجدونه في مملكة مراكش ، فاذا وافقنا الشريف السلطان السعدي فيما يطلبه من قطع العلائق التجارية مع سوس فان ذلك يلحق ضرارا بالديوانة الانكليزية وبالتجار الانكليزيين ، ويمكن الفرنسيين والهولانديين من القضاء على تجارة الانكليزيين ، وزيادة على ذلك فان الذنب ذنب سلطان مراكش الذي عجز عن الاستيلاء على مملكتي سوس وفاس ، اذ لم يبق له فيها الا قسبة الرباط ، وان ما يطلبه السلطان من جمع

(436) كان المؤلف رحمه الله ممن يفارون ان يسموا ان في المربية قصورا ، وكان مولعا باستعمال الفاظها الفصيحة المنسية رغبة منه في أن تشمل الحياة جميع مرافق النهضة المغربية ، وكانت لفظة كفاحا هذه مما يستعمله في التعبير عن الاعمال التي لا واسطة فيها ، وقد جرى ذكرها يوما بمحضره فقال اني استعملها ولا اذكر من اين اخذتها ، فكان من حقه علينا ان نتعرض لذلك بمناسبة عثورنا على استعماله لها هنا .

قال صاحب لسان العرب : « المكافحة مصادفة الوجه مفاجأة ، كفحه كفحا - بفتح الكاف وتسكين الفاء - وكافحه مكافحة وكفاحا لقيه مواجهة ، ولقيه كفحا ومكافحة وكفاحا اي مواجهة ، جاء المصدر منه على غير لفظ الفعل قال ابن سيده وهو موقوف عند سيبويه مطرد عند غيره ، وانشد الأزهري في كتابه .

اعاذل من تكتب له النار يلقيها * كفاحا ومن يكتب له الخلد يسمد

والمكافحة في الحرب المضاربة تلقاه الوجوه .»

الى ان قال : « الجوهرى كافحهم استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترس

ولا غيره . »

التجارة كلها بمرقا ءاسفى ومن جعلها فى يد الانكليزيين خاصة وارسال بواخر
حربية انجليزية لمنع كل تجارة مع جنوب المغرب يؤدى الى اسر الفرنسيين
والهولانديين وتعذيبهم بما لا تحمد عقباه .

وقد ارخت بشهر نونبر 1637 م .

اقول : لينظر ما بين همة الوليد السعدى الذى يحاول ويقترح
ان يضع كل الصادرات والواردات من المغرب وما اليه فى يد الدولة الانجليزية
انبحرية الداهية ، يعرض ذلك عليها عرضا ، وما قصده الا التضييق بمراسى
غيره من ابناء ملتة ودينه ووطنه فى الشمال والجنوب ، وبين نفس سيدى على
فى تلك الرسالة الى شارل الاول ، فقد كان يتكلم معه كانه سليمان القانونى
او هارون الرشيد او عبد الرحمان الناصر او المنصور بن ابي عامر ، اوعقوب
المنصور . ولا ريب ان مثل استيلاء انكلترة على ءاسفى يكون سببا قويا لاستعمار
البلاد جمعا ، وما ذلك بادون من الاسباب التى يتخذها المستعمرون ذريعة
الى التمكن من اعناق الامم ، فيستعبدونها ابد الدهر ، ولولا لطف الله لالتهم
الانكليزيون المغرب بهذا السبب ، وهو اذ ذاك ضعيف متفرق القوى
مفكك الاوصال ، الا ان الله سلم وعجل بالشرفاء العلويين الذين وحدوه
من جديد ، خصوصا الاسد الوئاب مولاي اسميل (437) .

وفى ص 393 ج 3 ملخص تقرير ءاخر رفعه سكوت فى شان التجارة
الانجليزية بالمغرب ، ونصه : « ان معظم ثروة السلطان احمد المنصور كانت
تأنيه من سوس ، اذ بسوس يزرع قصب السكر ، ويجلب العنبر الأشهب من

(437) لما قامت الدولة العلوية فى المغرب وجدت امامها ثلاث دول كبرى لم تزييت بزى
الملك وشارده هي السعديون والدلايون واهل ابلنج مؤلا . زيادة على كثير من الثوار بتلمسون
رؤوسهم فى الاطراف ، وزيادة على احتلال الاجانب لكثير من المراسى ، فتوحلت البلاد وتحورت
الشواطىء بفطشهم الا سبتة ومليلية . وقد بذلوا ليهما من الوسع مالا لوم عليهم معه فلقد صبح منهم
العزم ولكن الدهر ابى كما يقول حافظ ابراهيم رحمه الله .

تاغواست وريش النعام والشمع والتمر واللوز والنيلة والخيول والابواز مس درعة وتافيلالت والصحراء ، والذهب من تينبكتو وكاوو ولما توفي المنصور ضاعت مزارع السكر بسوس التي أصبحت في حكم المرباط سيدي على منذ عشرين سنة ، فهو الذي ينبغي أن تتفق معه ، لأن التجارة الانجليزية لا تستفيد كثيرا من فاس ومراكش ، ولذلك ينبغي لملك انكلترة أن يقترح على سلطان مراكش وعلى سيدي على اقامة ارحاء السكر من جديد بسوس لتتزود منها انكلترة ، بشرط أن تتمكن من قسبة اكادير لتبنى فيه حصنا على الشاطئ ، وبذلك تحصل على سكر أرخص من السكر المجلوب من البرازيل وفي مقابلة ذلك تجعل بواخر طوع اشارة سلطان مراكش وسيدي على لنقل ما يحتاجان الى نقله بين مراسي المغرب ، فاذا أهملنا سيدي على فانه يصعب علينا الحصول على تحرير الأسارى الانجليزيين ، وت خلفنا دولة أوربية أخرى بسوس ، حرر في تاريخ 14 ابريل 1638 م .

وفى ص 328 ج 3 ما فى المعاهدة التى عقدتها الدولة الانجليزية مع محمد الشيخ خلف الوليد أخيه على عرش مراكش ، ونص ما ساقه من الفصل الأول منها :

« لا يجوز للانجليز أن يتجروا مع رعايا السلطان الثائرين كالذيس بسانت كروا وماسة والصويرة (*) وغيرهم ، وان البواخر المغربية مأذون لها فى اعتقال البواخر والاشخاص الذين يخالفون مقتضيات هذا الفصل وحجز أممعتهم أبرمت المعاهدة بمراكش فى 22 شتنبر 1637 م . بين شارل الأول ومحمد الشيخ » .

أقول : رأيت ما يومئ اليه ذلك التاجر الداهية ، فانه يريد أن يجعل فى يد حكومته انكلترة مفتاح أكادير ، فيكون فى المغرب كمسما رجحا كما يقولون فى المثل المشهور عند العامة، فانه سرعان ما يعود أكادير - وهو اذ ذاك

(*) ذكر المؤرخ السويى سيدي محمد بن سعيد الصديقي ان الوليد السعدى سبق السلطان سيدي محمد بن عبد الله فى انشاء مرسى الصويرة ، لكن بقى لنا أن نعرف من هو الثائر بها اذ ذاك .

فى طريق البواخر التجارية العالمية الى البرازيل والهند وافريقيا الجنوبية -
كحصن عدن ومالطة وقبرص وسنغفورة وأمثالها مما احتلته انكلترة الدولة
اللبقة بمثل هذه الحجج ، زيادة على تمكنها من أسفى ، فقد كان بمقتضى
المعاهدة السابقة موضوعا بين يديها ، وذلك فى الوقت الذى تحتل فيه ايليج
اكادير سنة 1637 م .

وكان مقصود محمد الشيخ اغلاق اكادير ، ومقصود ذلك التاجر
استحواذ حكومته عليه ، ولا ريب ان اللوثة (438) التى ظهر بها محمد الشيخ
عند ما يسلم أسفى لانكلترة تتصرف فى تجارته لا يبعد معها أن يفعل مثل ذلك
فى أكادير نكاية ببودميعة ، ولكن حين كان هو الذى يتصرف الآن فى اكادير
لا غير فان انكلترة لا تجد منه ما تجده من محمد الشيخ ولعل هذا هو السبب
حتى لم يتيسر ذلك لانكلترة ان كانت اذنت حقا لما يقوله ذلك التاجر واصاغت
لاقتراحه ، وسترى قريبا فى كلام مارج الفرنسى ما يدل على انها تميل الى هذا
الا انها لم تنجح باسطولها .

ثم ان فى الذى تقدم أمورا تلفت النظر ، منها قوله : ان مزارع السكر
ضائعة منذ كانت فى حكم بودميعة فى العشرين التى تقدمت 1638 م فاننا نعرف
ان الامكنة التى فيها هذه المزارع توجد حوالى تارودانت فى قرية تازمورت
وغيرها ، حيث هناك صهاريج (439) متعددة لا تزال قائمة الى الآن ،
ولا ريب ان تارودانت كانت تحت يد سيدى يحيى الى نحو 1632 م . فان بودميعة
لم يستول عليها الا سنة 1039 هـ . فالدرك حينئذ فى ضياع تلك المزارع يرجع

(438) علق المؤلف هنا بقوله : « اللوثة الاسترخاء والحق » وقد تقدم التعليق عليها .

(439) علق المؤلف هنا بقوله : « وصفنا هذه الصهاريج فى الرحلة الرابعة من كتاب

« خلال جزولة » راجع التعليقين (373) و (429) .

الى يحيى (440) الذى لا نعرف عنه همة فى الاشغال بأمنال هذه الامور ، لا الى بودميعة ، فاننا صرنا نرى السكر بين الصادرات من أكادير بعد استيلائه عليه ، وما ذلك الا لأنه انتشلها، ونحن الذين نعرف منه اهتماما عظيما بالمالية لا ينتظر منه معه الا ذلك .

ومنها ما فى تلك المعاهدة من ان البواخر المغربية مأذون لها فى اعتقال البواخر والاشخاص الذين يخالفون مقتضى تلك المعاهدة ، فان ذلك يخالف ما جاء فى تقرير بينو الانجليزى من ان الذى سيتكلف بذلك هى البواخر الانجليزية، وهو المعقول اذ ذاك ، ان كان المقصود اعتقال من خالف مقتضى تلك المعاهدة من الدول ، وأما ان كان المقصود من خالفها من تجارة انكلترا فان ذلك مستقيم ان كان حقا للمغرب بواخر ، وقد تقدم انه كان اشترى بعضها ، وان كان يظهر انه لا بواخر مغربية اذ ذاك ، وقد رأيت قريبا فى كلام سكوت ما يدل على ان لا بواخر للنقل فى المغرب .

ومنها ذكره الصويرة ازاء ماسة وأكادير ، فان ذلك غير ظاهر ، لأن الصويرة الموجودة الآن لم تكن بعد اذ ذاك فى الوجود ، نعم كان فى الجزيرة الصغيرة ازاءها مركز برتغالى يوم استولى على شاطئ المغرب قبل هذا العهد ، ثم انطوى ذكره بعد طرد البرتغال من كل المغرب ، وربما تصحفت اللفظة اما فى الترجمة واما فى الاصل ، وايا كان فلا نعرف حينئذ مرسى يسمى الصويرة(*)

(440) لعل هذا تحامل على يحيى ، اذ كيف يعقل ان يغفل عن مورد غزير للمال كهذا السكر مع انه فى أول تكوين دولته وحاجته مشتدة الى تموين جنده حتى مال على وفر اموال الاجباس فافسد ذلك بينه وبين تلميذه القاضى التامانارتى كما هو فى ترجمة هذا الاخير فى صدر الكتاب ، وان دوكانسترى قد صرح فى التعليق 429 بسبب القضاء على انتاج السكر ، وما اعقب ذلك من الفتن التى كان الجنوب المغربى ميدانا لها الى ايام السلطان سيدى محمد بن عبد الله سنة 1171 هـ على ان فتن انتقال الحكم من دولة الى اخرى فى ذلك العصر مما يجب اعتباره من بين عناصر الهدم والابادة، وقد ذكر المؤلف نفسه فى رابع « خلال جزولة » ان زراعة السكر لم تنقطع الى ايام المولى اسمعيل . راجع التعليق الذى قبل هذا والإحالات التى فيه .

(*) راجع « اخر الصفحة 206 .

مع فرنسة

فى تعليق للمؤلف على ص 44 ج I السلسلة الاولى — فرنسة ، ملخصا .
« أسس جان لوبيز دوسيكية البرتغالى سانتاكروز سنة 1505 م . من
عند نفسه ، ثم رأى ايمانويل ملك البرتغال اذ ذاك مركزها المهم فأعطى للمذكور
ما أداه فى بناءها ، فبنى هناك قسبة ، وذلك المكان ابرز نقطة فى البحر المحيط
من الشاطئ المغربى ، وفيه تنتهى سلسلة جبال الأطلس ، وأهل البلاد يطلقون
على المدينة البرتغالية اكادير نيغير (44I) .

أقول نعم يطلقون ذلك على البنايات هناك من بعيد ، وأما من قريب فلا
يطلقون اكادير الا على ما بناه السعديون فوق المدينة البرتغالية ، وأما هذه
فتسمى فونتى ، على ان هناك ما يدل على أن فى مكان اكادير نفسه بناء للبرتغال .
وقد استخرج اليوم سرداب من فونتى الى أعاليها يسلكه من فى فونتى الى البناء
العالى وهو فى أمان ان يصاب برصاص من عسى أن يحاصروا المدينة .

وفى صفحة 303 ج I أورد المؤلف نص وفاق تجارى بين تجار روان
الفرنسية فى شأن ارسال باخرة اسمها سمسون تحمل السلع الى
المغرب ، وتأتى بالسكر فعلق على ذلك بما يأتى :

« ان قصب السكر يزرع بالمغرب ولا سيما بسوس ، وقد ذكر مارمول
ان سكان هذه النواحي فاقوا غيرهم من البرابر فى ذلك ، لأنهم يزرعون ذلك
القصب ، ويشغلون بالفلاحة ، وان تجارة السكر هى أحسن تجارة بالمغرب
أجمع ، ومن الغلط ما ذكره مارمول هذا من كون الأشراف هم الذين
ادخلوا قصب السكر لأن ماس لاترى ذكر انه فى القرن الحادى عشر المسيحى

كان سكر المغرب يباع في الفلاندر والبندقية وقد ذكر الادريسي (442) ان السكر المزروع والمصنوع في المغرب كان معروفا في العالم اجمع ، وقد ذكر ماس لاترى المذكور ان مزارع السكر بسوس وسبتة كانت معروفة في القرن السادس عشر المسيحي لكثرتها وجودتها ، وقد زار ليون الافريقى (443) سوسا قبل قيام الاشراف وذكر ان قصب السكر كان منتشرا فيه ، وان الناس كانوا ياتون من فاس ومراكش وحتى من السودان للتزود بالسكر الخام ، والاشراف السعديون وان كانوا لم يدخلوا قصب السكر الى المغرب كما ذكرنا فانهم عملوا كثيرا على انتشاره بجنوب المغرب ، وربما كانوا هم الذين

(442) هو العلامة الجغرافى المؤرخ الجليل أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الادريسي الولود بسبتة عام 493 هـ والمتوفى عام 560 هـ ، وربما نسب بطى من ذكره الى فرطية لانه كان يدرس بها اول امره ، كان عالما بالادب والطب والجغرافية والتاريخ ، طاف في بلاد الروم واليونان وفرنسة وإيطالية ومصر والمغرب ، ودون ملاحظاته عن هذه الاقطار وضمنها كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » المشهور بكتاب الادريسي وقد اكمله سنة 548 هـ وقد الله في صلبية ، وذلك ان ملكها روجار الفانى سمح به ليعت اليه فلما قدم عليه خرج لاستقباله بباب قصره واجلسه معه على سريريه ومكث عنده مدة ولما اراد الانصراف خرج معه وشيحه ايضا الى باب القصر .

وقد صنع له صورة للأرض من طول ثلاثة امتار ونصف في عرض متر ونصف ، وكرة ارضية من الفضة من مائة وثمانين رطلا .

(443) علق المؤلف على هذا الحل بقوله : يعرف بابن الوزان ، وهو فاسى رحل كثيرا حتى نزل اخيرا في ايطالية ، فابقى هناك من المغرب لينا كته تاريخا عن عاداته واقتصادياته وما الى ذلك . وقد ترجم حياته الى العربية السيد محمد الهمدى الحجوى . وابن الوزان هذا ممن اُصل القرن التاسع .

هو محمد بن الحسن الوزان ولد بفرناطة حوالى 901 هـ وحمل الى المغرب صبيرا فتشا ودرس بفاس وكان قوى الاحساس والملاحظة .

جال في المغرب والمشرق مرارا وبينما هو في طريق الرجوع ذات مرة الى المغرب اذا بالقرصنة يأسرونه وحبسوا له من اهل المعلوم التي كانت مطلوبة اذ ذاك ابان النهضة الاوربية اهدوه الى البابا جان ليون العاشر فاعتنى به ومنحه اسمه جان ليون فميزوه عنه بلقب الافريقى ، فتعلم عدة لغات ولف عدة كتب ، وتوجد صورة لخطه في تاليف السيد الحجوى المذكور .

ويوجد في « اخر القاموس الطبي الذى الله انه كان بمدينة بلونيه بايطالية سنة 930 هـ 1524 م واثم برومة عام 932 هـ 1526 م كتابه (وصف المريقية) الذى ترجم الى الايطالية واللاتينية والفرنسية والالمانية وطبع في مجلدات تبلغ صفحاتها اكثر من الف .

ولا شك ان البابا المذكور كان يحمل مثل هذا الرجل على التنصر . وذلك ما في كتاب السيد الحجوى . لكن يقول بعض المؤرخين الاوربيين انه نجح اخيرا في مفادرة ايطالية والرجوع الى دين الاسلام .

ادخلوا (444) وسائل تصفيته وتبييضه الى سوس ، بعد ما كان فيه سواد ما حسبما وصفه تيفيت ، وان سمي مولاي محمد الشيخ الأول للاستيلاء على سانت كروز ، كان المقصود منه الجهاد مع العمل على انفاذ سكر سوس وترويجه في الأسواق ، وقد كتب السلطان المذكور الى أخيه - لعله احمد الأعرج ، يخبره بالاستيلاء على ذلك المرفأ ، ويقول له : ان هذه بداية حسنة للتجارة في السكر وغيره من السلع من تلك النواحي. وان النصارى الذين أسروا بسانت كروز بنوا معاصر يستخرج منها السكر الأبيض ، وكان يرأسهم يهودى أسلم ، انظر مارمول ، وقد كان التجار الأوروبيون ياتون الى تارودانت لشراء السكر ، وكانت المعاصر المصفيات للسكر تدخل على السلطان 7500 مثقالا ، والسكر المصنوع نفسه يدخل 15000 مثقال ، انظر بير بروجى ، ومما يدل على الاهتمام العظيم الذى كان للسلطان محمد الشيخ الأول بهذه التجارة انه بمجرد ما انتصر على أخيه مولاي احمد استعجل ولده أحمد الحران فى الذهاب الى تارودانت وجعله وزيرا هناك وأمره ان يهتم بمسألة تجارة السكر ، انظر طوريس ، وصناعة السكر بعد ما كانت مزدهرة بالمغرب قد نبذت ، ولكنها فى أيام مولاي أحمد المنصور كانت لا تزال مزدهرة ازدهارا عظيما ، فهو الذى بنى المعاصر لأجل ذلك بحاجة (445) ، وسكساوة (446) ، ولما أمر السلطان ببناء قصره

(444) علق المؤلف هنا بقوله : « تقدم قريبا انهم الفاعلون لذلك جزما » .

(445) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يوجد ذلك فى قبيلة اداوكرض من قبائل حاحة ، ولا يزال هناك صهريج كبير وبناء فى محل يسميه الاهال بالصويرة القديمة » .

(446) علق المؤلف هنا بقوله : « هكذا ، والمعروف ان ذلك فى شيشاوة . ولا يبعد ان يكون ذلك عند القاهرة بسكساوة » .

والقاهرة هذه التى ذكرها يرجع تاريخ بنائها الى عام 754 هـ . وذلك انه كان لأبى عنان المرينى اخوان هما أبو الفضل الذى كان عاملا لأبيه أبى الحسن المرينى على تونس واخوه أبو سالم ، فلما صار الأمر لأبى عنان خشي مزاحمتها فارسهما للأندلس عند ابن الأحمر بعله ان يكونا بين المجاهدين ، فلما اطمان الى أن الأمر قد صفا له وتمكن كتب الى ابن الأحمر أن يبعث بهما اليه. فامتنع واعلم أبى الفضل بعزم أبى عنان على القبض عليه وأشار عليه بركوب البحر من الأندلس الى القطر السوسى وتوسط له عند الإسبان فى أن يحمله اسطولهم . فوصل أبو الفضل الى سوس ونزل على عبد الله السكسيوى ، فجهز أبو عنان لمحاربتهم مما جيشا بقيادة وزيره فارس بن ميمون بن وردار فنزل بجيشه على سكساوة واحاط بها ولكى يئس عبد الله السكسيوى وضيغه أبى الفضل من الإفلات اختط هناك مدينة ساهما القاهرة وهى التى يعينها المؤلف وما تزال معروفة هناك الى اليوم ، واخيرا تمكن من أخيه أبى الفضل فخنقه فى محبسه ، وكذلك مات أبو عنان مخنوقا وكما تدين تدان .

« البديع » الشهير كان يأتى بالرخام من ايطالية مقابل السكر وزنابوزن ،
انظر الأفرانى (447) .

أقول ممن ذكر سكر سوس كتاب الاستبصار (448) فقد ذكر
قصب السكر ، وقال ان تارودانت أكثر بلاد الدنيا قصب سكر ، وفيها معاصر
كثيرة له ، ومن هناك يجلب الى جميع المغرب والأندلس وأفريقية ، وهو
المشهور بالطبرزد (460) فى كتب الطب ، والكتاب مؤلف سنة 590 هـ . وكذلك
أيضا فى كتاب خريدة العجائب لابن الوردى (449) ، وهو من أهل القرن
الثامن الهجرى .

447) علق المؤلف هنا بقوله : « انظر الأفرانى » ويعنى بذلك الكتاب المسمى نزعة الحادى
الذى ألفه العلامة محمد بن محمد بن عبد الله الأفرانى المذكور فى الحاشية (19) وذلك معروف اليوم
لا حاجة الى نقله .

448) علق المؤلف هنا بقوله « مخطوطة قليل النسخ » .
هذا الكتاب اسمه « الاستبصار فى عجائب الامصار » يشتمل على وصف مكة والمدينة ومصر
وبلاد المغرب ، وهو لسيد مراكشى من أهل القرن السادس الهجرى ، ولعله من كتاب دولة الموحدين
كان يعيش فى أيام يعقوب المنصور الموحدى ولم يوجد اسمه على النسخ المعروفة .
طبعه أخيراً وعلق عليه الدكتور سعد زغلول عبد الحميد مدرس التاريخ الإسلامى بكلية
الآداب بجامعة الاسكندرية ، ب مطبعة هذه الجامعة .
ونشر نصه العربى فى 252 صفحة ، ولخصه بالفرنسية فى 90 صفحة .
وكانت عند المؤلف رحمه الله نسخة خطية منه ذكر الاستاذ محمد داود التطوانى فى الجزء
الاول من كتابه فى تاريخ تطوان انه رواها عنده بمراكش سنة 1368 هـ وسماها النسخة المختارية
المراكشية .

449) هو العلامة الجليل عمر بن المظفر المعرى المعروف بابن الوردى ،
ولد بمصر النعمان سنة 691 هـ وتوفى بالطاعون فى حلب فى 17 ذى الحجة 749 هـ بعد ان ألف
رسالة فى الطاعون .

له تأليف كثيرة فى النحو والفقه والتصوف والتاريخ والجغرافية منها ذيله الضخم لتاريخ
ابى الفداء ، ومنها خريدة العجائب التى ذكرها المؤلف هنا .
ومن نوادره الطريقة انه زار فى دمشق شيخه قاضى القضاة بها نجم الدين الشافعى فأجلسه
مع اليهود فاستصغروه لأن سنة اذ ذاك 24 سنة ، فوردت شهادة بيع فساوقها اليه تمجيزاً له
فاستحيا من سنهم فرد اليهم تلقيا ، فلما الحوا فى تلقيه لها تفتن لقصدهم ، فقال لصاحبها هل
تريدها نظماً أو نثراً ، فقالوا له قل له اريدها نظماً ، فحررها له فى نظم لطيف من « السهل الممتنع »
وقال فى توقيعه لها :

يشهد بالمضمون من ذاك عمر * بن المظفر المعرى اذ حضر
ودفع الصك للشاهد الآخر ليوقعه فمجز عن نظم توقيعه ، فأمل عليه ابن الوردى بيتا هو
وحضر العقد لذلك احمد * بن رسول وبذاك يشهد
وتوجد عند بعض من ترجموا له ، ويكفيه شرفا لاميته المشهورة .

وفى ص 544 ج 3 السلسلة الاولى - فرنسة ، اقتباس من رحلة مارج
الفرنسى ونصه . . . ثم ان مارج أرسى سفينة بسانت كروا . . . وقبل ذلك
بمدة كان مرابطا اخر اسمه سيدى على اغتصب من سلطان الرباط سانت كروا
وقد اصبح هذا فى هذه الايام هو المسيطر على نومدية جمعاء ، ثم ان مارج قدم
الى سيدى على بسانت كروا بواسطة قبطان مغربى يسمى والى كان مكلفا عنده ،
فاقتبله سيدى على اقتبالا جميلا ، وقال له بواسطة المذكور الذى يحسن اللسان
الفرنسى شيئا ما أنه يود من صميم قلبه جلب وداد ملك فرنسة لأنه يجب
كثيرا ، وان رعايا ذلك الملك أبرموا معاهدة تجارية مهمة مع ناحيته ، وان هذه
الناحية حصلت على فوائد وحسن معاملة أكثر مما حصلت عليه مع أمم اخرى ،
وانه يعد من الآن بحفظ أولئك الرعايا الفرنسيين حتى يكونوا كأنهم فى فرنسة ،
وتأكيدا لما ذكر سلم جوازا للمارج يمكن له به التقلب فى البلاد للمتاجرة ، ومما هو
جدير بالذكر أن سيدى على هذا قادر على تأليف جيش عرمرم للاستيلاء على مراكش ،
وان كثيرا من الناس يجزمون انه لو فعل لأصبح سيد مراكش بدون شك ولا
ريب وبذلك يستولى على المغرب كله ، لأنه كان مشهورا فى هذه الناحية بأنه نزيه
كل النزاهة وعادل ، وأنه نشر الأمن بهذه الناحية حتى صارت التجارة فى ربوعها
سهلة تحوطها كل الضمانات كما فى فرنسة ، وعلاوة على ذلك فهو رجل يتمتع
بشروة عظيمة ، وله تجارة مهمة مع غينية *Guinée* بمملكة كاكو التى أصبحت
تابعة له ، اذ لم يبق لمراكش بها شيء وعلاوة على ذلك ايضا انه اغتصب من
سلطان مراكش درعة وتافيلالت وتفازى (أو تفازى الغزلان) ، وهو منجم كبير
للملح الخام على بعد يومين من (تاودنى) وهى الطرق الموصلة من مراكش
وفاس الى غينية .

ثم ان مارج المذكور - وهو بلوندره ينتظر سفره الى فرنسة - رأى
مقابلة السفير الذى أرسله ملك مراكش الى ملك انجلترا ، وحضر المقابلة ، وقد

حيا السفير الملك وقال له : انه يستعطفه من قبل سيده لارسال ست بواخر لأخذ قسبة سانت كروا من يد سيدى على ، كما انه يلتمس منه بالحاح ان يمنع رعاياه من الذهاب الى المتاجرة مع سيدى على حتى لا يحملوا اليه كماداتهم العدد الحربية ، فأجابه الملك بأنه سيدرس القضية ويرد عليه الجواب والسفير المذكور هو القائد جوذر بن عبد الله ، برتغالى الأصل ، اختطف وسنه ثمانى سنوات ، وبيع كعبد فى المغرب ، ثم كان من المغاربة ومن المشاورين كثيرا عند الشريف السلطان السعدى، وقد توجه سفيرا الى انجلترا على باخرة يرأسها رينس بورغ ، وفى صحبتته رويير بلاك ، ويوم مقابلته مع الملك هو 15 نومبر 1637 م . ثم رجعا من هناك الى المغرب فى 31 ماى 1638 م مع أسطول كارتيريت ، وقد أذن شارل لمحمد الشيخ ان يتقوى بهذا الأسطول ضد رعاياه التاترين .

وقد علق المؤلف على ما تقدم من ابرام معاهدة تجارية مهمة بين فرنسة وبين سيدى على بأن هذه المعاهدة التجارية المهمة التى يشير اليها سيدى على هى - على ما يظهر - ليست الا تلك العلائق التجارية التى كانت بين التجار الفرنسيين وتلك الناحية ناحية سيدى على ، والتى بدأت منذ 1570 م .

وعلق على سانت كروا بقوله : « معلوم ان سانت كروا تطلق على قسبة اكادير وعلى فونتى ، والقسبة بقيت مدة تابعة لسلطة الشريف السلطان المراكشى الذى أصبح عاجزا عن منع التجارة فى المدينة السفلى فونتى مع النصارى ، وكانت هذه تحت سلطة سيدى على » .

أقول : من هنا نعلم ما ذكرناه قبل من أن فونتى كانت مفتوحة للتجارة تحت يد بودميعة منذ استولى عليها قبل اكادير بنحو أربع سنين .

كما ان ما قاله مارج نص صريح لاستيلاء بودميعة على كل السودان السعدى وعلى غينية وعلى كل الصحراء بين سوس وبين هذا السودان .

وفى ص 414 ج 3 السلسلة الاولى - فرنسة من معاهدة لويز الثالث عشر والسلطان الوليد الزيداني المؤرخة - 24 شتنبر 1631 م . فى الفصل الخامس منها : « لا يتفاوض الفرنسيون مع رعايا ملك مراكش الثائرين ، سواء فى ذلك المعاملات التجارية أو امدادهم بالمواد الحربية البواخر وغيرهما ، سواء على ماسة وغيره » (450) .

وفى صفحة 358 ج 3 مذكرات عن المغرب جاء منها : « وفى أيامنا هذه ان السلطان الحالى اسمه المولى عبد المالك بن زيدان يبلغ سنه نحو ثلاثين سنة، ولم يبايعه الا نواحي مراكش وفاس وسوس وكاكو- وادى النيجير- (451) وليست تحت نفوذه الا خمس مدن او ست واربع قصبات او خمس ، له فيها ولاة يتبعونه ، واما الولاة الآخرون فقد خرجوا عن طاعته، واستولى عليهم الاسبان وصلحاء البلاد (استولى الاسبان على العرائش والمعمورة ، وصلحاء البلاد هم سيدى على بسوس ، والعياشى شمال المغرب ، والدلائيون بالمغرب الأوسط (452) .

« اما المدينة الاخرى فهى طائفة للسلطان بسوس ولم أقف عليها، وغاية ما أعرف عنها انها مدينة كبيرة سكانها قليلون (452) (يعنى تارودانت ، ولكنه ناقض نفسه بنفسه فيما ياتى فقال انها تحت نفوذ سيدى على ، وقوله الثانى أقرب للحالة السياسية اذ ذاك بسوس) (453) .

ثم قال ايضا صاحب المذكرات : « وأهم قصبات السلطان توجد بمملكة كاكو فى طريق غينية حيث كان سالفوه يستخرجون قدرا عظيما من

(450) شكل المؤلف رحمه الله عليا يضم الباء مضافا الى ماسة ، كما شكل بالضم ايضا راء غير معطوفا على على ، وذلك لثلاثا تقرأ على انها حرف جر ، بل اسم علم مضاف الى ماسة .
(451) علق المؤلف هنا بقوله : « هكذا علق عليه المؤلف دوكاسترى فى احد تعليقاته على الكتاب » .

(452) علق المؤلف على كل ذلك بقوله : « كل ما بين هذين القولين من المؤلف تمليفا منه » ويعنى بالمؤلف دوكاسترى .

(453) علق المؤلف هنا بقوله : « استولى سيدى على على تارودانت 1039 هـ » .

الذهب ، وهو احسن ذهب فى العالم ، ولكنه منذ ثلاث او اربع من السنين قطع عنها احد صلحاء سوس (يعنى سيدى على) اذ يرسل اليها رجاله حاملين الملح الى سكانها المتوحشين ، وفى مقابلة الملح ياتون بالذهب .

« وأما القصبه الثانية فتسمى سانت كروا ، وموقعها على شاطئ المحيط ، وهو على منزلق أكمة عالية حصينة جدرانها حسنة حسنا ما ، الا انها قصيرة وجلها من التراب ، ويسكنها نحو 300 رجل منهم الحسن والقبيح ، وكان يصنع فيها قبل قدر من السكر ، ويوجد بضواحيها الى يومنا هذا بعض المطاحن وقصب السكر ، والتجارة فيها مزدهرة جدا منذ ثمانى سنوات ، ولكن صويلح ماسة لا يبعد عنها بأكثر من خمسة اميال ، وقد حرم على سكان البادية المتاجرة معها بأية سلعة ، وبهذه الوسيلة جلب السلع كلها الى جانبه بحيث كان السلطان يضطر ان يرسل الى من فيها المدد بحرا على بعض السفن الهولاندية » (454) .

أقول : فيكون هذا كله فى وقت حصار اكادير الطويل فيستولى بودميعة على كسيمة البعيدة ببضعة اميال من اكادير .

ثم قال صاحب المذكرات : « وماسة مدينة تقع قرب المحيط الاطلانطيكى على بعد خمسة اميال او ستة من سانت كروا ، وتحيط بها جدران بالية ، وقوتها تستمد من الرجال المطيعين للصالح سيدى على ، وهو يحكمهم فى هدوء كما يحكم أعراب تلك النواحي على بعد ستين ميلا من كل جهة ، والتجارة مزدهرة ، وستبقى كذلك ما دام الصالح قويا ، وبحسب التجار ان يحصلوا على الجواز فيسلكوا البلاد بحرية ، فيبيعوا بضائعهم من غير أدنى

454 علق المؤلف هنا بقوله : « بهذا نعرف ان السكر بقى الى عهد بودميعة لأن هذا الوقت

قريب من عهده » .

خطر للاسترقاق لأن الصالح المذكور ما كان يرخص ان يتخذ الرقيق الا من الاسبان (ومرسى ماسة صغير) (455) .

وتارودانت مدينة جميلة على بعد نحو 12 ميلا من اليابسة (والتحقق انه 65 كيلومتر) (455) ، ولا يزال يوجد فيها مطاحن للسكر ، وقصب السكر كثير ، ولكن المغاربة لم يكونوا هم الذين أسسوا زراعته في المغرب ومزاولته (456) ، وهى فى قبضة صالح ماسة ، اشتراها من صالح آخر بمائتى دوكا (457) فقط ، وصالح ماسة هذا قوى ، فكان هو الوحيد الذى استطاع ان يطرد السلطان من مملكته ، الا ان اهله واصدقاءه لا يرخصون له فى الابتعاد عنهم .

وفى صفحة 372 ج 3 مقتطفات من رسالة لقنصل فرنسة بالمغرب مازيت الى وزير فرنسة الشهير ريشليو ، وقد أرخت بعاشر فبراير سنة 1631 م . قال عن ماسة : « هى على بعد سبعة أميال أو ثمانية من سانت كروا فى مملكة سوس التى يتولاها مرابط كبير يسمونه سيدى على ، وهو رجل فى نظرهم صالح ، تمرد على سلاطين مراكش ، وتنسح مملكته يوما فيوما نظرا لعدله ، ولذلك استولى على تارودانت ودرعة ونواح اخرى ، ولذلك خلص له كل الذهب المجلوب من تينبكتو ومملكته تفيض ذهبا وريش نعام وغير ذلك من المواد الصالحة للتجارة ، وهو يحب التجار ويعاملهم معاملة حسنة كيغما كانت جنسيتهم ، وهؤلاء التجار يرحب بهم أينما حلوا ، وقد نقل لى كل هذا وسمعته بأذنى مرات كثيرة من لدن أناس كانوا فى تلك البقاع » .

وفى ص 429 ج 3 كلام منقول عن جريدة كازيت دوفرانس من مكاتبتها بسلا ، تاريخ 5 نونبر 1631 م . « وهو ان الصالح سيدى على على ساق الجدد ومعه

(455) علق المؤلف هنا ايضا بقوله : « ما بين القوسين من المؤلف دى كاسترى . ولكن الحقيقة ان ما بين تارودانت واكادير 81 كيلومترا .

(456) علق المؤلف هنا بقوله : « قد تقدم ان ذلك منهم حقا ، وان زراعته قديمة » .

(457) علق المؤلف هنا بقوله : « لا ندرى هذا الصالح الاخر ، ولعله من ال يحيى المتوفى

فى 4 مارس 1626 م » .

خمسون الف رجل لمنع سلطان مراكش من الذهاب كالعادة الى شواطئ كاكو (يعنى وادى النيجير ، وقد كانت تتوجه الى السودان قافلة مغربية كل سنة) (458)، وقد جعل سيدي على الدين ذريعة لذلك كعادته، والمغاربة يتبعونه عن طيب نفس أملا منهم ان يدخل تحسينات على حكومتهم ، وهذا مما سينبه هذا الأمير الصغير (مولاي الوليد) (458) الذي هو الآن مع صفيه القائد يحيى بن محمد الجاناتى بقصر المسرة المبنى أحسن بناء ، ليست له الا طبقة واحدة كالعادة فى البلاد ، ومما يستغربونه انه لا نوافذ له ، وسكانه يكتفون بما يدخل عليهم من النور من باب كبير واحد ، والذي تستغربونه أكثر من ذلك : هو ما اذا رأيتم خمسة وعشرين كبشا مشويا هيئت على سباط السلطان رغم ان هذه الكباش اكبر من كباشكم ، وأحسن تجارة فى هذه الشواطئ التى يجدى نفعها هى التجارة فى المنسوجات الفرنسية ، وتكون فى مقابلة الشمع ومواد أخرى حتى فى مقابلة الذهب ، لأن أهل البلاد يتركون أخذه ليخرجوه حليا أو سبائك ، ماعدا المضروب المسكوك منه ، ولا نظن ان فرنسة يعوزها رجال يستطيعون القيام بهذا الامر ، ولكى أقيم لكم الدليل على ان المغاربة لم يتمكن فيهم الجفاء وخشية الافلاس أعلن لكم انهم لا يتعاملون بالسلف (الربا) (458) ولا يعتقدون الا فى المعاملات الحرة .

وفى ص 474 ج 3 ورد فى قائمة حساب لأحد قناصل فرنسا بالمغرب مؤرخة بـ 1633 م . ذكر جملة المصاريف المتعلقة بالمغرب ، قدر من الدراهم تشتري به الهدايا لسلطان المغرب ولقواده ولاتباعه وضباطه وولاة قصبتي أسفى وسلا ، وما سيعطى للخافرين الذين يخفرون المسافرين فى المغرب نظرا للحرب التى أقامها سيدي على فى هذه البلاد ضد سلطان المغرب .

وفى صفحة 699 ج 3 من رحلة لطوماس لوجاندر الفرنسى : «
انه لم يكن قط بسوس قنصل ، لان هذه المملكة كباقي المغرب لا يرتجى
منها شىء » .

ثم قال بعد ذلك : « أما سيدى على أمير سوس فكثيرا ما كان يرسل
من مدينة ايلينغ قوافل الى تينبكتو ، واما سلطان فاس (محمد الحاج الدلائى)
فاننى ما سمعت انه ارسل احدا اليها ، وفى ظنى ان ذلك يرجع لسببين : اولهما
انه بعيد من مراكش بنحو مائة ميل ، والثانى انه ان فعل ذلك اضطر أصحابه الى
المرور بمراكش وذلك ما لا يستطيعه (459) .

وقد علق المؤلف على ما تقدم من ان سوس لا يرتجى منها شىء ان
ذلك خلاف الواقع فقد كان سيدى على يظهر الحفاوة للتجار الأوربيين حتى
اغتاط السلاطين السعديون من ذلك الاقبال الذى وقع منهم عليه ، فعقدوا
معاهدة مع فرنسة 1631 م . منصوص فيها على ان لا يتاجر الفرنسيون مع
السوسيين ، وزيادة على ذلك فقد كان سنة 1631 م . بسانت كروا مراسل
لفرنسة يقوم مقام القنصل . انتهى بتصرف .

ان كل ما تقدم رد على طوماس لوجاندر في زعمه ان هذه الناحية لا يرتجى
منها شىء .

وفى صفحة 267 ج 2 ، السلسلة الثانية - فرنسة ، مذكرة لهنرى
برات مؤرخة فى مرسلية بنامن جوان 1669 م . تتعلق بالعلاق التجارية بين
فرنسة والمغرب منذ 1631 م . وقد ذكر فيها انقسام دولة المغرب بعد موت مولاي
زيدان وقيام مرابط الزاوية الدلائية ومرايط سوس (460) والشرىف مولاي
الرشيد ، وبعد استيلاء هذا الاخير على المغرب كله عدا سوس ، ولما تكلم
على سوس قال :

(459) علق المؤلف هنا بقوله : « بل طريق أهل تلك الجهة على تافيلالت مفتاح الصحراء ،
لا على مراكش ، الا اذا كان لهم غرض خاص بسوس » .
(460) علق المؤلف بقوله : « قام هذا فى عهد زيدان لا بعده كما تقدم » .

« واستولى على طرف من المملكة سيدى ابن على (461) الذى يمتد نفوذه على مملكة ماسة وعلى مدينة شاطيء البحر المسماة سانت كروا ، وموقعها على جبل ، وبها مرسى طبيعى ترسى فيه البواخر فى مأمن ، وأعظم تجارته مع تينبكتو ببلاد غينية اذ يرسل اليها فى كل سنتين (462) قافلة تحمل اليها الملف والثياب والمصنوعات الحجرية والأدوية والآلات الحديدية ، والكل ذو قيمة بسيطة ، والقافلة المذكورة تتركب عادة من ألف أو اثنتى عشرة مائة رجل وثمانمائة بعير وعدد من الخيل ، ولهم رواد يسيرون فى الصحراء خريتون يهتدون بالنجوم ، وأكبر مهارتهم هى معرفة الأماكن التى يوجد فيها الماء ، ومعرفة اتجاه الرياح حتى لا تصيبهم الزوابع التى تسوق الرمال كالجبال ، لأنها ان صادفت قافلة تغمرها فيرتطم كل ما فى القافلة فيها ، فيأتى الهلاك الذريع على الجميع ، فاذا وصلت القافلة الى المكان المعين للمعاملة مع اهل تلك البلاد تقع معهم المعاملة دون أن يراهم أحد أو يكلمهم ، لأنهم يعيشون كالبوم تحت الارض ، وانما يترك اهل سوس سلعهم فى البيضاء ويتعدون عنها فيأتى اهل تلك الناحية فيأخذون من السلع ما يريدون بعد ان يتركوا قدرا من التبر الذى هو الذهب الخام ، فيجمع السوسيون من ذلك ما يبلغ حمل خمسة جمال أو ستة ، وذهب تلك الناحية أخلص ذهب يوجد ، يبلغ عياره 24 كارة (463) ، وربما أستحق من جنابكم العتاب ان لم أذكر لكم كيف يستخرج

(461) علق المؤلف هنا بقوله : « هو محمد بن على بن بودميعة ، وسبذكر بعد ابيه » .

(462) علق المؤلف هنا بقوله : « وقد تقدم ان هذه القافلة تذهب كل سنة » .

(463) هذه الكلمة كارا **кара** اسم لعمار التركيب اليكميادى للذهب ، وهى مذكورة فى الفرنسية ، فهناك عبارات 12 كارا ، و 15 كارا ، و 18 كارا ، اما عيار 24 كارا فهو اجودها واصفاها ، ولذلك شاع استعماله على سبيل المجاز فيما بلغ الغاية فى جنسه ولو كان بعيدا من هذا الموضوع ، كقولهم : أحقق من درجة 24 كارا .

وقبل ان أصل هذه الكلمة يونانى مأخوذ من **ορπάτιον** وهو بذر الخروب وبجبه كانوا يزنون الذهب ، وقيل من **κουρα** وهو نوع من الفول فى بلد بوسط افريقية ثقيل الوزن وبه كانوا يزنونه ، ثم انتقل الى الهند فوزنوا به الاحجار النفيسة .

ومن ذلك كلمة قيراط المستعملة فى العربية ، وهى دخيلة فيها كما عند الخفاحى فى « شفاء الفليل » ومقتضى صنيع صاحب « المنجد » انها مأخوذة من **ορπάτιον** المذكورة ، وما زال الناس يزنون الذهب بحب بذر الخروب الى الآن ويسمونه قيراطا .

هذا الذهب من الارض ، ولكن ربما تظنون أن ذلك من قبيل الخرافات ، اذ يقال أن الأفاعى التى هى أشد سما وأعظم ضررا ، تعيش فى بطن الأرض اتقا-
للشمس الحارة ، ولتجلب لنفسها البرودة تملأ أفواهاها من تحت الارض برمل
الذهب (التبر) ثم ان خرجت ليلا الى ظهر الارض تلقيه من أفواهاها كعلامات
فى الامكنة التى اختارتها للرعى .

وان تجارة فرنسة مع مرسى سانت كروا يقوم بها تجار روان
ومرسيلية ، وهى تجارة قليلة ، وأهل سوس فيهم ظرف ووفاء ، والسلع التى
تجلب اليها هى الملف والثياب وطرابيش الصوف والكاغد والافيون والزجاج
والمرجان والقطن ، ويجلب منها الصفر والشمع وجلود المعز والصمغ العربى
وريش النعام والنيلة والتبر الخام أو المسبوك ، وأحيانا العنبر الاشهب .

ذلك ما ترجم لنا عن المجموعة الضخمة الاجزاء ، وقد حاول مؤلفها
ديكاسترى أن يضم فيها كل ما يتعلق بالمغرب مما يستخرج من الوزارات
الخارجية للدول الأوروبية ، وذلك بإيعاز من حكومة المغرب . وقد تيسر له ذلك
فيما يتعلق بعهد السعديين (464) .

464 من الوفاء والمكافاة لهذا الرجل الذى امدنا بهذه المعلومات القيمة عن تاريخ بلادنا ،
والذى أصبح اليوم مرجعا مهما - ان لم يكن وحيدا - فى موضوعه سواء بالنسبة الينا ام بالنسبة
للذين استقى منهم هذه المعلومات ان نشيت هنا ترجمته ، فهو وان كان قد قام بهذا العمل لغاية
معروفة فما نحن اولاء اصبعنا نستفيد منه فوجب علينا ان نقدر له هذه الاستفادة .
فهو العلامة الكونت هانرى دو كاسترى ، أحد افراد اسرة فرنسية عريقة ، وكاسترى هذه
التي ينتسبون اليها مقاطعة بفرنسة حوالى مونيلى كانوا حكامها الاقطاعيين اوائل القرون الوسطى ،
ومنهم الميريشال شارل دو كاسترى الذى كان وزيرا للبحرية الفرنسية من 1780 م الى 1787 ، وما
تزال فيهم التربية العسكرية العالية الى اليوم .

وقد تطوع فى الجندية فى اول شبابه سنة 1870 م وجرح فيها وهو برتبة سرجان فترقى
لدرجة سوليوتنان ، ثم دخل المدرسة العسكرية فى سان سير ، وفى سنة 1873 م تعين فى الجزائر
على راس شزمة ما كان الفرنسيون يسمونه الجيش الافريقى الذى كان ضباطه من ضباط الشؤون
الأهلية ، ومن ثم بدأ فى الاتجاه الذى اتجهه كل باقى حياته .

وحيث كان المطلوب من الضباط العاملين فى المستعمرات ان يعملوا لتركيز نفوذ امتهم
بتحرير التقارير لرؤسائهم والابحاث العلمية والتاريخية عن الاراضى التى هم فيها ولتخطيط خرائطها.
فقد كان الكونت دو كاسترى من المم هؤلاء .

فمنذ ذلك الوقت أخذ يتعلم العربية ويتصل بالأهالي ويستقى منهم المعلومات ويقوم على رأس جنوده بالرحلات في التخيوم الجزائرية المغربية فيحرر الخرائط والتقارير ليبين لأمنه من أين ينبغي أن توكل كتف شمال افريقية أو المغرب بالخصوص ، كما كان من انصار تحويل انظار السكان الاصليين عن مشارهم وترانهم الى ابدالهما بتجيب المدنية القريبة والمنظمة الفرنسية لهم . كما كان يتصل بالاجراء الساقطين من المغاربة فيستقى منهم الاستكشافات عن داخلية التراب المغربي ، فقد حرر دراسة مهمة عن وادي درعة سنة (1880) م ، وأخرى عن فكيك سنة 1882 م ، وغيرهما ، وكان من جرائته وتصميمه في هذا المضمار انه قدم لحكومته سنة 1879 م تقريرا فيها فيه الى ان المغرب تنمة ضرورية للامبراطورية الفرنسية في شمال افريقية ، فتخوفت اركان الحرب العامة من طموحه مخافة ان تجر عليها جرائته مع المغرب سوء تفاهم لم يحسن ابانه بعد ، فصارت تراقب نشاطه .

ولكن ذلك جعلها تلحظه بعين الاعتبار وتعمد من الضباط البارزين الممول عليهم ، فقد اسندت اليه سنة 1887 م ، تحرير خريطة للمغرب كان المراد منها تسهيل تسوية خلاف على الحدود الجزائرية المغربية ، ثم عهدت اليه بان يحملها الى جلالة السلطان المقدس المولى الحسن الاول بمراكش ضمن لجنة معدة لذلك ، ولما تمت المهمة وكان راجعا للدار البيضاء عن طريق سطات كان يتريث في الطريق لاسباب منتحلة ، وهو في الواقع يحرق في هذا الطريق خريطة كانت عدة الجيش الفرنسي في زحفه على مراكش بعد ذلك بمشرين سنة .

ومن هناك اتجه الى البحث التاريخي عن كل ماله علاقة بالمغرب قديما وحديثا ، ولما لم يجد في الكتب العربية ما يشفي غلته اتجه للبحث في محركات اللغات الاجنبية ، فقدم استقالته من الجيش برتبة قطبان ، وانسحب الى بلده الاصل حيث اشتغل بإدارة املاك أسرته وتفرغ لبحائه التاريخية ، فانضم الى كثير من الهيئات التي كانت تعمل في نفس الموضوع لمثل الغاية التي يعمل لها ، داخل فرنسا وخارجها ، وصار ينتقل بين العواصم الاوربية للبحث في سجلات وثائقها المحفوظة *les archives* كانتكلرة وهولندة وفرنسة وغيرها ، فمثر على نفائس كثيرة ، وقد ظهر اول مجلد من مجموعته (مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب) *Sources inédites de l'Histoire du Maroc* سنة 1905 م ، وعندما استست سلطات الحماية الفرنسية بالمغرب مركز الابحاث التاريخية سنة 1919 م كان هو قد وصل الى مجلده الثامن ، وما مات حتى بلغت المجموعة 29 مجلدا ضخما .

ولما بدأ النفوذ الفرنسي ينتشر في المغرب كان هو من الذين اسرعوا اليه ليتابع بحوته في عين المكان ثم لم يتقطع اتصاله بالمغرب بعد ذلك الى ان مات عن 76 سنة في 10 مايه سنة 1927 م بفرنسة .

وقبل موته بخمسة اشهر كان يتجول حول قصبة ابن حميدوش المتخربة على وادي تانسيفت بقرب الصورة القديمة هناك ، وهي من المساقل الحصينة ولعلها من تأسيس البرتغال ، وابن حميدوش هذا الذي تنسب اليه انها هو من متأخري اولاد ابن حميدوش الذين كانوا عمالا على الشياطة للسعديين والعلويين .

وقد كان متصفا مع كل ذلك بأخلاق العالم الباحث العامل بالحكمة المشهورة « من عرف ما قصد ، هان عليه ما وجد » فقد كان يتصل بالمؤرخين المغاربة ويتبادل معهم المعلومات ويستقى منهم الاتجاهات ، فقد اخبرني العلامة الاستاذ عبد الله ابن العباس الجراي الرباطي ان العلامة المؤرخ سيدي محمد بن علي الدكالي السلوي اخبره بان الكونط دوكاستري كان يزوره ويتصل به ويتباحث معه وانه زار مكتبة تامكورت الناصرية كما اخبرني الاستاذ سيدي عبد الله الكراكي فبم المكتبة العامة بالرباط ان دوكاستري ساهم في تأسيسها وانه هو الذي اقترح تجهيز أرجل كراسيها بالمطاط حتى لا تشوش على المطالعين بما تحدثه من ضجة اذا جرت على الأرض .

إذا أعجبتك خصال امريء فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على الفضل والمكرما ت ان جنتها حاجب يعجبك

من كل ما سقناه ندرك مقدار ما كان لبودميعة من عظمة انفرد بها اذ
ذاك بين ملوك الطوائف فى المغرب، وقد رأى القارىء اهتمامه بالعمارة والتجارة
والامن العام ، وكفى بهذه الخلال منقبة خالدة ترفعه الى مصاف الرجال العظام ،
وقد تكفل هذا القسم بأن يمدنا فى ترجمة حياته الواسعة التى تعالج جلوتها
فى هذا الكتاب بمواد ضافية الشواهد فى نواح شتى من حياته، زيادة عن اتساع
التجارة الايليغية فى عهده ، ولها وحدها سقنا هذا الفصل ، ولكن اتيح لنا من
ورائها كل ما وصفه به أولئك التجار والقناصل فى مذكراتهم ويومياتهم
وتقاريرهم الرسمية .



ابليغ الحريّة

ايليج الحديثة (465)

أسدل الستار على ايليج القديمة فى أول ربيع الاول سنة 1081 هـ .
وقد قوضها المولى الرشيد فانهزم من بين يديه أميرها الأخير محمد بن على ،
وقد ذكرنا أن بعضهم يزعم أنه فر الى الصحراء ، ويظهر أن الاحوال اذ ذاك تؤيد
ما زعمه هذا البعض، وذلك ان الدولة العلوية قد مهدت جبال جزولة، ولا نظن انها
تبقي عليه لو توصلت اليه أو وجدت اليه سبيلا ، وفى الصحراء الواسعة
مندوحة لامثاله حيث يستحيل أمره الى حياة أخرى يرى بها الحياة ويربى فيها
أولاده ويستودع فى أنفسهم ما كان «اباؤه استودعوه اياه ، ثم يلفظ نفسه هناك،
فيقف أولاده يراقبون مجارى الاحوال من بعيد ينتظرون فرصة يتأتى لهم بها
أن يدبوا الى مسقط رأس والدهم ليعيدوا مجد ايليج الذى قضت عليه يد
القاتح العلوى .

هكذا نجد فى الذى يتداوله بعض الناس فى منتهى حياة الامير محمد
ابن على بصيصا قليلا يمكن لنا به أن نلقى ما عسى أن نتخذه كسبب لنجاته ونجاة

(465) كانت نية المؤلف رحمة الله عليه أن يجعل هذا الكتاب جزءين كل واحد منهما مستقل
عن الآخر ، ولكن الاجل ادركه بعد ما هيا الاول منهما قبيل وفاته ، اما الثانى فلم يخرج من مسودته
التي كتبه فيها من اول مرة منذ الساعة العاشرة من اليوم الرابع من ربيع الثانى عام 1358 هـ ففى
منفاه الاول بسوس .

وقد وجدنا له التصريح بنيتة هذه فى التعليق الثانى من الصفحة 278 من الجزء الثالث من
الممسول اذ قال : « فانظر الجزء الثانى من كتاب « ايليج قديما وحديثا » .

كما قال فى التعليق رقم I من الصفحة 333 من نفس الجزء ، « وقد كتبنا تاريخ دولة ايليج
فى جزئين وسطين يسر الله تخريجه » الخ ما فى التعليق ، والله يعلم كيف كان سيخرج هذا الكتاب
لو ان مؤلفه رحمه الله هو الذى اشرف على طبعه بعلمه الجم وحزمه القوى وجدته المتين تفهمه الله برحمته .

أولاده من بعده من بطش الدولة العلوية الفخمة في أيام المولى اسمعيل السلطان العظيم الذى لا يؤوده مصاع (466) .

لكن كيف تكون الصحراء المغربية منجاة للغار من بين يدى المولى اسماعيل بعد أن رأيناه يجوس خلالها سنة 1089 هـ . ويضيفها الى اياتله ، ويصاهر كبار رجالاتها (467) الا يدل ذلك على ان ذلك الزعم باطل ؟ .

لقائل أن يقول — ان كان تحمس للدفاع عن ذلك الزعم — أن الصحراء أوسع مما يظنه طان ، فان ضاقت بنال الامير محمد بن علي الصحراء الشمالية فان هناك فى الصحراء الجنوبية قفارا فساحا فيحيا تضل فيها القطا وتكون أحصن حصن لمثله .

كيفما كان الحال فان التاريخ يسكت عن الامير وءاله وينسى قضيتهم ، فقد تفجرت ينابيع تاريخية أخرى متدفقة فى المغرب من أجل حياة اسمعيل المتموجة بالاعمال الرائعة ، والأبهة الهائلة ، تشغل حوادثها وروثها وبهاؤها عقول المؤرخين عن التفتيش عن مطرود سلب كل شيء ، وربما لا يملك حتى شملة خلقا ولقمة يفتأ بها النسغب اللاذغ (468) ، فلذلك لا نعجب ان رأيناه وأهله منسيين من سنة 1081 هـ . الى ما بعد 1150 هـ .

محمد بن موسى فى الألف

وقعنا لمؤرخ يحيا أواسط الثانى عشر فى ترجمة امرأة صالحة من أهله على ما ياتى : « وكان المرحوم بالله سيدى محمد بن موسى من ذرية سيدى

(466) لا يفزعه أى معترك .

(467) علق المؤلف على هذا بقوله : « صاهر بكارا على بنته سنة 1089 هـ ، وكان بكار من رجالات الصحراء » راجع الحاشيتين رقم 8 ورقم 271 .

(468) يسكن بها الجوع اللاذغ .

احمد بن موسى من أهل ايلنج يبعث اليها البغال فتعمرها له بالشعير في سنة الغلاء حين ينوى الامارة في سنة 1152 هـ وكذا أولاده بعده (469) .

من هنا نعرف مبدأ محاولة أحفاد بودميعة لاسترداد ما ضاع منهم ،
وتعيين اسم المحاول لذلك ، ولا ريب أن في فترة ما بين 1143 هـ وبين 1169 هـ (470)
متسما لتلك الجولات ، بعد ما أضاع العبيد البخاريون مجد مكناس بسرعة قبل
أن يمضى على موت المولى اسماعيل العظيم قليل من السنين ، فقد رجعت القوضى
ثانيا الى القبائل واستردت تسليحها ، وبدت مظاهر كنا نعتادها من المغرب في
الفترة التي ملأت ما بين عامي 1012 و 1081 هـ (471) وهي الفترة التي استغلتها
الأطراف فقامت فيها دويلة ايلنج ومثيلاتها ، فلا نعجب اذا رأينا التاريخ يعيد

(469) علق المؤلف هنا بقوله : « بشارة الزائرين عند ذكره للكراميين » . راجع الحاشية
رقم 128 .

(470) خصص المؤلف بالذكر ما بين 1143 و 1169 هـ لامكان تهيب ثورة اخرى فيه من ال
ابى حسون بودميعة ، وهي مدة ست وعشرين سنة ، وفيها متسع للقيام بمثل ذلك ، وتلك مدة
المولى عبد الله بن اسمعيل الذي تولى وخلع خمس مرات بين سنة 1141 هـ التي بويح فيها بعد اخويه
المولى احمد والمولى عبد الملك ، وكانت وفاة والدهم عام 1139 هـ ، وبين عام 1171 هـ التي مات
فيها هو ، وكان يزاحمه في ذلك اخوته المولى علي والمولى محمد بن عربية والمولى زين العابدين والمولى
المستضى . يتلاعب بهم جميعا العبيد البخاريون وكبار رؤساء المدن والقبائل ، وذلك ما يعنيه
المؤلف في صدر هذا الكتاب بإشارته الى تناحر اولاد المولى اسمعيل على الملك بعد موت والدهم ،
كما تناحر عليه اولاد المنصور السعدي .

اما الأطراف النائية كالنخوم الصحراوية السوسية التي فيها يستقر ال بودميعة فقد كانت
بأمن من صرامة النفوذ السلطاني اذ ذلك لاشتغاله بتهييد النواحي القريبة منه ، وقد كان المولى عبد
الله زار القطر السوسي سنة 1143 هـ التي ذكرها المؤلف «فهمه ورجع» كما قال العلامة الكنتسوسي
في (الجيش العرمم) ، « وسار الى تارودانت مع ما كان معه من الخيل والرماة فدخلها واستوطنها
مدة وبأيامه بها » كما يقول الضعيف الرباطي ، وقال صاحب الاستقصاء في حوادث عام 1143 هـ
« ثم قفل السلطان من تادلاء فأقام بمكناسة مدة يسيرة وخرج غازيا بلاد السوس فقدمها ومهدّها
وعاد مؤيدا منصورا » .

اما سنة 1169 هـ فهي التي زار فيها سيدي محمد بن عبد الله القطر السوسي وجاس خلاله
ومهدّه ، ذهب اليه من مراكز التي ظل خليفة فيها لوالده المذكور من عام 1158 هـ الى ان خلفه على
العرش سنة 1171 هـ وكان من أعماله المظيمة بسوس ان القى القبض على الطالب صالح السوسي
المجاطي النائر في اكادير ، راجع التعليق 479 .

وقد اضطرنا الى ايراد ذلك ابتغاء توضيح ما اجمله المؤلف رحمه الله في ذينك الرقيمين
وكفاية القارئ الكريم مشقة البحث عنهما .

(471) يعنى بعام 1012 هـ تاريخ وفاة الملك العظيم احمد المنصور السعدي ، وبعام
1081 هـ السنة التي هدم فيها المولى الرشيد العلوي « ايلنج » .

نفسه من جديد ، فقد التهمت الحواضر بتنازع أولاد المولى اسمعيل تنازعا
غريبا بما يتخلله من الأعياب الجند البخارى الفاسد التأثير فيهم ، وربما كانت
الحالة أسوأ من عهد أولاد الذهبى » (472) .

لم نسمع قط باسم محمد بن موسى الذى ذكر عنه المؤرخ المشار اليه
أنه كان يحاول استرداد ايليج ، ولا ندرى أهو من أحفاد بودميعة نفسه أم من
أعياص أهله الكثيرين ، وقد ذكر ذلك المؤرخ انه حاول ذلك كما حاوله أولاده ،
كما أننا لا نعرف عن أولاده شيئا أيضا .

احمد بن محمد بن علي بودميعة

هذا أول من ثبتت قدمه فى ايليج الحديثة ، وهو جد الأسرة التى
أنشأت الرئاسة الجديدة ، هذا ما يقوله المعتنون بأخبارهم ، فينسبون اليه مراجعة
ايليج واثبات قدمه فى سكنها ، جاهلين ما ذكرناه عن محمد بن موسى وأولاده
المذكورين ، ولم نسمع ذكره منهم البتة ، ولا ندرى عن أحمد هذا شيئا ، الا
انه أول من افتتح حياة جديدة هناك ، ولم نعلم متقلبه ، ولا كيف حاول ذلك ،
ولا مقدار رياسته ، ولا متى مات ، غير اننا يمكن لنا أن نقول — ان صح ان والده
اصحر (473) بعد خراب ايليج القديمة — انه ولد بالصحراء ثم دب الى سوس
عند ضعف الدولة بعد موت المولى اسمعيل ، وقد يكون محمد بن موسى الذى
صرح به المؤرخ المذكور المعاصر له ، سقط دون محاولته ، كما قد يكون
سقط دونها أولاده أيضا ، فيبرز أحمد بن محمد الى الميدان فيتأتى له ان يرتكز
فى ايليج الحديثة ، ثم ان قول ذلك المؤرخ انه يقصد الامارة صريح واضح فى
أنه يقصد ان يبايع له كما بويع لأسلافه ، وربما كانت محاولته لذلك سبب
فشله ، لأن الناس ما كانوا لينسوا بعد عظمة المولى اسمعيل مع ما كانوا قاسوا

(472) راجع الحواشى 430 ، و 440 ، و 471 .

(473) توجه الى الصحراء .

من جراء ايلينغ القديمة امام زحف الرشيد ، وقد ارتكز في اذهان الجيل الذي نشأ ما بين سنتي 1081 و 1143 هـ (474) ان العرش المغربي قد استقر بيد الاشراف العلويين الذين ظهروا بمظاهر دينية وشعبية استحوذوا بها على الأئمة ، واستحقوا بها ان لاينازعهم في الامارة العامة منازع ، ولكون الامارة ورجالها مقدسين في نظر السوسيين دائما ، يصعب ان يقبلوا الثورة عليهم من أى أحد مهما كان مبلغهم من الضعف عظيما ، وذلك هوديتهم (475) وان كان الجيليون منهم يمتنعون عن السلطة التي تاخذ بالعنف ، فكم مرة كانوا يناضلون جيوش سلطان من السلاطين في حين انهم ينادون باسمه ويعترفون به بالدعاء له عقب صلواتهم وفي خطب جمعهم ، وما ذلك الا لقداسة كل من استحوذ على العرش في أنظارهم ، لهذا يتراعى لنا ان ما كان يحاوله محمد بن موسى هو سبب فشله وفشل اولاده ، ولذلك لا يذكرون بأى ذكر ، مما يدل على ان محاولتهم لم تمش شبرا نحو مداها (476) .

(474) راجع الحاشية (471)

(475) قد تعرض المؤلف بالقصد عدة مرات لاثبات هذه الحقيقة في كتبه وكررها عدة مرات في هذا الكتاب . راجع التلميح 64

(476) علق المؤلف هنا بقوله : « قد يقول قائل ان اتباع السوسيين الجنوبيين من ايت بمران والاحصاص ومن اليهم للثائر محمد المكاوي سنة 1168 هـ يضمف هذا التعليل ، ولكننا نقول ان الجزوليين لم يذكروا في هذه الثورة الا تبعا ، وانما قولنا فيهم الآن ، وهم الذين في وسطهم ايلينغ ، واما الثائر بوحلايس (1207 هـ) فان الجزوليين هم الذين قتلوه » .
ومحمد المكاوي هذا (والقياس العربي المكي) ورد على القطر السوسي وادعى المهدوية ، وكان ذا علم اغتر به كثير من العلماء حتى الامام الحضيكي لكنه فر عنه لما اكتشف رغبته في الملك ، يبحث عن الكنوز الدفينة ليتقوى بها على امره ، وافتتن الناس به كثيرا ، تبعته قبائل الاحصاص وايت باعمران ومجاط ووادنون وتازروالت ، فانحدر الى تيزنيت ومنها اتجه الى تارودانت ولكن عامل السلطان بها المولى سرور لاقاه في هشتوكه فاصابت الثائر رصاصة في رأسه حمله اتياعه بعدها فمات في ايدغ باولاد جرار حول تيزنيت يوم السبت خامس محرم 1169 هـ راجع أوائل الجزء 14 من المصنوع .

واما بوحلايس وهو الاكاف ، - يقول اهل ناحية تيزنيت احلايس ، ويقول اهل ناحية تارودانت احلاس ، واصله المجلس العربية لملازمته ظهور الدواب - فهو مجهول ظهر سنة 1207 هـ في قرية تاسريرت بايت باعمران ، يدعى حينئذ انه المهدى المنتظر ، وحينئذ انه المولى اليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله ، كان يركب برذونا ملا اكافه (بردعته) بقراطيس فيها رموز سحرية ، تبعه

واما احمد بن محمد جد ال ايليخ الحاليين ، وكذلك من بعده من اولاده، فلم يظهر احد منهم فى الملا العام بهذا المظهر الخاص ولا نودى به كأمير يحاول ان يرد ايليخ الحديثة كايليخ القديمة تستحوذ على البيعة الشرعية من الأمة ، وسيرى القارئ فيما بعد ما يحقق له ما قلنا تحقيقا بينا ، وكل ما يؤملونه ان يكون لهم مركز يتوصلون به الى أغراضهم الشخصية لا غير ، وقد قنعوا برئاسة اخوانهم ال الشيخ وقنعوا ان يوصف أحدهم بـ (أمغار) (477) غير حالم بأن يوصف بسلطان ، أو غير معلن لذلك على الأقل ، ومن هنا ندرك السبب الذى تمكن به احمد بن محمد ابن بودميعة من استرجاع السكنى فى ايليخ ، ثم أورث رئاسة القبلية أولاده .

ان القاء نظرة عجيلى على ما نشأ بعد الفترة التى ذكر فيها عن محمد بن موسى ما ذكر من محاولته الخروج الى الميدان كأمير جديد يستعيد ما كان لأسلافه ، كاف فى ان ما فشل فيه ابن موسى — على ما أوضحناه مما عسى ان يكون سبب فشله — لا يتأتى لأحمد بن محمد ان جاء بعده أو عاصره ان يمد اليه عنقه أو يستميل فكرته، فان الجنوب — مراكش فما وراءها — قد ظهر بمظهر آخر جديد استردت فيه الحكومة قوتها منذ تولى ولى العهد المولى محمد بن عبد الله باذن الأمير والده المولى عبد الله بن اسماعيل على ادارة تلك الجهة ، وذلك فى

كثير من العامة مترين به ، وتسلب على العلماء وحيلة القراءة فقتل منهم كثيرا خوفا ان يفضحوه ، كما تسلط على اليهود مظاهرا بكرامتهم وغرضه ابتزاز أموالهم ، وكان يخلط قتل الغريقين فى الدفن ، فقيض الله بعض علماء سوس انتصروا لتأليب الناس عليه بالنشرات الكتابية والخطب الوطعية فى الأسواق والتجمعات هما العلامة على بن ابراهيم الادوزى المتوفى فى رجب 1207 هـ ثم الوعظية محمد بن احمد التاساكاتى فاجتمعت لهذا الأخير نحو 12 الفا وجههم لملاقاة جموع هذا الساحر بوحلايس حول تيزنيت فقتل فى رجب 1207 هـ ، ووجد دميما قبيل الخلفة قصيرا كثير الشعر ، راجع خامس المسؤول .

(477) معنى امغار فى اصل اللغة الشلحية هو الكبير ، او ما كان يطلق عليه العرب سيد بنى فلان ، وخصصها الاستعمال الآن بمثل ما تستعمل فيه كلمة الشيخ اى الرتبة التى تاتى اسفل من رتبة القائد .

سنوات 1160 هـ (478). وسرعان ما صفا له كل الحوز الى اسفى الى حاحة، وفي 1169 هـ
أعمل ركا به بقوة هائلة فجال فى سوس ، وأوقع بالطالب صالح (479) المستبد
بمرفا اكادير خوفا ان ينتشر أمره فيكون كالثائر المكاوى الذى ثار آخر عام

(478) السنة التى تولى فيها سيدى محمد بن عبد الله الخلافة عن والده بمراكش فى سنة 1158
كما صرح به الضعيف الرباطى فى تاريخه والمولى عبد الرحمان بن زيدان فى (اتحافه) وكان والده
السلطان نازلا اذ ذاك على قسبة ابن زغرون ببلاد مسفيوة يطارد اخاه المولى المستضى ، وهناك
اصابت سيدى محمد رصاصة مسفيوية ، فقال لهم المستضى : اما ذلك « يشير » - يعنى صبي - فهلا
اصبتم اياه . وهناك وفد عليه اهل مراكش يطلبون منه ان يخلف عليهم ولده هذا وعمره اذ ذاك
خمس وعشرون سنة فقال لهم : « هو سيدى وسيدكم وهو الخليفة عليكم » فقدم معهم مراكش ،
وصدق فيه ظن والده اذ اراحه الله به وأراح المغرب من الفتن ، تقدمت الاشارة الى ترجمته الحافلة
فى التمليق 271 من صفحة 100 .

اما المؤلف رحمه الله فله واسع العذر اذا لم يمين السنة لانه كان اذ ذاك فى منفاه الاول
السحق بسوس حيث تعوزه المراجع التى تركها بمراكش ، كما يند منه الفينة بعد الفينة اثناء هذا
الكتاب وغيره ، فادى رحمه الله الامانة العلمية بذلك الاجمال فى قوله « سنوات 1160 هـ » وتقصى
من المسؤولية .

(479) قد غضى على اولا امر الطالب صالح هذا فلم اجد عند مدقق المؤرخين لهذا العصر وهو
الضعيف الرباطى اكثر من كونه مجاطيا وانه استبد بمستفاد مرسى اكادير وانه وضع طابعه على
الاسلحة الجيدة هناك كالخنجر والبندقية والسيوف ، وان السلطان المولى محمد بن عبد الله كاتبه
من مراكش ايام خلافته بها ليدخل مع الجماعة فاعللك له فى الجواب فاستعمل معه الحيلة بالمكاتبه
والمهاداة والاستشارة فى الشؤون السوسية فاعتر بذلك وكتب اليه الخليفة المذكور بعزمه على
تأديب احدى القبائل المجاورة لأكادير فلما وصلها وجه عشرة فرسان للقبض عليه فوجدوه على بغلته
فى احد الاسواق يطوف على الناس فانقضوا عليه ، فلما كان فى السجن طلب ان يدس اليه اولاده
موسى فى خبزة فانتحر بها ، وذلك سنة 1169 هـ .

وشبه ذلك هو الذى عند صاحب « الجيش المرمم » وعند المولى عبد الرحمان بن زيدان فى
« الاتحاف » وبعضه عند صاحب الاستقصاء . اما اسمه ونسبه فلم يصرح عليه اى واحد منهم ، بل
يكتفون بتسميته بالطالب صالح المجاطى ، وما ذاك الا لانهم بعيدون عن سوس وانما يطلقهم طنين
اخباره فيكتبونها كما سمعوها ولا يدققونها كما يدققون اخبار بلادهم .

وبعد طول البحث ظفرنا عند المؤلف الاستاذ المختار السوسى رحمه الله فى صفحة 85 من
رابع كتابه « خلال جزولة » ما نصه :

« والطالب صالح اعتقله السلطان المذكور عام 1169 هـ ، ثم انتحر فى السجن بمدينة دست
له فى خبزة ، وللشلمحين فن قصته واعتقاله وفى انتحاره قصيدة طويلة سمعتها تنشد ، ووجدت فى
تاريخ السيرة لصاحبنا سيدى محمد المراكشى ما نصه :

« الطالب صالح بن محمد بن بهيى السوسى ثم الحاحى شقيق القائد عبد الملك الفقيه باشا
السيرة وكان ابوهما الشيخ محمد نشأ بقبيلة اولوز صاعقة من الصواعق يقتل ويغير وينهب فاعذر
دمه فى عنفوان شبابه ، ففر الى حاحة واستوطن فى بنى زلفن وتاهل وبعد مدة سعى شبحا ثم فى
ايام السلطان المولى اسمعيل ولاء عمالة حاحة وبعض القبائل السوسية فكان له من الاولاد نحو

II68هـ . من بعمرانة ثم فتك به المولى (480) سرور فى محرم من سنة II69هـ . ثم انتظمت الأمور من ذلك العهد الى ان انقضى القرن الثانى عشر ، ففى هذا العهد روجعت سكنى ايلخ . فكيف يمكن ان يتم لمحمد بن موسى ما يحاوله ، فان كان بدا له منه بصيص من الأمل ما بين II52هـ . وبين II60هـ . فلا يلبث ان يذهب أمره هباء منثورا تذرره الرياح ، وكيف يمكن ان يحاول احمد بن محمد ذلك بعد ما يعاين من ابن موسى والثائر المكاوى عدم تمام أمرهما ، ولهذا يتأتى لنا ان نقول ان احمد لم يكن ليتطلب شيئا اذ ذلك ، وغاية ما يجعله بين عينيه ان يحاول السكنى فى دار أهله والاستقرار حتى يمكن له ان يأمن على حياته التسي لا تكون ءامنة ولا هادئة فى الغربة التى يتقلقل فيها ، ثم بعد ان يسكن يستميل اليه اخوانه ابناء الشيخ ليتمكن من قيادهم ، ولا تعلق يده منهم يد ، ولا بد وان ذلك بتدرج تقتضيه طبيعة الحال .

ولا باس ان نورد هنا حكاية متداولة على الألسنة ، فربما نجد بعض شىء يتصور به هذا الموضوع ، فقد يكون فى القصص حقائق لا يستهان بها ، أو هى على الأقل مقنعة ان لم يوجد غيرها « فان لم تجدوا ماء فتييموا » .

اربعين ، استخلف منهم فى حياته ولده القائد عبد الملك فيما كان عليه ، وبعد وفاة السلطان استولى الطالب صالح على المدخولات المخزنية وكان شديد الشوكة مهيبا ذائع الصيت ثم دعا شقيقه عبد الملك لنسق المصافح فامتنع فجمع الطالب صالح جموعه وحاصر شقيقه فى اكادير الى ان فر منه القائد عبد الملك والتجأ الى الاعتاب الشريفة واستولى الطالب صالح على اكادير الى ان قتل فيه شر قتلة ، فجمع السلطان سيدى محمد بن عبد الله لاخته عبد الملك عمالة سوس وحظى عنده وعند الملوك بعده حظوة جليلة .

اما الفرسان الذين استعان بهم السلطان سيدى محمد بن عبد الله فهم من ادا وتانان هناك ، وليراجع القارىء عن بعض اخبار آل بيهى بن مولود هؤلاء تعليقا ءاتيا من هذا الكتاب ، وباب « دخول السويرة واعمالها فى طاعة المولى سليمان » من رابع الاستقصاء . وعد المؤلف فى اواخر عاشر « المعمول » آل بيهى بن مولود هؤلاء من الشرفاء الادارسة . ويوجد مثل ما ذكره المؤلف رحمه الله عن الطالب صالح فى كتاب « ايقاظ السريرة الى تاريخ السويرة » للفقهاء سيدى محمد بن سعيد الصديقى العدل بالدار البيضاء ، وربما كان هو الذى يعنيه المؤلف بسيدى محمد المراكشى .

(480) تقدم ذلك فى التعليق 476 .

يقولون انه كانت حروب متواصلة اذ ذاك بين بعقيلة ومجاط ، نسّم
اتفق ان اندحرت (481) مجاط وسقطت أمام بعقيلة، فوظفت عليها هذه وظيفة سنوية
يؤديها المجاطيون وهم صاغرون . وكان أمغار (482) على بن باها - الذي تضاف
اليه قرية أد على أباه من ايت على بمجاط - من رؤساء القبيلة ، فأصعد الى
تامانارت ليمتار لأهله تمرا ، فصادف هناك في ملعب للشباب تنديدا
بمجات واحتقارا لهم حين رضوا بالدنية ، فنار ثأره فخرج من غير ان يمتار
شيئا وقد عول على المقاومة ، فمر بأحمد (483) بن على بن احمد بن عبد الله بن
سعيد ، رئيس الزاوية الاليفية ، فحكى له ما جرى وطلب منه الدعاء أن يوفق ،
فدله هذا على أن لا يقدم على شيء حتى يستشير رئيس ايليخ ، وكانت ايليخ
كندوة عامة للقبائل التي تجاورها ، خصوصا جزولة ، فأتبعه أمغار على بن
بها فمثل في ايليخ فحكى أمره لرئيسها وأسر اليه ما
عول عليه ، فقال له الرئيس اننى مشير عليك بعد ما استنصحتنى بالحيلة ،
فرب حيلة ، أنفع من قبيلة ، فالتريث فى أمثال هذه الأمور أولى من المسارعة الى
المغامرة التى يشك فى عقباها . ثم قال له : اننى أرى ان تفاوض من تثق بهم من
أهلك ، فاذا جاء البعقيليون لأخذ المغرم المعتاد ، فاطلبوا منهم ان يؤجلوكم هذه
السنة ، وتطلبوا لذلك عذرا ، على انكم فى السنة القابلة تؤدون مغرم السنيتين،
فكان ذلك عين ما فعله أمغار على بن باها ، فقال البعقيليون سنرى رأينا ثم نرد
عليكم ما نبرمه ، فمالوا الى ايليخ ، لأنهم لا يبتون أمرا الا فيه ، فالتقوا الى الرئيس
ما قال المجاطيون، فقال لهم لا بأس، فقبول العذر خير من مصادمة لا تعرفون أ تكون

(481) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « فى هذا الوقت ، كما يظهر من اقوالهم ،
نهب البعقيليون اكادير من تنزرار ، ولا يزال طنينه يرن الى الآن » .

(482) علق عليه المؤلف يقول : « الجد لاعلى لامغار محمد وابنه القائد سعيد المجاطى » .

(483) علق عليه المؤلف بقوله : « تولى الزاوية بعد والده على بن احمد » ، توجد ترجمته
مع تفصيل هذا المجلد هنا فى صفحة 128 من الأول من المصنوع .

لكم ام عليكم ، فرجع البعقيليون فقال قائلهم (ان هذا أمر تدبر بليل) (484) ، وقد احكم بمشاورة ايليج ، قال الحاكي فكان ذلك سبب التفاقم ما بين بعقيلة وايليج أبد الآبدین ، ثم ان مجاط تنمرت لبعقيلة وتظاهرت بأن تأخير الاتاوة معناه انقطاع الذل ، والتحاكم الى شفار السيوف ، ثم حاول رجل (485) من انكيسا أن يفتك بمجاط صبيحة يوم ، وقد قاد اليهم بعقيلة كلها ، غير أن الكفة مالت فسقط من بعقيلة 280 قتيلًا ، الى آخر الحكاية ، ولا يزال فيها طول (486) .

هذا وأرى أن الاسراع الى عمارة ايليج يكون على يد شيعة تاكوزولت ضد تاحوكات ، وقد كان البعقيليون من حزب تاكوزولت اذ ذاك ، ثم لم يلتحقوا بحزب تاحوكات الا بعد المفاقمة مع ايليج التي تبدأ بعد هذه الواقعة التي ذكرناها .

اننا نعلم ان احمد بن علي الالفي لا يزال حيا سنة 1152 هـ . (487) فلئن صحت تلك الحكاية فانها لتدل على انها وقعت في عهد احمد بن محمد بن بودميعة ، لأنه هو الذي يمكن ان يعاصر احمد بن علي المذكور ، فتدل الحكاية على أن له مركزا ساميا في القبائل المجاورة لايليج ، وهذا مقصودنا مما روينا .

(484) « هذا امر تدبر بليل » قاله أبو جهل في دار الندوة حين صبحته مفاجأة اتفاق طائفة من فريش على قطع صحيفتهم التي سجلوا فيها مقاطعة بني هاشم حتى يكفوا عن حماية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصار مثلا يضرب لكل امر احكم ابرامه سلفا .

(485) علق المؤلف على ما هنا يقول : « يذكرونه بلقب برم » بتسكين الاحرف الثلاثة مع تشديد الراء ، ولكنه في صفحة 129 من الاول من الممسول « برم » بالزاي وهو خطأ مطبعي لأن هذا الذي ننقل منه نحن هو خط المؤلف وهو فيه بالراء ومشكول كذلك .

(486) علق المؤلف هنا يقول : « زعم الرواة ان الحكاية بتفاصيلها مكتوبة عند بعض الناس » ، راجع ذلك ابتداء من صفحة 128 من الجزء الاول من الممسول .

(487) علق المؤلف هنا بقوله : « بدليل ظهير من المولى عبد الله يتعلق بتحرير ال عبد الله ابن سميد ، وقد ارخ بهذه السنة وفيه ذكر احمد هذا ، وهذه نسبة الى الخ الذي هو بلد المؤلف لا الى ايليج الذي هو عاصمة بودميعة ، ومن أهل هذه الزاوية ينحدر مؤلف هذا الكتاب رحمه الله

يحيى بن أحمد

هو الذى ولى والده فى الرئاسة ، وقد قيل انه أول من وطد مركز ايليغ الحديثة ، وفى بعض الأقوال انه أول من راجع سكنى ايليغ ، فيضطرب القول فى ذلك على ما يتبادر الى ذهن القارئ ، ولكن الصحيح أن أول من راجع ايليغ منهم هو أحمد لأننى وجدته بخط محمد بن أحمد التمنارى فى كناشة له (488)، وهو من المعتنين المطلعين على أحوال ايليغ الحديثة ، فلا يمكن ان يقدم قول غيره ، وان كان ذلك الغير بعض الايليغيين انفسهم الذين قد يتردد كلامهم فى ذلك .

ثم ان حياة يحيى ومحاولاته وأخباره لم نتوصل منها بشيء ، غير ان بعض الأسمار تحدث بأن وقته الذى قضاه بعد والده قصير .

على بن يحيى

ما حاله عندنا الا كحال أبيه وجده ، ولم نعرف عنه الآن ما يمكن ان نقوله ، فقد غاب له عندنا كل شيء وصارت حياته صفرا لا نقدر ان نجد منها ما نقول ، الا اننى أظنه توفى قبل عام 1210 هـ .

هاشم بن على

ولد قبل 1180 هـ . فيما يستنتج من الأخبار التى تقول ان له اكثر من ستين سنة يوم قتل سنة 1240 هـ ، وهو أول من توصلنا عنه فى ايليغ الحديثة بما يستحق الذكر ، ويمكن ان يتلقى كتاريخ مسلم .

لم ندر متى مات والده على ، فنذكر مبدأ حياته العظيمة ، غير انه حوالى 1220 هـ نال منالا عظيما ، وقد كانت ايليغ فى حياته مركز النحلة الجزولية تاكوزولت ، فكان قطب سياستها ومناوأتها للنحلة الحربية تاحوكسات ،

وينبغي لنا ان نقف هنا حتى نلقى نظرة على هاتين النحلتين اللتين افترقا بينهما القطر السوسى على اتساعه من وادى نون الى درعة .

تاكوزولت وتاحوكات

كانت جزولة أحد أفخاذ البربر القديمة ، وقد عرفت بهذا الاسم من قديم جدا ، وكانت كل هذه الجبال التى نسميها اداولتيت اليوم مواطنها الى ايت بعمران التى تسمى مواطنهم قديما ببلاد لمطة ، وهى من الجزولين ، وقد ذكرت هذه البلاد فى التاريخ ببلاد جزولة ، أعنى جبال ولتيتة ، وذلك فى أواسط القرن الخامس 445 هـ حين دخل اللمتونيون الى سوس ، فكل من كان فى هذا الفخذ الجزولى فهو جزولى .

أما حربيل فقد ورد ما يدل على انهم جاءوا من المشرق قبل الاسلام ، ولكن يظهر ان ذلك ليس بشئ ، لأن لسانهم الذى تملأت عليه قبائلهم يحكم بأنهم أفخاذ من البربر ، ولا يمكن فى الوقت الحاضر تحقيق الموضوع تحقيقا علميا ، فقد رأيت من نقل عن المسعودى فى مروج الذهب أن حربيل من قبيلة جالوت الفلسطينية ، كما لابد ان يكون عند ابن خلدون ما يلحق ضوءا على الموضوع ، ولكونى فى هذا الوقت لا يمكن لى ان اتصل بهذين الكتابين ، فلنترك تحقيق أمرهم لمن يتفرغ له ممن تكون له حرية العمل (489) ، وانما الذى يهمنا

489) وجدنا المسعودى فى « مروج الذهب » يحيل كثيرا فى اخبار البربر على كتاب « آخر مطول كان هو أول ما ألفه فى هذا الباب ويسميه « أخبار الزمان » وهو مفقود فيما نعلم ، وبالخزانة العامة بالرباط جزء منه مخطوط تحت رقم D 1018 ليس فيه ما نريد وذكر انه اتبعه بكتاب « آخر مختصر منه يسميه « الأوسط » . أما (مروج الذهب) الذى أحال عليه المؤلف هنا فهو مختصر منهما ، وهو موجود ، ومع اختصاره فوائده كثيرة وإن كان بينها ما زيفه الإطلاع العصرى ، ومن فوائده على الجاحظ فى كتابه « الحيوان » ، فرغ من تأليفه سنة 336 هـ .

وكرر فيه ان البرابرة كانوا يسكنون الشام التى من جملتها فلسطين ، وإن جالوت كان ملكا لهم ، وليس باسم قبيلة منهم ، وقد ذكر فى أواسط الكتاب فى الباب الذى عنوانه : « ذكر البوادرى من العرب وغيرهم من الامم وعلة سكنائها البدو وجمل من اخبار العرب وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى » ، ما نصه : « وقد ذكرنا أن أرض البربر كانت خاصة أرض فلسطين من بلاد الشام وإن ملكهم جالوت ، وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم ، الى ان قتل داود عليه الصلاة والسلام ملكهم

هو ان ندرك الوقت الذى اصطدمت فيه هذه القبائل الحربيلية والجزولية ، فان تاحوكات كما يتراى لى توهما ، كناية عن الحربيلية ، وقد اشتهرت هذه المشاققة من عهد بعيد ، فتمكنت بينهما العداوة المتأصلة التى انقسمت بينهما بسببها جهات سوس الى درعة شق الابلمة (490) ، وان كانوا فى كل جهة يطلقون على كل من القسمين اسما خاصا اخر ، ففى سوس الجنوبية يقولون تاكوزولت وتاحوكات ، وفى سوس الوسطى يقولون تاكوزولت وتاسكتيت ، وفى درعة يقولون محبوب وملول والمقصود واحد .

كانت جزولة كما ترى قديمة فى هذه الجبال ، ففى أى وقت ياتسرى دخلت عليها هذه القبائل الأخرى ؟ سمعت بعض المطلعين يقولون ان حربيل دخلت سوس من الصحراء وهى من بقية قبائل لمتونة وكدالة ، وان ذلك كان بعد الطاعون الجارف سنة 749 هـ . فخلا كثير من جوانب سوس ، فقصدتها هذه

جالوت فلم يتملك عليهم بعده ملك ، وانهم انتهوا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بلونيه فانتشروا هناك فنزل منهم زنانة ومعولة وضريسة الجبال من تلك الديار ووطن الاودية ونزلوا ارض برقة ونزلت هواره ارض اياس وهى بلاد طرابلس الغرب الى الثلاث المدن ، وقد كانت هذه الديار للافرنجة والروم فانجلوا عن البربر حين اوطنوا ارضهم الى جزائر البحر الرومى - يعنى به الأبيض المتوسط - فيسكن الاكثر منهم جزيرة صقلية وتفرقت البرابر ببلاد افريقية واقاصى ديار المغرب فى نحو من مسافة الفى ميل من بلاد القيروان وتراجعت الروم والافرنجة الى مدنهم وذلك على موادة وصلح من البربر ، واختارت البربر سكنى الجبال والاودية والرمال والدعاس اطراف البرارى والقفار » ، ومثل ذلك هو الذى فى ابن خلدون .

وكان قد ذكر قبل ذلك بسطور نحو ثلاثين قبيلة من قبائل البربر كهواره وكثامة ومصودة ولمطة ونفزة ، اما حربيل هذه فلم يتعرض لها ، ان كان هذا هو الموضع الذى ينبغى تطلبها فيه . وكيفما كان الحال فان هذا الموضوع ما يزال غامضا ، وقد فتح لنا المسعودى هنا عالما اخر يجب ان نجوس خلاله وهو كون العنصر البربرى هاجم العنصر الفرنجى وازاحه عن اراضى شمالى افريقية ، كما يجب اكتشاف متى كان ذلك ومتى تكونت هذه اللغات البربرية التى نرى اسماءها فى الاراضى والنبات والحيوان والاشياء الأخرى اقدم من التاريخ ، وفى ضاحية مراکش حربيل أخرى لا ندرى أمى الاصل أم الفرع .

ومع ثقتنا بالمؤلف وجدية الموضوع فما نرى قضية حربيل هذه الا من مناقضات تاحوكات وتاكوزلت ومشاققتها اراد خصوم حربيل أن يحقروهم فجعلوهم من قبيلة جالوت ، والله اعلم . 490) الابلمة بضم الهزة واللام وفتحهما وكسرهما خوصة المقل بضم الميم اى ورقة الدوم ، يقولون المال أو الامر بيننا شق الابلمة لأنها تشق طولاً على السواء ، وكثيراً ما يستعمل العلامة صاحب الاستقصاء رحمه الله هذا التعبير ، وهو من العبارات المتناسية شيئا فشيئا .

فنزلت فيها ، فكانت محاككتها للقبائل المتوطنة فيها هي السبب في المناضلات الدائمة بينهما ، فالجزوليون يعتبرون الحربليين دخلاء فيحتقرونهم لذلك ، والآخرين يدافعون عن أنفسهم ليتمكنوا في المواطن الجديدة ، ثم بعد ذلك تمكنت النحلتان فالفت القبائل ان ينتظم بعضها في جانب ، وينتظم البعض الآخر في الجانب الآخر ، حتى أدى الحال الى ان كل قبيلة لا تحب أخرى بل تحالف من كانوا ضدها . وتنتظم في الجانب الذي يضاد ما هي فيه ، فهذا هو سر كون البعقيليين من تاحوكات مع ان بعقيلة من الجزوليين. كما ان مجاط التي ليست من الجزوليين وانما احتلت بلاد حرييلة قهرا وتمازجت مع كثيرين من الحربليين قد اعتنقت نحلة تاكوزولت ، وهناك قبائل أخرى سارت مثل هذا السير .

هذا ما قاله ذلك المطلع ، ولا نقدر نحن ان نثبت ذلك على ما علل به أصل تكون النحلتين ، كما لا نقدر ان ننفيه ، و ان كان ما قاله غير بعيد ، وقد أدركناه تين النحلتين لا تزالان قويتين ، ولم يخفت صوتهما الا منذ نحو اربعين سنة فقط ، فلا تكاد تمس قبيلة بحق او بغير حق ، حتى يشور كل من اعتنق نحلتها ليدافع عنها ، وكانت مراكز تاكوزولت في ايليج وفي تامانارت وفي اكليميم، وعلى كواهل هذه النحلة ارتفعت رئاسة ايليج الحديثة وظهر شأنها.

عرك مجاط

كانت مجاط دائما عيبة وكرشها (49I) وقوتها التي تحارب بها ، اتصفت مجاط بذلك من قديم ، ولعل لتلك المناصرة التي ذكرنا من قبل ضد البعقيليين يدا في ذلك ، كما اتصفت بعقيلة بضد هذا ، فلم تفتأ تناوى ايليج دائما ، الا متى هبت ريحهما معا ، وقد ذكر ان السبب في ذلك ما ذكرناه قبل

(49I) العيبة بالفتح الوعاء تصان فيه الثياب والكرش معروفة ويتخذونها وعاء للطيب وصوانا له ، ويقولون فلان عيبة فلان وكرشه اى خاص به مخالط له مطلع على خفايا اموره .

من اخذ ايلنج بيد مجاط ، ولامر ما لم نطلع على كنهه ، وقع الانشقاق بين ايلنج ومجاط ، فكان ذلك سببا في اتصال ايلنج بأعداء مجاط الالءاء من البعقلين ، فزحفوا الى مجاط جميعا ، فاندحر المجاطيون ، فعول البعقليون على اجتياح اموالهم وهدم ديارهم ، وقد كانوا جعلوا ذلك شرطا لايلنج فى معاونتها ، فسرى بمضى رؤساء مجاط ليلا الى الهاشمى وقد نزل هناك ، فقدم له طاعة مجاط ، وقال له اترىء ان تقطع يديك بتشتيت مجاط الذين كانوا انصارك دائما ؟ فكل ما تريءه يعطونه لك ، فقلب الهاشم ظهر المجن للبعقلين ، فنعمهم من اءراك املهم فى نهب مجاط ، وقال لهم ان مثل هذه القبيلة لا يفرط فيها ، وانما يوحد منها ما يوخذ ثم يبقى عليها ، فوظف عليها الاتباءات الكثيرة كما يشاء ، ولم يفلت منهم احد ، حتى ان المرابطين فى اكاءير ايزرى نالهم منه شرر مستطير ، نم لم تمض الا شهور حتى مات .

هاشم يحاصر تيزنيت

من الوقائع المحفوظة عن حياة هاشم بن على انه كان حاصر تيزنيت وقد اخذ منه الحنق عليها كل ماخذ ، وهى لم يستدر بها اء ذاك الا سياج قصير من الطوب كالىى يستدير بالبساتين عادة ، فحاول بكل ما فى امكانه ان يتغلب عليها ، وقد حلف ان لا يحلق رأسه حتى يبله بماء عينها ، ولكنه بعد ان بالسغ فى المطاولة والحصار ما بالغ لم يتمكن من نيل اربه ، وقد دافع التيزنيتيون دفاعا مجيدا ، وقد قام كل واحد فى الدفاع بما يناسبه اء حتى رجال التصوف ممن اهلها قاموا بالقوة الاءبية ، كمحمد واعزيز (*) الذى قاوم بقوة روحية يبتها فى امثاله - فى حكاية يحكونها - وبعد ان ايس هاشم من نهب تيزنيت ، جرت المخابرة فى الصلح فتطلب لتبرير قسمه ان يءخل حتى يحلق رأسه ، فابوا عليه ذلك كل الاءاء ، وقالوا له نخرج لك الماء فءبل رأسك ، فلم يءد مندوحة لغير ذلك ، وقد وقفت على انه حاصرها سنة 1226 هـ . . و سنة 1236 هـ وسنة 1240 هـ . . ففى ايها يا ترى وقع هذا كله .

(*) راجعه فى صفحة 93 من الجزء 12 من المسول . فهناك الحكاية .

فراره امام محمد بن يحيى أغناج

تمكن القائد عبد المالك بن بيهي بن مولود (492) الحاحي في تارودانت بإذن من المولى سليمان ، ثم أرسل خليفته (493) محمد بن يحيى أغناج ، فاستدار من جهة تيزنيت فصعد الى ايليج في عين الطريق التي سلكها اليها المولى الرشيد ، فنزل اليها من ايفير ملولن ، فأجفل أمامه هاشم خائفا يترقب ، وذلك سنة 1224 هـ . فنزل أغناج بجيشه في ايليج والابان ابان ادراك الزرع فأتى على كل ذلك علقا لخيله ، فحط هاشم رحله في قرية اسكاور العليا ، في دار رجل يسمى احمد بن صالح ن اد عيسى (494) ، وقد أرسل كل أنقاله الى الجبال من سملالة ،

(492) علق المؤلف هنا بقوله : « ال بيهي بن مولود اسرة شريفة النسب من احماد سليمان دفين آباينو بايت باعمران - راجع التعليق رقم 51 - نزلت الى حاحة فتأتي لبهيه ابن مولود ان يتولى من قبل المولى محمد بن عبد الله ، ثم خلفه ولده عبد الملك فكان له شأن عظيم من قبل موت المولى محمد المذكور ، ثم امتدت ايامه هناك بقوة حافلة ، ثم خلفه ابنه الحاج عبد الله الى ان مات في سجن الحكومة اواخر عام 1284 هـ ، ثم ولده محمد اممدور - ومعناها في الشلحية الاحق - فتخربت دارهم في ازغار بحاحة بثورة الحاحيين مع المتوكلين عليهم ، ثم سكن محمد في الحمراء حتى مات بعد 1314 هـ » .

ومقتضى ما نقلناه في التعليق 479 ان مولاى اسميل هو الذى ولي بيهي بن مولود واما ايام سيدى محمد بن عبد الله فقد وجدت بيهي هذا قد مات وخلفه ولده الطالب صالح وعبد الملك ، فنار الأول وقمعه المولى محمد بن عبد الله كما تقدم هناك .

ونضيف هنا ان القائد عبد الملك هذا كان من اساتذة القراءات ، ولا يترك قراءة الحزب الراتب مع الجماعة حيثما كان ، وقد ازيغ عن عمالة الصويرة وبقي على عمالة سوس كله الى ان مات في بوتازارت بحاحة عن سن تفوق المائة واقبر بقبة سيدى احمد بن حامد ثم ورد أمر السلطان ينقله الى مشهد سيدى مكحول بالصويرة فدفن فيه امام المحراب .

اما ولده الحاج عبد الله فقد ولد بالصويرة وحفظ القرآن في صغره ببعض فرائده ، وكان أسود البشرة حتى كان من ورد عليه يخاله عبدا للقايد لا القائد نفسه ، ورت عمل والده وجاهه ، وكان كثير البر والصدقات حج ثلاث مرات في ثلاث سنين متوالية غابها كلها هناك وصحب كثيرا من الناس على نفقته ، وبسط الله عليه ، وهو الذى بنى قبة ابن العريف المتوفى عام 536 هـ بمراكش فلما مات اقبر بجانه ، وكان لا يفارق السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان ، واليه ينسب درب عبيد الله الذى بالمواسين بمراكش .

(493) علق المؤلف هنا يقول : « وباسم الخليفة يدعى ويكتب فيما يخطه للناس ، وقد رأينا اثرا من ذلك وهو من حاحة ، وقد بقي في هذه البلاد من عام 1224 هـ الى عام 1232 هـ . ولعله لم يبطئ بعد هذه السنة » ، ذلك ما علقه رحمه الله ، واضيف هنا ان اهل تارودانت يقولون ان السقايتين اللتين بقصبتها امام باب السجن من « اثار اغناج هذا ، واخباره في اجزاء » وخلال جزولة » الاربعة للمؤلف .

(494) تقرأ بكسر الهمزة وتسكين الدال أى ، ال عيسى .

ثم حارب البعقيليون أغناج عند منفتح الوادى ، وهاشم حاضر ، وقد حمل معه بارودا ورصاصا يمد به المقاتلين ، وفى أثناء الحرب أرسل أغناج فرقة من جيشه فطلعت فى ثنية ميني بقيادة بعض ال أنكيضا ، وقد خابر البعقيليين ولكن نفرهم منه كونه ألقى القبض على رئيس كبير من رؤسائهم وهو الشيخ أبو بكر جد ال أمازر المشهورين (495) الى العهد الاخير ، ثم ان أغناج اطلع جيشه كله فى ثنية ميني ، فاستولى بذلك على مجاط كلها، فجمعت المؤون والمفازم المخزنية ، فهرب هاشم من اسكاور ، فقبل انه ذهب الى الجبل فى سملالة وهو الظاهر ، وقيل انه فر الى وادى نون ، ثم ساق من هناك جيشا كثيفا الى اغناج ليحاربه فوجده قد دخل الى بلاد امانوز متوجها الى املن حيث تمادى الى ان نزل الى رأس الوادى بعد وقائع مشهورة ، وقد امتد حكمه الى سنة 1232 هـ كما رأيناه فى اثر وقعنا عليه ، ثم لما أمن هاشم رجع الى داره بايلينغ ، وقد استرد مركزه وظهر بمظهر القوى الفاتك الجامع للأموال .

بعض حكايات عنه

ذكر لى ثقة ان انسانا كان حدادا فى تاغلولو وكان متمولا ، فأرسل اليه هاشم هذا صحيفة عود (496) قائلا له بيضها لى بالفضة ، فجعل يتأمل ما عسى ان يكون مقصوده حتى اهتدى الى انه يريد منه ان يملأها له دراهم ، ففعل ذلك فذهب بها اليه ، فنشأ هناك مثل مضروب صار محفوظا بعد ذلك عند الناس ، وقد قاله ذلك الحداد لما تيقن انه طلب منه تبويض الصفحة وهو : « ايسلك ، ربى ، لقردير ، نم ، أتاكرا » .

(495) علق المؤلف هنا يقول : « هذه اسرة نزحت من آمانوز ، واماازر الذى ينسبون اليه ما يزال معروف بهذا الاسم فى ازربى بآمانوز ، وقد كانت فيهم الرياسة من القرن الثانى عشر وواخرهم الشيخ احمد الامازرى المقتول عام 1335 هـ » .

(496) الصفحة : القصعة ، والمقصود هنا شئ من عود ككوز يشبهها ، وذلك هو المقصود ايضا بكلمة تاكرا - بكاف معقودة مسكنة - الآتية ، ومعنى الكلمات الشلحية الآتية : فليحفظ الله قصديرك ايها القصيعة : لان الحداد انذعر لما ارسل اليه هذا الجبار بما ارسل به . وكلمة نم بتسكين النون والميم وتشديد الاولى ، تؤدى وظيفة الكاف المضاف اليه قصدير .

وذكر آخر عن ثقة انه أخبره من يعرف هاشم ، فقال له انه لا يعدو في لباسه قميصا غليظا من الصوف ، وانه معنى بالابل والحيوانات يكسبها ويزاول خدمتها بيده ، قال وربما يقوم الى وضع القطر ان على الابل الدبرة بيده حتى يتلطخ كله بالقطران .

وذكر آخر انه كان متواضعا في نفسه لا يرى لها مزية ، وانه يخالط العامة ولا يترفع بنفسه عنهم ، ولا يوجد ايام الموسم يتازروا وغالبا الا في سوق الابل .

وذكر آخر انه سمع بأن امرأة في توماناار عندها حلي نفيس غال فارسل اليها يهوديا من سكان أيلينغ وأمره أن يأتي من عندها بكل ما تملكه من الحلي ، فسلبها من كل شيء الا من سوار استعصى اخراجه من يدها بعد معاناته ، فبرد بالمبرد ، فصارت المرأة تبكي على سوارها العزيز حين رآته يبرد ، فقال لها اليهودي ان أبيت قطعه فلتقطع يدك نفسها ، فكانت هذه الفعلة المشنوءة سبب هلاك هاشم .

الفتك به

كان زوج تلك المرأة يسمى أمحمود ، وهو من آل تاكارزت أبناء على ابن الحسين ، وهم من أصحاب الشهامة ، فلم يجد في نفسه صبورا امام هذه الفعلة البالغة النهاية في الاهانة ، فالمرأة هي شرف الانسان ، وحيث بلغت الاهانة ان يأتي اليها يهودي يسلبها مالها ويمس يدها فلتسقط السماء على الارض ، فالموت ولا الهوان ، وكان أمحمود مشهورا بالرماية لا تسقط له رصاصة . فاستعد لما ينويه أتم استعداد ، فهيا سلاحا ارتضاه ، واتخذ صاحبا له يسمى على بن سعيد التوماناري من غير أبناء الشيخ معيننا له عى تحقيق ما ينويه ، ثم عزم على ان يقوم بما ينويانه في الموسم .

فى صباح الجمعة ،آخر أيام الموسم ، ويكون فى شهر غشت دائما فوافق هذه المرة يوم 15 شعبان سنة 1240 هـ . ذهب أمحمود ورفيقه فزارا ضريح الشيخ احمد بن موسى ، وتوسلا به الى الله ان يعينهما فى الذى يقصدانه ، فانحدرا من المقبرة وقصدا سوق الابل حيث وجدا هاشم يدور بابل كأنه يريد شراءها ، فصمد له أمحمود وأفرغ فيه بندقيته ، فسقط هاشم ، فأجفل الناس وقامت الهيئة ، فجال الناس بعضهم فى بعض ، فنجأ أمحمود ورفيقه (497) بسبب ذلك ، فمر انمان من الحدادين من أهل قرية دوكادير بهاشم مجندلا فالقى عليه ثوبه ، وهكذا انتهت حياة هاشم .

عل بن هاشم

كان لهاشم اولاد يذكر منهم على والحسين وعبد الله وعيسى ، ولم تظهر الفائدة منهم فى غير على وشقيقه الحسين ، وهما من امرأة امانوزية تسمى باكة ، أبوها يسمى عبد النعيم ، كان يسكن فى ايلينغ فتزوج من عنده هاشم ، فخرج اولادها رجالا أى رجال ، ما دام الرجال يوزنون بالأعمال ، وعلى ابن هاشم له معارف يذكر بها واعتناء بالعلوم (498) ، وقد عرفنا علماء يتصلون به فيدرسون فى ايلينغ كمعبد الله البوشيكرى وبلقاسم بن محمد الاكمارى وغيرهما (499) وذكروا أنه كان شديد الوطأة أيبا قوى النفس طموحا الى المعالى ، مقامرا لنيل شرف جديد يضيفه الى ما كان مطوقا به ، وكل اعماله التى نعرفها عنه تدل على

(497) علق المؤلف هنا بقوله : « ويزاد من ذيول ذلك ان عليا قال لابد ان اتناول من الطعام الذى يصنع فى ماتمه ، فتفكر حتى أكل منه . ثم ان ابناء هاشم سربوا من يقتل لامحمود فى الذروة والغارب حتى امن جانبه فاخذ منه الثار .

(498) علق المؤلف هنا بقوله : « هكذا ذكر لى ثم ايدل بعد ذلك انه أمى كاخيه الحسين ، ومع ذلك ذكر عنه اعتناء باشتراء الكتب ، والكتب الموقوفة فى المدرسة من شرائه » .

(499) راجع ترجمة عبد الله البوشيكرى فى صفحة 143 من الجزء الحادى عشر من الممسول فان فيها اخبارا طريفة عن بلهه المزوج بالحنق والخياره . وراجع اخبار بلقاسم بن محمد الاكمارى فى صفحة 121 من نفس الجزء .

هذا على قلة ما نعرفه عنه الآن ، وهو الذى أحدث الأعوان والحجاب فى ايلينغ ، ولعل الحاكى يعنى انه اول من استكثر منهم اذ لا بد ان يكونوا قبله .

معركة تيفمي

ذكرنا أن البعقلين كانوا دائما ضد ايلينغ ، وفى كل فرصة يجدها أحد الفريقين يزحف فيها لخصمه ، وقد اشتهرت معركة تيفمي بذلك ، وليس عندنا تفاصيلها ولا الحامل عليها وكل ما عندنا أن حربا هائلة دارت هناك ، وكل القبائل الجنوبية من مجاط الى وادى نون كانت من شيعة على بن هاشم ، فبنى البعقليون سورا من الاحجار استتروا وراءه ، فاقتحمه عليهم الآخرون فهزمهم هزيمة شنيعة ، سقط فيها فى ساعة أكثر من مائة من البعقلين ، فشفت بذلك مجاط غيظها منهم ، ولم ينسوا بعد ما ذاقوا قبل ذلك بسنوات يوم هزمهم البعقليون حين كان يناصرهم هاشم قبل موته بقليل ، والحرب سجال ، (وتلك الأيام ندولها بين الناس) ، وقد كان على بلغ أفلاووزور بعد أن نهب تيفمي كلها ، فقال اننا الآن بلغنا ما أردنا من القوم لما بلغنا فوق سطوحهم ، وكان معه البوعمرانيون وغيرهم ثم أنه بعد ذلك انهزم من أكال ملولن انهزاما شنيعا ، وقال قائل أن باعمرانيا كان يتحدث مع بعقل اذ ذاك ، فقال له ما دتمم انتم البعقلين لا تهتمون بالخييل فلا تطمعوا فى مقاومة ابن هاشم ، قال فكان ذلك سببا فى انهم اعتنوا بالخييل حتى كلفوا كل ذى بقله بشراء فرس لانه قادر عليه ، وكان فى وادى الاكمارين وحده ستون فارسا ، وعينوا جسد ال كردوس سعيد بن احمد (500) مقدما على الخيالة وملاحظا عاما فى القبيلة .

(500) علق المؤلف هنا بقوله : « هو اول ما يذكر من تلك الاسرة ثم ولده محمد وقد ظهر ظهورا عظيما فسام البعقلين ان يكونوا له رعية ، ثم ثاروا ضده فقتل فى حرب ، بعد ما اعانه الحسين بن هاشم ثم احمد ولده وامره ضليل ، وقد تأخرت وفاته الى ما بعد 1332 هـ ، ثم القائد سعيد بن احمد الحى الآن » -

معركة ادا ك اكمار (501)

لم تكن الحرب تهدأ بين على وبين البعقلين ، فكما يذكر الناس المعركة المتقدمة يذكرون هناك معركة اخرى لهذه القبيلة نفسها فى هذا المخرم العميق ، وقد اقتحمه عليهم جيش على فوصلت طلائعه الى المدرسة ، كما انحدر الآخرون من الشمال ، ثم انهزموا أخيرا فرجعت المياه الى مجاريها .

معركة المركوب

كما كانت المشادة دائمة مع جيران ايلخ فى الشمال من البعقلين كذلك دامت أيضا مع الجرارين جيرانها فى الغرب ، وكثيرا ما تقوم الممارك فى اغير ملولن جزرا ومدا ، لمحاولة كل فريق الاستحواذ عليه ، فلهذا السبب دارت هذه المعركة فوق ديار المركوب - فى بسيط صغير هناك - وقد استعد على كل الاستعداد وزاد بالحيل حتى انه امر يهود ايلخ ان يتحينوا وقت اشتداد المعركة فيخرجوا متجمعين والقصب على اكتافهم كالبنادق ليحسبهم العدو جيشا جديدا يمد ال ايلخ ، وقد نفذ اليهود الخطة كما هى ، ولكن لم يكادوا يتجاوزون وادى ايلخ حتى مالت كفة ايلخ فكان شىء آخر .

على يصاب

وفى اثناء المعركة والحرب قائمة ، وعلى يقبل ويدبر ، وكان صفة (502) مقداما لا يبالى كيف طارت نفسه اذا برصاصة تصيبه فى جبينه (503) فوق احدى عينيه ، فحمل جريحا الى ايلخ ، فانسحب اصحابه .

(501) اذا كلمة وحدها . وك بكاف معقودة مسكنة مشددة مع اشمام الضم كلمة وحدها . واكمار بالكاف المعقودة كلمة وحدها . فمضى اذا هو ال كما تفهم . والكاف المعقودة المسكنة المشددة تؤدى فى التلجية ما تؤديه ياء النسب فى العربية . واكار بكاف معقودة معناه الفرس فمضى اذا ك اكمار : ال الفرس .

(502) الصفة : الشجاع .

(503) علق المؤلف هنا يقول : وقال فائل ايضا انه اصيب فى كتفه وانه اهل .

هل غدرة احد اهله ؟

يقال ان بين علي وصنوه الحسين الذي نبغ من تحت ابطه كالغضب المصقول ، لشنائنا سريا لا يعلمه كثير من الناس ، فداخل الحسين أعرايا من الاعراب الساكنين حول ايلخ اذ ذاك بخيامهم يسمى ابن يحيا ان يفتك بأخيه علي حين يقوم قائم الحرب، فوفى له ابن يحيا بما وعد ، هذا ما يقال، ولكن ينبغي ان لا نسير كثيرا وراء ذلك ، لأنه انما يبنى مثله على الوهم ، والوهم يبعد عن الحقائق بعد السماء عن الأرض .

اشياء اخرى عن علي

كذلك قضى علي ما بين موت والده الى ان قتل سنة 1258 هـ ، ولم نعلم الآن تعيين اليوم من السنة ، ويذكر الذاكرون انه شديد القوى بهمة (504) لا يغلب ، وكان مهتما بتنفيذ ارادته بالقوة ، وكان ككل رؤساء عصره قائما بفرائض دينه من جهة ، مادا يده الى كل ما يجده من أموال الناس من جهة أخرى، من استجار به استجار بظل وريف ، ومن عاداه فانه لا محالة مدركه وان سكن في قنن الجبال ، وقد خلف من ورائه أولادا نعرف منهم محمد بن علي وعثمان ، فأما محمد فسنعرض له فيما ياتي ، واما عثمان فهو والد علي بن عثمان العالم الجليل الذي كان متخرجا بالاستاذ مسعود المعدري ، وتوفي عام 1349 هـ .

الحسين بن هاشم

نحن الآن ازاء ترجمة رجل عظيم القدر لاحظته السعادة بعينها ، وناهيك برجل شغل كل جنوب سوس بزئيره كل أواخر القرن الماضي ، فانقسم الناس ازاءه بين من يواتيه ويداريه وينفذ اوامره ، ثم لم يكن ذلك منه محبة وانما هو اثر الخوف لا غير ، وبين من يناوئه مناوأة شديدة ، فوقع في مجاذبة

لا نهاية لها ، فأما ان يسقط برصاص أصحابه ، وأما ان يطول عمره في ارجوحة
الخوف الشديد من هزبر ايليج الذي لا يدري من أى جهة ينقض على فريسته .
كان الحسين كما ترى مولودا فى عهد قد استردت فيه ايليج بعض ما
مضى لها من قوة وصوله ، فنشأت فى رأسه فكرة طامحة كل الطموح لا يعرف
معها الارتداد الى وراء ولا القناعة بما تيسر له ، فان كان أهله مكتفين بالرئاسة
القبيلية ، فهو - كما يظهر - ليس قانعا بها . أو كانت ثروة متوسطة يضمن معها
المعاش ترضى من سلف من أهله قبله كعلى أخيه ، وهاشم والده ، فانه هو
ليطمح طموحا غريبا الى ان تكون له كنوز قارون ، ثم كان فى طبعه ان لا يرد عليه
رأى ، وان لا يناله حرمان من كل ما يحلم به ، ولما كانت آماله فوق مداركه
وتطول مجالات يده ، بقى فى كل حياته كالموج فوق البحر يوم العاصفة ،
اضطراب وازباد وتعاطم وحملات وزثير :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

فلم يعرف ان يرضخ لأى انسان ، السلاطين فمن دونهم ، فقد رأى
من نفسه انه خلق أمرا لا مأمورا ، ومطاعا لا مطيعا ، فبهذه النفسية المتموجة
المكهربة امضى ما بين 1258 هـ الى ان مات سنة 1303 هـ ، ولهذه الحياة الغريبة
نريد ان نبسط الكلام فيما يلى لعلنا نوفق فى ابراز حياة الحسين يعسوب
ايليج الحديثة كما نحسبنا وفقنا فى ابراز حياة بودميعة يعسوب ايليج القديمة،
ونحن باذلون جهدنا على حسب ما عندنا عنه من الأخبار .

أين ولد ؟

رأيت عند ذكر هاشم انه كان جلا عن ايليج سنة 1224 هـ أمام حملة
محمد بن يحيى أغناج ، فنزل فى دار احمد بن صالح من اد عيسى الاسكاورى
الاكمارى ، فقال الناس انه ولد هناك فى بيت لا يزال محفوظا معروفا الى الآن
فتكون ولادته سنة 1224 هـ .

كيف نشأ

كان والده هاشم معنيا بأولاده عناية كبرى ، وقد كان يستدعى لهم العلماء الكبار فى عهده ليعلموهم ، كما يأخذهم أيضا بمعاناة الفروسية ، وهذه العناية ظاهرة فى على وفى الحسين ، فلكل واحد منهما ولوع بالعلوم واكبار لاهلها وان لم يكونا ادر كما كان والدهما يريد منهما ، كما كانت لهما نهاية فى الفروسية والاقدام والمغامرة ، فلئن غابت عنا تفاصيل نشأة الحسين فلم تغب عنه اثارها التى نراها عيانا ، وكما يدل الثمر على نوع الشجرة وان لم يبصر جذلها ولا اغصانها ، كذلك تدل الاخلاق التى تتغلب على الانسان يوم تظهر ارادته كماهى على نوع التربية التى نشأ فيها ، ففى الحسين من كل خلق طرف كما سيتبين فى الآتى ، ففيه ميل الى التدين المرتكز على الفرائض المعلومة ، كما فيه التفات الى العلماء الكبار والصالحين يستزيرهم ويصلهم ويعتقلهم عنده باحسانه ، كما يظهر فيه ظهورا بينا خلق الرئاسة المجموع فى قول من يقول :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

فقد كان صلب الارادة شديد الوطأة ، لا ينام عن وتر ، ولا يعرف الخوف من الرجال ، غير انه لم يجد بدا من الاستكانة ، لكنها استكانة الاسد المجروح داخل قفص من حديد ، وهذه الاخلاق كلها بارزة فى حياته الطويلة ، وهى بلا شك من « اثار نشأته » .

تطلعه فى الرئاسة

مر بنا ما حكيناه بين قوسين من ان له يدا فى اسقاط شقيقه على ، فسواء كان ذلك صحيحا ام غير صحيح ، فان نفسيته التى تدل عليها أفعاله الظاهرة فى طول حياته تنادى بلسان حالها انه خلق رئيسا يتطلع الى الرئاسة فى كل مناسبة ، ومن خلق لشيء لا يهدأ حتى يدركه ، ويسمى الاخلاقيون هذه

الظاهرة بالاستعداد الجبلى ، وقد يكون للحوادث شحذ لهذا الاستعداد ولكن بذرتة الأولى تكونت مع الروح من عالم الأرواح الى عالم الاشباح ، على اننا ان جعلنا تلك الحكاية بين قوسين فما ذلك الا لاننا نريد ان لا نعدو مرتبة المؤرخ، والا فانه لجدير ان يصدر عنه مثل ذلك ، والرئاسة عقيمة لا تعرف أخا ولا صديقا ، وسيرد ما يدعم تلك الحكاية .

مطلعته في دست ايلينغ

جاء الحسين وقد مهد له أخوه ووالده ووطننا له ورصفا الطريق ، وحيثا الشيعة ، وعمرا المخازن واثلا الاملاك ، واستركبا الاصحاب ، فوجد هو ايلينغ قطب الجنوب بين القبائل التى كثيرا ما تمتنع على الحكومة ، ولم ندر كيف كانت حالة الحسين مع السلطان المولى عبد الرحمان (505) الذى نعرف ان قواده الكبار كالحاج اكى (506) ، وبو مهدى (507) وولده يتمكنون فى تارودانت ، ولكن ان جهلنا ما بينهما فلم نجعل ما بين ايلينغ وبين هذه القبائل اذ ذاك ، فقد حسبت لايلينغ الف حساب ، ولم يكن من اكابرها من لم تكن له مع ايلينغ صلة قرب او مجاذبة عنيفة يدرك بها شأوه فى المقابلة ، وعندنا حكاية مشهورة وقعت أول ما برز الحسين الى الميدان تبين لنا مركزه بادهى ذى بدهى.

505) علق المؤلف هنا بقوله : « نعم قد علمت بعد ما كتبت هذا ان عند ايلينغ الى الآن رسالة من مولى عبد الرحمان اليه ، وربما دلت على صلة ما بينهما » .

506) علق المؤلف هنا : « يذكر فى تارودانت فى اواسط القرن الماضى ، ولعله عبيد الحكومة هناك » ثم قال عنه فى صفحة 143 من رابع « خلال جزولة » ان اسمه الحاج احمد ايكى بكسر الهمزة وكاف معقودة ساكنة وانه كان هنا بعد 1250 هـ بقليل .

507) علق المؤلف هنا بقوله : « قائد كبير فى تارودانت كان هو وولده هناك اعوام 1260 هـ . واصل ال بو مهدى هؤلاء من درعة وردوا على هوارة فساعدتهم فيها الاقدار ، وقد تكونت فيهم عدة شخصيات تولت الحكم فى سوس حتى ارداها ، ومنهم القائد حماد بن مهدى هذا بسط له المولى عبد الرحمان على سوس من اكادير الى سكتانة ووادي نون ورأس الوادى وكان جبارا قويا فجاهد أحد القواد البخاريين يتربص به الموائر ولا يظهر له شيئا فلما صلبا الجمعة ذات مرة وكانا هاشنين إلى دار المخزن يقصبة تارودانت مررنا من باب السجن فصعد القائد البخاري حماد بن بو مهدى بأن يستسلم لإدارة المخزن ثم أحاط به أصحابه وأودعوه السجن ، فقامت الضجة بين السجناء الذين فاجأهم مشاركة من أودعهم السجن لهم فيه . ثم نقل إلى سجن للصورة . وقد القى عليه القبض قبل عام 1264 هـ .

كان امقارحو التامانارتي (508) سقط غيلة بفتك آل سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ حول الوقت الذى انتصب فيه الحسين بعد اخيه على ، ثم رحل اولاد حمو ، ثم رجعوا الى ديارهم ، فجرى بينهم جار بالصلح ، على ان يحكموا الحسين فى الذى بينهم ، فنزل الفريقان عليه بايلغ : القائد محمد بن حمو عن اخوته وبعض خصومهم عن اخوته ، فكان الحسين يزاول ان يصلح بينهم ، فكان كلما سمع حجج الفريقين ووازن بينهما تستحوذ عليه الحيرة ، فلا يدرى كيف يقارب ما بينهما ، وهما بين مشرق ومغرب ، فأبطنا هناك فى ايلغ حتى تهيأت فرصة حسنة سوى فيها الفريقان ما بينهما كفاحا (309) دون حضور رب المثلوى ، ثم عرضا عليه الأمر ففرح فرحا كثيرا ، والذى يهمننا من القصة هو كونه فى أول امره (510) بصدد أن يحكم فى النوازل الكبرى مثل هذه من مثل تلك الأسر العظيمة ، فبمثل هذه الحكاية ندرك كيف كان فجر رئاسته ، والمقدار الذى انتفع به مما ورثه من مجد سلفه الذى أسس قبله ما أسس ، فكانت له قوة عظيمة ونفوذ كبير فى قبائل الجنوب السوسى .

مستمد قوته ونفوذه

ان الحسين لم يكن يستولى حقيقة الاستيلاء الا على ابناء عمه أبناء الشيخ احمد بن موسى ، وأمره لا ينفذ مسمطا (511) الا فى ترابهم بتازروالت ، فهناك يأمر وينهى ويخفف ويرفع ، ويفعل ما يشاء من غير ان يراقبه أحد أو يتوجس أى خوف ، ورجالات ابناء عمه الذين لا يتجاوزون مئات مع اصحابه الأخصاء وعبيده الذين يستوفون أكثر من مائة ، هم كل جيشه الذى يقدر ان يتكلم فيه

(508) علق المؤلف هنا بقوله : « هذه الاسرة الرئيسية فى تامانارت من الشرفاء الكنبريين ، وقد كانت رئاستها من عهد السمديين ثم فى كل عهد العلويين ، وكان القائد محمد وولده القائد ابراهيم فى عصر المولى اسمعيل » .

(509) راجع التمليق 436 .

(510) علق المؤلف هنا بقوله : « كان ذلك حوالى 1260 هـ .

(511) الحكم المسمط هو التام الذى لا اعتراض عليه .

وحده ، هذه هي حكومته ، فلا يعدو قدره من هذه الناحية قدر اصغر رئيس قبل في هذه الجهات ، غير ان هناك امورا أخرى هي التي تمده بما تمده به .

احداها اشرافه على موسم تازروالت وكونه وحده هو المتصرف فيه ، يفعل فيه ما يشاء ، ينهب ويعتقل كما يوحى اليه به هواء ، وحيث ان ذلك الموسم في ذلك العهد هو الوحيد (512) في العظمة والمتخذ سوقا عامة تروج فيها البضائع ، وتلتقى فيه بضائع السودان التي يستوردها الصحراويون بمعاونة الحسين ، وبضائع الحضر التي يستوردها التجار الذين يختلفون الى الحضر ، وهناك تباع وتشترى البهائم والصوف والحديد وكل ما يتوقف عليه الناس في معاشهم الحيوى ، والطرق اذ ذاك يقل سالكوها ، وليس في كل وقت يوجد ما يراد من هذه الاشياء الحيوية ، فاذا أضفت هذه الاعتبارات الحق الى انه ليس اذ ذاك موسم آخر كتازروالت في هذه النواحي ، وأدركت ان الناس محتاجون الى المقايضة فيه ولا بد ، أدركت مقدار موقعه في ذلك العصر وأدركت معه مقدار السلطة التي يستمدها الحسين بواسطته ، فقد كان حرا في كل ما يفعله فيه ، وقد كان معلوما ان من يتعرض لذهاب او ايب من الموسم فان ال ايلخ لا بد أن يعركوه ، فيتوجه اليه اصحابهم بخيلهم فينزلون عليه برسالتهم (513) وفيها القدر المطلوب من المال فان أبى او دافعت عنه قبيلته فقد صارحت ال ايلخ العداوة بذلك ، فأول ما يجب عليهم ان لا يحوموا حول الموسم فيحرموا المتسوق الوحيد اذ ذاك في هذه الجهات ، كما ان الحسين يعتقل من أفراد تلك القبيلة كل من وجد اليه سبيلا ، ثم يعلن عداوة تلك القبيلة هو وشيعته الجزولية ، وهذه أمور قلما تطيقها قبائل كثيرة فترضخ من أول يوم ، فتترك

(512) علق المؤلف هنا يقول : « لم تحدث هذه المواسم الكثيرة الا بعد ذلك ، ولم يكن منها قديم الا ما كان من موسم اسك وقليل مثله ولكنها ضئيلة .

(513) كانت تلك الرسائل شائعة اذ ذاك من ارباب السلطة وهي تتضمن اوامرهم الى من هي موجهة اليهم ، وكثيرا ما تكون رقعا بسيطة من الورق يحملها فارس او اكثر وينزلون على من وجهت اليهم حتى ينفذ ما فيها .

رسل الحسين ومن ارسلوا اليه ياخذون منه ما كتب في الرسالة ، مع أجره الأعوان - السخرة - ثم كانت هناك سياسة أخرى تحاذى ما ذكرناه ، هى ان الحسين كان كالحرباء لا يطلق ساقا الا اذا أمسك ساقا آخر ، وكان دائما يوازن بين الشيع ويسعى بينها بسياسة (فرق تسد) فكان كل من له مع أحد ضغن يمد يده الى الحسين فينتصف له هذا من خصمه بذريعة ما يدعى عليه انه صنعه فى طريق الموسم ان صدقا وان كذبا ، فتحامى الناس مصادمته بذلك ، فقام له ناموس عظيم فى القلوب رهبة وفرقا ،

ثم ان هناك - بعد ما تمكن هذا الناموس - شيئا آخر يستمد منه مالية لها بال وذلك ان كل قبيلة من القبائل الثانوية (514) نادت بحرمة مكان كزاوية او مدرسة او حصن تجعل للحسين حظه من المقارم التى تؤخذ ممن مس ذلك المكان بسوء ، كالكزاوية الاليفية مثلا ، فان كل من مسها بسوء اذ ذاك يؤدى مقارم متعددة بينها مفرم ايلخ وهذا عمل جار فى اطراف من كل هذه الجبال خصوصا بين القبائل المستضعفة .

وهناك ايضا معاناة للتجارة بكل أكباب ، فاسكن عنده صحراويين كثيرين يسافرون فى وقت من السنة فيستوردون العطور وريش النعام واللبسة السودان والعبيد والجمال الكثيرة ، فكانت القوافل فى اوقات سفرها لا تغب امام داره ، ثم يتصل هو بتجار اخرين الى الحواضر ، فكانت ايلخ مركزا تجاريا كبيرا فى عصره ، يذكر من ذلك العارفون ما يستغرب ، وكما اعتنى بالتجارة اعتنى بالفلاحة ، فقد استحوذ على كل ما تسقيه العيون من تازروالت الا القليل جدا ، كما أنه يفلح فى بورها (515) ، وكانت الفلاحة اذ ذاك تخصب فيها اخصابا يذكر ، ثم ياخذ أعشار كل من يحرقون فى ذلك البسيط من المجاطيين ، ولم ينس الغنم وما اليها .

(514) علق المؤلف هنا بقوله : « اى التى ليست فى مقدمة القبائل الكبرى » .
(515) البور فى اللغة هو الأرض التى لم تزرع ، والمراد هنا ما لا تسقيه الميون وانما تسقيه الأمطار .

من هنا يعلم ان الرجل لم يفرط في أية ناحية ، فكانت التجارة والفلاحة والمغامر الباهظة وما ياخذ من الموسم مكسا ، والموسم اذ ذاك يعمر أكثر من اليوم بكثير ، فكنز أموالا كثيرة ، وقدر خيل عبيده فقط نحو خمسين من غير خيله الخاصة فيما حكوا عنه ، وله من البغال كثير مثل هذا القدر ، وهذا المظهر الذى لا يظهر به الرؤساء فى الجنوب السوسى اذ ذاك لفت اليه الأنظار ، وأحنى له الهامات ، فانه معتن بالأبهة ، فاذا سار فان الخيل تصطف من بين يديه ومن خلفه وبينها رجل منظم من الأعوان ، فيأخذ موكبه بالأبصار ، وكان كريما ينزل الناس منازلهم ، غير قنوع ازاء كل قضية حدثت فى القبائل حتى يكون رايه هو المعتبر فيها ، والا فهناك عراقيل ودسائس ومصادمات وحروب ، وكان معطاء فى هذا الباب ، ولكونه رئيس حزب تاكوزولت تكون له حزب يناصره عن اخلاص ، ويزيد ذلك بعباءاته الجمّة ، فمن كان له فانه يدافع عنه الى آخر نفس ، واما من كان عليه فانه من ورائه كالليل الذى هو مدركه (516) ، ولا يعرف الهوادة ولا التآنى ولا المسامحة حتى يهلك غريمه اما بحرب واما ببغيلة أو بسم أو بكل ما تيسر ، ثم انه غير ملوم فى ذلك وان ظهر انه ينافى الشرف لانه ابن بيثته .

(516) هذا اقتباس من قول النابغة الذبياني زياد بن معاوية .

وانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت ان المتناى عنك واسع
خطايف حجن فى حبال متينة تمد بها أيد اليك نـوازع
وهذه الاقتباسات كثيرة فى كتابات المؤلف على عادة امثاله من شيوخ الادب العربى ، فقد تقدم له كثير منها فى هذا الكتاب كقوله فى صفحة 228 (تضل فيها القطا) فهو مأخوذ من قول ابن النون :

مجاهل تحار فيهن القطا لادمنة لا رسم دار قد بقى
وكقوله فى شأن المول اسمعيل « لا يؤوده مصاع » فهو ينظر الى قول ابن شهيد .
اقتنا تبختر فى مشيها فحلت بواد كثير السباع
وريمت حذارا على طفلها فناديت يا هـذه لا تراعى
غزالك تفرق منه الليوث وتفرزع منه كماء المصاع

كيف بيئة ذلك العصر

كانت بيئة ذلك العهد تجمع بين الازداد ، فبينما ترى فى نواح نزاهة وخلقا صافيا وشمما وترفعا عن الدنيا ، اذا بك ترى فى نواح أخرى ضد ذلك على خط مستقيم من قتل ونهب واستحلال للاعراض والاموال والدماء ، ولا ريب أن الرئيس الذى يحمل مثل طموح الحسين الى الصولة وافتراع كل الناس رغبا ورهبا ، يستعمل كل هذه الاخلاق مع تضادها ، على أن الذى يغلب عليه فى المصادمات هو الاخلاق الاخيرة التى بها ترتجف الافئدة وترتعد الفرائص.

هناك بين سمع الحسين وبصره أهل اغير ملولن وقد غلبت على فريق منهم هذه الأخلاق الشرسة ، فقد كان بين الاسكراديين وأناس هناك ترات (517) يتوارثونها ، فحدث فى أيام الحسين ، وهم جيرانه ، أن يصالحوا بينهم (518) فاستدعى الاسكراديون الاخيرين فأضافوهم ضيافة حسنة ، وعند خروجهم أبقوا منهم ثلاثة من ذوى رأيهم ، فخرجوا بهم فعذبوهم عذابا نكرا ثم ألقوا بهم فى جرف هناك عظيم ، فذهبوا ضحية الامان ، فبقى الآخرون ينتظرون فرصة حتى وقع الانشقاق بين الاسكراديين ، فاجتمع منهم أربعة أشداء ، فطلبوا من الآخرين أن يكونوا معهم يدا واحدة على أبناء عمهم ، فأجابهم الآخرون وأطالوا الحبل حتى استأمنوهم فقدموا عليهم ليلا ، وبعد ما أكلوا وشربوا جلس أصحاب المثوى خارجا يستدعون الاضياف واحدا واحدا ، كأنما كانوا يسارون كل واحد وحده ، فكانوا يعتقلونهم فيقدمونهم لمؤذن مسجدهم ويسمى الفقير بوهوش فيذبجهم واحدا واحدا حتى أتوا عليهم ، ثم سروا الى الباقيين فأخذوهم أخذا ، فأتوا بهم وهم كثيرون ، وقد أسروهم أسرا محكما وثيقا ، فنادوهم فى بيدر حتى يذهبوا بهم الى ذلك الجرف ليأخذوا بئارهم ، فخرج شيخ

(517) جمع ترة كالوتر بفتح الواو وكسرهما والوتيرة ، من وتر الانسان يتره كوعد يعد اذا ظلمه او مسه بما يكره .

(518) بفتح الياء والصاد مع تشديد الاخيرة كانه قال : يتصالحوا شكلها المؤلف .

كبير منهم ، فقال لهم لآى شىء ربطتم هؤلاء هنا ، فقالوا نريد أن نلقيهم بعد حين فى الجرف ، فقال لهم : أنتم لا تزالون تؤجلون أمورهم ، ثم استل خنجره وهو يقول أنا أكفيكم اياهم ، وهذا حظى ، فصار يطعن كل واحد منهم حتى يموت ثم يذهب الى الآخر حتى أتى عليهم كلهم وهم امامه مقرونون بالحبال لا يملكون أن يدافعوا عن أنفسهم ، وهناك أيضا ناس يسمون اد على ن لخلايينهم وبين هؤلاء احن قديمة هلك بها رجال هؤلاء كلهم ولم يبق الا ثلاثة ، فجلسوا يوما وقالوا ما لنا نبقى على هؤلاء الثلاثة فقوموا بنا اليهم ، فأتوا بهم معتقليس فآلقوا بهم فى نطفية ، وأجروا اليها الماء حتى غمرهم فهلكوا كذلك .

فهذه الحكايات وعشرات امثالها من بعض قساة القلوب ، ولا تخلو منهم أمة ، ولو الأمم المتمدنة ، تدل على البيئة التى لا بد أن يبطش الحسين ببطشها ان لم يجد الا ذلك البطش نافعا فهذا بعينه ما كان ، فقد حكوا انه أسر ناسا من ايت الرويس فاعتقلهم العبيد وألقوهم منبطحين فأتوا بأعمدة وجعلوا يشدخونهم بها حتى هلكوا بهذه الكيفية ، وربما كان هؤلاء المشدوخون يفعلون ذلك بالناس فجازاهم الله جزاء وفاقا من جنس عملهم .

محاوآاته

أبرز خلال الحسين انه محب للمغامرات ، فلا تحلو له الحياة الا بذلك ، وحروبه تكون دفاعا عن نفسه أو عن أهل ذمته أو عن شيعته من أهل تاكوزولت، وربما تكون هجوما لا دفاعا ، والحروب التى نعرفها له هى :

١ - محاربته فى ايلان ، ولعلها فى أوائل عهده ، وقد انهزم فيها ، ولا يزال طنينها الى الآن هناك ، ولا يزال المكان الذى دارت فيه معلوما فى تلك الجهات

2 - محاربة أخرى له فى تهالا ، وذكروا انه انهزم فيها أيضا

- 3 - أخرى لأيت أمسرا بأفرا ن
- 4 - أخرى فى أيت رخا قديمة
- 5 - أخرى فيها أيضا جديدة
- 6 - أخرى فى ايمى اكادير انهزم فيها
- 7 - أخرى فى وادى نون
- 8 - أخرى ضد الحسين بن الحاج ن ايشلحين فى مجاط ، وسببها ان الحسين الايليغى غرم مرابطى تاغلولو درايم ، فأحب ان يفعل مثل ذلك بأيت وافقا ، فدافع عنهم الحسين المجاطى
- 9 - مقاومته للمولى الحسن الأول حين كان لا يزال وليا للمهد ، وذلك سنة 1283 هـ . ولا نعرف كيف وقع ذلك ، وكل ما نعرف هو ان المولى الحسن كتب الى الحسين ، فأمر هذا الفقيه محمد بن عبد الله الأساكي أن يجيبه بأنه ما بيننا الا الحرب ، فرد عليه المولى الحسن الأول بأن والده لم يامر به بذلك ، فكرر الحسين على ذلك الفقيه ان يغلظ له فى الجواب ، فقال الفقيه : لا والله لا أفعل ولو أدى الأمر الى قطع يدي فان ديني لا يحل لى ذلك (519) .
- 10 - أخرى ضد الجراريين وذلك نحو سنة 1291 هـ . وسببها مجاذبة ايفير ملولن ، فانتصر الحسين على محمد الجرارى لما خذله الجراريون ، فهرب من تالعينت الى العوينة ، فاستقدمه بعض الجراريين على وجه ان يصلحوا بينه وبين الحسين ، ولكن بمجرد ما دخل عليه بين العشاءين انقض عليه العبيد فاعتقلوه ، وعند العشاء طلب منه ان يسرحه حتى يصل ، فقال له كيف أسرحك للصلاة ومنذ كنت رئيسا على الجراريين ما حضر قلبي فى أى صلاة ، ثم اركب بفلا فطار به العبيد الى ايليغ فكان آخر العهد به ، فلم يدر كيف قتل ، وكانت

(519) علق المؤلف هنا بقوله : « ومن هنا يعرف القارىء ان تمسك الموسيين بماطفة المحبة نحو الحكومة مؤسس على الفكرة الدينية » راجع التعليق 475 .

فى داخل دار الحسين مقبرة للذين فتك بهم هكذا من غير ان يعلم احد (520) .

II — أخرى له مع البعقلين ، وكانت متعددة لما بينهما من أحقاد مدفونة ، ولا تكاد الحرب تهدأ بينهما ولا الفتك فكل من توصل بأحد خصومه لا يبقى عليه ، وكانت الحرب بينهما سجالا ، وءاخر حرب بينهما حرب تارغنا سنة 1302 هـ ، وكانت مجاط وسملالة من شيعته ، ولكن انقلبت عليه الكفة ، فتنأى عنه الحظ الذى لا يكاد ينأى عنه ، فلم يبق ازاؤه احد كما سنبينه فيما ياتى قريبا .

هذه المحاربات التى ليست حتى النصف من محارباته ، تدل على حبه للمغامرات ، ولو اتصلنا بتفاصيلها وبأسبابها كماهى لأمكن لنا ان نضع أصابعنا على متجه الوحيد فى كل هذه الحروب التى اولع باصطلاؤها .

ابن أخيه يعاول غيلته

هناك فى ايلخ الى الآن فى حائط كان الحسين يستند اليه محل رصاصة رماه بها محمد ابن أخيه فأخطاه ، ولعل لما يقال من اتهام الحسين بوالد محمد هذا كما فى الحكاية المتقدمة دخلا فى هذه الفعلة ، ثم ان محمدا فر ناجيا فتلقيه البعقلين بكلتا اليدين ، وأسكنوه فى تين واركان ، واعتنوا به حتى صاروا ينادون ببيعته فى أسواقهم ، ولا غرض لهم من ذلك الا النكاية

(520) علق المؤلف هنا بقوله : « كانت عين تالعينت مخفورة بايدى رجلين احدهما من ايت برايم يسمى حسون ، والثاني من الاسكرايين ، وقد عالجاها كثيرا ، وكان محلها بورا ، ثم حدث شقاق حولها سنة 1130 هـ ثم سكنت ، وأما الاسرة المالكة هناك فأول رؤسائها على بن بورحيم (عبد الرحمان) نبخ بعبديه التقيى وذلك سنة 1226 هـ ، ثم قُتل نحو 1275 هـ ، فتلاه محمد هذا الذى وقع فى يد الحسين ، وكان له شأن كبير ، ثم اخوه محمد ، ثم تعين قائدا رسيا 1299 هـ فمات 1311 هـ فعبد السلام بن محمد قتل الحسين الى ان فتك به الهيبة — ابن الشيخ ماء العينين الشنكيلى — اوائل 1331 هـ ثم القائد عياد بن محمد المذكور الى ان عزل فى السنة الماضية 1357 هـ ، ولم يدرك احد منهم مدركه ، ولا جال فى مجالاته ، وكانت فى هذه الاسرة عداوة شديدة لايلخ » وسبب عزل عبد السلام هو ان الفرنسيين اتهموه بالايعاز لمربيه ربه بالهروب لمنطقة النفوذ الاسباني فى الجنوب ، وكان احد الذين كلّفهم بجره اليهم من كردوس ، راجع فيهم الجزء 19 من المعمول .

بالحسين ، وقد طرقت أذنى بعض أبيات من قصيدة شلحية تذكر قصة محمد هذا كملحمة صغيرة مؤثرة ، ولم تتيسر لنا كلها لنستقى منها ما ينفع فى الموضوع ، فان من القصص لمعا من الحقائق لا تنكر .

كيف مجلس الحسين

تقدم لنا أن لاهله اعتناء بالعلم وأهله ، وانهم لا يخلون من علماء ملازمين، ومع انهم ليست لهم مدارك علمية يقدرون بها قدر العلماء، فانهم على كل حالة زينة المجالس ، وطرارز المحافل ، ولما كان الحسين يحب العلو فى كل شيء فلا عجب ان رأيناه معتنيا بكبار علماء عصره ، وقد عرفنا ممن يختلفون اليه احمد بن ابراهيم السملالى الساحلى (I303) هـ وعبد الواحد بن صالح التادراتى البعمرانى (I286) هـ ، واحمد بن محمد بن سعيد العركوبى نحو (I288) هـ ، ومحمد بن عبد الله الأساكي الافرانى ، نحو (I295) هـ ، وإخاه سعيد بن عبد الله ، نحو (I310) هـ ، والحاج المدنى الناصرى الافرانى (I306) ، ومحمد بن بلقاسم التومانارى نحو (I290) ، والحاج الحسين بن الحاج احمد الافرانى ثم التيزينيتى، (I328) هـ ، ومحمد بن بلقاسم التيوتى الالفى ، نحو (I289) هـ ، والحاج احمد الجشتيمى (I327) هـ ، والحاج ياسين الواسخينى (I327) هـ، وعبد الله البوشيكرى الاكماوى نحو (I270) هـ ، ولده محمد بن عبد الله صاحب القصيدة البوشكرية المشهورة ، (I282) هـ ، وإخاه احمد بن عبد الله نحو (I300) هـ ، وإخاهما الطيب نحو (I320) هـ ، والطيب بن خالد الاكمارى (I311) هـ ، وعلى بن بلا التازروالتى نحو (I295) هـ ، ومحمد بن محمد التومانارى الخياط الكبير نحو (I290) ، ومحمد بن ابراهيم اعجلى (I271) هـ ، والحسين بن عبد الله العبلوى البعمرانى (I308) هـ ، وبلقاسم بن محمد الاكمارى نحو (6260) هـ ، والحسين بن احمد الاصارىفى (أول هذا القرن) ، والعربى الادوزى (I286) هـ ، وابنه محمد (I323) هـ ، والحسن بن سعيد العدانى المجاطى نحو (I271) هـ ،

وابن عمه عبد الله بن الحسن العداني نحو (I270) هـ ، وسعيد البرايي ساكن
تومانار نحو (I290) هـ (52I) .

(52I) هؤلاء سبعة وعشرون من افاضل العلماء المتضلعين المشاهير لو اردنا ان نفرّد كل واحد منهم بتعليق لاقتضانا ذلك صفحات كثيرة لانه لا تخلو ترجمة اى واحد منهم من اخبار مهمة ونوادر طريفة ، ويكفى ان منهم الحاج الحسين الافراني والحاج احمد الجشتيى ومحمد بن ابراهيم اعجلى والعربي الادوزى وابنه محمد ولذلك راينا ان نكتفى هذا بالارشاد الى تراجمهم في « المعمول » ومن لم يكن لديه من يسقط اليه هذا الكتاب وكانت له رغبة في معرفتهم فليطلبه في المكاتب العامة التابعة للخزانة الوطنية بالرباط اذ لا تخلو منها اليوم مدينة من مدن المغرب ، ومن عرف المعمول سيرف مقدار ما قاسيناه في استخراج هذه التراجم منه ، فكثيرا ما تصفنا جميع اجزائه المشربين اكثر من مرة للظفر بترجمة الواحد من هؤلاء العلماء .

1 - احمد بن ابراهيم السملالي له ذكر في ترجمة صديقه محمد بن صالح في الجزء العاشر من المعمول ابتداء من صفحة 245 .

2 - عبد الواحد بن صالح ، وهو في المعمول عبد بن صالح ذكر في نفس الجزء ابتداء من صفحة 247 ، ولكن الذى يظهر ان اخيه محمد صديق احمد بن ابراهيم الذى قبله ترددا ايضا على ايليج .

3 - احمد بن محمد بن سعيد المركوبى توجد ترجمته الحافلة في صفحة 88 من الجزء الرابع عشر منه ، وذكر ايضا في صفحة 29 من الجزء الرابع .

4 - محمد بن عبد الله الاساكى توجد ترجمته الحافلة في صفحة 227 من الجزء الثاني عشر .

5 - سعيد بن عبد الله توجد ترجمته في صفحة 229 من نفس الجزء .

6 - الحاج المدني الناصرى ، صفحة 39 من عاشر المعمول .

7 - محمد بن قاسم التومانارى ، لم نشر على ترجمته .

8 - العلامة الجليل الحاج الحسين الافراني توجد ترجمته في رابع المعمول .

9 - محمد بن بلقاسم التيوتى ، توجد ترجمته الحافلة في صفحة 148 من الاول المعمول .

10 - شيخ الاسلام الحاج احمد الجشتيى دفن تيوب قرب تارودانت تقدم في التعليق 12

11 - الحاج ياسين الوسخيى العلامة الجليل الورع ، رفيق من قبله ، قيل انه حج معه

احد علماء وقته فانتبه لان يعرف ما سيدعو به الحاج ياسين في الاماكن المقدسة فلم يجده يدعو الا

بقوله : « اللهم اجعلنى من خيار امة محمد صلى الله عليه وسلم » ، ترجمته في ثامن المعمول ابتداء

من صفحة 244 .

12 - 13 - 14 - 15 - عبد الله البوشيكرى الاكمارى واولاده الثلاثة ، توجد تراجمهم

ابتداء من صفحة 143 من الحادى عشر من المعمول ، اما القصيدة التى نسبها المؤلف لمحمد بن عبد

الله فهى قصيدة شلحية طويلة تتضمن امداح الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته اولها :

محمد ابو لانوار الصلاة عليك الرسول اعزك البارى تعالى امقور الشان نكسى
بسم الله اوال اعدلن ازووراك اوالىونسى نتان اس بديخ اشكو البركة تلا ييدسى
تاصلت ف بو لانوار اسافار ن وولاونسى نستايما تيد اسمك اك اربى تزذن ادسى
يان ابدان س البارى تعالى اصاف التى نسى تبلى كيسى المحبة رخون اس اغاراسنسى

وهى طويلة يقول فيها ان الله قد سخر له النظم كما سخره للبوصيرى في البردة والهمزية ،

وقد كان عامة السوسيين يحفظونها خصوصا اصحاب الطرق الصوفية ، وقد ادركتنا الوعاظ فى

الاسواق والمواسم يجمعون الناس بها ولها .

فهؤلاء وأمثالهم من كانوا يترددون الى ايلينخ ، وبعضهم يكثر فيه المكت ،
وبعضهم لا ياتى الا فى الرمضانات لحضور سرد صحيح البخارى ولا بد كما هي عادة
كل الرؤساء اذ ذاك ، وهناك آخرون يلاقيهم فى أيام الموسم ، ويكتسبون ،
كأحمد بن محمد التيمكيدشتى (522) وولده الحسن (523) ، وابى زيد الجشتيمى
(524) ، وقد اطلعنا على رسالته اليه ، ومن هذا كله نعرف ان الحسين مائل الى ما
كان معهودا عن جده بودميعة من اكبار العلم وحملته ، وان كان لم يدرك من ذلك
معشار ما أدركه جده ، لما بين مراكزهما ونفسياتهما من بون شامع .

ثم يظهر لى ان كل الذين يترددون على الحسين هذا لا بد ان يمثلوا

-
- 16 - الطيب بن خالد الاكمارى ، صفحة 93 الجزء 11 من الممسول .
17 - على بن بلا التازروالتى ، صفحة 60 جزء 12 منه .
18 - محمد بن محمد التومنارى الخياط ، العلامة الجليل ، صفحة 392 الجزء 13 منه وقد
تقدم فى تعليقات سابقة .
19 - محمد بن ابراهيم اعجل العلامة المقرئ الصالح ، صفحة 292 الجزء 5 منه
20 - الحسين بن عبد الله العبدل ياتى خبره فى التعليق (533) .
21 - بلقاسم بن محمد الاكمارى ، مذكور فى صفحة 121 من الجزء 11 منه .
22 - الحسين بن احمد الاصاري ، مات سنة 1315 هـ صفحة 55 الجزء الثامن منه .
23 - العربى الادوزى العلامة الكبير صفحة 113 من الخامس منه .
24 - محمد ولد من قبله ، وقد اربى عليه ، صفحة 149 منه .
25 - الحسين بن سعيد العدائى ، صفحة 144 من 18 منه .
- عبد الله بن الحسن ، نفس الصفحة .
27 - سعيد البرامى ، لم نثر على ترجمته .
(522) هو العلامة سيدى احمد بن محمد مؤسس زاوية تيمكيدشت العالم السنى الذى نشر
العلم والتقوى فكان فى القطر السوسى علماء كثيرين جمعوا بين العلم والعمل فانتشر على ايديهم
مثل ما أخذوا عن شيخهم هذا ، اقبل على الله وصد عن الدنيا فاقبل الله عليه وسخر له خلقه . قد
لفت فيه التأليف على تواضعه وتقشفه وزعمه فى الدنيا والقبال على الله بالعبادة وعلى رسوله صلى
الله عليه وسلم بالصلاة والاعتقاد ، ألف فيه ولده سيدى الحسن ، وألف فيه سيدى العربى المشرقى .
وذكره كثير من المؤرخين السوسيين ، وذكره صاحب « فهرس الفهارس » من بين رجال الحديث
الكبار ، راجع ترجمته ابتداء من صفحة 174 من سادس الممسول .
(523) الشيخ سيدى الحسن ابن الذى قبله يليه ووصيه على زاويته ومدرسته واولاده .
فسار على سننه فى العلم والعمل ، وزاد فى اعلاء شأن مدرسته وزاويته ، راجع ترجمته ابتداء من
صفحة 262 من سادس الممسول ، وكل ما اقله للقارىء هنا قليل بالنسبة لمنزلة الرجلين .
(524) هو شيخ الاسلام عبد الرحمان بن عبد الله الجشتيمى وهو والد شيخ الاسلام الحاج
احمد وتراجمهم فى سادس الممسول .

معه احيانا الدور الذي يمثله العلماء الذين يترددون على قرية بووابوض (525) أيام القائد عبد الملك المتوكي فانهم لا يحترمون الا بقدر احترامهم للقائد ، وأكثرهم تملقا واشادة بصلاح القائد عبد الملك هو أسبقهم الى رضاه ، والى رفعة الشأن عنده ، حتى كان المتصلحون منهم يشهدون للقائد بأنه من أولياء الله ، فهذا بعينه ما يتراعى لى من بعض علماء ايلنج مع رئيسها ، وعندنا حكاية تلقى لنا ضوءا ما على هذا الموضوع .

نبخ محمد بن بلقاسم في تيوت (526) بالغ فسارت به الأخبار ، فجرى ذكره الى سمع الحسين ، وكانت الخ من مناطق نفوذه ، فتعرف به ، ثم عرضت مسألة تشاجر فيها الحسين والجرارى ، فسأل فيها الحسين فقهاء حضرته ، فأفتوه بما أفتوه ، فأرسل بقلعة وعبيدا الى تيوت ، فاستحضر ابن القاسم بخنيفته (527) ،

(525) هي القرية التي كانت فيها دار هذا القائد بقبيلة متوكة باحواز مراكش ، وقد كانت في أيامه مركزا مهما يلتقى فيه العلماء خصوصا منهم الممتنعين للطريقة التيجانية التي كان هذا القائد من أصحابها ، وإن اغراض الناس مختلفة فمنهم من تجره الاغراض الشخصية ومنهم من يجره التمكن من قضاء اغراض الناس واغائتهم عند اولئك الجبابرة ، ومنهم من يجره الانس والمذاكرة مع من يكونون هناك ، لكن هذا الكلام لا ينبغي أن يؤخذ على اطلاقه فمن اولئك العلماء من لا تأخذهم في الحق لومة لائم ، كما انه لابد ان الحسين نفسه يستميل اليه ذوى الفضل منهم كما رأينا عند عظماء السلوك كيوسف بن تاشفين ويعقوب المنصور وهارون الرشيد ، والسلوك مولعون بالنفيس من كل شيء في كل زمان ومكان .

(526) هو صاحب الرقم 9 من المذكورين في التعليق 521 .

(527) علق المؤلف هنا بقوله : « الخنيف ثوب غليظ ، واللفظة كما ترى عربية فصيحة كمثل ستة الاف او اكثر مثلاً تتبعناها كل تتبع »

اما قوله اللفظة عربية فهو كذلك ففي « لسان العرب » « الخنيف اردأ الكتان ، وثوب خنيف : ردى ، ولا يكون الا من الكتان خاصة » الى ان قال : « الخنف واحدها خنيف وهو جنس من الكتان اردأ ما يكون منه كانوا يلبسونها » والخليفة تعريب لمونته الشلحي وهو تاخنيف .

اما الشلحيون السوسيون فانهم يقولون اخنيف بفتح الهمزة وتسكين الخاء للبرنس الفليظ الاسود من الصوف ، واكثر من يلبسه المتقشفون ، فهو عندهم (مقيظ مصيف مشيت) واما عده للكلمات العربية المتشعبة بنحو ستة الاف وتبعه لها فانه يعنى بذلك مشاركته في محاربة الفكرة الاستعمارية الهادفة الى إلحاق البرابر المغاربة بالجنسية الفرنسية والتماس المسوغات لذلك في زعم اشتقاق الفاظ شلحية من اللغات الأوربية كادعائهم ان الصالح سيدي ابا الليسوت دفين الدار البيضاء الذي يقال له سيدي بليوط انجليزى وان الصالح سيدي مكحول دفين الصويرة اصله مكحولاند الانجليزية ، وان قرية اكل بكسر الهمزة والكاف المعقودة الساكنة حول تارودانت والتي لعبت دورا كبيرا في قيام دولة المرابطين اصلها *Agiliss* الفرنسية اى الكنيسة وامثال ذلك

ومعه كتاب فقهي ، فالقى الحسين اليه المسألة ، وقال له ان هؤلاء الفقهاء قد افتوا فيها بكيت وكيت ، فهل الامر كذلك ؟ فقال له ابلعنى ريقى ، ثم اخلى المجلس للفقهاء ليكونوا احرارا فى مناقشتهم ، فالبهم ابن القاسم سوطا من التانيب ، ووافقهم على النص فى القضية على عكس ما قالوه ، ثم اعلن ذلك للحسين ، فشكره على صراحته بالحق ، وعلى كونه لم يجمع فيه بما يتخذة تملقا كآخرين .

وهناك حكاية تقول ان بعض العلماء كتب مرة للحسين فى رسالة : السلام على من اتبع الهدى ، كما يولف ان يكتب به الى غير المسلمين فى القديم (528) فأرسل اليه فأنبه تأنيبا شديدا وقال له هل جعلتنى ذميا ؟ ثم غرمه مفرما كثيرا .

فهاتان الحكايتان تدلان على ما اومأنا اليه ، وهناك أخرى تدل على ان الحسين لم يخف عنه ما يسقط فيه بعض الفقهاء بشرهم ، فقد كان احمد بن

كثير فكان المؤلف ممن تصدوا لدحض هذه الفكرة بان اصل البرابر عرب وان فى لغتهم الفاظ كثيرة من العربية وقد نشرت له بعد وفاته مجلة « اللسان العربى » التى يصدرها مكتب التريب مقالا عن بحثه هذا فى عددها الثانى المؤرخ برمضان 1384 الموافق يناير 1965 .
والحقيقة ان البربرية لغة مستقلة بذاتها ، وهى الى اللغات السامية اقرب ، بدليل تقارب المخارج وابدالات الحروف ، ومن جملة اللغات السامية العربية ، واذا كان فيها الفاظ من العربية فانما هى دخيلة فيها وذلك طبيعى للتساكن والمشاركة فى الدين والبيئة حتى انعدمت الفوارق بالرة ، واما ما يدعيه الفرنسيون فلا مسوغ له الا القوة .

(528) اصل ذلك ما ذكره الله تعالى فى سورة طه عن سيدنا موسى وهارون لما ارسلهما الى فرعون اذ قال « فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم . قد جئناك بشاية من ربك . والسلام على من اتبع الهدى » اى يكون السلام على من اتبع طريق الهداية ولم يتبع طريق الضلالة ، ولم يقلوا له والسلام عليك لانه كافر فصما له ، لما فى التعميم من التريض والتشكيك .
وقد ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتبه التى ارسلها الى ملوك عصره يدعوهم الى الاسلام ، فمن هناك يظن بعض الناس انها لا تقال الا للكفار ، وما هى الا من حسن الدعوة بالانصاف ، وهو من استدراج المخاطب وتشكيكه فى موقفه والوحى اليه بمراجعتهم ، وتزييفه له بالتريض الذى هو ابلغ من التصريح كقوله تعالى « وانا او اياكم لمل هدى او فى ضلال مبين » ، ومثله « فسركما خيركما الفداء » فى قول احسان بن ثابت :

هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاء
اتهجوه ولست له بكسف فسركما لخيركما الفداء

ابراهيم السملالى ، وعالم تاجر من علماء تادرات ببعمرانه متصاحبين جدا ، متشاركين فى التجارة ، ثم وقعت بينهما منكرة فتحاكما اليه ، فحكم باليمين على المنكر ، فهذان عالمان كبيران فى عصرهما ، وقما فيما احتاجا فيه الى ان يجعلا مثل الحسين حكما فيه ، وليس ذلك ادعى الى ان يسقط مثلهما من عينه؟ (529)

على انه سياسة منه - وذلك ما لا بد ان يسلكه كل الرؤساء العقلاء - يفضى عن هفواتهم ويتجنب لهم ، لان فيهم حقيقة رجالا يستحقون الاكبار كعبد الله البوشكرى ، فقد جاء اليه مرة فى سنة جذب مع كل اولاده ، وكانوا نحو سبعة يلقنهم المعارف ، فقال له انى جئت اليك لتقوم بأودى مع اولادى حتى تمر هذه المجاعة ، فقد خفت ان يضع العلم بضياغ اولادى ، فرحب به الحسين ثم لما أخصب العام فتش له عن مدرسة تانكرت حتى تمت المخابرة مع اصحابها ، فاستدعاه وداعبه قائلا : الم يتبدل الزمان ؟ فقال له الاستاذ أنا وأنت لا نعرف تبدله ، فالطيور هى التى تعرف ذلك بصياحها ونشاطها ، فداعبه قليلا ، ثم أعلمه بان مدرسة تانكرت تيسرت له ، فأركبه حمارة فوصلها ، وقد شق ذلك على أهل تانكرت وانما وافقوا مرغمين ، لان أستاذاهم من أهل الساحل لا يزال فى المدرسة ، فقال عبد الله للاستاذ لا تذهب ، فما مقصودى أنا الا أن أقضى هذه الشهور الباقية لتمام الخصب فأذهب الى حال سبيلى ، وكان عبد الله شبه أبله طيب النفس (530) مع تبحره فى العلم ، وكان ساذجا الى الغاية مرجو البركة ،

(529) مضمّن هذه القضية ان احمد بن ابراهيم - وهو الاول من 27 المذكورين فى التعليق (521) كان هو ومحمد بن صالح - أخو الثانى من أولئك الـ 27 - صفيين حميين وقضيا كذلك السنين الطويلة حتى هربا به وكانا يشتركان فى التجارة ، فحدث ان اشترى العلامة محمد بن صالح مزودين من العنبر من رجل قيل انه لا يعرف قيمة ما باع ، فذهب بهما المشتري الى الصويرة فباعهما بما يساويانه ، فلما عاد ولعله قص ذلك على صديقه طالبه بحظه من الربح ، فقال له الآخر ل اشتره بمال الشركة وانما اشتريته على ذمتى حتى ابيع فقال له الآخر انما اجلك البائع لما اكتسبت من الوجاهة بالاتجار فى مالى ، ففسد ما بينهما فتخاصما الى الحسين هذا فجعل يرفعهما الى علماء وقته فراجت القضية مدة طويلة والحكاية فى ترجمة كل منهما فى عاشر المعسول ، وهناك نص الحكم الصادر فى القضية .

(530) راجع ذلك فى ترجمته فى العادى عشر من المعسول ابتداء من صفحة 143 .

ثم صار التانكرتيون يقولون فيه صاحب الدابة ، يعيونه بذلك ، فبلغه الخبر ، فقال لهم ان الدابة للحسين وهو صاحبها ، فسأقول له ما تقولون ، فتوسلوا اليه بكل عزيز أن لا يبلغه ذلك لئلا يسوءه ، وهو لا يتحمل أية اهانة ولو قلت . (ومن المعلوم انهم يشيرون بصاحب الدابة الى الدجال الذى يظهر عند قيام الساعة) .

فهذه الحكايات تبين نواحي من نفسيته ، كما تظهر لنا كيف يفتح بابه لامثال عبد الله البوشكرى الرجل الصالح ، ويسمى فى جبر خاطره ، ثم اعتماد عبد الله عليه وقصده له ، مما يبين لنا ان الحسين رجل اجتماعى .

كيف ياتمر مع اهل نحلته

رأيت أن الحسين رئيس نحلة تاكوزولت ، وكانت ايليج وتامانارت واكليميم مراكزها الكبرى ، ولذلك كان القواد التامانارتيون (531) ، ومال بيرونك الاكليميمون (532) دائما مع ايليج فى الحارة والقارة (533) تهب ريحهم الى وجهه واحدة ، وقد اصطنع من القبائل رؤساء بارزين يرسل اليهم فى كل ما عن من أمر جديد ،

(531) تامانارت التى ينسب اليها هؤلاء القواد توجد عند الفانجة فى التخوم الصحراوية السودانية ومنها عبد الله بن ياسين شيخ الممتونيين ، وهؤلاء القواد طائفة من الشرفاء الكثيرون . وقد كانت فيهم الرئاسة من اوائل عهد السعديين او ربما حتى قبل ذلك وانحاثوا الى بودميعة بعد السعديين ، ولا شك انهم كانوا ما شمله فتح الدولة العلوية الفتية ، ثم ذهب اليهم المولى محمد العالم من تارودانت بأمر من والده المولى اسمعيل ففتك بهم فتكة بكرة لم ير مثلها واعتقل رئيسهم اذ ذاك القائد محمد بن عبد الله بن منصور وصفه فى الحديد ووجهه لمكناس حيث القى فى غيايات السجن ولكن ظهر ما اوجب اعادة النظر فى امره فسرجه المولى اسمعيل ورشحه للعود الى منصبه فاعتذر بكبر سنه ورفض الرجوع الى بلده وطلب من السلطان ان يسمح له بالاستقرار فى مكناس فوافقه ورضى عنه ومنع اولاده واخوانه الذين بقوا ببلدة تامانارت كثيرا من الظواهر والتوصيات ، ويقال ان موته كان عام 1130 هـ ، كما يقال ان المولى محمد العالم ظلمه فقتل ذلك للسلطان بعد عام 1118 هـ اى بعد موت ابنه المولى محمد العالم ، راجع تراجمهم ابتداء من صفحة 228 من الجزء العشرين من المسول ، ومات محمد العالم عام 1116 هـ فى ربيع الاول .

(532) علق المؤلف هنا بقوله : « هى اسرة مثلت دورا عظيما فى اخريات القرن الماضى وأول هذا ، وكان دحمان هو الرجل العظيم الذى نال منهم بواسطة التجارة والفلاحة والرئاسة والكرم ومناصرة الحكومة شأوا بعيدا حتى توفي عام 1325 هـ ، وكان لأكليميم فى عهده وفى عهد والده أعظم شأن ، حتى كانت تلقب فى تلك الجهة بفاس الثانية » وقد كان فيهم دحمان آخر كان قائدا هناك فكان مثال الوفاء والاخلاص لجلالة المرحوم مولانا محمد الخامس وأودى فى ذلك من طرف الفرنسيين كثيرا ، توفي رحمه الله فى 19 ربيع الثانى عام 1384 هـ الموافق 28 غشت 1964 راجع تراجمهم فى أواخر التاسع عشر من المسول .

(533) الحارة من الحر والقارة من القر وهو البرد ، اى فى الشدة والرخاء .

فهناك الحسين بن عبد الله الفقيه العبلأوى (534) وأحمد والد القائد المدني (535) ، وأحد آل الحاج بلقاسم (536) السوقيين من تانكرت ، ومحمد أنافال

(534) علق عليه المؤلف بقوله « فقيه رئيس ظهر بمظهر غريب ، تخرج من الحواضر ، ثم حال حتى كانت يده هي العليا في أيت باعمران ، وهو والد سي أحمد ن الطالب المشهور ، توفي عام 1308 هـ » ويعني بتخرجه من الحواضر أنه تعلم في فاس ، والمظهر الغريب الذي ظهر به هو أنه كان يخوض في النوازل وفي مشاحنات القبائل مع علمه الغزير وفضله الكثير وكرمه الوافر وعبره الراسخ ، واستفله الحسين هذا في التضريب بين أيت باعمران ، وقد هرم وقلج حتى توفي في 29 ربيع الأول 1308 هـ وصلى عليه العلامة سيدي محمد بن أحمد المؤرخ الأكراري مؤلف « روضة الأفنان في تاريخ أعيان الزمان » ، لأنه كان إذ ذاك في مدرسة سيدي علي بن سعيد في أيت بو ياسين القريبة من محل موت المترجم ، قال هذا المؤرخ « ولم أره في حياته بل بعد مئاته ورايت له ليلة وفاته أنوارا ، خرجت ليلا من حانوتي - يعني بيت سكناه - فإذا أنوار قدام عيني ظهرت لي في الحائط ، فقلت لعل الفقيه سيدي الحسين قد مات فلم يمض إلا قدر ساعة فإذا رسول ابنه سيدي أحمد يطلبني لأحضر ، ومثل تلك الأنوار رايتها وأنا صغير يوم مات سيدي إبراهيم بن الطاهر الشاحوري الأكراري » والعبلأوى نسبة إلى أيت عبلا (عبد الله) ، وأيت بو ياسين فسي قبيلة الأخصاص .

أما أحمد ن الطالب فمعهنا أحمد ولد الطالب أي ولد الفقيه ، ومن المعلوم أن قضاة الشوسيين يمدون من البدع الطارئة على بلدهم كلمة سيدي وتقبيل اليد ، فما كانوا يسون فقهاءهم إلا الطالب فلان أو عمي الطالب إذا كان مستأ ، وما أكثر الأسر المسماة بشال الطالب ، فإن العلامة سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ دفين تامانارت لما عاد من الجهاد في تحرير البريجة أيام السلطان المولى عبد الله الخالب بالله السعدي مر بقرية أيت فروين حيث العلامة سيدي محمد بن إبراهيم البعقل ، فأراد هذا أن يقبل يد الشيخ وهو هم مسن لا يكاد يظهر بين قروبوس سرجه فمعه يمدوقال له انكون هنا البدع وانت هنا ؟ ان لم تقطع تقبيل اليد ولقطة سيدي فلا اعرفك ولا تعرفني ، مع ان شيخه الحسن بن عثمان التمل دفين تيوت قرب تارودانت هو الذي اتى بذلك من فاس .

وقد تبع أحمد ن الطالب هذا خطأ والده في الخوض في السياسة وطمع في الولاية وتولى فعلا قيادة قبيلته أيت عبلا وقيادة قبيلة أيت يعزى يظهر من الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين فسبب له ذلك مضايقة القائد المدني الأخصاصي الذي الب عليه من قتله عند سحر أحد أيام رمضان 1339 هـ ، راجع صفحة 231 من عاشر الممسول وراجع الجزء 13 صفحة 316 والجزء 19 صفحة 117 منه وترجمة القائد المدني في الجزء 20 منه .

(535) أحمد والد القائد المدني علق عليه المؤلف بقوله « رئيس فاضل ذو اخلاق حسنة ماثورة مشهورة بكل لسان ، يلزم الجادة ، توفي نحو عام 1301 هـ » . راجع ترجمته وترجمة ولده القائد المدني في الجزء 20 من الممسول .

أما القائد المدني ابن أحمد بن عبد الله فهو أحد الذين خبوا ووضعوا في فتن مدافعة الاحتلال الفرنسي وانصاره كعيدة بن ميس والكلاوي والطيب الكندافي ، وكان له اتصال بالدولة العلوية ولكن لما انقضت الحماية انحاش إلى آل ماء العينين المعادين للاحتلال وكان من المتزعزين لحركتهم حتى مات ، ومع انه كان كابناء زمانه رغبة في النهب وجمع الحطام ، فقد كان يطلب الله ان لا يجتمع بالنصاري - يعني الفرنسيين - فلم يجتمع بهم قط ، وكان لا يحفظ القرآن ، بخلاف والده أحمد ، وكان يقرؤه حتى سهل عليه فصار يقرأ منه خمسة اجزأ يوميا مع ورد من دلائل الخيرات . مات بعد عشر يوم الاثنين سابع رمضان 1352 هـ ودفن في بوزاكارن .

(536) علق هنا المؤلف رحمه الله يقول : « أسرة الاستاذ الحاج الحسين الأفراني مشهورون ببناصرة ايلبخ ، فلذلك اشتهروا ببناصرة الحاحيين فخرجت ديارهم مرتين لذلك » ، راجع ترجمة العلامة سيدي الحاج الحسين في صفحة 26 من الجزء الرابع من الممسول .

الرخاوى (537) ، وأمفار محمد العلوى المجاطى (538) ، وعلى بن بوهوش العلوى المجاطى (539) ، ومحمد الملقب أوسار الوفقاوى (540) ، واليزيد العروسى السملالى (541) وأمثالهم فمنهم تتكون ندوة ايلىخ فييرمون ما يشاءون هناك ، وجيب الحسين مفتوح لهم ، لأن من شيمه ان يقوم بأودائه قياما تاما ، ولا يفرط فى واحد منهم ، وكان كل الرؤساء للقبائل يتناولون مما غرمة لقبائلهم بواسطة الموسم كما تقدم ، ولذلك يجدون فى اعانته ، وتلك سياسة اتبعها الى آخر حياته .

الحسين والحكومة

ذكرنا فيما تقدم ما يحكى من انه عارض المولى الحسن الأول ، وقد عرضنا ذلك امام القارىء كما سمعناه ، ولا ندرى مقدار ما لذلك من الصحة ،

(537) علق عليه المؤلف يقول : « قرين مبارك بو الطعام وكان يفوقه احيانا ، وقد هلك فى سجن الحكومة كما سمعت » .

ومبارك بالطعام هذا الذى قارن به محمد انافال - اى الاحق بالسلحية - رجل امى تقريبا لكنه من عظماء عصره وهو من قبيلة ايت رخا احدى قبائل مجاط بجوار ايت باعمران بالقطر السوسى احد الابطال المناويرنوى الراى الصائب فى حل المشاكل والمصالحة بين القبائل انضم الى «ال شيخ ماء العينين ضد الاحتلال الفرنسى ، فلم يصل الاحتلال ايت رخا حتى تجاوزت سنه المائة سنة فلزم بيته وترك اولاده العلماء يخوضون مع الخاضعين ، توفى عام 1366 هـ ، راجع ترجمته فى صفحة 210 الجزء 20 من المسئول .

(538) علق عليه المؤلف بقوله : « ابتدأت رئاسته بالانتخاب بشورة محمد اعجل البمقيل قبل عام 1270 هـ - راجع التليق 521 - فكان كبير الشأن وكان لا يباب الا بالطعم والا فانه كريم مخالق مستحق مشفق على المساكين توفى عام 1322 هـ ، وهو والد القائد سعيد المجاطى المشهور القتول » اخر عام 1330 هـ « راجع التفاصيل فى تراجمهما فى الجزء 20 من المسئول .

(539) علق عليه المؤلف يقول : « قرين امفار محمد المذكور غير انه بخيل ضيق العطن لا يليق للسيادة الشريفة توفى نحو 1310 هـ « توجد ترجمته ايضا فى صفحة 218 من العشرين من المسئول .

(540) علق عليه المؤلف يقول : « من «ال الطالب ابراهيم الوفقاوين ، يقال انه حكيم بين اهله ، ولذلك انتخب عنهم ، توفى نحو 1308 هـ فيما سمعت » ومعنى اوسار الاشيب الضعيف .

(541) علق عليه المؤلف يقول : « من الاسرة العروسية التى لا تزال فيها رئاسة ايت عروس ، سقط فى حرب بين الحسين وبين مجاط قبل تمام القرن 13 هـ « وايت عروس هؤلاء فخذ من قبيلة سملالة بسوس ، وقد مر فيهم علماء توجد تراجمهم فى اوائل الجزء الخامس من المسئول .

لأنى لا احسب مثل الحسين فى راحة عقله يطاول السماء بيده ، وقديما قال المعرى :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا (542)

فقد سكت التاريخ (543) عن هذه النقطة ، فيمكن ان يكون ذلك صحيحا فيأتى أجفاله امام السلطان المولى الحسن سنة 1299 هـ . مما يؤيد ذلك ، كانه يخاف عقبي ما قدمت يدها ، ويمكن ان لا يكون ذلك صحيحا ، وانما يكون أجفاله فى هذه السنة عن خوف توجسه من الدوائر ، ولا احسب ان الحكومة تحس منه بشئ مع ماله من السمعة والشهرة ثم تبقى عليه ، مع انها لا تحتاج لأكثر من ان توغز لأصغر قوادها فيطارده أو يلقي عليه القبض ، وقد سمعت حكاية صحيحة تنافى ما تقدم ، وهى ان الجرارى والحسين تخاصما على ايفير ملولن ، فتحاكما الى السلطان المولى الحسن برسائلهما فحكم للحسين ، فقرأ الظهير على القبائل هناك الفقيه السيد الحاج الحسين الافرانى ، وهذا يؤيد ان ما بينه وبين الحكومة لم يبلغ من الفساد ما يظنه الناس تخميننا وحدها ، والذي يظهر ان الحكومة تراه ككثيرين فى الاطراف لهم شبه استقلال ، وامرهم عندها قريب ، وقد اكتفت منهم بالموالاة المعنوية ، وخصوصا فى مثل ذلك الوقت المخرج الذى يجتازه المغرب منذ وقعة تطوان سنة 1276 هـ (544)، فالأمور الخارجية تشغل بال الحكومة فلا تبالى فى الداخل بأمثال الحسين ولو كان حقيقة ظهر منه شئء آخر ، وأما وقد والى الحكومة ظاهرا فلا معنى لمناوشته ، هذا ما يظهر لى ، وكأنتى فى هذا رأى غير بعيد عن الحقيقة الناصعة ، وذلك ما يؤتى لى .

(542) هذه القصيدة فى « سقط الزند » لأبى الصلاء .

(543) علق المؤلف هنا يقول : « الاعلام لابن زيدان فى ترجمة المولى الحسن » .

(544) وقعة تطوان هذه كانت سنة 1276 هـ الموافق سنة 1860 م .

فقد احتلها الاسبان احتلالا نهائيا ولاظهار تأييده للمغاربة جعلوا يشقون الشوارع من جديد ويهدمون ويبنون ، ولكنهم ارتحلوا عنها بعد شهر ونصف مقابل اموال باهظة منها المجل ومنها الموجل ، وهذه القضية احدى تكسات المغرب التى ادت الى اجتلاله .
راجع الاستقصاء وتاريخ تطوان للاستاذ محمد داود التطوانى .

هل كان عازما حقيقة على استعادة امارة اجداده

قالوا جلس الحسين يوما مع انيسه اليزيد المروسي السملالي وكانت بينهما مصافاة ومداخلة في جميع الاسرار ، فقال له الحسين ارايت مقدار ما تدور فوقه (545) نتنا عشرة بغلة من المال الناض يقوم بتأسيس ملك ؟ فقال المروسي - وقد حكى عن نفسه ان مقصوده في الجواب لفت نظره عن تلك الجهة - لا والله بل ليس في ذلك المقدار ما يمكن ان يقوم بطرايبش الجند وحدها فضلا عما وراءها .

هذه حكاية متداولة عند الناس ، وعليها وحدها يبنون ما يرونه من ان «امال الحسين تتعالى الى استعادة مجد «ابائه» ، ولكن هل تصرح الحكاية وحدها بذلك، ان الانسان ليكون من ذلك في شك ما لم يكن هناك بساط (546) عند تلك المحادثة يدل على قصد تلك الفكرة ، لان مثل هذا قد يراد به امور اخرى كالمداخلة وكاظهار مقدار ما لقائله من نروة ونحو ذلك ، ولهذا لا يمكن ان تدل الحكاية وحدها على ما يريدون رغم فهم المروسي الحاكي لها على ذلك المنحى ، وقدما قال المحدثون « ان العبرة بمروى الراوى لا بفهمه » .

ان القاء نظرة سريعة على قوة الحكومة الداخلية اذ ذاك ما بين 1258 هـ وبين 1303 هـ (*) ليدل على ان هذه الفكرة لا يمكن ان تستولى على عقلية الحسين استيلاء يعدها للبروز الى الوجود ، فمولاي عبد الرحمان وابنه سيدي محمد وحفيده المولى الحسن كلهم اقوياء في نظر الامة مرضى عنهم اتم الرضا ، لهم في قلوب اهل جزولة مكانة عظيمة ، ولعلماء هذه البلاد اتصال تام بالعرش ، كاحمد التيمكيدشتي وولده الحسن والحاج احمد الجشتيمي والحاج ياسين الواسخيني

(545) علق المؤلف هنا بقوله : « يعنى المقدار الذى يجول عليه هذا المقدار من المال من الزرع حين دسه . وقد اتى ذلك منه لانه يدعى يشبه مقاصده بما يالفه من العادات » .
واما اليزيد هذا فقد تقدم في التعليق 544 .
(546) اى لمينة تدل على ان مراده هو القيام لاسترداد سلطة جده بوحمة .
(*) تاريخ ابتداء رئاسة الحسين بن هاشم وتاريخ وفاته .

واحمد بن ابراهيم السملالى والحسين الاصاري (547)، والعربى الادوزى وابنه محمد، وقد رأينا أسماءهم كلها مصرح بها فى رسالة كتبها الحكومة (548) الى هذه الجبال سنة 1276 هـ يوم حرب تطوان ، ثم رأينا المتطوعين يذهبون فينتظمون فى الجندية ، ووراء ذلك ، فان يد الحكومة قوية فى تارودانت دائما ، وقوتها المعنوية قد استولت على أقصى الصحراء المغربية فضلا عن جزولة ، لما لأولئك الملوك من مازجة بالامة ، وود راسخ فى القلوب ، أفبعد هذا يمكن ان تستولى هذه الفكرة على الحسين حتى يراها مداء فى الحياة فيوطد لها ؟ اللهم ان هذا بعيد.

اننا رأينا الحسين قد وجد أمامه وخلفه وبين يديه عداوة البعقيليين والجراريين ، وهى مستديرة به من جانبيين ضاربة عليه أطنا بها ، وقد بذل كل ما فى وسعه فلم يستطع ان يتغلب عليها ، وهل فى امكان من كان عاجزا عاجزا واضحا عن مغالبة هذه القبائل ، ان يتناول الى مغالبة المعتلين العرش مع ما لهم من القوتين السلاحية التى تنسفه فى لحظة عين والمعنوية التى ليس له ازاءها الا مثل ما فى الاضائة (549) من المياه بالنسبة للبحر المحيط ؟ اللهم الا ان كان ابله أخرج غير مميز ، وليس الحسين بالأبله ولا الأخرق ولا غير المميز ، بل تدل كل أفعاله على انه حاذق ماهر بارع فيما يأتى وما يذر ، حازم لا يقدم حتى يوطد ويستعد لما هو مقدم عليه ، فلهذا لا يمكن ان تستولى عليه هذه الفكرة،

(547) تقدم احمد التمكنيدشتى فى التعليق رقم 522 وولده الحسن فى رقم 523 والحاج احمد الجشتيمى والخمسة الذين بعده مذكورون فى رقم 521 ، ومراجعة تراجمهم فى « المصنوع » أفيد كثيرا .

(548) حيثما ذكر المؤلف الحكومة فى هذا الكتاب فانه يعنى بها السلطة المركزية المغربية . الشرعية المستقلة المتمثلة فى شخص السلطان يحترز بذلك عن سلطة العمال او الشوار فى الاطراف . (549) الاضائة : الغدير جمعها اضى كهوى واضاء كوفاق واضايات كمنايات كما تجمع جمع مذكر سالم اضمون .

وما أقاويل بعض الناس في ذلك الا تمويهات ليست بنبع ولا غرب (550) ، نعم اننا لا نحكم بأنه براء من ان يخطر ذلك بباله لو وجد امامه الظروف الملائمة ، كما اننا لا نقدر ان نجزم بأنه خطر بباله ايضا لأن ذلك من بنات القلوب التي لا يطلع عليها الا علام الغيوب ، وانما الذي ننفيه عنه هو ان يستولى عليه الطموح الى ذلك حتى يعمل على اظهاره للوجود ، فهذا ما لا يمكن ان يلصقه به الا من لا يرى له عقلا حسيفا بل يرى له بلها ليست له نهاية ، مع ان الرجل عاقل كبير ، وان كان ربما يؤديه تعاليه الى الثروة الى ان يتناول الى تخطي ما كان اذ ذاك محظورا على كل احد أيا كان حين يكتب بعض الأجانب ليفتح معهم المقايضة في بعض نواحي آيت بعمران ، ولاسمه ذكر في المشادة التي قضاها المولى الحسن وسط ايام مملكته في الدفاع عن تلك النواحي (551) ، وقد قيل لي ان تحت يد اولاده الى الآن رسالة من دولة فرنسة اليه تتحفه بأمور مسماة في الرسالة ولكنه لم يتوصل بها ابتعادا عن ان يفاتح من لا يعرف عقبى اتصاله به استقبالا فرد الهدية ، وهذه غاية حصافة الرأي .

وفادته على الحاج عبد الله الحاحي

كان للحاج عبد الله بن عبد الملك — بعد والده — مركز عظيم هائل ، وقد امدته الحكومة بعناية كان جديرا بها لاخلاصه للعرش ، وقد بلغ

(550) أصل النبع شجر تتخذ منه القسي والسهام ، والغرب بفتح الراء شجر ايضا . ويقولون في الشيء ليس بنبع ولا غرب اذا كان لا فائدة فيه قال ابو تمام من قصيدته البائية الشهيرة .

تخرصا واحاديثا ملفقة — ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

(551) علق المؤلف رحمه الله على هذا بقوله : « 334 من الجزء الثاني من « الاتحاف » ويعني بذلك ما ورد في جواب من جلالة المولى الحسن الاول مؤرخ بثنائي عشر رمضان عام 1297 هـ الى وزيره المفوض بطنجة السيد محمد بركاش ، في شأن انجليزى يسمى مكينسى نزل للاتحاد بجزر كنارية بدون أن يؤدي اعشارا للدولة المغربية ، وان اصبانية وفرنسة تريدان فتح مراكز لهما هناك حتى لا تستبد انكلترة وحدها بالاتجار فيه ، ثم يقول السلطان في جوابه ذاك مذكرا للوزير بما في رسالته وعاطفا عليه قوله : « وأنت تخبرت على وجه السر بكتاب توجه للفرنسيين من فرقة من قبيلة ايت با عيران يطلبون التجارة منه معهم ، كما تخبرت بأن ابن هاشم كتب له بالمغاطبة في شأن المخالطة فلم يساعد على ذلك الى آخر ما ذكرته » والمراد بابن هاشم هو الحسين هذا .

فى أوائل أيام المولى محمد بن عبد الرحمان مركزا عظيما (552) ، فقد طالت
إيالته الى سوس ، فاستولى على اكادير وكسيمة وهشتوكه ، كما استولى على
ادا وزيكى وما وراءها ، وذلك فى حدود 1280 هـ ، فلعل امتداد نفوذه الى
هشتوكه كان سببا لاتصاله بالحسين ، فتوطدت بينهما الصلابة بالمراسلة ،
ولعل هذا يكذب ما قدمناه مما يحكيه الناس من كونه واقف المولى الحسن حين
نزل الى سوس سنة 1283 هـ لاننا ما كنا نحسب مثل الحاج عبد الله يوالى من
يفعل تلك الفعل ، ثم اننا رأينا الحسين قد ذهب فى وفد كبير فى حشمه
ورؤساء نجلته كأحمد والد القائد المدنى ، فرتب من فى موكله ، فأمر الجميع
بملازمة الصمت فى دار الحاج عبد الله فلا يتكلم الا احمد هذا واثنان «اخران
ذكروهما ، فلقاء الحاحى الضيافات من كسيمة فى دار الحاج العربى ثم لم يزلوا
فى ضيافته حتى نزلوا فى أزغار حيث مسكن الحاج عبد الله ، فلاقوا هناك عناية
هائلة واکراما جما لا يزال طنينه يرن فى الاسماع الى الآن ، ثم صدر الحسين
وأصحابه من هناك بحقائب بجراء وجيوب طافحة ، ولعل هذه الوفادة كانت قبل
سنة 1283 هـ ، كما يظهر من القرائن .

وقد رأينا الحكومة تنتزع اكادير فى هذا الحين من يد الحاج عبد الله
وتجعله فى يد القائد حميدة بن على الشركى قائد تارودانت ، ورسائله فى كسيمة توقع
بأواخر سنة 1284 هـ فما بعدها ، فهل لهذا الاتصال بالحسين الايلغى دخل فى
انتزاع اكادير من يده وتقليص إيالته من تلك الجهة ؟ وهل لما يذكرونه من
معارضة الحسين للمولى الحسن يد فى ذلك ؟ ثم رأينا الحاج عبد الله هذا يطوق

(552) علق المؤلف رحمه الله هنا يقول : « فى صفحة 118 من ثانى « الاتحاف »
ويعنى بذلك قوله : « كان عامل حاحة ولد بيهى ظهر له من السلطان سيدي محمد بن عبد
الرحمان قبول واقبال حمله على التصريح بأنه المعتمد فى تلك الجهات الحوزية وأنه لا دخول له تحت
ولاية وخلافة المترجم - يعنى المولى الحسن الاول - فكان من قدر الله ان قامت عليه إيالته وملت
يد النهب والتخريب الى داره حتى اضطر الى الاستنجاد بالمولى الحسن فانجده حتى افلت وقدم على
السلطان سيدي محمد الى فاس وجعل يلوح الى ان ما حل به هو بتدبير المترجم فلم يلقى اليه
السلطان بالا لتمكن مكانة ولده لديه » .

ادا وتانان سنة 1284 هـ فى حملة عظيمة حتى اقتحمها بعد رمضان فى اواخر السنة (553) ، ثم لم يلبث ان القت عليه الحكومة القبض وألقته فى سجن مراکش حيث لاقى حمامه «آخر السنة» فهل كانت فعلته بادا وتانان افتياتا على الحكومة ، فيكون ذلك ما عجل اليه حنقها الشديد ؟ او كان ذلك مع ما قدمناه من الاتصال بالحسين اسبابا لما صنعتته به الحكومة (554) .

اما الناس فيقولون ان سبب غضب السلطان على الحاج عبد الله هو انه توصل برسالة سرية كان كتبها الى الحسين ، فأمالها الرسول الى مراکش عوض

(553) علق المؤلف هنا يقول : « عندنا تفاصيل لا بأس بها لهذه الحملة بخط بعض العلماء الحاضرين اذ ذاك » ويعنى بذلك وصف هذه الحملة لسيدى محمد بن احمد المتوفى عام 1316 هـ وهو والد سيدى سعيد التتاني الاستاذ الصوفى الشهير وزوج اخت المؤلف عائشة ، وذلك ضمن تسجيلاته لمحن مرت على قبيلته ادواتان . من عام 1266 هـ الى ربيع الثانى عام 1296 هـ ، كمدة مجاعات شديدة اصاب المغرب فى هذه الظروف ، وقال فى وصف هذه الحملة :

« ونواحى بنى تنانة كلهم قد تسلط عليهم القائد الحاج عبد الله بن عبد الملك العاحسى واخوانه كلهم قبائل حاحة باجمعهم نزلوا علينا بامرهم ، ومن معه من القبائل كقبيلة نفيلة وقبيلة بنسيرة وقبيلة ادوزيكي ، وقبيلة ماسكينة ، وقبيلة كسيمة ، وبعض قبائل هواة ، ومن معهم من اخواننا بنى تنانة ، وداروا علينا وعلى بلدتنا كدورة الخاتم بخيلهم ورجلهم ، بجنودهم وجهودهم وكثرتهم ودارت الاحوال ببلدة بنى تنانة كلها ، قد نزلوا عليهم فى شهر الله ذى الحجة الحرام عام 1284 هـ ومكثت المحلات - يعنى الجيوش - ونزلت عليهم تسعة اشهر كاملة وصار القتال الشديد فى بلدة بنى تنانة » .

حتى قال : « فرجعوا بعد ما احرقوا بلدة بنى تنانة كلها حتى ما بقى منها الا القليل ، اعنى المواضع المتبعة بالاوعار »

وقال : « وقطعوا جميع الاغراس التى لا عد لها ولا حد » .

وارخ هذا التسجيل بالمحرم عام 1285 هـ .

(554) حكى المؤلف رحمه الله فى صفحة 86 من رابع « خلال جزولة » له ، قال : « اخبرنى ثقة ان اياه قال كانت بينى وبين الحاج عبد الله معرفة اذ ذاك فذهبت الى داره مرجعه من ادواتانان . وبعد قليل دخل فى عشية فارس يرتى فرسه زبدا ابيض مما يدل على شدة اسراره ، فولج على البوابين ولم يرده احد حتى وصل القائد وكان ذلك فى الاصيل ، ثم لما وصل المغرب ، لم نسمع اذان الدار الداخلية على العادة ، ولم يكن يؤذن فى المسجد الخارجى حتى يؤذن فى المسجد الداخلى ، ثم بعد العتمة سمعنا بكاء من الدار ، ثم قيل لنا ان القائد يودعكم ويقول لكم انه سائر الى السلطان الآن ، فان رجعت فلا يكون الاخير والا فالوداع ، فذهب فلم تمض الا ايام حتى سمعنا بموته » .

وقد اشرنا فى «آخر التعليق 492 من صفحة 242 ان الى الحاج عبد الله هذا ينسب درب عبيد الله بالمواسين بمراكش ، ونضيف هنا ان داره الخاصة صارت اليوم مقسمة الى نصفين كل منهما بيد مالك خاص .

ان يسير بها الى ايليج ، فاذا كنا نقف دائما من امانال هذه الاقاويل المتداوله موقف الحياد ، فلا نردها الا بما هو أصح منها ، فيمكن ان يكون اتصال الحاج عبد الله بالحسين هو سبب سقوطه ، وانه ذهب ضحية هذا التقارب ، على اننا لا يمكن لنا ان نحمل هذا التقارب بينهما الا على ما ينفع الحكومة ، يسعى فيه الحاج عبد الله ، فيؤول سعيه في دوائر ولى العهد على خلاف ذلك ، فيبطش به ، وهناك في الدوائر المخزنية من يقول ان لولى العهد المولى الحسن يدا مع أعداء الحاج عبد الله آل بووابوض (555)، أفلا يمكن ان صح ان له يدا معهم أنهم هم الذين جبكوا الدسائس فبنوها على ما سبق من مقاومة الحسين للمولى الحسن سنة 1282 هـ ، نم يؤول اتصال الحاج عبد الله به كمقاومة للحكومة ؟ كل ذلك ممكن ، ولكننا كمؤرخين يريدون التثبت ، لا نقدر ان نجزم ما دمنا لا نجد اخبار ثقات أو وثائق نبني عليها حكما مسطحا ، وكل ما صح عندنا في الموضوع هو اتصال الحسين والحاج عبد الله ووفادة الأول على الثاني ، واما ما سوى ذلك مما ذكرناه فانه معروض امام اعيان القراء كما يذكره الناس او كما يخطر في بالنا ، وهذه المقاومة التي ذكرناها من الحسين امام ولى العهد في هشتوكة اما في سنة 1282 هـ ، واما في السنة بعدها لأن للمولى الحسن مجيئا الى سوس مرتين اذ ذاك ولم تكن سوس مسلحة ولا جرى فيها قتال ، وقد اتفق المخبرون على تلك المقاومة

555) علق المؤلف هنا بقوله : « وسبب العداوة ما يكون بين متوكة وحاجة من قديم . وقد نهب مرة آل الحاج عبد الله بووابوض أو نهب هو نفسه » . اما بووابوض فراجع فيه رقم 525 .

واذا كان المارئي، عاطفيا يرى في هذا الانقراض الذي انفضه الدولة على عبد الله بن عبد الملك هذا وهو «امن في سربه مأساة محزنة خصوصا اذا استحضر اخلاصه لها واخلاص والده قبله فلا ينبغي أن ينسى ان ميدان السياسة لا يعرف المواطنين . وان الدولة العلوية لم تنس بعد غدرة بودميعة للمولى الشريف بن علي جدها واعتقاله في ايليج عدة اعوام حتى قدى نفسه بالاموال الطائلة ، كما انه كان ينبغي لعبد الله أن لا يففل عن مجاهرة الحسين بالعداء سنة 1283 هـ للمولى الحسن الاول ايام ولايته للمهد ، كما انه لم يكن من اللائق به ان يتعاطف على ولى العهد وهو من اولياء نممه واليه يصير مثاله يوما ما .

وقد كان من واجب عبد الله هذا ، قبل ان يتصل بالحسين بن هاشم ان يعرف رأى الدولة فيه اولاً ، وان يتفق معها على خطة معينة اما باستئلافه واستمالته لحظيرتها واما بالقبض عليه عند الممكن منه ولم يحدثنا التاريخ عن قيام عبد الله ابهى بهذا الدور الدقيق والطبيعي في نفس الوقت، والا فالمعروف عن ملوك الدولة العلوية هو الوفاء لمن اخلص لهم ، والامر لله من قبل ومن بعد .

ولكننا لا ندرى كيف دارت ولا كيف جرت ، وفى التاريخ ان المولى الحسن جاء فى سنة 1282 هـ الى ان وصل نحو ماسة ، ولم تذكر فى ذلك مقاومة ما (556) .

ثم ان نظرنا الى كون الحسين يجعل نفسه فى مركز سام حتى يقيم له مثل الحاج عبد الله قيمة ، فاننا نعرف ان همته شريفة ، وانه يحب معالى الأمور لانه يريد ان يجعل الحاج عبد الله واسطة متينة بينه وبين السلطان ليزداد بذلك مكانة الى مكانته ، ولكن جاءت الوفادة بعكس مقصوده فذهب صاحبه ضحيتها ان صح ما ذكرناه ، وما اكثر ما يذهب البراء امثاله بتمويهات الدسائس الذين يتطلبون بكل ما فى وسعهم ان يزرعوا الشقاق بين القلوب ، وان يثيروا أيدي الحكومة على المخلصين من اعوانها ، وعلى كل حال فان هذه النقطة التى يدور حولها القاء القبض على الحاج عبد الله لا تزال فى ذمة البحث .

ثم اننا لم نعرف للحسين سفرة اخرى سوى هذه خارج سوس الاقصى ، وانما مجالات أسفاره ، وميادين انتقاله هى القبائل التى تتاخم تازروالت ، حيث يهاجم أو يدافع أو يخاطر فى منطقة حزبه تاكوزولت ، وليس امامه مقاصد اخرى سوى ذلك ، كما يشهد به كل ما عندنا من تاريخ حياته الحافلة بالحركات والتنقلات ، وكان دائما حيثما حل مطمح الابصار ، وقطب المخابرات ، ومنبع الآراء ، لانه يالف ان يعلو دائما ولا يعلو عليه ، ولذلك لا يمكن ان يفد تلك الوفادة على الحاج عبد الله حتى يعلم انه سيحل عنده محل التشريف المتناهى .

(556) علق هنا المؤلف يقول : « بل ذكروا انه تجاوز ماسة : صفحة 118 من الجزء الثانى من « الاتحاف » .

قال المولى عبد الرحمن بن زيدان فى صفحة 117 من الجزء المذكور : « لقد له عام 1280 هـ على جيش يقصد قبائل السوس الاقصى » ، وبعد ما ذكر ان والده اختار من يلقب لرفقته من العلماء والعمال وعد منهم العلامة السيد على المسفيوى الراكشى والنحوى الاديب السيد محمد بن عروز الرباطى والوزير السيد محمد بن داني ، قال « الى ان بلغ الصي سوس ودوخ قبائله التى مضى عليها زمن طويل وهى معطلة من حل طاعة الامراء والسلطين » ثم قال : « وكان فى حركته تلك بلغ وادى ماسة بل جاوزه » ثم نثنى عنان عزمه لباقي بلاد سوس مثل هشتوكه وهوارة ورأس الوادى » .

اجفاله امام السلطان الى الجبال

فى سنة 1299 هـ . أقبل السلطان المولى الحسن الى سوس ليتفقد ناحية الصحراء لأمور سياسية خارجية ، فحافظ ان لا يثور امامه من قبائل الجبال ما قد يشغله عما جعله امام عينيه ، فأفلح فلاحا باهرا فى الملاينة ، فلم تبق قبيلة فى كل سوس ولا فى صحرائها الا مثلت بين يديه ، فيعين لها القواد والقضاة ويصل كل واحد ، وقد اظهر للعلماء جميعا على اختلاف طبقاتهم احتراماً زائداً ، فبادر من كان منهم تأخر عن ملاقاته فاستدركها ، ولم يبق فى سوس قاطبة من له جاه أو رئاسة أو ذكر كيفما كان الا مثل بين يديه فيرجع راضيا ، الا ما كان من الحسين بن هاشم هذا فانه غادر ايليج وتسلق جبل سملالة ، وتقل كل متاعه اجمع من ايليج ولم يبق فيه شيئا ، وملا جانبا من مدرسة الشيخ سيدى احمد بن موسى بالاولانى كالموائد وغيرها ، فعل ذلك مع ان العقلاء نهوه عن فعله وامروه بالاستقرار فى داره ، وقالوا له انه لا يخاف من السلطان شيئا ، ومن بين من نهوه عن مغادرة ايليج الشيخ الصوفى الشهير سيدى سعيد بن هو المعدرى (557) ، فقد جاء اليه من المelder ولا قصد له الا ان ينهاء عن الهروب ، وكانت بينهما صحبة أكيدة ، وكان الحسين يعتقد ، فوجد عند الباب وقد اسرج خيله واراد أن يركب ، فأمره بأن لا يذهب ، فأصر على نيتة .

جاء المولى الحسن فنزل فى ضواحي تيزنيت ، وارسل مولاى الامين من ءاله حتى زار ضريح سيدى احمد بن موسى بتازروالت ، وقد عرجوا على

(557) من كبار الصوفية المارفين بالله ، ولد عام 1215 هـ وتوفى عام 1300 هـ أخذ عن الماروف بالله سيدى احمد بن عبد الله المراكشى صاحب الزاوية الدرقاوية بحارة ازبزشى بمراتشى عن الشيخ مولاى العربى الدرقاوى ، وافضل ما أقوله للقارىء الكريم عن هذا الشيخ الجليل هو أننى انصح ان يقرأ ترجمته فى رابع المعسول ابتداء من الصفحة 306 .

ايليج ولم يلتفتوا اليه ، ثم رجعوا ادراجهم ، فسكت المولى الحسن عن الحسين كأنه لا يعرفه ولا يابه بما صنع ، رغم ما تقرب به البغليليون من معاداة الحسين (558) ، فقد عين لهم السلطان ثلاثة قواد القائد احمد الابلاغي العدو الشديد للحسين ، والقائد موسى الوجاني ، والقائد سعيد الكردي ، وقد وقع بعد ان رجع السلطان الى الحمراء أن وفد القائد احمد الابلاغي على السلطان في بعض الأعياد ، وكان ابله ، فصار ينادى في مشور القصة بمراكش بأعلى صوته ، والمشور مكتظ بالناس فيقول : « قولوا لمولاي الحسن يخرج لأنتم معه الكلام حول الحسين بن هاشم فاني ما جئت الا لذلك ، فيضحك الناس من بلهه ، وكان يقول في مجامع القبائل غدرني مولاي الحسن وقد كان وعدني أن يجتاح ايليج ، فوالله لو عرفت أنه لا يصنع ذلك ما رأيته ولا رأيته ، فمن هنا نعرف تصامم السلطان عما يريده بالحسين أعداؤه ، ولا نحمل ذلك على حلم السلطان ولا على أنه لم يفتظ من هروبه أمامه مع مشور كل الناس أجمعين بين يديه ، وانما نحمل ذلك على ما ذكرناه من أنه مهتم بأمور أخرى خارجية دولية في سواحل الصحراء ، فلم يرد أن يمس أحدا في الداخل ، لئلا يشتغل عما هو بصددته بشيء آخر .

ثم أن الذين يحكون أن الحسين كان قاوم المولى الحسن سنة 1283 هـ . في أيام والده ، يرون أن اجفاله أمامه سنة 1299 هـ . كان على خوف مما اجترحه اذ ذاك ، وقد يكون ما قالوه صحيحا .

ثم أن الحسين الذي كان نزل في سملالة عين لتلك القبيلة سوق الجمعة التي تقام الى الآن ، بعد ما كانت سوق أخرى ذلك النهار في أغرابو بأيت وافقا ، ثم خربت قبل ذلك العهد لنحو عشر سنوات ، فكانت اقامة سوق الجمعة نكاية

(558) علق المؤلف هنا يقول : « وقد اخبر من كانوا اذ ذاك من البغليين هناك ان موجة عظيمة من البشر قد غمرتهم ، وكانوا يقولون ان السلطان ما جاء الا من اجل التازروالتى وشيعته ، ومن هنا يظهر ما يضره البغليون للحسين » .

بسوق الاحد بأغوديد (559) التي كانت للبعقلين ، فنشأ عن ذلك شنتان عظيم انتهى الى حرب تارغنا التي سنذكرها قريبا ، وقد خربت سوق الاحد من جراء ظلم أهله للمتسوقين .

يذكرون أن ما كان مكنوزا في ايلينج وما كان فيه من الاثاث والذخائر نقل كله مع الحسين الى الجبل في هذا الوقت ، ثم لم يرجع غالب ذلك ، ويقولون أن خراب ايلينج المعنوى كان من ذلك الحين .

حرب تارغنا (560) وذبولها

يزعم البعقليون أن اقامة سوق الجمعة هي التي أدت الى ابطال سوق الاحد الاغوديدي البعقلية ، فأثار ذلك سببا خاصا لهذه الحرب ، زيادة عما كان دائما بين ايلينج وسملالة من جهة ، والبعقلين من جهة أخرى من عداوات مضت فيها أجيال ، فاحتشد كلا الفريقين بشيعته ، فكانت كل القبائل التي تحمل سمة تاكوزولت في جانب ايلينج ، والتي تعانق سمة تاحوكات في الجانب الآخر ، وكان التيزنيتيون وهم دائما من تاحوكات مع البعقلين ، فكان العربي ابن حسون رئيس خيلهم ، فسقط هناك عند اشتداد المعركة ، ثم لم تكن الحرب

(559) علق المؤلف هنا يقول : « وهي سوق قديمة تأسست في اواسط القرن الثاني عشر كثلثاء الاخصاص ، وخميس تاغيجيت ، وخميس ايت بونكر بايت باعمران ، والاحد باكليميم ، والاحد بافران ، والجمعة في تين مولاى ، تأسست كلها على يد سيدى حسين الشرجيل شيخ الطريقة الناصرية ، جال في هذه النواحي توفي . . . » وترك بياضا ليضع فيه تاريخ الوفاة ، وقد توفي في جدى الثانية عام 1142 هـ ، وكان مولده يوم الاثنين 11 شعبان 1076 هـ رحمهما الله معا .

وهو الشيخ حسين بن محمد بن علي بن شرجيل البوسعيدى الدرعى ، العلامة الكبير السننى الناصرى الطريقة ، أخذ عن العلامة احمد بن محمد احوزى الشهير وهذا عن العلامة سيدى احمد بن القلب سيدى محمد بن ناصر الدرعى التكروتى ، ورحل الى فاس سنة 1134 هـ ثم أسس مدرسته وزاويته في قرية امان ملونين - الماء الابيض - بقبيلة ايت تاكن بصناكة بعمالة وارازات ، وقد قام بهذه الرحلة التى أشار المؤلف هنا الى انه أسس فيها تلك الاسواق في رمضان 1141 هـ صحبة طلبته ومريديه يسبح ويعلم ويرشد الناس ويؤسس الاسواق ويأمر بحفر العيون ويصلح بين المتحاربين ، ورجع لزاويته في جدى الاخيرة عام 1142 هـ وتوفي بعد ثمانية ايام ، وقبره مزاراة هناك راجع ترجمته في الجزء 18 من المعمول .

(560) علق المؤلف يقول : « قرية من سملالة في بسيط ازاء انكيشا » .

تنفصل بين الفريقين بعد ما دامت أربعة عشر شهرا فيما يقولون حتى دب الشقاق الى صفوف الحسين ، ولذلك أسباب ، أهمها سببان كبيران ، أولهما أن القائد سعيد المجاطي (561) الذي تولى رسميا رئاسة اخوانه بظهير شريف سنة 1299 هـ ، كان يظهر بمظهر القائد في شخصه ، فيركب الفرس الذي أركبه اياه السلطان ، ويلبس الحلة التي خلعها عليه ، فيجول كذلك في موسم تازروالت ، فحك (562) ذلك في صدر الحسين وهو الذي تعرف منه عزوفا هائلا لا يرضخ معه لشيء ، فأمر يوما عبيده في يوم خميس بالموسم ، وقد امتلأ بكل الرؤساء من الآفاق ، فانزلوا القائد سعيد عن فرسه ، وأداروا يديه وراء ظهره فاعتقلوه تحت أعين الناس اذ شاهدوا كلهم ذلك ، ثم أطلقه بعد ساعة ، ولا سبب لذلك الا ليعرف الناس أنه لا يمكن لاحد أن يتناول امام الحسين سيد الجنوب السوسى وهو من هو ، الرئيس المسموع الكلمة فيه ، لكنه أدى ثمن ذلك غاليا ، لان والد القائد سعيد وهو أمقار محمد تار ثأره من هذه الاهانة التي جاءت بلا سبب ، فأسرها في نفسه الى أن ياتي أوان القصاص ، والسبب الثاني هو أن الحسين كان غرم ال تاجاجت (563) مالا كثيرا بدعوى أنهم أفسدوا له شيئا ،

(561) هو سعيد بن أمقار محمد من قرية أدعلى بن باها في مجاط ، خدمه السميد بالحصول على الظهير الحسنى سنة 1299 هـ . بالقيادة على مجاط لسكانه والده بما كان له من تمقل ورأى وصبر ومنه الله عليه بأولاد صحاح الاجسام كفوه مؤونة مشقة التكسب ، ولكن تلك القيادة صارت سببا لخراب تلك الدار ، لان الولد محروم من اخلاق والده فأخذ يتشاحن مع الناس ويعتدى عليهم ، وقد القى عليا اخا الرئيس مبارك بالطعام من جرف سحيق في تاكجكالت ، وكم القى منه غيره . وقد خربت القبائل دارهم مرتين فارتحل ، ولما زحف القائد سعيد الكيلولى الحاحسى الى بويكرا في جمادى الاولى عام 1314 هـ والى تزنييت في جدى الاول عام 1315 هـ مد اليه يده فخالف بذلك خطة قومه ، ثم توجه للدوائر الحكومية بمراكش حيث الوزير احمد بن موسى ، ولكن حوادث تلك الظروف كانت تتقلب بسرعة ولما انمقت الحماية مد يده للفرنسيين ، فالقى عليه اصحاب الهيبة القبض في هواره عند فرارهم من تارودانت بعد مراكش الى ما وراء تيزنييت حيث استقروا ، فاعطوه لاحد بن مبارك بو الطعام فقتله بعمه على سنة 1331 هـ اما والداه فقد ماتا سنة 1322 هـ . راجع الجزءين 19 و 20 من المعمول .

(562) قال نسي لسان العرب : « وحك الشيء ، في صدرى واحك واحتك : عمل ، والاول أجوده ، ثم قال بعد كلام : « ويقال حك في صدرى واحتك وهو ما يقع في خلدك من وسواس الشيطان » . (563) علق المؤلف هنا يقول : « بعدما دافعوا عن انفسهم دفاعا مجيدا ، ولكنهم اندحروا اخيرا فنزلوا شروط ايلخ عن تمامها » .

حتى أنهم أدوا له نمن سلوقية (564) هلكت بسببهم وهو أربعمائة منقال ، ثم أنه لم يعط لامثال أمغار محمد من رؤساء مجاط ما كانوا ينتظرونه كحظ لهم من ذلك المفرم على العادة .

كان هذان السببان مائلين أمام الاعين ، ثم دهمت حرب تارغنا ، فاتصل أمغار محمد بواسطتها بالبعقيليين فعاهدوه على مناواة ايليخ ، ففتح أمغار محمد الباب فاستدعى البعقيليين لدخول بلاد مجاطة ، مع أن المجاطيين نس يكونوا كلهم أزاء أمغار محمد ، فهناك على ن بوهوش (ابن بوهوش) (565) والبنيرانيون لا يزالون في جانب الحسين ، ولكن لم يكن البعقيليون يتدفقون على مجاط ، حتى تغير الموقف ، فحنا على ن بوهوش هامته ، وكان من أجبس الناس ، تم استخذى البنيرانيون ، فاجتمع الكل في تاجاجت فاعلنوا انهم لابد مستردون من الحسين بن هاشم ما أخذ منهم ، فان مجاط ليسوا به كمرابطى تاغلولو وكأهل تازروالت الذين يفرم منهم ما يريد ، وعلى الضرب على هذا الوتر الحساس أجمع المجاطيون مع البعقيليين فصمدوا الى ايليخ نفسها ، فنزل المجاطيون في ايغير ملولن على قرى كانت من شيعة الحسين ، فحربوا قرية أكرض ، فجلا أهلها الى ايليخ ، وجاء البعقيليون تازروالت ، ولم يكن الا يوم او يومان حتى نزلوا جميعا حول ايليخ محاصرين للحسين ، وقد ثار ضده جميع ال تازروالت ، فاصبح وليس معه الا اصحابه وسكان ايليخ لا غير ، وقد انقطع عنه البعمرانيون والاختصاصيون وكل الذين يبادرون اليه عند الشدائد ، وما ذلك الا لانقطاع طريقهم الى ايليخ ، وقد تسربت خيل من الاختصاص الى ايليخ ولكنها قليلة فسقط من فرسانها ستة قبل ان تدخل ،

(564) مؤنت السلوقى وهو نوع من الكلاب طويل الجسم والاعضاء خفيفا ، منسوب الى سلون . قالوا انها بلدة باليمن ، قال القطامى :

مهم ضوار من سلوق كأنها حصن تجول تجرر الارسانا

(565) تقدم فى التعليق (539)

فتبين للحسين ان على كواهل المجاطيين الذين يهين رجالاتهم بلا سبب ويغرم اخوانهم بالدعاوى الباطلة قيام قوته لا غير ، فحين انفتلوا من حواليه انقضت قوته فأصبح صاغرا امام كل الناس .

دام الحصار أياما ، وقد يشس الحسين من أية نجدة جديدة ، فرأى انه ان زاد في صلابته لا يعقبه ذلك الا الدمار العاجل ، فاحنى هامته رغما عس أنفه ، وكسر من كبريائه ، ففاتح البعقلين في المخابرة على ان يفرجوا عنه ، وسرب الدراهم ، ولم تكد الدراهم تظهر حتى تفرقت قلوب المحاصرين ، وتششت رأى المتحالفين ، فاستولى البعقلين على الدراهم كلها وابوا ان ينيلوا أى مجاطى ولو دانقا واحدا منها ، أمغار محمد فمن دونه ، فقال قائلهم (566) ان ناله مجاطيا منها درهم واحد فلسنا بولتيتين اقحاح ، فكان ذلك هو الحامل لا مغار محمد حتى قلب لهم ظهر المجن ، فاتصل من جديد بايلخ فانشقت العصا ، وكان الحاج المدنى الناصرى (567) قد جاء في هذه الايام يجرى بالصلح بينهم وبين الحسين فاشترطوا عليه ان ياتى بالذبيحة الى مجمع القبائل فأتى بها ، ثم امرهم باطلاق البنادق دفعة واحدة دلالة على اعلان السلم (568) كما هى عادتهم ، فنارت البغلة بالحاج المدنى فألقته رعبا من فرقة البارود ، وكان أمغار محمد دخل عند ابتداء المخابرة بينه وبين الحسين الى داره (569) ، فصارا يتلاومان فقال له أمغار محمد انك انت هو الخائس بالعهود والناكث للمواثيق فتريد ان تمد يديك فى مجاط اتباعا لآراء سفهائهم ، وما بيننا وبينك الا ذلك ، قالوا

(566) علق المؤلف هنا يقول : « موج بن بلا التاماشنى البعقل ، وكان طالما فاتكسا ، مات قبل 1320 هـ . »

(567) راجع فى شأنه التعليق رقم 146 من صفحة 3 4 .

(568) قال المؤلف فى تعليق هنا انهم يسمون اعلان الصلح باطلاق البنادق دفعة واحدة هكذا : « حاضارباش » ، وتضيف انهم يسمونه فى نواح اخرى من سوس « حاضرون » باسكان الضاد .

(569) يعنى دار الحسين ، والمراد بالدراهم المركومة المتكدسة . قال تولى : « سحابمركوم » .

ان الحسين أراه دراهم مركومة وقال له احمل منها ما شئت ، فقال له ان هذه دارى ولا اريد منها الا حسن العهد .

ثم قال له أمغار محمد اننا ومرايطينا نالنا منك ما نالنا فانصفنا من نفسك ثم لا ترى منا الا ما كنت تراه منا من قبل ، فهذه قضية الفقيه سيدى محمد بن عبد الله الالفى (570) قد ابيت ان تنصفه من خصمه السملالى ، فقال له الحسين ارسله الى لتكون قضيته أول ما تاخذه كعربون عن اخلاصى لكم ، وكانت هذه القضية ان الفقيه كان دابن سملاليا بشعير باعه له بثمان باهظ فى مجاعة 1295 هـ . الى اجل ، وعند وصول الاجل افتى الحاج ياسين الواسخينى للسملالى بأنه ليس عليه الا رد الشعير بوجهه او بثمانه ذلك النهار (571) ، فأخذ السملاليون بيد الفقيه الالفى فرفعوا قضيتهما الى الحسين ظنا منهم ان ذلك ادعى للفصل بسرعة ، فاذا بالحسين ياتى بأجل بعد أجل ، واخيرا طلب من الفقيه ان يحضر رسوم دينه وبما أفتاه به الاستاذ محمد ابن العربى الادوزى وغيره بأن له ما يطلبه لأن المدين ملى غير مضطر عند الشراء ، فأتاه بذلك ، فمأطله الى أن كان ما تقدم ، فلما كان يظهره أمغار محمد المجاطى من الدفاع دائما عن مرابطى ايلخ اهتم بهذه القضية فجعلها على رأس القائمة التى يطلب من الحسين تنفيذها ، ثم لما حضر الفقيه ابن عبد الله اعتذر اليه الحسين بأنه

(570) هو العلامة الجليل مؤسس المدرسة العلمية فى الخ التى جعل المؤلف الاتصال بها او بزاوية والده هناك شرطا فيمن يترجمهم فى « المسول » ، كان ميلاده عام 1265 هـ وكان رجلا مقتدرا فى كل ناحية ينتجه اليها ، تخرج بالاستاذ محمد بن ابراهيم التامانارنى والد العلامة الصالح الاديب البارح الاستاذ الطاهر الافرانى ، فنشأ هو وهذا الاديب كقرسى رهان وان كان غبار الاستاذ الطاهر لا يشقه احد فى الادب ، ثم لما رجع الى قريته الخ عمر مدرستها فلم يلبث ان اشتهر بالجد والاجتهاد فقصدته الطلبة من كل فج ، ولما زار السلطان المولى الحسن الاول القطر السوسى سنة 1299 هـ ونزل حول تيزنيت ، كان الاستاذ محمد بن عبد الله ممن جاءوا للسلام على جلالته يتبعه جميع طلبة مدرسته ، فاكبر السلطان شأنه ووثق به علاقته ، ثم ذهب لزيارته ايضا بالحرء فى سنة 1303 هـ ، واثاء الرجوع من عنده ادركه اجله فى احدى قرى تامصلوحت فى 22 ربيع الثانى من نفس العام وتقبل رفاته بعد ذلك الى الخ ، راجع ترجمته الحافلة فى الاول من المسول .

(571) تقدمت الاشارة الى العلامة الحاج ياسين الواسخينى فى رقم 11 من المذكورين فى التعليق 521 ، وهو مترجم فى صفحة 242 من ثامن المسول .

مكن رسومه للسملالى فأحرقها ، فقال له الفقيه ان ما أتيتك به انما هو المنتسخ من الاصل ، فعلت ذلك احتياطا لما عسى أن يحدث ، فهذه الرسوم كلها فى يدى ، فرفعه الحسين مع صاحبه السملالى الى الفقيه أحمد بن ابراهيم السملالى (572) ففرض القضية على وفق مراد الفقيه الالفى ، هذه هى القضية التى كانت اذ ذاك أخذت هذا الدور ، ثم لم يسلك فيها الحسين هذا المسلك الا بعد الضغط .

انشقت عصا ما بين مجاط وبمقيلة فكان ذلك وعلان السلم بعد مناوشات بين المجاطيين والبعقيليين الذين انشقوا أيضا فريقين ، سببا لفك الحصار عن الحسين ، فتتنفس حينئذ الصعداء ، فخرج مجروح العاطفة منثلما الارادة ، وقد شاهد فى آخر شيخوخته ما لم يشاهده قط فى كل حياته ، فآثر فيه ذلك حتى سقط مريضا عن قريب .

حياة الحسين تنقضى

لم يكد حصار ايلخ يفك عند مختتم سنة 1302 هـ حتى مثل ابنه محمد بالحمراء فى ربيع الاول من السنة التالية ، فوجد هو ومن كان هناك من القواد السوسيين أن السلطان يهم بالرجوع الى سوس ، وما مقصده اليوم الا عين مقصده أمس من تفقد صحراء سوس وسواحلها والبناءات التى أمر بها سنة 1299 هـ (573) ، ولذلك لم تتغير سياسته نحو الاهالى ، فصادف مجيء السلطان

(572) هو الاول من المذكورين فى التعليق 521 .

(573) من جملة تلك الابنية سور تيزنيت الذى كان كما وصفه المؤلف فى صفحة 241 بقوله : « وهى لم يستدر بها اذ ذاك الا سياج قصير من الطوب كالأذى يستدير بالبساتين عادة » ، فاستند امره الى خادمه الحاج مسعود الراشدى خال القائد على الراشدى الذى كان ياشا فى تارودانت فنقل منها الى باشوية فاس ، قال لما ورد عليه امر الانتقال لم يطلع عليه احد ، فذهب بعد العشاء لزيارة ضريح سيدى وسيدى هناك ، ومعه اعوانه فلما خرج وجد البغلة وحدها ولم يجد من يقبض له الركاب من الجهة الاخرى حتى يركب ، فابتداء يوم الخميس خامس شوال عام 1300 هـ ، واتمه فى آخر ذى القعدة عام 1302 هـ .

قال المولى عبد الرحمان بن زيدان فى حوادث سنة 1303 هـ « وبمراكش أقام حفلة العيد النبوى والبولد الكريم المصطفى .

« ولما حضر بشريف الاعتاب أعيان القطر السوسى كابى عبد الله محمد بن الحسين بن هاشم والقائد دحمان بن بيروك التكنى - تقدمت الاشارة اليه فى بعض التاليفات قريبا - والحاج مسعود الراشدى ، والقائد احمد العيوى المرغينى والعمال الذين يتصارفون معهم من ايت باعمران وباعتيلة وتيزنيت الخ الى ان قال : « أمر وزيره محمد بن العربى الجامعى باحضارهم بشريف الاعتاب ومفاوضتهم خيبا صمم عليه جنابه العالى من الوجهة لناحيتهم ، فاحضرهم وعرض عليهم القصد المولوى فاجابوا بالترحيب والبشر » (ص 242 ج 2 الانتفاخ).

مرضاً مزمناً بالحسين ، فجاء المولى عبد العزيز وهو صبي صغير فى محفة صغيرة وسط موكب كبير حتى ذبح عند ضريح الشيخ ابن موسى ، وقد كان محمد بن الحسين أحد الذين قابلوا السلطان المولى الحسن فتلقاء السلطان بلطفه المعهود ، وتلقى منه سلام والده وخبر مرضه العضال ، فأغضى السلطان واعتنى بمحمد هذا ولم يدعه يفارق ركابه الى وادى نون ، وكذلك عند الرجوع ، ثم صاحبه الى نصف الطريق الى الحمراء ، فهناك بلغه نعى والده اذ توفى يوم سادس شوال عام 1303 هـ (574) فرجع اذ ذاك وفى حقيبتيه ظهير شريف بالولاية على قبائل تازروالت وسملالة ورسموكة والمعدر وأيت رخا وتانكرت وادا وشقرا ، فانطوت صفحة الحسين فى حين أن صفحة ابنه محمد تنفتح من جديد .

نظرات اخرى على الحسين حول حياته المتقدمة

كان الحسين باستنتاج كل ما تقدم ، رجلاً كبير النفس ، عظيم الهمة ، عاشقاً للمعالى ، مخلوقاً للرياسة ، فجعلها بين عينيه ، ثم لا يرى أى شىء عقبية دونها الا ازاله من طريقه بكل ما فى امكانه ، وحيث نشأ فى أسرة رئيسية عريقة فى الأمر والنهى ، لا يمكن له الا ان يسلك ذلك المسلك ، ان اراد ان يحافظ على ما القاه الدهر على عاتقه من تراث اباائه ثم كان مع هذه المزايا من رجال عصره ، يرى الكرم من الاخلاق التى يؤسس عليها المجد ، فكان من اكرم الكرام ، يقولون انه كان يقف على موائده فلا تقدم مائدة الى الاضياف حتى تمر تحت نظره ولو كان مشغولاً ، وذكروا انه كان فى المجاعات يامر بجفان كالجوابى وقدر راسيات (575) ، فيقدم فيها الطعام الساذج خارج بابه ، فيصدر عنها المساكين

(574) علق المؤلف هنا يقول : « هذا هو تاريخ موته تحقيقاً كما يذكره اهله ، ولا عبرة

بما فى بعض كتب التاريخ من غير ذلك » .

(575) اقتباس من الآية الكريمة فى خبر ما تصنعه الجن لسليم عليه السلام « يعملون له

ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابى وقدر راسيات » سورة سبأ .

والارامل شاكرين ، وكان مع ذلك ينزل الناس منازلهم اثانا وطعاما وحضورا معهم وقد توسع فى البناءات ، حتى ان جل تلك الجدران الكثيرة فى ايليج من عمل يده ، وكان اباؤه منذ احمد بن محمد يسكنون عند العوينة فوق ايليج ، وكان عبيده تبلغ كواينهم (576) زهاء مائة ، ولكل واحد منهم مالية خاصة وحرث وكسب ، فكانت حاشيته السوداء تلقى عليه ابهة تبهر الناظرين فى أعين الأهالى السذج اذ لا يعرفون مثل ذلك من غيره من رؤسائهم ، وكان ظله وريفا لمن مشى وراءه وكان عند رأيه ونهيه يدافع عنه حتى لا يضع منه دائق ، فيرتكب دونه كل ما فى امكانه ، واما من كان ضده فانه يهاجمه بكل شيء ثم لا يستريح حتى ينال منه مراده بالفتك غيلة أو حربا أو بالأتیان عليه بسم أو نحوه ، وقد ذكروا ان محمد بن ابراهيم اعجل طرقة مرة بايليج ، وهو من البعيليين الذين ربما بلغه عنهم شيء ، فلم يكذب يرجع من عنده حتى سقط مريضا فمات عن قرب ، فقل فى ذلك ما قيل (577) ، ويذكر الشرفاء التازروالتيون ان عدد الذين ردوا بأمر الحسين من كبارهم وساداتهم ستة وثلاثون يعدونهم عدا ، وكان فى ايليج سلاسل ثقيلة واغلال وقيود كما هو معهود فى سجن الحكومة ، ولم تخل قط ممن يعانقونها ، كما ذكره المخبرون ، ولكن مثل هذا البطش ان كان القارى اليوم يستهجنه فانه فى نظر عشاق الرئاسة مبرر ، فلوجا لستهم وحادثتهم عن ذلك لأوضحوا لك حججهم ، ثم لا تقدر الا ان تكون معهم فى نظراتهم ان نظرت الى ذلك بمثل نظرهم واعتبرت بيثتهم التى فيها يعملون عملهم ، وقديما قال العرب :
(لا يفلح الحديد الا بالحديد) .

(576) الكانون معروف وهو موقد النار ، وحيث انه لا بد لكل اسرة من كانون فان السوسيين يمرون كثيرا بالكانون عن الاسرة .

(577) محمد بن ابراهيم اعجل راجع عنه رقم 19 من التمليق 521 ، وقد ذكر المؤلف هذه الحكاية فى ترجمته بصفحة 292 من الجزء الخامس من المسول ، ولكنه تردد فيها ولم يجزم ، ولا نستبعد مثل ذلك من امثال الحسين بن هاشم مع من يجاذبونه حبال السياسة والنفوذ ، ولكننا نستغرب صدورهم منه فى حق شيخ فاضل يشغل بكتاب الله ولا يزاحمه فى نفوذ ولا جاه ولا مال .
واما قوله « الذين ردوا » فى « آخر السطرفمعهات هلكوا » من الردى وهو الهلاك .

ثم ان الرؤساء الذين فى مثل مركز الحسين يحبون ان يتحدث الناس عنهم بمثل ذلك لترتجف الفرائص ويعظم الخوف منهم ، وما نعهده اليوم مستهجننا يعدونه مستحسننا كالجندي الذى لا يؤدى مهمته فى الحرب الا بالفتك الذريع ، وهذا بين ظاهر لمن انصف وعرف ان لكل مقام حالة خاصة وأفعالا لا بد منها ، فلا يحط الحسين عن شرفه وان سمع عنه كل هذا .

ثم ان هناك اسبابا تكون حقيقية حجبا واضحة لامثاله فيما يصنعون ، فقد كان عند الحسين انسان اسمه الحسين بن على من شرفاء تومانا ، كان خالطه بنفسه ، وجعله امينا على ماله وعلى حرمة ، ثم استخلفه فى ايليخ وقد توجه يوما الى وادى نون فبلغه عنه انه مس حرمة بما لا يصبر عنه حر أبى النفس من مطلق الناس فضلا عن أمثال الحسين ، ثم كانه أحس بأن الحسين عارف بما وراء الأكمة فأوى الى داره ، فاستغاث برجال من المعدر وتهيب للدفاع ، فدارت حرب هائلة ، فسقطت قتلى ، فجاء رؤساء المعدر يريدون اخراج اخوانهم ، فقالوا لهم لا نخرج الا ورب الدار معنا ، فبعد اخذ ورد خرج معهم فجلا عن داره ، فأمثال هذه القضايا التى يكون فيها الحسين معذورا لا بد ان تكون قليلة مما يكون فيها الحسين مدافعا عن نفسه او عن شرفه ، او نكثا لسياسة تحاك حوله ، وما أكثر الدسائس حول أمثاله ، فيكون الحق فيها دائما فى جانبه فى حين ان العامة وأصحاب الاغراض يحملون دائما تبعتها للحسين شأن الدهماء فى جانب الرؤساء ، ولا بد للمنصف ان اراد ادراك الحقائق ان لا ينظر الى أمثال الحسين بنظراتهم ، فذلك أقرب الى الحق (578) .

(578) الضمير فى بنظراتهم يعود على الدهماء المذكورة فى السطر قبله .
وقد علق المؤلف هنا بقوله : « يغفل كثير من المؤرخين التحفظ عند تتبعهم الاعمال القاسية التى يقوم بها أمثال الحسين ، ولا ينظرون الى ما يصدر عنه بالتأني فيتمكنون الانصاف ، مع ان الاحوال الغالبة هى التى توقع امثاله فى كثير مما يحكى عنهم ، والله در بعض المؤرخين الاوروبيين حين اعتذروا عن المولى اسمعيل ، بمثل ذلك وهو حق لا غبار عليه » .

من جملة ما يؤثر عن الحسين انه كانت له اذكار خاصة ، ومخالطة مع مشايخ التصوف في وقته ، وكان للشيخ سعيد المعدري (579) عنده مكانة ، فكثيرا ما يفد اليه بأصحابه ، ويصيح الى نصائحه ، ويعتقده ويعتقد أصحابه ، وقد وقع مرة ان الحسين سأل أحد الفقراء من أصحابه عن يصح كشفه من اولئك الفقراء فدلوه على فقير من ماسة ، فاستدعاه الى منزل عال عنده فباسطه وقال له اريد ان تريني شيئا من المغيبات ، فأطرق الفقير مليا ثم نزع قميصه فبقي عريانا أمامه ، فبادر العبيد فأخرجوه ، فاغتاط الحسين وقال ان هؤلاء شياطين ، فبلغ ذلك شيخهم المعدري ، فقصد ايلين مع أصحابه ، فنزلوا بالحسين فجلس الشيخ معه ثم استدعى ذلك الفقير ، فقال له الحسين لو عرفت ما صنعه مريدك هذا لتبرأت منه ، فسأل الشيخ ذلك الفقير ، فقال : ان الحسين طلب مني ان ازيل الستار عن غيب ربى الذى أطلعني عليه ، فاخترت ان ازيل الستار عن عورتى دون ذلك ، فعرف الحسين منزع القميص ورجع الى الحسن نيته فيه ، فهذه الحكاية على ما فيها دالة على ان الحسين من الرؤساء السذج من ناحية استكشاف الغيب ، وما ذلك الا مما يتجسم فى أفئدتهم الخفاقة من مخاوف يتوهمونها (580) .

وكان هناك بيت خاص ينزل فيه الفقير مبارك البصير الاخصاصى (581) وهو صوفى مشهور ، فكان يقابل دائما فى ايلين باحترام زائد ، فهؤلاء الصوفية

(579) تقدمت الاشارة اليه والى اهمية مطالعة ترجمته فى التعليق 557 .

(580) ليس من اللازم ان لا يدفهم لذلك الا المخاوف المتوهمة ، فلماذا لا يكون الدافع لهم الى ذلك هو حب الاطلاع او طلب الاقتناع الذى ربما يجلبهم الى الاقلاع عما هم فيه ، فان تفضل الله تعالى على بعض صالحى عباده باطلاعهم على غيبه امر مشاهد معروف .

(581) هو مبارك بن ابراهيم البصير ولد اكمه مثل ابيه ابراهيم ، وكما كان الوالد قد حفظ القرآن العظيم ومختصر الشيخ خليل فقد كان الولد مطلعا على النحو والفقه والحديث والتفسير بل وعلى الهيئة ، وقد عوضهما الله عن بصرهما نور بصائرهما فكانا بخبران بالمغيبات ، وكان الوالد فى ذلك اصرح من ابنه ، لأن الابن انما كان يلوح فلا يتفطن الناس لتلويحه حتى يقع بالفعل ما لوح له .

توفى سيدى مبارك عن 112 سنة فى ربيع الأول سنة 1327 هـ ودفن بزوايته بقبيلة الاخصاص اما أبوه سيدى ابراهيم فقد توفى سنة 1280 هـ عن 114 سنة ودفن بمشهد سيدى هو ابن الحسن فى الاخصاص ، وترجمتهما فى الثانى عشر من الممسول ، واخبارهما عجيبة فلتراجع .

ينشرون هناك مواعظهم ونصائحهم فيلقون من رب المثلوى كل اصاخة ، ولو لا انه يتاثر بذلك ما ترددوا اليه وما كان تاثره الا رادعا له عن أمور تخالف الشرف والدين ، ولهذا تجد ممن يخالطون الحسين ثناء عطرا عليه بكل انواع الفضائل والفواضل ، لأنهم رأوا جانبا منها ، « وعين الرضا عن كل عيب كليله » ، كما ان «آخرين لم يروا منه الا الجانب الآخر ، والحق انه يجمع بينهما ، فكان احسن مثال لبيئته .

كان على ضريح الشيخ احمد بن موسى بناء من عهد بودميعة ، فأمر بنقضه فبنى عليه هذه القبة الموجودة الى الآن ، وكان عبده المعلم سالم هو القائم ببنائها ، ولم يكن يغيب زيارة هذا الضريح كل جمعة غالبا ، فينزل باستاذ المدرسة اذ ذاك احمد بن سعيد المركوبى فيجد طعاما شهيا (582)، وهو الذى بنى أيضا أحشوش (583) غربى متسوق الموسم ، وكان أخوه قبله أسسه ، وقد اتبعوا منذ سقط هاشم والدهم فى رجة الجمال ان لا يدخلوا الموسم بأنفسهم ، لذلك انتبذوا الى ذلك المحل ، بعد ما كان هاشم يجلس لفصل الدعاوى تحت جرف فى محل الموسم ، وهو المحل الذى تكون فيه النساء اليوم فى الموسم ، ثم كان أحشوش مجلس أبنائهم ومحكمتهم الخاصة أيام الموسم الى الآن .

وقد ذكرنا مقدار ما يستمد من القوة والتفوذ من الموسم ، فيدخل عليه فيه «الاف من الريالات من مكوسه ، كما يرمى به حباله واسعة على القبائل السوسية كلها من وادى نون بصحراء سوس فهشتوكه الى ادا وتنان الى حاحة الى درن (584) الى سكتانة ، فكان عبيده يذهبون دائما فينتصفون ممن عبث فى طريق الموسم ، فقد حكى لنا حاك انه يعرف انسانا من اصحاب الحسين نزل مع

(582) راجع ترجمته بين المذكورين فى التعليق 521 فهو الثالث منهم .

(583) قال المؤلف هنا « وأحشوش هو الكوخ ، اطلقوه عليه لانه يشبه الكوخ حيث كان بناؤه ساذجا » .

(584) هو الاطلس الكبير الجاتم بين مراكش وتارودانت .

ثلة من الاعوان على هشتوكة بستانة من الخيل ، كما ان ادا وتانان كانوا لا يتسوقون بعض الاوقات لشيء فعلوه فى طريق الموسم حتى أنصفوا من انفسهم وكذلك سكتانة، والجزئيات الدالة على ذلك كثيرة ولم ينج من ذلك الا البعقيليون سوى الاكمارين منهم ، فربما يتصلون به فيصنع عندهم ذلك ، وهناك نادرة وقعت فى بلدهم وهى ان واحدا منهم نزل عليه عون بفرسه ليؤدى حقا عليه للحسين بسبب الموسم باعانة بعض رؤسائهم ، فخرج ذلك الانسان فالتقى سرج الفرس أمام العون وقلع وتده وطرده ، وقال له والله لا ترى منى دانقا ، ثم انحنس وراء داره فسبق العون الى ايلبخ، فقال للحسين انك ارسلت صاحبك ففعلت معه كيت وكيت لثلا أسقط من عين زوجتى فتتهمنى بالجبن ، ثم جئت اليك لتصنع بى ما تشاء ، فضحك الحسين وسامحه ، وقد ذكرنا فيما تقدم ان بسبب الدعاوى الموسمية كان يتوصل - بمداخلة رؤوس القبائل - الى اغراضه واغراضهم فى كثيرين فيعتقلهم فى الموسم بسبب وبلا سبب .

كانت له نساء حرائر ولكنه كان مولعا بالاماء السود ، فذكروا ان اليزيد العروسى صاحبه كان يباسطه ، فيشير الى كثرة عبيده السود مع كثرة سرياته من الجوارى السود ، فيقول له قد خفنا والله ان تحول الظلمة بيننا وبينك ، وقد ظهر له من هؤلاء الجوارى اولاد منهم الحاج الطاهر وقد مات فى عهده بعد ان زوجه وظهر فى الميدان ، ثم محمد الذى خلفه فى مركزه ، وابراهيم والحاج الطيب .

فكرتى الخاصة فى الحسين

فى كل ما تقدم لم أعد ان كنت حاكيا لما يقوله الناس حول الحسين ، فاتى بكل امانة بأقوال اصدقائه وأعدائه ، فاجتهد ان اسلك الوسط لئلا يغتر القارىء بكلام احد الفريقين ، وبذلك خرجت أنا بفكرة جامعة عن الحسين بعد ما سمعت عنه كثيرا ، ووازنت بين افعاله ، فهو فى نظرى من اكابر الرجال

السياسيين البارزين الجامعين لما لا بد منه لمن يمثل ذلك الدور في مثل بيئته
بموازنة ما يسود عصره من التفكير ، منشدا بلسان حاله :

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمى فانى مقوم ومن رام تعويجى فانى معوج

فقد كان ذا همة صوالة وأنفة زائدة ، مالكا لأمر ثلاثة : بسالة
يقدم بها مغوارا لا يبالي جالبا عليه (قضاء الله ما كان جالبا (585) ، وكرم يستظل
به كل من أوى اليه واحتمى بايليخ ، ودين حسن يرضى عنه اهل الدين ، فكان
بجمعه لهذه الأمور ذا حظوة فى كل ما يأتى وما يذر ، واحسب انه لو كان فى
مركز جده بودميعة الذى ذكرنا عنه ميوعة من ارادته ، لرأى منه ذلك العصر
أسدا هصورا ولكن تأخر به عصره ، فلم يمكن أن يكون الا كما هو ، ثم اننى
أعذره فى كثير مما يصدر عنه ، لأنى عرفت ان كثيرا من الناس يحسدونه على
مركزه فيلصقون به حكايات وأفعالا لم تكن كلها صحيحة يحيطونه بها لينالوا
بها من شرفه المؤئل .

هذه فكرتى الخاصة عن الحسين ، ولا أزعم أننى فيها على حق اليقين ،
ولكن بنيتها على تتبعى لما عندى من حياته ، على ان حياته من نواح لا تزال غامضة
أمامى ، كما لا تزال هناك مستندات توجد عند أحفاده توضح لنا الطريق فيما

585) هذا اقتباس أيضا من بيت فى قطعة سعد بن ناشب من شعراء الحنابلة

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا	على قضاء الله ما كان جالبا
واذهل عن دارى واجعل هدمها	لعرضى من باقى النعمة حاجبا
ويصغر فى عينى تلادى اذا انشئت	يمينى بادراك الذى كنت طالبا
فان تهدموا بالقدرة دارى فانها	تراث كريم لا يبالي العواقبا
اخى غمرات لا يريد على الذى	يهم به من مفضل الامر صاحبا
اذا هم القى بين عينيه همه	ولم يات ما يأتى من الامر هائبا
فيا-لوزام رشحو بى مقدما	الى الموت خواضا الى الكتائب
اذا هم القى بين عينيه همه	ونكب عن ذكر العواقب جانببا
ولم يستشر فى رايه غير نفسه	ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

كنا نتوقف دون استيضاحه فيما تقدم ، فهذا ما عندي الآن عن يعسوب ايليج الحديثة رحمه الله .

محمد بن الحسين

ولد 127 هـ (586) فتلقن القرآن وأخذ طرفا حسنا من المعارف على اساتذة منهم محمد بن عبد الله الأساكي الإفرائي ملازم والده غالبا و كاتبه أحيانا (587) فنشأ منشأ حسنا تحت نظر والده الذي عرفنا منه انه مولع بالثقافة الدينية ، ومعتن بحشر العلماء الى مجلسه ولفتهم اليه ، فيختلفون اليه فينة بعد فينة ، فلا ريب ان ولده تأثر بذلك الوسط ، فأخذ من هذا المجلس اخلاقا وافكارا سامية ، كما انه تلقن الفروسية في ميدان والده وبين فرسان الاعوان والعبيد الكثيرين في ايليج ، كما انه تعلم الاقدام في الحروب حتى كان يذكر في عهد والده ، فقد ذكروا انه لما حاصر والده محمد بن علي التومتاري الذي ذكرناه قبل ، كان محمد بن الحسين من بين المحاصرين ، حكى حاك حضر انه شاهده

586) ترك المؤلف هذا البياض هنا ليلحق فيه النيب الزائد على السبعين ليقول ان سنة ميلاد محمد بن الحسين الف ومانتان ونف وسبعون ، ولكن لم يلحقه ، اما السبب فلا ندرى هل هو عدم طهره به بالمرّة أو عدم تفرغه للبحث عنه فأرجاه الى حين الطبع . وقد رجعتنا لخبر تراحم ال سيدي احمد بن موسى في المسؤول فوجدناه قد احوال فيه على هذا الكتاب فيما يتعلق بشال بومبيعة مع الاسف ، كما انه لم يمس قسم « ايليج الحديثة » من هذا الكتاب منذ حرره عام 1358 هـ في منفاه الاول . ولو انه قدر له رحمه الله ان يراجعه لأفادنا كثيرا موائد جديدة . وقد وقع مثل هذا للمؤلف ايضا في تاريخ ولادة علي بن محمد الآتي .

587) محمد بن عبد الله بن سعيد بن احمد بن بلقاسم الاساكي الإفرائي العلامة الجليل هذا ، هو الذي تقدم عنه في صفحة 258 ان الحسين بن هاشم والد محمد هذا امره ان يكتب لجلالة السلطان المول الحسن الاول بجواب منلف فامتنع وقال له : « لا والله لا افعل ولو ادى الامر الى قطع يدي » فان ديني لا يحل لي ذلك ، « وقد نقلنا هناك تمليقا للمؤلف تحت رقم 519 . وهو أحد المذكورين في التمليق 521 .

نقل المؤلف في ترجمته في صفحة 227 من الجزء 12 من المسؤول عن بعض اهله انه مولود عام 1225 هـ ومات في 1296 هـ ، وانه لما امتنع من كتابة ما امره به الحسين بن هاشم واجابه بذلك الجواب الذي تشع منه روح احترام ولاية المسلمين والمحافظة على جمع كلمتهم قال له الحسين انت اذن رسول اليه . فلما وصله . وقد سبقه خبر ما وقع ، قال له ما الذي كان يمكنك ان تكتب ما امرك به ؟ قال له لا اتصد مصيبتيه في مقاومة وكبل الله في ارضه . فرفع المول الحسن من شأنه وعرف له مكانته رحم الله الجميع .

فى معمعان الحرب وقد شمر أكام قميصه وراه كنفه ثم تناول بندقية فتقدم راجلا جاريا صامدا بصدرة لرصاص من حوصروا فى الدار ، فلم يقف ولم يفتر جريه حتى وقف عند اساس الدار ، فلم يجد من معه الا ان يقدموا اقدامه مع انهم لا يحملون فى صدورهم مثل بسالته ، فهذه الحكاية تفيدنا عن بسالة محمد بن الحسين التى تذكر عند ال ايلخ الحديثه .

ينوب عن والده

ذكرنا ان محمد بن الحسين كان اتصل بالسلطان اول سنة 1303 هـ . وافدا عليه مع القواد السوسيين ، ولا ادرى الآن كيف كان اتصاله به ، فهل صمد اليه كفاحا حين أمن جانبه ، أو كان هناك واسطة كدحمان الاكليمى صاحب والده وخليص السلطان (588) كما لا ادرى هل اتصل به قبل هذه المدة فيغد عليه بالحمراء فى جملة القواد الذين كانوا يقدون بمناسبات الاعياد بعد سنة 1299 هـ ، فأيا كان فان الجو قدصفا امامه فى حضرة السلطان ، وقد كان هذه المرة فى ركابه الى وادى نون حين توجه السلطان لتفقد تلك الناحية ، فكان واسطة لكثير من رؤساء الاعراب فأعلى السلطان شأنهم ، ثم لم يزل معه فى

588) من اسرة ال بيروك الكلبيمين الذين تقدمت الاشارة اليهم فى التعليق رقم 532 . واذا كنا قد الفنا الى الآن أن نرى ال بيروك موالين للسدة الملكية العلوية ، كما الفنا ان نرى كاهل الحسين بن هاشم مثقلا منها بالمسؤوليات فاننا وجدنا فى صفحة 420 من خامس «الاتحاف» للنجيب ابن زيدان رسالة من السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان الى أخيه المولى العباس يخبره فيها بان بيروك التكنى جد هذه الاسرة كان توطأ فى عهد والدهما مع الاصبان على أن يبنوا بشاطىء تكتة فوجه اليه المولى عبد الرحمان وحلفه فى المصحف على أن لا يمرد لذلك واقطعه دارا فى الصويرة واعفى تجارته الواردة من الخارج من الاداءات المخزنية « ثم خلفه من بعده خلف أضاعوا تلك الوصايا وارادوا أن يعرضوا بلاد المسلمين للرزايا » فتواطؤوا مع الاصبان أيضا على البناء هناك فقامت القبائل المجاورة لهم لتضعهم وعزمت على قتالهم ان لم يقلعوا » .

ثم قال : « وها هوذا كتاب المرباط السيد الحسين الايشى يصلك فطالعه لتعلم ما ذكر فيه ، وان ذكروا لك ان اهل تلك الجهة هم الطالبون لذلك والراغبون فيه فاجيبهم بان الامر بخلاف ذلك ، وبأن قبائل تلك النواحي رمت ولد بيروك عن قوس واحدة وليس معه أحد فيما اراد فعله » الى ان قال : « وقد أخبر خديمتنا الطالب عبد الله ابيهي بمثل ما أخبر به المرباط المذكور » . وكان المولى العباس اذ ذاك فى سفارة بديرديد ، والرسالة مؤرخة فى 11 ربيع الاول عام 1278 هـ .

رجوعه الى ان كانت ضربة ادواتانان (589) فاذن له في الرجوع بعد ما زوده بظهير شريف بتوليته على قبائل سمينها قبل .

يخلف والده

رجع الى ايليخ بعد ما دفن الحسين فآدار الأمور ادارة حسنة ، وقد استردت ايليخ من سمعتها ما كانت فقدته ايام حصارها الماضي ، بعد ما اتصل بالحضرة الحسينية ليقطع عن القائد الابلاغي وامثاله ما يوشحون به دعايتهم ضد ايليخ بأنها خارجة عن الحكومة ، فقد نفعت هذه الدعاية البعقلين فقوتهم قوة أدبية في حرب تارغنا وبعدها ، حتى كان حول ايليخ ما كادت تتخرب بسببه لولا العناية التي لا تزال تلاحظها بعين السعادة .

معركة تامدان ارعمان (590)

رايت الاهانة التي كانت أصابت ايليخ فتفطرت بها شهامة الحسين حتى ألقته في مرض لوى به الى الهلاك ، واذ كان ابنه في البسالة التي ذكرناها

(589) كانت وقعة ادواتانان هذه في يوم الثلاثاء سابع عشر شوال 1303 هـ ، وكان السلطان قضى عيد الفطر بتارودانت ونزل في بسيط الاسطاح وراء الوادي الوعر خارج باب الخميس بها ، وقد آدار الجيوش بادا وتانان من كل جهة ، فجاءهم مولاى الامين بفرقة من الجيش من ناحية سوق الثلاثاء ، والقائد الامراني من ايمسكر ، وطائفة اخرى من ناحية قبيلة ادا وبوزيا في حاحة ، وممها طائفة من هواة ، وطلع السلطان من جهة اكادير حتى بلغ المحل المسمى الى فحاصره التانانيون في مضيق زلق على صخرة لا يسع الا مرور فارس واحد ، فمسط فيه بعض القتل ، فرجع السلطان ليدخل اليهم من جهة تاماعايت فاستعصت عليه فاتجه حينئذ للطلوع من اسيف ن بيك فاستولى على قمة الجبال في بسيط تيقى المعروف ، فساحت الجيوش في شعابهم وسهولهم فارتاعوا وقدموا الهدايا واحضروا المؤن للجيش ، ولكن لم يلبث السلطان بعد هذا النصر ان رحل عنهم بفتة وترك المؤن المقدمة له .

قال الفقيه سيدي الحسين التامكونسي التاني انه اطلع على ان موقت السلطان فقير فذهب لزيارته فلما رآه اعطاه تميرات وقال له تيلفوا بهلم فان ما معنا من الزاد قد نفذ ، واني لا اكل الا من طعام السلطان وهو لا يأكل الا مما ياتيه من داره لثلا يقع في اكل الحرام ، وانه قد طوى منذ الامس ولم يذق طعاما .

قال : فقلت له انتم هكذا جياع والخير ينهال عليكم من كل جهة ، فوعدته بالرجوع اليه من الغد ، فهيات طعاما واتيته به فاذا بهم قد ارتحلوا مع طلوع الفجر .

(590) معنى تامدا الغدير او المستنقع ومعنى ارعمان بكسر الهمز واسكان الراء والعين الجمال بكسر الجيم اى غدير الجمال ، وهى محل في تازروالت وقد وقعت عام 1304 هـ .

عنه ، وقد استرجعت ايليج فى عهده مكانتها الاولى ، فأخلص لها المجاطيون من جديد ، فلا بد من أخذ الثار من البعقلين الذين تولوا كبر كل ما جرى ، فهيا الله لذلك سببا خاصا من أجل شرفاء كثيرين نحو خمسين كانوا ثاروا أمام رئيسهم الجديد ، فمد لهم البعقلين يد الاعانة ، فعمروا ديارهم ليدافعوا عنها ، وهذه عادة البعقلين من قديم مع ايليج ، فلا يكاد يبرز أمامها مناوىء من أهل تازروالت او من غيرهم حتى يقفوا ازاءه معاونين ، فأرسل ابن الحسين الى كل شيعة من الأعراب والمجاطيين والبعمرانيين وغيرهم فصمد الى مناهضة البعقلين الذين انتشرت رجالاتهم فى ذلك البسيط ، فدارت حرب عنيفة صدق فيها الأعراب الحملة مع المجاطيين ، فهبت لهم ريح النصر ، فاندحر البعقلين اندحارا كبيرا ، فقتبعمهم المطاردون يقتلون ويسلبون حتى كان البعقليل يلقى كل ما يحمله حتى السلاح ليخف لعله ينجو بنفسه ، والخييل تطاردهم فى ذلك البسيط ، فكانت دائرة عاركة لبنى بعقلة لم ينسوها الى الآن ، ويقال ان أسلحتهم وما كانوا يلقونه بين السدر فى ذلك البسيط لم يزل الرعاة يعثرون عليه الى ما بعد المعركة بأكثر من سنة ، فلذلك كانت معركة تامدان ايرعمان — وهو اسم المكان الذى وقفت فيه المعركة — درسا قويا تلقته باعقلة من ايليج لتعلم ان ايليج لا تزال حية كما كانت ، فرجع ابن الحسين وقد اخذ بشار والده ، ومثله من ياخذ بالثار ، فجلا الشرفاء الذين كانوا سبب الحرب عن ديارهم ، وكانوا نحو خمسين كانوا ، فنزلوا بادا وباعقيل ، فلم يقم بهم هؤلاء فتشتتوا.

ايليج فى عهده

ظهر ابن الحسين بهذا المظهر فعرف الناس منه ان الشبل ابن الأسد حقيقة ، فسار سيرة والده فى الموسم وفى شيعة تاكوزولت ، وفى المخزنية التى ألفها الناس فى ايليج ، فبقيت تلك الحاشية السوداء مع كرمه الجم ، واخلاقه الدمة ، ومداخلته للناس ، تحيط به هالة متسعة من الهيبة ، وكان

يتردد في كل مناسبة الى الحمراء ليؤدي للعرش التحية الواجبة في كل أيام المولى الحسن ، وكان العلماء الذين ألفوا ايلخ لا يزالون يترددون اليه كالحاج الحسين الافراني ، وابن العربي الادوزي ، والحاج الحسن التاموديزي ، والعلماء الالفيين ، كما كان غيرهم ينزل فيه خصوصا الشنكيطين الذين يجتازون الى الحجاز ، كمحمد بن يحيى الولاتي المشهور (591) فانه بقي هناك ما شاء الله ، وفي ذلك العهد دارت بينه وبين ابن العربي الادوزي محاورة حول معرفة النبي بنبوته ، ابعد نزول الوحي عليه ، أم كان يعرف ذلك في الأزل ، فألف كلا الرجلين مؤلفا فيما ذهب اليه (*) كما كانت تلك الحاشية السوداء من الموالى سببا آخر بعث ابن العربي المذكور على ان الف كتاب الموالى ، وذلك انه التقى هناك بالقائد دحمان الاكليميمي ، فصار هذا يعيب الموالى ، فاراد المذكور أن يرد عليه،

591) تقدمت تراجم جميع هؤلاء المذكورين هنا سوى هذا الاخير فهو العلامة لجليل العظيم القدر محمد بن يحيى الولاتي الحوضي الشنكيطي ، ظهر تبحره في العلوم في بلده ، وكان يستظهر جميع معلوماته ، فاشتغل في بلده بالتدريس والقضاء مجانا ، ويتمش من التكسب بالتجارة .

رحل من بلده سنة 1312 هـ متوجها الى الحج فصار يدرس للطلبة اينما طلبوا ذلك منه ، وقد مر بكثير من المدارس السوسية فترك فيها دويا عظيما من حيث سعة الاطلاع والاستحضار والمناقشة العالية ، ومر بالسويرة فوجد العلامة الشريف مولاى احمد بن السامون البلغيشي المشهور قاضيا فيها فتلقن منه هذا الطريقة التيجانية وكان الامام الولاتي من اساطينها ، فرأى منه مولاى احمد بن السامون ما بهره من العلم والعمل والصدق والاخلاص فوطا له كنفه وبسط له جنباه ، ثم مر بفاس وتنازع مع علمائها في صحة ثبوت الهلال بالتلفراف وألف في الموضوع كما ألفوا كما مر بمصر واتصل بكثير من علمائها ، وانشده بعضهم بيتا يمدح به النارجيلة التي يدخنون بها ، اذ يقول :

ولابسة من الياقوت تاجا * تفهقه لي اذا قبلت فاجا

فقال له الامام الولاتي لو قلت تفرقر لي لقلت حقا .

حج وعاد الى مصر فاشترى فيها كتبا كثيرة واهدى له منها ايضا شيء كثير ، وترك في كل المدن التي مر بها ذكرا عطرا لطلبه وعمله ، وألف في رحلته الحجازية هذه وله تاليف اخرى كشرحه للبخاري تركه في تونس للطبع ، ويقال ان مؤلفاته تبلغ المائة . ورجع الى بلده ولادة سنة 1318 هـ فاستأنف عمله في القضاء والتدريس مجانا ، وكبر اولاده فكفوه مؤونة التكسب حتى توفي في رمضان عام 1330 هـ . راجع عنه ثامن الممسول ، وترجمة الاستاذ محمد بن العربي الادوزي في خامسه .

(*) لم تشكّن مع الاسبف من الاطلاع على أى واحد من التأليفين ، ولكن عثرنا على ما يشهد للولاتي صراحة في صفحة 143 من الجزء الاول الباب 12 من الفتوحات المكية للامام الاكبر الشيخ محي الدين بن العربي فليراجعه من شاء .

فذكر محاسنهم ، وتأثيرهم في الاسلام ، وأسماء العلماء الذين كانوا موالى (592) ، فمن هناك نعرف شيئاً عن مجلس ايليخ ايام محمد بن الحسين الكريم الفياض الذى لا يعلم كيف يعطى ، حتى انه فاق والده فى هذا الخلق حتى تجاوز الحد الى الاسراف ، ولم يوازن بين الدخل والخرج فأداه ذلك الى ما سنذكر بعد .

معركة توبوزاد الهشتوكية (593)

كان المولى الحسن عيسن قواد كثيرين فى سوس سنة 1299 هـ . فظهروا بين القبائل ، ولكن لم يجدوا قوة يستندون اليها ليؤدوا من وظيفتهم للحكومة ما ينتظر منهم ، فحين كان السلطان فى كل السنين التى قضاها بعد ذلك مشغولاً بالمشاكل الخارجية كان يكتفى بوجود هؤلاء اسماء بلا مسميات ، ويقنع بأن يمثلوا بين يديه فى الأعياد وان كانوا لا يمثلون من وراءهم تمثيلاً حقيقياً الا ما كان من قواد رأس الوادى (594) وحدهم لمكانة تارودانت التى نظمت فيها قوة الحكومة الدائمة ، وقد تكون معنوية فقط ، وذلك كاف ، بخلاف الجنوب ، فلم تكف القوة الموجودة فى اسك لمساندة القواد ، ثم لما توفى

592) نضطر هنا لموافقة المؤلف فيما اشار اليه عند التعليق 525 من ان بعض هؤلاء العلماء يمثلون مع الحسين ما كان يمثل علماء «اخرين فى يوايوس مع القائد عبد الملك المتوكى من التليق ، فان الاستاذ محمد بن العربى هذا قد ابعد واغرب فى تشبيهه حراطين الحسين المقيمين عند منزع نعله والذين هم عبيد بطونهم اكثر مما هم عبيده هو بموالى صدر الاسلام الذين كانوا ابناء ملوك الفرس والروم ومن اشرف بيوتاتهم فرمت بهم الانتصارات الحربية الاسلامية الى احضان بيوت الصحابة والتابعين فربوهم كما يربون اولادهم ، فكان منهم اولئك الرجال العظام الذين نشروا الاسلام وعلومه .

593) محل بالقرب من وادى الفاس المعروف هناك ، وقد كانت هذه الوقعة فى فاتح جمادى الاولى عام 1315 هـ ، وسببها ان محمد بن الحسين الايلى نزلها ليدافع عن نهيو تايوحنايكت ضد القائد سعيد الكلبيولى ومن معه ، كما ياتى فى التعليق 596 .

594) سبق ان ذكرنا فى هذه الحواشى ان المراد براس الوادى هو راس وادى سوس فيما وراء تارودانت شرقا الى اولوس الى سكتانة وما هناك من القبائل ، ومن المعلوم ان تارودانت التى وصفها المؤلف هنا بان القوة الحكومية منظمة فيها هى احدى المسالحيات الباشوية الخمس التى تكون عادة فى المغرب وهى تطوان وفاس الجديد ومكناس وقصبة مراکش وتارودانت .

المولى الحسن سنة 1311 هـ . وظهر الوزير احمد (595) ازاء المولى عبد العزيز بقوة كبيرة اعتنى بالداخلية فوجد عليه هؤلاء القواد ، فأعادوا الشكوى التى

(595) تقدمت الإشارة الى منافسته للوزراء الجامعيين وتحمله وزر الفتك بهم فى التعليق رقم 425 ص 33 .

وكان ابتداء عمل هذه الاسرة فى الدولة لما اهدى السلطان سيدى محمد بن عبد الله احمد الاول ابن مبارك صغيرا لولده المولى سليمان ففتشا بين يديه واستوزره طول مدة ملكه حتى مات فى ايامه .

ثم كان موسى بن احمد حاجبا ايام المولى عبد الرحمن وايام ولده سيدى محمد ، وفى هذا الوقت ظهرت غيرته ممن يتولون الصدارة التى كانت هى رئاسة الوزارة ، اذ كان يرشح نفسه لها ولا يقنع بدونها ، وكان يحرص على تولية اهله فى المناصب السامية التى تليها .

فلما افضت المملكة الى المولى الحسن الاول ابقى فى الوزارة وزير والده الحاج ادریس بوعشرين نجل استاذ والده السيد الطيب بوعشرين ، فكان موسى يضايقه فى مكتبته ويجلس تجاهه ، حتى اضطر الحاج ادریس لطلب الاذن فى الذهاب الى الحج ، فصفت الوزارة لموسى واحل ابنه احمد فى محله بالحجابه ، وكانت له دالة على السلطان لا ياد اسداها اليه هو واخوه عبد الله ايام ولايته للمهد ، وكان السلطان اذ ذاك حديث العهد بالملك وما زال يتهيب الامور .

ولما احتل موسى صدارة الوزارة جعل اخاه عبد الله علافا اى وزيرا للحربية . وكان السيد محمد بن العربى الجامعى ابن خال المولى الحسن خليفة له فيها ، فاراد موسى أن يبعد السيد محمد ابن العربى عن جانب السلطان فعينه باشا لفاس وهيا له العمامة والفرس اللذين جرت العادة باعطائهما للباشوات ، فلما ذهب السيد محمد بن العربى الى بيته واخبر اهله ، لامته خيرة زوجة والده على ذلك وأرتة ان ذلك حيلة من موسى ليبعده من مركز النفوذ ، وكتبت رسالة الى السلطان تستأذنه أن تزوره فى تلك الساعة فاذن لها فآخبرته بما يبيتته موسى واهله للدولة وطلبت منه ان لا يبعد عنه ابن خاله السيد محمد بن العربى ، وكانت خيرة هذه برزة ذهبت الى الحج مع اولاد اهلها فماتت هناك .

ولما حان وقت تنصيب الباشا من الفد ، خرج السلطان ورأى عبد الله بن احمد فآخبره بأنه قد عينه باشا بفاس واعطاه العمامة السطوفة على الشاشية والفرس ، فسقط فى يد موسى ، ثم قلد السلطان السيد محمد بن العربى وزارة الحربية .

ومن ذلك الوقت صار المولى الحسن ينظر الى موسى وكافة اهله نظر الارتباب لتوسمه فيهم محاولتهم لتعدى طورهم من العبودية ، بل شاع أن ، احمد كان يحاول اثبات شرفهم فى سملالة .

ولما توفى موسى سنة 1296 هـ كان ولده احمد يطعم فى صدارة الوزارة ، ولما ركب السلطان ليحضر تشييع الجنائز كان احمد ينتظر ان يامره بان يسير خلفه لان تلك هى العادة عندما يموت الوزير ، فمن تبع السلطان فى الجنائز هو الذى يخلفه ولكن السلطان استدعى السيد محمد ابن العربى الجامعى وامره بالركوب وراءه ، فأيس احمد وبقي حاجبا .

يقال انه لما كان المولى عبد العزيز وهو صغير يميل لاحد لانه كان مكلفا بالاشراف عليه فى الكتاب وهو الذى كان يعطيه ما يقدمه لاستاذة فى المناسبات كالحذافات والختمات وما يشبهها علمه مرة أن يطلب من السلطان أن يستوزره مكان موسى والده ، فلما كان بين يدي والده فى الدار مرة طلب منه ذلك فقال له السلطان « استوزره انت متى صرت سلطانا » فكان الامر كما قال .

كانوا يكررونها كل سنة على مسامح السلطان المتوفى فصادفوا هذه المرة من الوزير اصاخة ، فأمرهم ان يجتمعوا فى هشتوكة ، وان ينتظروا هناك جيشا حكوميا يوطد لهم ، فتجمع بعضهم فى تابوحنايكت مع ابن يطو من

ثم لم يلبث السيد محمد بن العربي الجامعي ان اصيب بالفالج وهو راجع مع السلطان ذات مرة من مراكش فمرض بذلك فى الرباط ، فكان ينوب عنه كاتبه الصنهاجى ، ثم لما مات هذا قلد السلطان الوزارة لاختيه الآخر السيد الحاج المعلى بن العربي والحربية لاختيهما السيد محمد الصغير وهما اللذان نكحهما احمد ايام المولى عبد العزيز ، وكان حنق السلطان يزداد على احمد حتى ان الكتاب شعروا بانه اذا وصل المادحون فى ليلة المولد لقول البصيرى فى الهمزية « ومن الاهل تسعد الوزراء » كان السلطان يلتفت الى اخواله الجامعيين نكايه بالحاجب احمد ، وكان يهم بصرفه عن الحجابة الى باشوية تطوان وبقي السيد محمد بن العربي مفلوجا ثلاثين سنة وولد كثيرا من اولاده فى تلك الحالة ، ويقولون انه بهى الطلعة ازهر اللون .

اما اصل الجامعيين هؤلاء فانهم من ذوى منبع من الصحراء قرب فيكيك وبشار ، واول من دخل منهم الى المغرب يسمى الشرقى ، وقد نزل بخيامه على اولاد جامع ، فأحسنوا ايواؤه وكان له اتصال مع سلطان ذلك الوقت ولا ندرى هل هو المولى اسمعيل او ولده المولى عبد الله او ولده سيدى محمد ابن عبد الله ، وهو سبب انخراط اولاد جامع فى الجيوش السلطانية لانه كان يشئ عليهم فى حضرة السلطان ، ثم دخل فاسا واقتنى املاكا بحارة فندق اليهودى بها ، ومنها المحل المعروف الآن بنزل (اوطيل) الجامعى .

ثم خلفه ولده القائد محمد بن الشرقى فى قيادة اولاد جامع ، ثم ولده السيد عبد الملك ، ثم ظهر المختار ابن عبد الملك الذى قال فيه صاحب الاستقصاء « الفقيه العلامة الاديب » فاستوزره المولى عبد الرحمان سنة 1247 بدل الوزير الاديب محمد بن ادريس ، ثم صاهره على بنتيه فاطمة لولده سيدى محمد ولي العهد واخرى لاختيه المولى عبد السلام ، وفاطمة تلك هى والدة السلطان المولى الحسن الاول .

وبعد موت السيد المختار سنة 1252 هـ . بمراكش ودفنه بصحن مشهد مولاي على الشريف هناك ، تولى الوزارة مكانه ولده العربي ، وكان لا يتفق مع المولى محمد بن عبد الرحمان زوج اخته ، ولذلك اخره المولى عبد الرحمان عن الوزارة ورداه الى منصب اسلافه وهو قيادة اولاد جامع ، فلما مات المولى عبد الرحمان قام السيد العربي باخذ البيعة بفاس لسيدى محمد رغم ما كان بينهما من النفور ، ومن عجيب الاتفاق ان العربي هذا وقف عند قبر المولى ادريس وقال اذا كان له الخير فى سيدى محمد بن عبد الرحمان فذاك والا فلا اراه الله وجهه ، فمات قبل دخول السلطان الجديد لفاس من مراكش ، ولا تخلو الدواوين المخزنية من كتاب ووزراء من الجامعيين دائما ، وقد كان السيد محمد بن العربي المذكور خليفة لعبد الله اخى موسى فى الحربية ايام المولى الحسن حتى كان ما اسلفناه فى التعليق 125 من صفحة 33 وما اوردناه اعلاه .

وغالب ذلك متفرق فى تراجم هؤلاء الاشخاص فى الاتحاف للنقيب العلامة المولى عبد الرحمان ابن زيدان ، وقد استقيناه مجملا هكذا من العلامة الجليل شيبه الحمد وبقية السلف الصالح سيدى محمد بن الحاج ادريس بن محمد بن المختار الجامعى ، وقد نشأ جنباه هو واخوته سيدى محمد وسيدى احمد وسيدى محمد الصديق بين يدى افاضل العلماء كسيدى احمد بن الخياط وسيدى الفاطمى الشراذى وقضى السنتين كاتباً فى الحاشية السلطانية ثم كان باشا برودانة نحو عشرة اعوام ، اخرها سنة نفى السلطان المقدس سيدى محمد بن يوسف عن عرشه فطرده المستعمرون من تارودانت واسندوها للقائد محمد بن ابراهيم التيوتى .

رؤساء الجند الحكومي (596) وكان معه جند قليل — ذلك ما حدثت به — فزحف القائد سعيد الكلولى بالحاحيين وغيرهم لأداء المأمورية التي كلفته بها الحكومة ، وقد كانت الفت من الحاحيين تمهيد سوس كما صنعه القائد عبد الملك بواسطة محمد بن يحيى أغناج (597) .

سمعت القبائل الجنوبية بهذه الحملة التي يعرفون ان المقصود منها هو ابتزاز الأموال ، فكادوا يجمعون على مقاومتها لولا ما كان عراهم من تفرق بعد معركة تامدان اير عمان ، فبعقيلة وشيعتهم كالتيزنيتين والجرارين لا يزالون ينتظرون بالشبيعة الاخرى ما يتسبب عنه ان يأخذوا ثار تلك المعركة ، ولم يقنعوا بحروب دارت بعدها في ازاغار ، بين آل المعدر وتيزنيت ، واما ابن الحسين وشيعته فانهم بادروا لمدافعة الجيش الزاحف ، فكان المجاطيون والمعدريون وامثالهم مندفعين الى جهة هشتوكة ، ثم احتوش الهشتوكيون من

596) هو الحاج الهاشمي بن بطر الجامعي كان من وصفان القصر الملكي الداخليين ، اما تابوحنايكت هذه فتقع في ايت بوالطيب من هشتوكة سوس ، وكان اول من نزل بها هو الشريف مولاي عبد السلام من عبوة المولى عبد المزيث ثم انضم اليه القواد الذين ثارت قبائلهم بعد وفاة السلطان مولاي الحسن الاول ، ثم ورد عليهم القائد سعيد الكلولى الحاحي بصفة كونه قائدا عاما .

وسبب وقعة تابوحنايكت هو ان القائد السلطاني الذي كان هناك وهو القائد الحسين بن القائد ابراهيم الدليمي ذهب ليسلم على القائد سعيد الكلولى فترفع عنه هذا وامره بالطاعة وتقديم المؤون لجيشه كما هي عادة المغلوبين ، فانف القائد الحسين من ذلك قائلا ما دام مصدر سلطتنا هو السلطان فبأى سبب يخضع احدنا للآخر ؟ فاعتقله الكلولى لآمنه جانب الوزير احمد بن موسى الذي اطلق يده في سوس الجنوبية كما اطلق يد الباشا حمو في سوس الشرقية والشمالية فثار لاعتقاله اجوانه ايت بوالطيب وانضم اليهم اهل ماسة وايت باكو وايت بولفاع وغيرهم فانقضوا على الجيوش السلطانية في تابوحنايكت في «آخر يوم من شعبان عام 1314 هـ ، وبعد ان انتهوا تابوحنايكت اعتقلوا الشريف المذكور ، وقد اطلق سراحه فيما بعد بما يقرب من المستحيل ، وسبق القائد الحسين الى سجن اكادير حيث بقي حتى كاد يصير مقعدا ، وتخلص من السجن يوم وفاة الوزير احمد بن موسى عام 1318 هـ . واضطراب الامور من جديد .

597) راجع اخبار هذين في اخبار آل بيهي بن مولود ، واخبار الناصر الطالب صالح في تماليك منبئة في قسم « ايلخ الحديث » من هذا الكتاب ، منها التعليلان 479 و 492 ، ونضيف هنا اثنا عشرنا بين كتاب المولى عبد الرحمان عند النقيب ابن زيدان في صفحة 225 من خامس الاتحاف على اغناج «آخر غير محمد بن يحيى هذا ، وهو الحسين اغناج كان عاملا على حاحة فعز له المولى عبد الرحمان وولاه وظيفة الكتابة ، ولا ندرى علاقته بالاول .

كانوا فى تابوحنايكت ، فرابط ابن الحسين ومن معه فى توبوزار ، فاستولى القائد سعيد على هشتوكة ، فبقى هناك شهورا يدرس الموقف ، فاتصل اذ ذاك بالتيزنيتيين والبعقليين وشيعتهم على ان تكون يدهم واحدة ، فلما تم له ذلك دارت الحرب فى توبوزار ، فاندحرت القبائل المدافعة بعد ما ابلى ابن الحسين ذلك النهار بلاء مذكورا وقد ربض فوق ثنية ، فكانت رمايته لا تخطى ، لأنه كان من رماة الحدق (598) ، غير ان ذلك لا يجدى امام السلاح الجديد الذى تسليح به المهاجمون ، فبادر ابن الحسين فاتخذ الليل جملا ، فخاض فى احشاء الظلمة ، فقطع بلاد الجرارين فنجأ الى داره ، وفى ذلك الحين انقض البعقليون والتيزنيتيون على المعدريين من شيعته فنهبوا ديارهم ، فانفتح باب تيزنيت امام القائد سعيد الحاحى فدخلها .

هكذا ظهر من ءال ايليج الحديثة أول مرة مدافعة الجيش الحكومى بالقوة بعد ما رأينا منهم احترام الحكومة دائما ، أو اجفالا امامها على الأقل (599)

(598) الحدق جمع لحدقة العين ، ويكون برماة الحدق ممن يصيبون فى رميهم ادق الاشياء حتى انهم ليصيبون حدق اعدائهم ، وقد ادعيت هذه التسمية لبني نعل ولقوم من هل النوبة ، ولغخذ القارة من بني الهون بن خزيمة ، قال الامام السهيلي اثناء الكلام على من ذكر ابن هشام فى سيرته أنهم اسلموا بعد ابي بكر رضى الله عنهم وعد منهم مسعود بن القارى : « والقارة لقب » ولهم يقال « قد انصف القارة من راماما » وكانوا رماة ، فقال السهيلي : « وكانوا رماة الحدق » فمن راماهم فقد انصفهم ، قال ابن الونان :

لا تامن الدهر الخؤون انه * ارشق نبلا من رماة الحدق

(599) لا يعاب اى شئ من ذلك على ءال ايليج ولا على كل من كان فى جانبهم ، فان بين مجيء المولى الحسن الاول وغيره من ملوك الدولة العلوية الى سوس وبين مجيء القائد سعيد الكيلولى ومن معه فرقا كبيرا ، فقد رأينا فى التعليق 589 ان سيدى الحسين التامكونسى نقل عن موقت السلطان ان جلالة لا يتبلغ الا بما ياتيه من داره ، وذكر مثل ذلك غيره من المؤرخين ومنهم المؤلف فى الجزء 14 من المعسول عند الكلام على ترجمة القائد الحسين الديلمى .

أما هؤلاء القواد الواردون الى تابوحنايكت وبويكرا فانهم طلاب ثراء اكثر مما هم قواد للجيوش الوطنية ، لانهم لا يهتمون بشئ مثل اهتمامهم بالنهب واحتواش الاموال ، ولو أنهم تمغفوا عما فى ايدي الناس ، وقدروا الموقف فى الداخل والخارج قدره لكانوا صلحاء برة بوطنهم ولراءهم السوسيون رحمة لآكاهم فى الواقع نقمة ولتلقوهم بمثل ما تلقوا به السلطان المولى الحسن رحمه الله .

احمد بن محمد بن الحسين يظهر

انسحب محمد بن الحسين من الميدان بعد معركة توبوزار ، تاركاً وراءه ابنه الشهم احمد بن محمد ، وكان من رجالات ايلخ المذكورين ، وقد أدرك كثيراً من عصر جده الحسين فكان له منشأ حسناً متأثراً بتلك البيئة ، وكان دائماً عضد والده الأيمن ، وهو حر ابن حرة ، لذلك لم يكد والده يتوارى أثر تلك المعركة حتى بادر فاتصل بالحاحين فربط معهم ما تمشى مع حبله أيامهم كلها ، سواء الكيلوليون أم النفلوسييون ، فكان قائداً على تازروالت وايت رخا وبعض ايفران كتانكرت ، فجال في مجالات الحاحين فغرم لهم مفارم بأهضة ونزع باسمهم بغالا وخيلا من الناس ، كما ملأ سجونهم بمثل محمد أنافال ومبارك الرخاوين (600) ، وكان كاتبه الخاص حيناً الفقيه سعيد ابن الطيب الأكمارى (601) ، ولم يزل يبدى ويعيد ما بين سنتي 1315 هـ . و 1321 هـ .

وإذا كان الوزير احمد بن موسى يقول عن رئاسته للحكومة اذ ذاك انه انما ستر الفضيحة وانه لو تخلى عنها لفاخ تنتها ، كما اشيع عنه وكما ذكره عنه المؤلف في الصفحة 255 من ثالث الممسول فانه لم يعد في ارساله القائد سعيد الكيلولى لجنوبى سوس حول تزيت والباشا حمو البخارى الى شرقه وشماله حول تارودانت ان مذهبهما لتشوق الناس للاستعمار واستيطانهم له . وكثيراً ما يكون هؤلاء الولاة الشرهين التهمين سبياً في نفور الناس من ممثلي السلطة المركزية، لولا ان السوميين لحسن الحظ يحسنون التمييز بين هؤلاء وخسة اغراضهم وبين رئيس السلطة المركزية الذى هو السلطان والذى يرويه خليفة الله فى الارض .

ومن اراد أن يعرف ما سجله التاريخ السوسى فى ذلك فليراجع ما نقله المؤلف فى الخامس عشر من الممسول عن أبى فارس الادوزى عن الكيلولى وما قاله قاضى تارودانت سيدى موسى عن الباشا حمو فى ص 14 ج 18 من الممسول .

ولو أن هؤلاء جاءوا الى سوس كمبشرين بالواقع الوطنى فى الداخل والخارج وكثيرين للحماس الوطنى لكانت الحالة غير الحالية ، ولكن احمد بن موسى الذى سطا على الوزارة لصفر المولى عبد الميز كما سطا عليها ابوه قبله ايام المولى الحسن لا يهه الا أن يكون هو وانصاره وحدهم فى الميدان ، فى وقت تتلاعب فيه الرياح الهوج بمصالح الوطن العليا ، فاذا عينا على الحسين ابقاله امام المولى الحسن سنة 1283 هـ فاننا لا نغيب على ولده محمد بن الحسين مقاومته لهؤلاء الجبابرة السفاكين الشرهين ، راجع التعليق رقم 1 من الصفحة 282 من ثالث الممسول ولابد ، كما تجب مراجعة صفحة 231 من الجزء 15 منه ، وكذلك الجزء 20 .

(600) تقدم ذكرهما فى التعليق 537 .

(601) هو العلامة الجليل سعيد بن الطيب بن خالد ، والده الطيب من المذكورين فى التعليق 521 ، وكان ماهراً مقداماً يخوض فى النوازل واقتبل عليه الناس فيها لحذقه وحسن خلقه ، وكان مولماً بالصلاة فى اوقاتها جماعة ، وكان يجهر بالتكبيرات والتحيدات ليسمعه من يجاورونه ، حتى صار الناس يتجنبون وقت صلاته ليصلوا بتسليمه خصوصاً فى صلاة الصبح بداهه ، وكان الناس يسمعون فى الصيف اكثر مما يسمعون فى الشتاء . راجع ترجمته فى صفحة 98 من حادى عشر الممسول .

الى ان خرجت ، اخر قافلة من الحاحيين من تيزنيت حين استدعت الحكومة جندها في الوقت الذي نشبت فيه ثورة بوحمارة (602) في تازة ، ثم أوى بهـ ذلك الى داره ، ولم يبق له ولا لأهله الا التازروالتيون لا غير ، وقد حفظت دارهم مما أصاب ديار القواد من النهب والتدمير بأيدي العامة الى نحو سنة 1326 هـ فسافر الى الحج ، فصادفه أجله في طنجة ، وكان جامعا لأخلاق الرجولة بأسلا مفواراً ذا هيبة .

(602) هو الجيلاني الزرهوني من دوار اولاد يوسف من زرهون ، كان له نوع ثقافة ، وكان من اتباع المولى عمر ولد السلطان المولى الحسن وهذا هو الذي كان يرى نفسه أهلاً للخلافة والده ، كما كان مدة من اتباع القائد عبد الكريم ولد با محمد الشرقي ، وكان يتعاطى الخوض في الاسماء واسرار الحروف .

ولما أعلن الحاجب احمد بن موسى تتويج المولى عبد العزيز سنة 1311 هـ في الرباط وتولى هو صدارة الوزارة التي كان يطمح اليها من قديم وبلغت اوامره بذلك الى باشا فاس على الراشدي او عبد الكريم الشرقي الذي كان اذ ذاك باشا على فاس الجديد ، فاذا بالطبول تدق اعلاناً للتتويج فلما سأل المولى عمر عن سببها واطلع على الواقع ارسل عونه المهدي بن العربي المناهبي لخرق الطبول فخرقها ، فكان ذلك سبب قبض الباشا عليه وايداعه السجن ، وكان فيه هو والجيلاني الزرهوني هذا ، واذا عرفنا سبب سجن المناهبي فقد بحثنا عن سبب خاص لسجن الجيلاني فلم نعثر عليه ، ولعله سجن هو الآخر لنفس السبب اذ ربما يكون المولى عمر كلفهما معا بخرق الطبول ، ويقال ان الجيلاني هذا كان يستعمل الرمل والخط الزناتي لاستطلاع مستقبله ومستقبل رفيقه في السجن ، فيشر رفيقه بأنه سيكون وزيراً ، فبادر الآخر بتبشيريه باستخدامه كاتباً معه اذا توزر ، فقال له الجيلاني تبا لك انتي ساكون اذ ذاك ملكاً وساقصد عليك وزارتك ، فكان الامر كذلك ، وبعد خروجهما من السجن انحاش المهدي بن العربي المناهبي للوزير الجديد احمد بن موسى حتى صار من خاصته ، اما الجيلاني فبقى يتسكع حتى مات الوزير احمد وقبض المناهبي على زمام الامور ، وجاء لزيارته فترفع عنه فخرج من فاس وساح في جباله وناحية طنجة بيت الدعاية ضد الدولة ويندس بين المتفكرين والمتصوفين حتى عاد الى قبيلة الحياينة فادعى أنه هو المولى محمد بن السلطان المولى الحسن وان اخوته اضطهدوه ، فكان ذلك اول ثورته التي ابتدأت سنة 1321 هـ وكلفت الدولة المغربية كثيراً من الانفس والاموال ، حتى قبض عليه القائد الناجم السوسي الاخصاصي أحد قواد الارحاء بعد سبعة أعوام من ذلك التاريخ أي يوم الاحد 5 شعبان عام 1327 هـ في مشهد سيدي عمران في قبيلة بني قيس من بني مزكدة بجباله .

وقد دهم الناس امره وظنوه بادرة الانفراج في المغرب ، ولكنه انما كان فتنة من فتن الاستعمار ، وقد اغتر به حتى كبار علماء القرويين فقد كان العلامة سيدي احمد بن الخياط وتلميذه العلامة سيدي الفاطمي الشراذي عند السيد محمد بن العباس الجامعي في غرسة الشفشاوني بفاس بمناسبة حفلات شعبان ومعهما تلميذهما العلامة الخير الصالح سيدي محمد بن الحاج ادريس بن محمد الجامعي - وعنه نقل بعض ما هنا - وأبو حمارة على أبواب فاس فاستبشروا بقرق دخوله واطهروا الفرج وكان هناك رجل مجذوب كان خرازا اصله من تلمسان ويسمى سيدي الحاج فاعتراه الجذب فجلس بعيداً عنهم ينتظر فضلة الطعام فسأله بعضهم - وكانوا يعرفون جذبه - فهاج وازيد وصار يقول : « الا تستحيون ان تتركوا ولد الناس - يعني المولى عبد العزيز - وتساؤوا بمجهول

بقية اخبار محمد بن الحسين

لم يظهر بعد معركة توبوزار في أية معركة بعد ، بل أصابت رياسته وسمعته زمانة ، فتضاءل أمره لأسباب كثيرة ، منها تبدل أحوال سوس من سنة 1315 هـ (603) فجاءت أمور أخرى انطفأت بها جذوة تاكوزولت وتاحوكات ، ولا يخفى ما لتناطحهما من رفعة شأن ايليج كما أوضحناه فيما تقدم ، ومنها تكالب المجاطيين بعد ان نسفوا القائد سعيد المجاطي سنة 1323 هـ ، وكانت ايليج تناصره ، فصاروا يضادون ايليج بكل قواهم ، وقد تولى معظم ذلك البنيروانيون والرخاويون ، فكفوا يد الايليغيين بعض الكف عما كانوا يعهدونه في الموسم ، فنقصت هيبتهم لذلك نقصا ظاهرا ، ومنها اسراف ابن الحسين في الجود ، فلم يوازن بين الدخل والخرج فأداه ذلك الى الاحتياج ، فصار يرهن املاكه ، وذلك مما يحط من شأنه في أعين الناس كثيرا ، ثم دخلت الفوضى بين أعوانه وعبيده واهله ، فيضع كل واحد منهم يده على ما يجده فيبيعه بأبخس ثمن مع هروبهم من اجل ضيق المعاش بهم ، فبعد ما نهب من الخرنثي (604) والذخائر والأثاث القيم ما له بال صادف هذا اجذاب تازروالت سنين متوالية ، فخلست

فتان ؟ والله لا كان ذلك ابدا ، فتعجب الحاضرون واقلعوا عن الخوض في ذلك ، فلم يلبث ابو حمارة ان انهزم في احدى الوقائع قرب فاس فارتحل حتى قبض عليه وقال المؤلف في الممسول ان الذي كلف بقتله يسمى مبارك السوسي ولم يزد ، ومبارك هذا من ايت حميتي بتشديد التاء ، من زاوية اكضاض في تاكر كوست ن وانسا في اولوس وسبب خروجه من بلده انه قتل ثلاثة من ايت واحمان من قرية اوسلا هناك في نزاع معه على السقي من المساقية جاء اولهم يمنعه من رد الماء لحقله فضربه بالمجرفة المسماة آمادير فرماه في المساقية فجاء اخوه فالحقه به فجاء الثالث فالحقه بهما كذلك ، ومن هناك فر الى مراکش ايام المولى عبد العزيز فوجد الناس يتجندون فانخرط في الجيش ، فاصبح قائدا من قواد المساكين .

اما تفاصيل المعارك وكيفية القبض عليه وموته فانها في الجزء العشرين من الممسول ، وفي الاول من الاتحاف للنقيب ابن زيدان ، ولا عبرة بما ذكره من ان الذي قبضه هو العشي ، كما شهد به الناجم والقائد العربي قائد المشور ، واسم العشي العربي من قواد المائة مع قائد الرحا احمد بوعودة ،

603 هـ هي السنة التي انهزم فيها امير ايليج محمد بن الحسين في معركة توبوزار كما تقدم ، فانسحب مندحرا .

604 هـ متاع البيت واثائه .

المخازن ، وظهرت الفاقة على ايليج فتضعض أمره تضعضا يراه كل أحد ، ومنها ما ظهر من الخلاف هناك ، فقد بدأ بين على وبين والده ابن الحسين خلاف كثير ادى الى ما لا تحمد عقباه ، فهجر هذا والده الى المعدر سنة 1327 هـ . بخيله واصحابه ، ثم جرى الشيخ الوالد حتى صالح ما بينهما فرجع الى والده فرضى عنه والتأم ما بينهما سنة 1328 هـ ، ومنها ما استولى على ابن الحسين من تصوف وتبتل كثير ، فألقى وراءه كل ادارة للشؤون ، مقبلا على اذكار كثيرة ، وعلى تلاوة المصحف بكثرة ، وعلى اناقة عجيبة تؤثر عنه أخيرا ، فضاع كل شيء من يده واصبح قانعا باجزاء عمره بما سنع وتيسر ، فهذا ما ظهر لنا من اسباب سقوط ايليج الحديثة من مجددها الشامخ .

ثم لما جاءت ثورة الهيبة (605) لازم ابن الحسين الحياد عنها هو وسملالة التي تتبع خطواته من قديم ، فلم يؤثر عن احد تخلف عن الهيبة

605) هو الشريف الشيخ احمد الهيبة المولود سنة 1293 هـ ابن الشيخ العلامة محمد مصطفى المعروف بالشيخ ماء العينين الذائع الصيت وصاحب التاليف العجيبة في جميع الفنون .

وهذه احدى الاسر العربية المغربية العريقة ، كانوا يقطنون القطر الشنكيطي فحافظوا فيه على السنة والشريعة الاسلامية والعلوم الدينية ، وكانوا احدى دعائم الاتحاد الوطنى هناك ، اذ كان لهم اتصال دائم بالدولة المغربية وكان لهم فيها كامل الثقة وحسن الاعتقاد ، وكانوا يسافرون عن طريق المغرب الى فاس والقيروان وغيرها من المواسم الاسلامية لتلقى العلوم واقتناء الكتب .

ولما احتلت الجيوش الفرنسية بلادهم الصحراوية بقيادة الكولونيل Gouraud الذى اصبح جنرالا فى سنة 1914 م هاجر هذا الشيخ فى اتباعه الى التخوم الصحراوية السوسية فرارا بدينه وحرية فقدّر له ملوك المغرب ذلك من عهد المولى عبد الرحمان الى عهد المولى عبد الحفيظ اذ فى أيامه توفى بتزيت سنة 1328 هـ فكان الملوك يقومون به وباتباعه البالغين نحو عشرة آلاف بين تليذ ومريد ومقدّم ومعتوه وعاجز فيؤويهم ويعلمهم ويحملهم فى الاسفار .

وكان يمر بالقطر السوسى اذا ورد من الصحراء ، وكان يتصل برؤسائه ومن جعلتهم حيدة ابن ميس المذكور فى التعليق 606 اذ قال له ذات مرة اذا صار احد اولادى اميرا فاعنوه ولا تحاربوه ، وذلك كشف منه للغبى .

ولما وفد على المولى عبد الحفيظ فى اوائل عهد الحماية وجد الكولونيل Gouraud المذكور من جملة الضباط الذى جاءوا للمشاركة فى احتلال المغرب فرجع من مراكش ولم يبلغ فاسا كما كان ينوى ، وقد أشار عليه المولى عبد الحفيظ بالرجوع مخافة ان تمتد اليه يد الفرنسيين المتضامنين فيما بينهم . فيكون عليه فى ذلك لوم التاريخ .

اما ولده احمد الهيبة هذا فهو الذى تجل فيه كشف والده بالامارة واعلن نفسه سلطانا عام 1330 هـ فى اواخر ايام المولى عبد الحفيظ ، وقد وقع عليه الاختيار لانه هو الذى خلف والده فى مكانته بين اهله ، وكانت الغاية من قيامه أولا هى انقاذ المغرب وتحريره من الحماية الاجنبية ، ولما ظهر أمره طمعت المانية ان تستغله فى محاربة الفرنسيين فى المغرب بواسطة القاندين الكيلوليين - بالكاف المعقودة - الحاجين مبارك ثم أخيه عبد الرحمان كما أكده المؤلف فى المصنوع وقال ان ذلك قل من يعرفه .

اما السوسيون فكانوا ازاءه فرقتين فرقة انضمت اليه وهى الاكثرية ، وفرقة تجنبته خوف ان لا يتم أمره فيتوارطوا ، وكانت الحماية قد تمت اذ ذاك فسهل قبول الدعاية السيئة ضد المولى عبد الحفيظ واتهامه بأشنع الاعمال ، ولم يكن هم كل من انضم الى الهيبة من السوسيين الا الجهاد فى سبيل الله ، وحتى اولئك الحاميون انفسهم لا غرض لهم سوى محاربة الحماية .

وبعد اقبال وادبار واقدام واحجام اجتمع عليه اهل ناحية تيزنيت من السوسيين وعلى راسهم العلماء فتبعهم من سواهم ، فانصب الشيخ احمد الهيبة ملكا على عرشه تلى امامه القضاة ويخطبه الشاعر الفحل المرن الاستاذ الطاهر الاقراني بامارة المومنين وبالخلافة (فيصك تسليم الخلافة سبهم) كما قال ابن الزيات فى ابراهيم بن المهدي الثائر على العامون العباسي ، وتكون له بلاط مغزنى من الشلحيين الذين يحاولون محاكاة ما يشاهدونه فى بلاط المولى الحسن الاول اذا زار بلادهم .

ولما استوتق من نفسه ازمع الرحلة الى احتلال مراكش عاصمة الجنوب المغربى ليتقدم منها الى مصادمة الجيش الفرنسى المتشعب من الدار البيضاء فى شعب مختلفة تتجه كل شعبة منها الى نقطة معينة من الرقعة المغربية وفق برنامج منظم مدقق مدروس متحد القيادة ، ولذلك أشير عليه بالمرور الى مراكش عن طريق أمسكروض لئلا يقع فى قبضة الموالين لاحدى تلك الشعب ، وقد وصلها فى خامس رمضان 1330 هـ الموافق 18 غشت 1912 ، فكان أعظم جبهه دخول القصور الملكية والاستحواذ على ذخائرها وكنوزها ومباهجها وملذاتها .

ولما حضر للمسلم عليه كبار قواد الحوز أشار عليه الباشا حيدة بالقبض عليهم ونفيهم الى شواحق الجبال السوسية لانهم يتلونون ويتقلبون قابى عليه ذلك بحجة انهم فى امان لديه .

وقد كان من قدر الله اذ ذاك ان فسد ما بين السلطان المولى عبد الحفيظ فى فاس وبين صدر وزرائه المدنى الاكلاوى فتسلل هذا الى مراكش بحجة الاطلاع على احوالها والاتصال بأخيه الحاج التهامى الذى كان باشاها ، فعزله المولى عبد الحفيظ تبعا لأخيه وأسند الباشوية وأوسع منها الى خديمه السيد ادريس منو السوسى الهشتوكى - معدم ابى حمارة - والذى اخذ عنه المؤلف ما ضمنه كتاب « على مائدة الفداء » الذى ما يزال مخطوطا .

وقد كان ما بين المدنى الاكلاوى والفرنسيين قد فسد ولكنه رجع الى الاتصال بهم ، كما ذكر الجنرال مانجان Charles Mangin فى مذكراته بقوله « الاخبار الواردة سيئة ، وان الكلاوى الرئيس البربرى الكبير ، الوزير السابق الذى كنا نغضبنا عليه ، قد عاد الينا يفيدينا ، وانه يناسبه العداء المتوكى الرئيس البربرى الآخر المعادى للفرنسيين » .

فصادف دخول الهيبة لمراكش وجود المدنى الاكلاوى فيها فكان ذلك من أئمن الفرص له لنشبت قدمه فى الصداقة الفرنسية .

وكان من أعمال الهيبة بمراكش ان أسر تسعة فرنسيين منهم القنصل Maigret ومستشاره ، والكومندان Verlet Hanus مع اربعة ضباط ، وكانت الأوامر قد صدرت للقنصل ان لا يبرح مراكش ولو وقع ما وقع : فقد أصبح هم الاكلاويين ان يحرسا على سلامة اولئك الفرنسيين بأى ثمن كان ، خصوصا مع ان أسرهم كان انتزاعا لهم من يد الحاج التهامى .

وكانت القيادة العامة بالرباط تتردد اذ ذاك فيمن سترسله الى ما وراء نهر ام الربيع هل هو الكولونيل Gouraud او الكولونيل Mangin ، فوقع الاختيار أخيرا على هذا الأخير ، وكان كما قطع أم الربيع الى أزموور فأصبح يتردد بينها وبين الجديدة ، وهناك اتصل به اليوطى على الساعة التاسعة ونصف من مساء يوم 9 غشت 1912 م من الدار البيضاء فقرأ له فى التلفون عدة برقيات وردت عليه من الصويرة بتقدم الهيبة الى مراكش . ولما عاد اليوطى من الغد الى الرباط وجد امامه خبر استفحال أمر الهيبة ، فأصدر الاوامر حالا الى الكولونيل مانجان بالاسراع الى مشرع ابن عيو بين سطات ومراكش وأبقاه على قيادة الاعمال الحربية يدكالة والاعمال السياسية بالرحامنة ، زيادة على القيادة العسكرية الجديدة ، وفى 12 غشت جاءت سيارته الى أزموور فأخذته الى مشرع ابن عيو حيث وجد كثيرا من الجنود تتجمع ، وقد صرح الجنرال مانجان انه لم يكن فى نية الفرنسيين ان يغاتلوا وانما يرمون الى اظهار القوة ليعضدوا بها الاعمال السياسية التى يقوم بها فتصلهم الذى نعمته بقوله .

« qui tient la balance entre le Glaoui et le Mtougui, personnages importants qui se disputent la prépondérance dans le Haouz » .

اما الهيبة فقد وجد نفسه فى طرفة عين ملكا فى مراكش وتبجح قصورها ، ونسى ما جاء من أجله وغاثر بظاهر من يتربصون به الدوائر وتصامم عن النصيح ، واكتفى بأن وجه اخوه مرييه ربه فى بعض الاعراب والسوسيين ومن انضم اليهم من الرحامنة وقد قدرهم الجنرال مانجان بعشرة الاف . ولم تكده بعض القذائف تمر من فوقهم حتى ولوا الادبار منهزمين يتسابقون الى مراكش .

وقال الذين حضروا اذ ذاك ان من اسباب الانهزام كون الموالين للفرنسيين من قواد الحوز اضرمو النار فى معسكر مرييه ربه ، فلم ان العدو امامه والخيانة والظدر وراءه ، فولى منهزما ، فوصل مراكش عند السحر فلم تشرق الشمس حتى خرجوا فارين نحو تارودانت ، فاستولى الحاج التهامى الكلاوى الذى تعين باشا على المدينة بدلا من السيد ادريس منو منذ فسد الجو بين أخيه المدنى وبين السلطان المولى عبد الحفيظ ولكن لم يكن تنصيبه فى المستطاع اذ ذاك كما حكاه الجنرال مانجان عن القنصل Maigret ، فكان كل ما يمكن ان يكون مما يقع فى أمثال هذه الاحوال من تصفية الحسابات وانتهاز اختلال الاحوال ، وقضت مراكش ذلك اليوم فى النظام الظاهر والفوضى الخفية .

ومن الغد عسكر الكولونيل مانجان فى كيليز وأرسل قذيفتين عظيمتين تتران فى الجو وتهزان الغافلين بمراكش ، فخرج الاعيان لاستقباله ، وذبحت بين يديه بقرة رمزا للطاعة والانقياد ، وهناك اعلن باشوية الحاج التهامى على المدينة وعين لها قاضيا .

ولما وصل الشيخ الهيبة تالكجونت علم ان احمد بن على الكابا باشا تارودانت يسابقه اليها ليحتلها ويخلقها دونه ، وقد تنكر له بعد الهزيمة ، فانتدب جماعة من اتباعه فيهم اخوه مرييه ربه لاحتلالها ، فراح اليها يوم 29 رمضان 1330 هـ . وفى صباح العيد اوتى براس الكابا فعلق فى الحائط الشرقى بساحتها العمومية أساراك .

وقد ابلعته فرنسة ريقه فى تارودانت وامهلته محاولة استمالته اليها بكل انواع الاغراء والاطماع ولكن بدون جدوى ، فدهسته الجيوش الحوزية بقيادة الحاج التهامى الاكلاوى لتمضيده حينه ابن ميس قائد الجيوش السوسية الذى تنكر هو الآخر للهيبة بعد ان كان قائدا عاما لجيوشه ، فخرج من تارودانت مساء يوم 17 جمدى الثانية عام 1331 هـ ، فاجتاز ارض هواره كلها تحت الرصاص والنهب حتى نزل فى أسرسيف بهشتوكة ، فتبعه حيدة أيضا ، فوقف دون الهيبة قائده السوفى

بتيزنيت سواهم ، ثم لما جاء ابن دحان (606) الى تيزنيت رأى ان السواجب

الناجم المذكور فى الجزء 20 من الممسول ، وهزم حيدة عدة مرات ، حتى تقوى اخيرا لان من ورائه المورد الفرنسى المتدفق ، ففر الهيبة ومن معه الى تيمكر (بالكاف المعقودة) فى ايت والياض حيث بقى سنة ، ثم تفرقت جموعه وداخمته الجيوش التابعة للحماية من كل جهة فاوى الى عدة قرى فى ادا وباعقيل حيث طلل يتردد حتى اواه القائد سعيد بن المقدم الى داره بكردوس حيث بقى تعطف عليه بعض القبائل ببعض اعشار محصولاتها الزراعية حتى قبضه الله اليه فى 18 رمضان عام 1337 هـ . رحمة الله عليه ، وبقي أهله بعده على الفرار بدينهم وحريتهم حتى استقل المغرب فاستردوا مكانتهم .

606) هو محمد بن دحان العبدى ، أحد قواد الارحاء العسكرية ، والرحى هى الف جندى ، فى أيام المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ ، وقد اصبح هؤلاء القواد الكثيرون عاطلين بعد ان شنت الفرنسيون الجيش المغربى ، وكان أول ما فعلوه فى ذلك هو أنهم أذاعوا ان خيل هذا الجيش مريضة فجمعوها فى عين قادوس بفاس وأعدموها كلها رميا بالرصاص ، - وقد ظهر انه كان وباء . ثم الدواب حوالى عام 1913 م - فقام ضدهم فى ذلك بعض قواد الارحاء ، فخافوا ان ينضم اليه أمثاله فتعظم القضية فحلوا الجند المغربى نهائيا ، فصار أسعد اولئك القواد الممزولين حظا من وجد منهم اى عمل يتعيش منه فى ظل النظام الجديد . فخنصروا وانصاعوا .

وكان ابن دحان هذا وجيها كامل القامة مستدير اللحية ، ولم يكن حلقها شائما اذ ذاك ، فلما تم احتلال تيزنيت احتيج لمن يقوم بالدور المطلوب ، وهو قطع الطريق على المتسككين بالاستقلال القديم المناضلين عنه حتى لا يشعروا ما تم احتلاله من المغرب ، والعمل على اجتذاب المتزعجين له كثال الشيخ ماء العينين التابعين لولده الشيخ احمد الهيبة الذى أعلن سلطانا وجمعلها نقطة انطلاق لاحتلال ما وراءها حيث لا يزال الشيخ احمد الهيبة سلطانا ، بعد ما حشد من مراكش ثم تارودانت .

وقد كان الاختيار وقع على القائد الحبيب باقا الفطواكى أحد قواد الارحاء اولئك ، فاركب فى سفينة أنزلته امام اكلو بكاف معقودة ساكنة ليتصل باليابسة فى زورق ، فكان من قدر الله ان انقلب به الزورق فنجأ من معه وغرق هو حتىلقى البحر جثته بعد ذلك .

ثم اختير بعده ابن دحان هذا فاركب الباخرة ونزل حيث ذكر فدخل تيزنيت متمسلا فى شعبان عام 1331 هـ ، فأغدقت عليه سلطات الحماية الاموال لشراء الخيل وتجنيد الجنود باسم السلطان ، فصدق فيه ظن من رشحوه ، وكانت تلك فرصة ثمينة له لاحتجاج المال ، فظل حاكما بأمره فى تيزنيت وما حوالها عدة أعوام ، وكم نكب من أفاضل وانتهب من أموال وخرب من بيوت بحجة انحراف أهلها عما جاء من أجله وميلهم لآل ماء العينين .

ثم لم يلبث ان ظهر فى الأفق من هو أكثر منه تهورا واجترأ وإخلاصا لسلطات الحماية وهو حيدة بن ميس الصحراوى الجلالى المناهض للبرحلى باشا تارودانت اذ ذاك ، الذى تم على يده مرد الشيخ احمد الهيبة من تارودانت وعظم شأنه عند الفرنسيين فاحترمه كل رؤساء ذلك العهد حتى الباشا الكلاوى نفسه ، وأسندت اليه رئاسة احتلال ما لم يزل مستقلا من القطر الصومسى ، فانف ابن دحان من الخضوع له ، فطلب الانتقال لآى جهة تيسرت ، ورعى لسابق خدماته سوعد على باشوية أزموور حيث طلل عدة أعوام فى البذخ والترف وسكنى القصور ، وحلت الثقات المشاهدون انه اتخذ هناك بناية جعل أسفلها زاوية تيجانية لأنه من مريدى هذه الطريقة ، وكان يتخذ أعلاما ملهى يخلو فيه بالسفنيات والمعازف ، وفى ذلك كان يقضى أمثاله اذ ذاك أوقات فراغهم ، ثم مات عامل عيدة بلده فطلب الانتقال اليها وهناك توفي بعد نحو خمسة أعوام من عام 1350 هـ الذى حدده المؤلف لوفاته فى الممسول .

يقضى عليه ان يسكن هناك ، فبقى فيها ما شاء الله ، ثم رجع الى داره ، وحاله في نفسيته حاله ، صلوات في الصف واذكار كثيرة واقبال على شأنه ، وكرم بكن ما تيسر لا يرد أحدا .

ثم بعد ابن دحان جاء القائد عبد الرحمان الصوري المسمى حديمان ، فخلفه في الاعمال المدنية ، ومعه القبطان جوستينار المستعرب الشهير الذي كان يسكن سلا والمتوفى اخيرا بغرسة وهو مترجم بعض « الفوائد الجمة » للقاضي التامنارتي .

وبعد حديمان جاء القائد الطيب الكندافي فاستبد وابتز الاموال ما شاء له الابتزاز واربي طفيلانه على طفيان من قبله حتى صار الناس يترحمون على ابن دحان فلم يبق لاحد سبدا ولا لبداء ومن ابي فالسجن حتى أغفى من تزيت سنة 1339 هـ ورجع الى داره بوادي نفيس .

اما الطاغية الجبار الفاشم حيدة بن ميس ، وكان أشيب حتى خرج الشعر الاشيب من اذنيه ، فقد تول القيادة العامة لاختضاع ماوراء تيزنيت عامي 1333 و 1335 هـ وفي هذه السنة مات ، ونشير على القاري الكريم ان يراجع ترجمته ابتداء من « اخر صفحة 153 من الجزء الرابع من كتاب » خلال جزولة « للمؤلف .

ونضيف الى ذلك انه لما أراد الصمود في محنق بين جبلين قرب اكادير زوكاغن (المصن الأحمر) في 13 ربيع الاول 1335 هـ أقام فارس عليه برنوسان ابيض وفوقه أسود ، يقود ثورا جيدا ذبجه بين يديه وتلك علامة الطاعة ، وقال له مرحبا بك ايها الباشا ، ولا يهولك سفهاؤنا فنحن براء منهم ، فاعتر حيدة بذلك ، ففرق القرطاس على عساكره وتقدموا في المحنق ، ولكن لم يكادوا يتوسطونه حتى صار الرصاص ينصب عليهم من بين الصخور كالطر ، فأصابته رصاصة فمسل فجعل اصحابه يفرون وينتهب بعضهم بعضا ، وحكى لي من حضر ان احد جنوده كان على فرس فمر بكتابته الطيب ابن محمد بن صالح الرداني من ذرية القاضي ابن صالح صاحب السلطان المولى سليمان فسلبه كل ما عليه وكان الطيب بدينا جبانا ، وجعل هو يامر من يمرون به حاربين ان يضرموا النار على وجهه - يخشى ان يعرف فيقطع رأسه - ولكن من يطبق منهم ان يفعل ذلك حتى ولو كان مصلحة ؟ لخوفهم منه - فاضرمها عليه عبيد صبيان له يعتادون ان يتبعوه حيثما توجه ، ولكنه عرف وقطع رأسه وعلق في كردوس في احتفال كبير .

كما نضيف هنا انه لما رجع من حرب ابي حمارة في تازة صار اعيان ناحية رأس الوادي ينواردون عليه لداره في قرية اولاد ابن الرحيل لتنهتته وفيهم القائد احمد الغرابي من اعيان قبيلة المنابهة ، فرأى عليه حيدة جلبابا اهداه له ولد هذا الاخير احمد لما حوصرت دارهم - كما في ترجمته المشار اليها ، انفا - فلما استقر به المجلس دخل عليه حيدة وصاحبه اليزيد ولد عويش المقتول في دار ولد بوعكاد في حوارة ، فقال له انذهب نحن لمعاونة السلطان وتنتهبسون ديارنا وتأتينني انت لابسا جلبابي ؟ فهم القائد احمد ما يريدان ، فقال له أرجوك ايها الباشا اذا اردت ان تعمل شيئا فآخرج ولدي الصغير حتى لا يرى شيئا وكان له ولد يضمه في حجره على بغلته ، فقال له حيدة فلنقسمه اذن قبلك لئلا يراك ، فذبجه له اليزيد في حجره ثم ألحقه به ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

اما الآن « قتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون » .

وفاته

كان بعض العلماء لا يفارقون حضرته ككاتبه الخاص وقاضيه احمد بن محمد الخياطى (607) المتوفى 1343 هـ ، وكابن عمه على بن عثمان (608) الذى كان صاهره حينما بينته (1349 هـ) ، وكأحمد بن مبارك الدشائرى المعدرى 1350 هـ ، وكعبد الرحمن الزفصى الدكالى دفين حاحة المتوفى نحو 1319 هـ ، وك... السملالى (. . .) (609) ، وكانت حضرته طيبة الأنفاس ، يستمد هؤلاء الاطراف فيها من الرأس ، الى ان توفى عن احوال مغبوبة ، وسبعة فى نفسه مشكورة ، فى 27 رمضان 1335 هـ .

(607) هو العلامة الجليل سيدى احمد بن محمد الخياطى العيى لازم سيدى محمد بن الحسن الايليسى هذا نحو خمسين سنة ، توفى فى الساعة الثامنة من ليلة السبت ثالث رمضان من السنة التى ذكرها المؤلف ، راجع ترجمته الحافلة فى صفحة 396 من الجزء 13 من الممسول .

(608) هو على بن عثمان بن على بن هاشم بن على بن يحيى بن احمد بن محمد بن على بودميعة ، ماتت عنده البنت المذكورة فرد جهازها الى والدها تورعا منه ، فبقى فقيرا فأتخذ الطلبة مضرب المثل فى الشؤم ، وذلك لأن موارد العيش فى تلك الناحية ناضبة ، الا مع التعليم فى أحد المدارس او الخوض فى النوازل ، وذلك لا يتيسر لكل الناس ، وقد ذكر المؤلف فى الممسول انه توفى فى فاتح محرم 1344 بدلا من 1349 هـ المذكور هنا ، ويظهر ان ما فى الممسول اوتق لأن تاليفه له كان بعد هذا ، ونحن الآن فى سادس ربيع الثانى عام 1386 هـ ، والجزء الثانى عشر من الممسول مطبوع عام 1382 هـ الموافق 1962 م اما « ايلخ الحديثة » هذه فان المؤلف رحمه الله لم يضع فيها يده منذ حررها سنة 1358 هـ ، وايضا فان ما رأيناه منه من مزيد الاعتناء بالممسول يجعلنا نعتنقه .

(609) لم نظفر لهؤلاء الثلاثة بتراجم تفيدنا اخبارهم كما تمودنا ، وكل ما عثرنا عليه هو ان اولهما من تلاميذ سيدى مسعود بن محمد المعدرى المترجم ابتداء من صفحة 8 من الثالث عشر من الممسول ، وأخبرنا الاستاذ الحسن بن احمد البونعمانى الشاعر المشهور المترجم فى نفس الجزء ان سيدى احمد بن مبارك يلقبه طلبة سيدى مسعود التشنيق لقلق وتعصب كانا فيه . وحاولنا ان نعرف عنه أكثر من ذلك فلم يتيسر ، واما الثانى فلم نجد له خبرا غير الذى هنا ، واما الثالث فما انت ذا ايها القارئ الكريم ترى ان المؤلف رحمه الله ترك محل اسمه ومحل وفاته فارغين الى ان يجد بما يملؤهما ولكن حال أجله رحمه الله دون ذلك .

علي بن محمد الرئيس الحالى

ولد 129 (610) ، فحفظ القرآن وأخذ بعض معارف عن أحمد الخياطى وءاخرين فنشأ كما ينشأ أمثاله من أبناء الرؤساء ، فبدر منه فى الصبا ما يعذر معه لشبيبته .

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل الشباب

ثم حسنت أخلاقه فأقبل على اصلاح شؤونه ، فكان له خط جيد وعبارة حسنة ، مع ولوعه بالتاريخ وكتبه على اختلاف أنواعها قديما وحديثا ، محببة اليه المذكرات العلمية ، وعنده الى الآن عالم يسمى محمد بن الأنصارى يلزمه * وشغلها المطالعة والمدارسة ، وقد حافظ على موالة أهل الخير ارثا عن أجداده . فاتصل بالشيخ الوالد (611) حين رد ما كان بينه وبين والده الى ما حمدت عقباه ، فبقى على ذلك الولاء الى اليوم .

وهو فى نفسه مقدم مفاخر ، كريم النفس واليد أريحي ، قادر للناس أقدارهم ، يحب معالى الأمور ، وقد اتصل بالحكومة بعد والده وتعرف برجال الحماية وواصلهم بتيقنيت فى وقت لا يصلهم فيه من الجبليين الا قليلون ، وكان يفد على الحواضر ، ويستفيد من مخالطات طبقات مختلفة ، فرقى ذلك

610) وقع للمؤلف هنا مثل ما وقع له فى التعليق رقم 586 اذ ترك هنا ايضا بيضا للنيف الزائد على التسعين ، فراجع هناك .

*) راجع ترجمته فى صفحة 26 من الجزء الثانى من رحلاته خلال جزولة . للمؤلف .

611) يعنى به والده الشيخ الصوفى المربي المجد الراسخ سيدى الحاج على بن احمد الدرقاوى مؤسس الزاوية الدرقاوية الالفية التى جعل المؤلف الاتصال بها وبمدرسة الاستاذ محمد بن عبد الله الالفى شرطا فيمن يترجمهم فى المسؤول كما سبقت الاشارة اليه فى التعليق 570 .

وهذا الشيخ من أفاض الربيبين الذين يقل ان ياتى لهم الزمان بنظير ، فقد تخرج به كثير من فحول الصوفية المارفين ، وتصاغر بين يديه للأخذ كثير من العلماء المتضلعين ، ومن اراد ان يعرفه فليراجع ترجمته ابتداء من صفحة 184 من الجزء الاول من المسؤول وغيره من كتب المؤلف كالترياق المداوى ، ومن أفواه الرجال ، وكتراجم أتباعه فى المسؤول .

فكره بالنسبة الى أهل بلاده ، وقد جاذب المجاطيين الذين وجدهم برزوا لمعاداة داره مجاذبات ، كالبنيرائيين الذين كان والده أفضل عليهم كثيرا ، فجازوا أبناءه جزاء سمار .

وقد اتخذت قضية مولاي البشير التازروالتى دورا كبيرا فى تلك المجاذبات ، فقد كان اهله جلوا عن تازروالت الى تيزنيت ، ثم رده محمد بن انحسين ، ولكنه لم يدع بث الدسائس ضد ايليج فمد له بعض المجاطيين اعانة ، فكان ما لا يحمد ، كما جاذب ايضا القائد المدنى (612) رجلا هذه الجهات من سنة 1335 هـ ، الى سنة 1352 هـ ، فلم يرضخ له ، ولكنه مع ذلك قد حرم الحرية فى تازروالت حتى فى أبناء عمه الشرفاء ، فعلى هذه الحالة طلع الاحتلال اواخر سنة 1352 هـ ، فكان اول مبادر للترحيب بالحالة الجديدة ، فنال الأمن فى نفسه واهله ، واستراح من تلك المجاذبات العنيفة ، فأقبل على خويضة نفسه ، دافعا بولده الحسين كنائب عنه الى ادارة الشؤون وتنفيذ ما تامر به الحكومة .

هذا «آخر ما تيسر لنا كتبه عن ايليج الحديثة ، فتم لنا ما اردنا من ايراد الأدوار التى تقلبت فيها « ايليج » قديما وحديثا .

وكان الفراغ من هذا فى العاشرة من رابع ربيع الثانى عام 1358 هـ

(612) تقدمت الاشارة الى اخباره فى التعليق 535.

والى هنا تنتهى هذه التاليف التى تيسرت لنا على كتاب استاذنا العلامة الجليل سيدى محمد المختار السوسى ، نرجو الله ان ينفعنا بها وينفع غيرنا وان يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وبرورا منا باستاذنا واداء لحقه ، نتمنى الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، ولا مولى لنا الا على حسن الظن به ، ورجاء شفاعته نبيه ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه وأزواجه وذريته ، وكافة أهل بيته ، وحفظة سنته ، « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله » والسلام ، بعد عصر يوم الثلاثاء 6 ربيع الثانى 1386 هـ 26 يوليه 1966 م .

محمد بن عبد الله الرودانى : صفحة 228 الجزء 14 من المعسول .

فهرس

محتويات الكتاب

صحفة

- 1 عراقة عمارة القطر السوسى بالجيل البربرى
- 1 أنفة الجيل البربرى من الانغمار فى المحتلين لأرضه
- 1 تفتحه للتعاليم الاسلامية
- 1 ممازجة السوسيين لأسر عربية سكنت بلدهم
- 2 التعريف بالآل أكرامو السملالين
- ترجمة القاضى سيدى عبد الرحمان التامانارتى صاحب كتاب
- 2 « الفوائد الجمة باسناد علوم الأمة »
- 3 ترجمة خنانة بنت بكار المغافرية زوجة المولى اسمعيل
- 4 ذرية الصحابى أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه بسوس
- 4 ذرية الصحابى عكاشة بن محصن رضى الله عنه بسوس
- 4 ذرية الخليفة ابى بكر الصديق رضى الله عنه بسوس
- 4 اسرة الجشتيميين شيوخ الاسلام
- 4 سيدى محمد - فتحا - بن ابراهيم التامانارتى الملقب الشيخ
- 4 الوافقاويون والايفشانيون
- 4 اللكوسيون والأمانوزيون
- 5 اد عزى الافرانيون
- 5 ترجمة الافرانى العالم المؤرخ
- 5 الشيخ يعزى وهدى واهله
- 5 ذرية الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسوس

صحيفة

٥٨	عمر و التاموديزيون ، ومنهم عمرو المفتى وعبد الرحمان الجراد
5	الفلكي والشيخ الحسن التاموديزتي الصوفي
6	سيدي واساي المكي الرندي
6	سيدي عبد الله بن داود باسافن ن ايت هرون
6	سيدي عياد السوسي دفين طاماصت
6	سيدي محمد بن ويساعدون دفين سكتانة
6	ذرية الخليفة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بسوس
6	ذرية يزيد بن معاوية
7	ذرية وكاك شيخ عبد الله بن ياسين الادارسة
7	الاحكاكيون الادارسة
7	الشرفاء السباعيون
7	الاصاريقيون الحامديون
7	سيدي عبد الجبار بن يكلد دفين فم تيزخت بأملن
7	احفاد سيدي محمد بن عمرو الاسريري
٨	الشرفاء الكثريون بسوس
8	الشرفاء الوزانيون بسوس
8	سيدي سليمان بن الحسن أباينو
9	سيدي سليمان بوتوميت صاحب الشيخ احمد بن موسى
9	الجعفرين بسوس
9	سيدي علي بن يونس الاغشاني
9	الشيخ سيدي عبد الله بن مبارك الاقاوي
10	العباسيون في سوس
10	الزيريون الاسديون بسوس
10	ابناء سيدنا عبد الرحمن بن عوف بسوس
10	المساجد في القرى السوسية
10	نبوغ ابناء الأسر العربية في سوس

محتبة

- II ابتداء الكلام على ايليج
II تفريط المقاربة فى كتابة تاريخ بلادهم
II تأسف المؤلف على عدم المراجع عند شروعه فى هذا الكتاب

تمهيد

- I2 احمد المنصور السعدى وحالة المغرب عند موته
I2 حرص المنصور السعدى على توريث ملكه لأولاده
I2 تناحر اولاده على الملك واضرارهم بالمغرب
I3 زيدان وابو فارسى بنا المنصور السعدى
I3 السلطان احمد الاعرج السعدى
I3 اخلاء البرتقال لحصن فونتى بأكدير
محمد الشيخ الأول السعدى ودخوله فاسا والقضاء على بقايا بنى
I3 مريـن
I3 كيف تحضر السعديون بعد التبدى
مقتل عبد الواحد الونشريسى الفاسى وعلى حرزوز المكناسى وعبد
I3 الوهاب الزقاق العلماء
عبد الله الغالب بالله وكيف تولى الملك واتصاله بسيدى احمد بن
I4 موسى
I4 عبد الملك المعتصم ومحمد المسلوخ
I4 قضية وادى المخازن وسباستيان ملك البرتقال
I5 الثائر ابن أبى محلى
I5 زاوية الدلاء واهلها
I6 المجاهد محمد العياشى
I6 آل الشيخ سيدى سعيد بن عبد النعيم الحاحيون وثورتهم
I6 آل أمغار التامصلوحتيون
I7 المجاهد أبو كانون المطاعى العبدى

من هو الشيخ احمد بن موسى

مقدمة

- 17 ابتداء ذكر الشيخ سيدى احمد بن موسى السملالى
- 17 النسبة السملالية الشريفة وتمحيصها
- 17 سلسلة نسبة سيدى احمد بن موسى الى الامام على بن أبى طالب ..
- 19 أول من نزل بلاد سملالة من أهل هذا النسب الشريف
- 19 قبرا والد سيدى احمد بن موسى ووالدته
- 19 حال سيدى احمد بن موسى قبل الفتح عليه
- 19 شيخاه سيدى محمد الوجانى وسيدى ابراهيم بن على
- 19 كيفية الفتح على سيدى احمد بن موسى بفضل احدهما
- 20 الشيخ عبد العزيز التباع
- 20 سياحة سيدى احمد بن موسى 30 سنة
- 20 استقراره اخيرا بزاورته بتازروالت 60 سنة
- 20 حاله وانحشار الناس للاخذ عنه وتقشفه
- 21 من المعاصرين له العلامة احمد بن عبد الرحمان التيزركينى
- 21 والعلامة محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتى
- 21 والشيخ محمد بن يعقوب دفين ايمى ن تأملت
- 21 والشيخ عبد الله الغزوانى (مولى القصور) بمراكش
- 21 والشيخ عبد الله بن حسين المصلوحى
- 21 والشيخ عبد الرحمن بن على التيلكاتى
- 22 التصريح بالاجماع على ولاية سيدى احمد بن موسى
- 22 التصريح بان امثاله قلما يوجدون
- 22 الشيخ المربى سيدى سعيد بن همو المعدرى
- الشيخ محمد بن يوسف الترغى الذى دل السلطان على سيدى
- 22 احمد بن موسى
- 22 سفر السلطان الغالب بالله السعدى لزيارة سيدى احمد بن موسى

مجلد

- قدومه هو على السلطان بمراكش أو تارودانت لأن آثاره ما تزال
23 بها وتعطفه عن مال السلطان
76
23 والى الشرطة موسى بن مخلوف الكنسوسي
قولة سيدى احمد بن موسى المأثورة « من جار فليخرج » التى ما
23 تزال محفوظة عند أهل تارودانت
24 سيدى محمد بن ابراهيم الباعقى حافظ كتاب سيبويه
24 سيدى احمد بن محمد اد افال الدرعى العلامة الكبير
24 فتواه بوجوب الاستبراء على كل امرأة اختلت باجنبى لغلبة الفساد .
24 وفاة الشيخ سيدى احمد بن موسى سنة 971 هـ
24 مدفنه
24 يبلغ أشياخه أكثر من 300 شيخ

أبناء الشيخ من صلبه واعقابهم

- أبناء الشيخ احمد بن موسى واعقابهم وأماكن سكنهم داخل المغرب
25 وخارجه
25 كتب التاريخ التى ترجمت للشيخ
26 بنات الشيخ
26 ترجمة سيدى يعقوب الاكدمانى صهر الشيخ

على ابن الشيخ

- اعتقال المنصور السعدى لعل بن الشيخ بتارودانت وموته فى
27 السجن خوف أن يثور عليه
27 اختبار محمد الشيخ السعدى لصوفية عصره
28 اعتقال المنصور للعلامة الشيخ احمد بابا السودانى
غضب المنصور على القاضى الحميدى لما عاتبه على وضع الناس فى
28 السلاسل
28 سياسة المنصور السعدى نحو المغاربة

الثورة

صفحة

- قصة الدكالية التي جاءت لتشكو اليه ظلم أعوانه فوجدته
29 أظلم منهم
29 اسباب ثورة ءال سيدى احمد بن موسى على السعديين
29 كيف قامت الدولة السعدية على ايدي السوسيين
29 بعض الشخصيات السوسية اللامعة فى الدولة السعدية
29 استبحار العلوم العربية فى سوس على عهد السعديين
نظرية المؤلف فى ان ثورة ءال بودميعة كانت ردأ لفعل المنصور
30 الذهبي معهم
30 اشارة الى خبر سبأ وسيل العرم

كيف حال سوس فى ذلك العهد

- مآل المغرب بعد موت المنصور السعدى ووصف القاضى
31 التامانارتى لذلك
31 من اسباب انحطاط المغرب بعد المنصور اختلاف اولاده على الملك
32 صفة الوباء الذى اجتاح المغرب من سنة 1006 هـ الى سنة 1016 هـ
32 صفة احتياط المنصور منه لنفسه ولأهله وموته بسببه
33 من الأسباب الجوع الذى ساد اذ ذاك
33 ومنها فقدان الرجال المحنكين لاستبداد المنصور بالامور
33 نظراء له من المستبدين فى العالم الاسلامى عبر التاريخ
33 اشارة لاستبداد الحاجب احمد بن موسى المعروف بـ با احمد
33 بطشه بالوزيرين الجامعيين
298 الرجوع الى ذلك بأوسع مما هنا
أول ذكر لبودميعة وشهادة المؤرخ الفرنسى الكونط دوكاسترى
34 بتحبيذ المغاربة لقيامه
221 اما ترجمة دوكاسترى هذا فتوجد فى صفحة

ابراهيم بن محمد بن الشيخ في الميدان

محبلة

- 35 أول قائم من آل الشيخ لطلب الملك
35 تاريخ ومكان وفاة ابراهيم القائم هذا
35 الثريد الاعفر
التعريف بكتاب « بشارة الزائرين » في الوفيات بسوس
35 لداود الكرامي
ابتداء ذكر فتنة ابناء المنصور السعدى بعد وفاة والدهم ونفور
36 الناس منهم لذلك
36 دور الباشا جوذر بن عبد الله الاسلامي في ذلك
وسيدكر في صفحة
215 محاولة زيدان بن المنصور أن يقمع قيام آل سيدى احمد بن موسى
37 نهب ابراهيم القائم لزواية فيها امتعة لزيدان بن المنصور واخذه
37 منها 20 قنطاراً من الذهب
37 شيوع احترام الزوايا بين المغاربة اذ ذاك
37 خبر فتك المولى الرشيد بن الشريف باليهودى ابن مشعل
38 وصف ابراهيم بالثروة واقطاعه قرية لآل سيدى محمد بن ابراهيم
الشيخ
38 احمد بن ابراهيم القائم

الحسن بن على بن الشيخ

- 39 المكانة العلمية لاحد بن ابراهيم هذا واستنساخه للكتب النفيسة
39 القائم الثانى من آل سيدى احمد بن موسى

مجادبة الامارة بين ابناء الشيخ

- 40 الاختلاف بين ابناء الشيخ على الامارة
45
رجوع الى اخبار زيدان وابن أبى محلى ويحيا بن عبد الله بن سعيد
40 الحاحى الرودانى

صفحة

- 41 فذلكة عن بعض الزوايا الصوفية اذ ذاك بالجنوب
- 41 تأسف المؤلف لاهمال المغاربة لكتابة التاريخ
- 42 تبين من هو بودميعة مؤسس دولة « ايليخ »
- 42 تلاعب ولدان السعديين وعبيدهم بحرمة بلاطهم
- تصويب المؤلف لاستعمال كلمة القنابر بدل كلمة القنابل
- 42 المعروفة
- 43 بيان من هم اخوال بودميعة
- 43 التعريف بالامام محمد بن احمد الحضيكي وكتابه في التراجم
- 43 العلامة سيدى البشير بن المدنى الناصرى الافرانى
- 44 عبد الملك بن احمد الافرانى خال الامير بودميعة وأحد قضاته
- 44 التعريف بكتاب « الوفيات » للرسمو كى المجهول الاسم
- 44 خبر قرية الجمعة بافران

كيف ابتداء امره

- 45 الكلام عن كيفية ابتداء امر بودميعة
- 45 سبب تسميته بودميعة
- 46 الشاعر محمد أمحالي الايسى شاعر بلال بودميعة
- 46 قصيدته فى بيعة بودميعة
- 47 وصفه لزيدان بالمهزم ، وخبر انهزاماته
- تفسير كلمة انفلوس بقصد اخواننا الذين لا يعرفون لغتنا
- 47 الشلحية
- 48 كتاب « نفحات الشباب » لأديب رودانى مجهول
- نفثة لا شعورية للمؤلف تنم عن تشوف المصلحين امثاله لثيوع
- 49 العلم بالمغرب
- تسابق القبائل السوسية الى تأسيس المدارس العلمية
- 50 وعاداتهم فيها
- 50 تلميح لتشجيع السعديين والعلويين للعلم والعلماء

صحيفة

- 51 الشجرة التي بويح تحتها بودميعة في تانكرت بافران
52 تاريخ ميلاد بودميعة وسنه يوم بويح

الامير الجديد يستميل اليه بالسياسة

- رسالته الى علامة القطر السوسى يحيى بن عبد الله بن سعيد
52 لينضم اليه
52 تلميح لوقعة كيليز التي اصرخ فيها يحيى زيدان وقتل ابن أبى محلى
53 ترفع يحيى عن الانضمام الى بودميعة
53 الاشارة الى كتاب المؤلف « مترعات الكؤوس »

المصادمة بين يحيى وبين بودميعة

- هجو أمحاولو شاعر بودميعة ليحيا ، وتضمينه البيت الذى اکتفى
55 به أبو مسلم الخراساني فى جواب رسالة عبد الحميد الكاتب ...
55 ابتداء الاشارة الى ثورة يحيى هذا ايضا واستيلائه على تارودانت ..
الاشارة الى انه لم تقع بين يحيى وبين زيدان محاربة مسلحة
56 بخلاف ما بينه وبين بودميعة حتى انتزع منه تارودانت
57 تحديد منطقه سلطة يحيى فى الزمان والمكان
57 بيان المقصود برأس الوادى فى القطر السوسى
58 محاولة المؤلف لتحديد منطقة نفوذ كل من يحيى وبودميعة
58 عدد جيوش يحيى يوم استغاثت به سلا ورد زيدان له عن اغاثتها ..
58 التنصيص على دخول كافة السوسيين فى طاعة بودميعة طواعية ..
58 وقوف يحيى دون بلوغ نفوذ بودميعة الى الحوز

درعة تنفسوى تحت ايلينغ

- 59 قائد جيش بودميعة فى درعة سعيد بن عبد الله المراكشى
59 تاريخ وفاة يحيى (1035 هـ)

صحيفة

- وصف الجيش الذى كان زيدان يرد به هجمات جيش بودميعة
وعده وقائده عبد العزيز الزاروى وخبر الأندلسيين الواردين
59 على المغرب
60 تسبب أولئك الأندلسيين فى قتل زيدان لقائده المذكور
61 استبداله بالمملوك حاجب
62

تأسيس ايليغ

- 60 ابتداء تأسيس مدينة « ايليغ » التى سمي بها هذا الكتاب
61 صفة المدينة عند تأسيسها وكيفية عمارتها
اختلاف علماء تلك الناحية فى جواز احداث الكنائس فى بلاد
61 الاسلام
62 وفتوى القاضى سيدى عيسى السكتانى فى الموضوع
62 ترجمة القاضى سيدى عيسى السكتانى
62 التعريف بالفتاوى البرجية السوسية وبمن جمعها ومن رتبها
ما قاله بعض الادباء فى امكان اجتماع الضب والنون واستحالة
63 اجتماع الشراء والأدب
64 مدح ايليغ نظما لمحمد بن احمد الخياطى وترجمته
65 تاريخ ابتداء بناء ايليغ وتاريخ ابتداء السكنى فيه
66 ذكر المؤلف لوقوفه على اطلال ايليغ
غرض السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى من تأسيس
66 السويرة
66 كتابة الحذاق للسويرة بالسين
67 اخذ اليوسى من ايليغ وترجمته
67 موت شخص بايليغ على مجلس للوعظ من الازدحام
68 تاريخ هدم المولى الرشيد لمدينة ايليغ

الاييليغون يستردون تارودانت بعد موت يحيى

محيبة

- 68 محمد بن احمد ابن اخى يحيى وخلفه بعد موته
- شخص بودميعة لتارودانت، وامامة القاضي عبد العزيز الرسمى
- 69 به فى صلاة التاروايح
- 69 ترجمة القاضي عبد العزيز الرسمى شيخ الیوسى
- 69 انقسام جيش يحيى بعد موته
- 70 أصل النقود الأوربية المسماة الدوكة
- 70 تاريخ رجوع تارودانت الى ايلة بودميعة
- 70 تهنئة القاضي ابي زيد التامانارتى لبودميعة برجوع تارودانت ...
- 74 التهنئة ممثلة بالنصح بالرفق بالناس من 72 الى
- 74 ذكره الحديث : « ان المقسطين على منابر من نور » الخ
- 74 ذكره الحديث : « ان من عباد الله من لو اقسم على الله عز
- وجل لأبره »
- 75 زيادة اتساع ملك يوسف بن تاشفين على ملك الموحدین
- 75 ما يؤيد كون زيارة سيدى احمد بن موسى للغالب بالله السعدى
- كانت بتارودانت لا بمراكش
- 76 الاشارة الى خبر دريد بن الصمة
- 78 استنتاجات المؤلف من رسالة القاضي التامانارتى
- 78 اراد نبذة اجمالية من اخبار آل سيدى يحيى وأصلهم
- 79

وقفه ادبية

- 81 اراد المؤلف لصورة أدبية عما راج بين رؤساء ذلك العصر
- 82 فكرة ايليغ فى التوسع

أقوال الشعراء فى ذلك

- 85 خبر الشاعر النائر محمد بن الحسن اللكوسى المانوزى

صحيفة

الاستلاء على اكادير

- 86 تنازل بودميعة لزيدان عن اكادير واكتفاءه بمرسى ماسة
- 86 تصريح المؤلف بعدم عثوره على أخبار اكادير فى الكتب العربية ..
- 86 غارات القائد محمد المسوفى قائد زيدان على اiale بودميعة
- 87 قطعة للشاعر امحاولو فى هذا القائد

سجل ماسة تباع ايليغ بلورها

- هل السعديون شرفاء سعد بهم الناس أو انما هم أبناء سعد
- 87 هوازن الخ
- 88 هجاء الشاعر امحاولو ليحيا بن عبد الله
- العداوة بين اسرة الشرفاء العلويين وبين اسرة الزبيريين أهل
- 88 تابوعصامت
- 88 اعتماد العلويين على ايليغ فى النصرة ضد الزبيريين
- 89 استنصار أهل تابوعصامت بالدلائيين
- 89 استصراخ الشريف بن على ببودميعة واصراخه له
- 89 وشك الاصطدام بين بودميعة والدلائيين بسجل ماسة وتصالهما .
- 91 استيلاء بودميعة بذلك على سجل ماسة
- 91 التعريف بابى عبد الله الضعيف المؤرخ الرباطى

السودان السعدى يتضوى تحت ايليغ

- 92 التنصيص على بلوغ نفوذ ايليغ الى غنية
- 92 اضطراب الدول الأوربية لمصانعة ايليغ من أجل طرقها
- 92 اشادة السفراء الأجانب بقوة ايليغ واقتراح مجاملتها على دولهم ..
- 93 نومدية
- 94 كتب رحلات « خلال جزولة » الاربع للمؤلف
- 94 حالته فى منفاه
- اجتماع أنفا بالدار البيضاء بين جلالة محمد الخامس وروزفيلت
- 94 رئيس أميركة
- 95 نص رسالة بودميعة الى قائد جيوشه بالصحراء والسودان
- 97 ادلة ازدياد اتساع اiale بودميعة

نظرة عامة على اياة ايلخ نحو سنة 1044

صغفة

- 98 فونتي في اكادير وتقلباتها السياسية
99 حالة ايلخ المادية والادبية والدولية
99 كلمة موجزة عن الملاحة وتطوراتها واكتشاف الهند واميركة
99 سبب ارتطام السفن في الشواطىء المغربية الجنوبية
99 تاريخ خروج البرتغال من الهند بالطرد
99 اعتناء السلطان سيدى محمد بن عبد الله بتحرير اسرى المسلمين
99 على يد كاتبه احمد بن المهدي الفزال الفاسى
99 ترجمة السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى وتحريره
99 لمدينة الجديدة
100 التصريح ببلوغ ايلخ اوج عظمتها
استهزاء الدلائيين بتورع بودميعة عن الدماء فى رسالة من
101 انشاء المسناوى
102 ذكر ابن مليح صاحب الرحلة الحجازية
هدية السلطان الوليد بن زيدان السعدى للروضة النبوية
102 الشريفة
102 الحجة على بلوغ اياة بودميعة للساقية الحمراء

مستاصل ايلخ ينبعث من مهده

- تمثيل المؤلف لفعل بودميعة مع شرفاء سجلماسة بالذيب الذى
103 أكل الوطب فى اجرة غسله
103 ابتداء الانشقاق بين بودميعة والشرفاء فى سجلماسة

هل بويح الشريف بن على فى سجلماسة قبل هذا الحين ؟

- 104 عبد الله بن الزبير والاشتر النخعى يوم الجمل

مولاي محمد بن الشريف يتلع راسه

- 105 افساد الزبيريين بين بودميعة والشرفاء السجلماسيين
106 فتك مولاي محمد بن الشريف بكبراء تابوعصامت

صحيفة

- السيد العربي بن عبد السلام مؤلف « الدرة المكنونة الغالية فى
وصف الدولة العلوية العالية » 106
وفد مولاى محمد الى بودميعة لما ورد درعة واغلاظهم القول له ... 107
ورود خبر على بودميعة ازعجه للرجوع عن درعة 108
احتيال بودميعة على المولى الشريف بن على وسجنه له فى ايليج .. 108
دور أبى بكر قائد بودميعة فى ذلك 108
تاريخ اعتقال بودميعة للمولى الشريف 109

ايليج تصطك اذانها لثورة ابن الشريف

- المولى محمد بن الشريف يشن الثورة على نفوذ بودميعة فى
سجلماسة غير مبال بأبيه الذى فى الاعتقال عنده 111
اسباب نجاح ثورة المولى محمد 113

تسريح المولى الشريف من الاعتقال

- اسباب تسريح المولى الشريف من الاعتقال 114
محاولة المولى محمد اقتداء والده من الاعتقال بالمال وبوساطة
الدلائيين 114
مطالبة بودميعة للمولى الشريف أن يعطيه بعض اولاده رهائن 114
تاريخ تسريح الشريف من الاعتقال 114
وصف المؤلف لبودميعة بمحبته للمال وتورعه عن الدماء 115

بيعة مولاى محمد وانقضاضه على دوعة

- بث المولى محمد للدعاية بدرعة ضد بودميعة 117
فساد الجو فى درعة بقضية السيد الطيب بن عبد الله بن عمرو ... 117
انقلاب أهل مزكيطة على جيوش بودميعة 117
حضوره بنفسه لقمع أهل درعة 117
انهزامه بدرعة واداؤه غرامة مالية ورجوعه 118

صحيفة

- 1118 انتصار بودميعة على السعديين وانهزامه أمام العلويين
كيف يصف الدلائيون المولى محمد بن الشريف في رسالة
1118 لبودميعة
تحليل نظرية من يقودون جيوشهم بأنفسهم ونظرية من يبعثون
1119 القواد نيابة عنهم
وقعة القادسية بين المسلمين والفرس بقيادة سعد بن وقاص
1119 رضى الله عنه
120 ترجمة تيمورلانك
120 ترجمة يعقوب بن الليث الصفار الخارجي
120 ترجمة نابوليون بوناپارت الفرنسي
121 قبوع بودميعة في ايليك بعد انهزامه في درعة
122 حكاية تيمورلنك مع النملة التي تحاول الصعود
122 آخر حرب لبودميعة وتاريخ موته وتاريخ انهزامه

مراسلة بين بودميعة ومولاي محمد بن الشريف

- 127 جواب بودميعة اللين عنها

ايليك والدلائيون

- 131 أسباب الاتصال وأسباب الانشقاق
132 وصف مؤرخ زاوية الدلاء سليمان الحوات لبودميعة
132 تنويه الدلائى ببيت آل سيدى احمد بن موسى
132 التنديد بفضبة بودميعة على ولد سيدى عبد الله بن عمرو
132 لومه على عدم مراعاة انتسابه الى الله عن طريق التصوف
134 لومه على ما يشاع عنه وعن اصحابه من تعد لحدود الشريعة
135 لومه على عزمه على أخذ زرع للدلائى وتنازله له عنه
135 توسل الدلائى لبودميعة بما يجمعهما من النسبة التباعية
135 موجز عن المقصود بالنسبة التباعية

صحيفة

- I36 رسالة أخرى من ابن أبي بكر الدلائى الى بودميعة أطف من الأولى .
- I37 تبين ابن ابى بكر كيف ينبغى أن تكون معاملة الناس لآل البيت ..
- I37 تصريح الدلائى بقبول بودميعة لنصحها
- I37 تصريحه بكون سيدى احمد بن موسى من الطوافين فى الأرض
- I37 وصفه لقطر سجلماسة
- I38 تبرؤ الشيخ ابن أبى بكر من أن يطمع فى الملك والسلطان
- I39 اشارته عليه بتولية القائد حمو بن بلا ولاية سجلماسة
- I40 اهداء الشيخ الدلائى طعاما وصابونا لبودميعة
- اشارة الحوات فى « البدور الضاوية » الى عزم ابن أبى بكر على قيادة جيش الى سجلماسة واصابته بالرمد ففهم عن الله وكف
- I40 قبائل الاعراب الصحراويين التى اتفق معها أهل سجلماسة على نبذ طاعة بودميعة ومبايعة المولى محمد بن الشريف
- I41 بيان كيفية اعتقال بودميعة لمولاي الشريف وسبب ذلك
- I41 اعتذاره بما فعله يزيد بن معاوية مع سيدنا الحسين
- I41 استشهاده بكلام الامام ابن العربى فى كتابه « العواصم من القواصم »
- I41 رسالة أخرى من أبى بكر الى بودميعة ورد فيها ذكر كتابى الاستيعاب والقسطلانى كان بودميعة طلبهما من الدلائى فنسخ له الأول وأعوزه الثانى
- I42 اعلان الدلائى فساد البيعة التى يدعى بودميعة اخذها من السجلماسيين
- I42 تقرير الدلائى لبودميعة على غدره بالمولى الشريف بن علي
- I44 استنتاجات المؤلف من رسائل الدلائيين فى تسع نقط
- رسالة قاضى تارودانت أبى زيد التامانارتى لابن أبى بكر الدلائى يخاطبه فيها بمثل ما خاطب هو به بودميعة
- I47 تنظيره باشخاص حادوا عن العلم الى السياسة فخسروا
- I47 ترجمة المولى ابراهيم بن احمد دفين كيك قرب مراکش
- I47

صحيفة

- تبيينه التامانارتى للدلائل الى أن ما هو فيه من الارشاد ونشر العلم
 148 أحسن له وللناس من الخوض فى السياسة
 149 ترجمة سيدي عبد الله بن حسون دفين سلا
 149 اتفاق أمير ايلخ والمجاهد العياشى
 149 خروج جميع الشواطىء من يد بقايا السعديين عدا اسفى

ايلخ والزيدانيون

- الرجوع الى ذكر بدء العراك بين الزيدانيين وايلخ
 152 قطع بودميعة طريق السودان على قوافل السعديين
 152 صفة المواد التجارية المستوردة من السودان اذ ذاك
 153 توارد البواخر الأوربية على اكادير للاتجار
 عرض الزيدانيين على الانجليز احتكار الاتجار معهم بشرط أن
 153 يقفلوا الاتجار مع ايلخ كما ياتي فى صفحة (202) أيضاً
 تنديد فولتير فى روايته كنديد بأمر مسيحي يعرض مثل ذلك على
 153 أمير مسلم ضد اخوانه المسيحيين
 استغراب المؤلف لعدم استيلاء بودميعة على مراکش وتأكيده ان
 154 ذلك كان فى مكانه
 حدوث الفتنة بين اولاد زيدان على الملك مثل ما حدث بين اولاد
 155 جدهم المنصور السعدى
 155 عزم بودميعة على الوصول الى مراکش صحبة احمد بن زيدان
 155 تشرد احمد بن زيدان فى البلاد ووروده على بودميعة
 155 ترجمة احمد بن زيدان
 155 سجن عبو اوباها قائد فاس لاحمد بن زيدان

هل التام شمل البديع وايلخ اخيراً ؟

- تزويج بودميعة احدى بناته لمحمد الشيخ الثالث وتشويرها
 156 بشوار ملوكى عظيم

صحيفة

- ملخص ترجمة محمد الشيخ الثالث السعدى ، وأن المتلقين بهذا
157 اللقب ثلاثة
ملخص ترجمة عبد الكريم الشبانى المدعو كروم الحاج وانقضاؤه
157 على ملك السعديين

ايلخ والتجارة مع اوروبا

- 158 سبب تسمية المحيط الاطلانطىكى ببحر الظلمات
158 كيف ابطال البرتغاليون هذه التسمية
158 ابتداء استعباد الاوربيين للسود الافارقة
158 الفينيقيون
158 اكتشاف اميريكة
158 تاريخ تدشين قنال السويس لأول مرة
159 اضطراب السفن التجارية الاوربية للمرور بالمغرب
159 ابتداء التفكير فى استغلال البخار واستعماله فى الملاحة
159 كيف انتقلت الملاحة من الشراع الى البخار
159 اول خط بخارى لعبور الاطلانطىكى
159 اول كتاب الف فى الملاحة كان من قصاصات الصحف
160 زراعة السكر بسوس واثار آلات تصفيته
161 تاريخ استيلاء ايلخ على كل من فونتى واكادير
استعمال ايلخ لمرسى ماسة وسيدى محمد بن عبد الله قبل
161 استيلائها على اكادير
161 فقدان تاريخ علاقاتنا باوروبا فى كتبنا العربية
161 اعتماد المؤلف على الكونط دو كاسترى فيما اورده عن ذلك
161 الحاج احمد بنانى الذى ترجم للمؤلف عن مجموعة دى كاسترى
162 موارد دى كاسترى فى موسوعته التاريخية

مع هولندة

مجلد

- التجاء زيدان بن المنصور السعدى الى سوس لما انهزم امام ابن
 أبى محلى ١62
 اكتراء زيدان لباخرة فرنسية لحمل امتعته من أسفى الى اكادير .. ١63
 فرار القبطان كاستيلان صاحب الباخرة بامتعة زيدان الى فرنسة
 ليلا ومن جملتها المكتبة الملوكية السعدية ١63
 اعتقاله من طرف ضون بيرضون الاسبانى وجره الى اسبانية ١63
 عدد كتب الخزانة وتاريخ احتراقها فى الاسكوريال ١63
 احتمال وشك استنصار زيدان بالأجانب على ابن أبى محلى ١63
 مأساة تسليم محمد الشيخ الثانى مدينة العرائش للأسبان ١63
 رسالة من زيدان السعدى الى هولندة فى شأن فرار الباخرة ١65
 القاضى احمد الجزولى سفير زيدان الى هولندة ١٤٦
 عادة اختيار السفراء من بين القضاة ١66
 اتخاذ السعديين لحرسهم من أهل سوس الجزوليين ١66
 بيان عن كاب غير بالقرب من اكادير ١66
 فرار باخرة هولندية أخرى بسلع مغربية ١66
 سفارة القائد يوسف بيسكاينو لدى حكومة هولندة ١67
 ملخص عن تاريخ القرصنة الأوربية ١67
 سانت كروا : اكادير ١69
 أسرة ءال بلاش اليهود السفراء ١69
 تناحر أبناء زيدان بن المنصور على الملك ١69
 ولوع الوليد بن زيدان بالفتك بأخوته وإبناء عمومته والفتك
 به هو ١69
 تأسيس كنيسة بمراكش من أواخر أيام الموحدين ١7٠
 نبذة عن أخبار الموحدين اذ ذاك ١70
 ابتداء استمداد طلاب الملك من المقاربة للأسبان ١7٠
 اشتراط الاسبان عليهم التنازل عن المدن والمعقل بالاندلس ... ١7٠

مصحفة

- I70 ابتداء دخول الجيوش الأوربيين الى المغرب
- I71 اخفاق امر مؤسس الكنيسة
- I71 محاربة بودميعة لأبناء زيدان على اكادير
- I72 توظيف اللاجئين الأندلسيين فى الجيش المغربى
- I72 ارسال زيدان للقائد الحسن الأندلسى فى مائة من اصحابه لحماية
- I72 أكادير
- I72 احسان المغاربة للأندلسيين وكفران هؤلاء بالنعمة
- I72 تسليح الأوربيين للمتحاربين المغاربة
- I72 تيلضى ، وتالبرجت ، واحشاش ، فى اكادير
- I73 تاريخ استيلاء بودميعة على قصبة أكادير
- I73 رجوع الى ما تقدم من تنازل بودميعة عن اكادير لزيدان
- I73 نزول الفى جندى أندلسى فى الرباط بقيادة احمد الجنوى
- I73 يوميات ادريان مرتان التاجر الهولاندى الوارد على ظهر السفينة
- I73 « سالاماندر »
- I74 وصول انطوان ليدركيرك الى اكادير ووصف حركة مرساها اذ ذاك
- I74 انفجار مدفع افقد رجلاء آلة التناسل ومع ذلك بقى حيا
- I74 اصطياد الهولانديين لحوت مزخرف فى اكادير
- I74 مقام التاجر الهولندى لبرجين زمنا طويلا باسفى وسلا حوالى
- I74 سنة 1623 م
- I74 اطلاق مدافع اكادير ومدافع البواخر الراسية بها بمناسبة قدوم
- I74 أخ لبودميعة
- I74 هدية اخى بودميعة الى بحارة البواخر الهولندية الواردة لفداء
- I75 الأسرى من ايلينج
- I75 استقبال اخى بودميعة لسفير هولندة بسفح الجبل والمفاوضة
- I75 فى شأن الأسرى

معيقة

- كانت الهدايا التى يقدمها السفراء لمن ياسرون رعايا دولهم تعد من
 175 الفدية ولذلك ربما يماكس فيها
 جاء هذا السفير لفداء 72 اسيرا هولنديا كانوا على باخرتين
 175 تحطمتا
 تشدد بودميعة مع السفير فى هذا الفداء 176
 وجود شيخ فرنى قى فى الاسر 40 سنة 176
 وصفه لحالة الاسرى فى ايلنج 176
 القبطان والى ترجمان بودميعة 176
 تسريح 45 فقط من اولئك الاسرى 177
 وصف بودميعة بالتشدد ووصف أخيه بالسماحة 177
 ما قاله كل من بودميعة وأخيه للأسرى عند تسريحهم 177
 الهدايا المقدمة للسفير وفيها ثلاثة أبواز 178
 تكلم المؤلف رحمه الله على شيوع الاسترقاق فى ذلك العصر
 وتصويره للواقع 178
 رده على ادريان مارتان صاحب اليوميات فيما رمى به بودميعة
 من التجبر 178
 أصل كلمة العتروس فى العربية 178
 تعليق صاحب اليوميات على وصف اكادير فى ذلك العصر 179
 شهادة الانجليز بما يتمتع به تجار النصارى فى سوس من الحرية
 والامن 179
 وصول البحار الهولاندى دولوتير الى اكادير وايلنج ووصفه
 لمشاهداته 180
 محل سكنى القبطان والى ترجمان بودميعة هو ماسة 180
 من البضائع التى كان القطر السوسى يصدرها الذهب والشمع
 والجلود وريش النعام 180
 تعطيل المراسيم عند بودميعة لوفاة ولد له 180
 فداء دولوتير لستة هولانديين اسروا فى الطريق الى البرازيل 180

صحيفة

- 181 احتفال بودميعة باطلاق المدافع فى انتصاراته
- 181 سفرة اخرى لنفس البحار بعد سنتين وافتداؤه خمسة هولنديين
- 181 تصحيح مسمى وادى الفاس ووادى ماسة
- 182 رحلات لوتير الهولندى الى ايليخ
- 182 مناقشة حادة بينه وبين بودميعة عقبته مضافة
- 183 بعض الواردات التى يتجر بها لوتير فى ايليخ
- 184 بعض الصادرات التى يشتريها لوتير فى سوس
- 184 الذهب والعنبر من السلع التى يصدرها القطر السوسى اذ ذاك
- 184 اقتداء لوتير خمسة هولنديين واسبانيا من ايليخ
- 185 تأكيد أن أبا حسون كنية لبودميعة
- 185 هل له أخ
- 185 تحطم سفينة هولندية على شاطئ المغرب فى طريقها الى غينية
- 186 عدد ركابها 51 اسرهم ايليخ
- 186 عريضة من اسر اولئك الاسرى الى حكومة هولندة بطلب تسريحهم
- 186 استعطاف حكومة هولندة لبودميعة أن يسرحهم
- اقتراح اسحق بلاش سفير هولندة على حكومته ربط علاقات
- 187 حسنة مع ايليخ
- ذكره اكراء زيدان بن المنصور السعدى مرسى اسفى لشركة
- 188 انجليزية
- 188 تعداد الفوائد التى ستستفيدها هولندة من صداقة ايليخ
- التصريح بتحالف سيدنى محمد العياشى وبودميعة ضد زيدان
- 188 السعدى
- 188 وعده لهولندة بالحصول على ملح البارود من ايليخ مقابل الأسلحة
- 189 تنافس اليهوديين اسحاق وداود بلاش
- التصريح بأنه لم يبق لاولاد زيدان بن المنصور سوى مراکش
- 189 وما حوالها

مجلد

- خطوه فى بعض اخبار ارسلها الى هولندة يدل على انه يعيش على
هامش الاحوال وان ما ينتظر ان يستفيده من الخارج اهم لديه من
189 احوال الداخل
تكليف هولندة لاسحاق بلاش بمفاوضة بودميعة فى شأن تحرير
الـ 51 اسيرا هولنديا واخفاقه فى ذلك ووضع ممتلكاته
190 تحت الحجز
تكليف خبير بدراسة شكوى اهالى الاسرى باسحاق بلاش
190 تكليف اسحاق بالدفاع عن نفسه والزامه بغرم ما اخذه من اهالى
الاسرى
191 ذكره فى مذكرة الى حكومة هولندة ان بودميعة استغرب كتابة
رسالة حكومتها اليه بالعربية ، وان الهولندى الذى كتبها تعلم
العربية بالمغرب
191 تقبيل اسحاق بلاش رجل بودميعة وطلبه منه السماح للاسرى
النصارى بالقدوم لمنزله
192 ممانعة بودميعة فى ذلك لئلا ينقطع عمل الاسرى فى دار ينتظر
التعجيل باتمامها ليسكنها احد اولاده
192 اقتراح بودميعة على اسحاق بلاش ان يختار خمسة منهم فقط
وفهم اسحاق انه يريد بذلك ان يعرف الاغنياء منهم واعتداده بانهم
لديه سواء
192 التصريح من اليهودى بان بودميعة لا يسمى الا فى جمع الدراهم ..
192 تمثيله لغدر بودميعة وحبه للمال بقضية المولى الشريف بن على ..
193 اشمئزاز أحد اولئك الاسرى من ان يرى نصرانيا فى خدمة هذا
اليهودى
193 دحضه لدعوى استياء بودميعة من كونه سفيرا لديه مع انه يهودى .
193 ذكره ان بديوان بودميعة وزراء من اليهود
193 ذكره لأن بديوان سلطان مراکش كاتب يهوديا
193

مجلد

- ادعاؤه ان ابيه يوسف بلاش كان سفيرا لسلطان مراکش لدى
 هولندا مدة 32 سنة وان ولده داود قد خلفه فى ذلك المنصب ... 193
 تنسيكه من تأخره فى الرتبة ولو تنصر 193
 عادة السفراء الأجانب النزول بين اليهود 193
 ذكره ان بودميعة يضع ثقته فى اليهود اكثر مما يضعها فى المسلمين . 193
 ارسال هولندا سفيرا اخر لدى بودميعة فافق أيضا 193
 رسالة استعطف أخرى من حكومة هولندا الى بودميعة فى شأن
 الأسرى 195

مع انكلترة

- رسالة الى ملك انكلترة بأن الفرنسيين يفكرون فى جلب المعدن
 من المغرب لصنع المدافع 197
 لفظة هولندا اسم لأكبر ولاية من ولاياتها المتحدة 197
 بواخر انجليزية الى اسفى ثم اكادير 198
 التصريح بان تحارب ابناء المنصور هى التى قضت على سكر
 سوس 198
 أمر من ملكة انكلترة بحصر بواخرها فى الترائش واسفى واكادير . 198
 فشل محاولة البرتغال اقضاء الانجليز عن الاتجار مع أكادير 199
 حرص الانجليز على حرية التجارة مع اكادير لما يستفيدونه منها . 199
 من بيده اكادير هو المسيطر على كل تجارة المغرب 199
 تاريخ أخذ محمد الشيخ لاكادير من يد البرتغال 1541 م 199
 مقايضة الانجليز لسلطان مراکش بقذائف المدافع على السكر
 وملح البارود 200
 سفير اليزابيث الأولى ملكة انكلترة لدى المنصور السعدى 200
 مفاوضات مع المنصور ووزيره ابراهيم السفينانى 200
 ابحار السفير من اكادير مع الرئيس مرزوق موفد المنصور لدى
 ملكة الانجليز 200

صحيفة

- كانت تستورد انكلترة من المغرب السكر وملح البارود والزرايبى
والقطن 200
- رسالة من بودميعة الى شارل الأول ملك الانجليز 201
- مطالبة بودميعة للانجليز بتحرير جميع الاسرى المسلمين سواء
كانوا مغاربة أولا 202
- السلطان السعدى الذى طلب من الانجليز اقفال التجارة مع ايليغ
هو الوليد بن زيدان، - راجع صفحة 153 و صفحة 169 و صفحة
205 و صفحة 206 202
- رفض الوليد لتسريح اسرى انجليزيين لمعاملة انكلترة مع بودميعة .
رفع التجار الانجليز بالمغرب احتجاجا الى دولتهم على اعتبارها
بودميعة نائرا 203
- التنصيب على كون بودميعة يبيع السلع الانجليزية فى تيمبكتو
وكاوو - بالكاف المعقودة - وغينية 203
- التنصيب على امكان استغناء أهل سوس عن الاتجار مع الخارج
فيما اذا قاطعهم الاوربيون فيبيعون لأهل مراكش الذين يبيعون
للأجانب 203
- ازدهار التجارة فى ماسة قبل اخضاع اكادير 204
- تقرير انجليزى بان ما يجده الانجليز من البضائع عند بودميعة
أكثر مما يجدونه عن زيدانيى مراكش 204
- التصريح بسعى الوليد بن زيدان فى ضرب الحصار بالاسطول
الانجليزى على تجارة ايليغ 205
- حكم المؤلف رحمه الله على الوليد بن زيدان بتعريضه المغرب
للاحتلال من ذلك التاريخ بجعله اهم مراسيه فى يد الانجليز
واعتباره بودميعة ارفع منه همة بالرسالة المذكورة فى صفحة 201 .
توحيد المغرب بفضل قيام الدولة العلوية 205

صحيفة

- يقول تقرير انجليزى ان مصدر كل ثروة المنصور السعدى
 205 هو سوس
 206 تعداد المواد التجارية والنواحى التى تنتج كل نوع منها
 206 فقرة من معاهدة تجارية بين محمد الشيخ الثالث والانجليز فى
 206 خنق تجارة ايليج
 206 احتيال تاجر انجليزى فى ان يجعل من اكادير قاعدة عسكرية لأمته
 نظرية المؤلف فى سبب ضياع مزارع السكر بسوس بعد موت
 207 المنصور
 208 تحليل المؤلف للمعاهدة المذكورة « انفا »

مع فرنسة

- تاريخ تأسيس سانتا كروز - او سانت كروا - اكادير - واسم
 209 مؤسسها
 209 العثور على سرداب يصل ما بين فونتى واكادير
 209 الاتفاق بين تجار مدينة روان الفرنسية على ارسال باخرة الى
 المغرب للاتيان بالسكر
 210 ترجمة الاديسى الجغرافى
 210 أقدمية وجود السكر بالمغرب
 210 تفضيل السكر السوسى على غيره
 211 عمل السعديين على نشر سكر سوس فى الاسواق داخلا وخارجا ..
 اهتمام محمد الشيخ الاول بسكر سوس واحداث وزارة له
 211 بتارودانت
 211 تمديد مناطق زرع السكر الى حاحة وسكساوة
 211 بناء مدينة القاهرة بسكساوة
 ذكر صاحب « الاستبصار » لسكر سوس فى القرن السادس
 212 الهجرى
 212 التعريف بكتاب « الاستبصار »

صحيحة

- التعريف بابن الوردى وذكره لسكر سوس فى « خريدة
المعائب » له 212
مقابلة بودميعة للرحالة مارج بواسطة القبطان والى الماسى 213
تصريح مارج بان بودميعة كان فى امكانه احتلال مراكش لو شاء .. 213
الشهادة بعدل بودميعة ونزاهته وضمانه التجارة فى منطقته 213
استيلاؤه على غينية ومنجم الملح فى تغازى 213
حضور مارج الفرنسى هذا لمقابلة ملك الانجليز لجؤذر سفير
سلطان مراكش وابلاغه له طلب سلطانه بارسال بواخره الى مرسى
اكادير لمنع الاتجار هناك مع بودميعة 214
من هو السفير جؤذر هذا - تقدم فى صفحة 36 - 214
على أى شىء تطلق سانت كروا 214
معاهدة بين ملك فرنسة والوليد بن زيدان بمقاطعة الاتجار مع
ايلخ 215
حالة المغرب ايام عبد الملك بن زيدان - راجع التعليق
362 ص 155 - 215
تقع اهم قصبات السلطان فى مملكة كاكو حيث احسن ذهب فى
العالم 215
بلوغ مطاحن السكر الى نواحي اكادير 216
ازدهار التجارة فيها 216
حالة نفوذ بودميعة فى منطقته وعموم الامن فيها 216
وصف ماسة 216
وصف تارودانت فى ذلك العهد 217
رسالة من قنصل فرنسة مازيت الى الوزير ريشليو يصف فيها
بودميعة ومنطقة نفوذه 217
مقال جريدة كازيت دوفرانس لمكاتبها بسلا عن وصف بودميعة
ووصف الوليد بن زيدان 217

مصحفة

- 218 اعتكاف الوليد في قصر المسرة مع وزيره يحيى اجانا
218 وصف القصر
218 ذكره ان المفاربة غير معرضين للافلاس لانهم لا يتعاملون بالربا ..
حسابات أحد قناصل فرنسة عما يشتري من الهدايا للسلطان
218 وحاشيته
219 كون سلطان فاس في هذا العهد هو محمد الحاج الدلائي
غيرة السعديين من الاقبال الذي وقع على الاتجار مع منطقة
219 بودميعة
وصف القوافل التي يرسلها بودميعة لتتجر له مع أهل تينبكتو
220 وغينية
220 كلمة كارا التي يوزن بها الذهب وكلمة القيراط
220 خرافة في شأن الذهب الكثير في الصحراء السينيغالية
221 المواد التي يتجر فيها أهل مدينة روان الفرنسية بسوس
221 ترجمة المؤرخ الفرنسي دو كاستري
222 ذكر السويرة القديمة الواقعة بين السويرة واسفي

ايلىخ الحديثة

- 227 تاريخ هدم السلطان المولى الرشيد لايلىخ القديمة
227 فرار أميرها محمد بن علي بودميعة والتجاؤه الى الصحراء
انشغال التاريخ عن تيه ءال بودميعة في الصحراء باخبار امجاد
228 الدولة العلوية الفتية

محمد بن موسى فى الافق

- 228 ظهور ءال بودميعة من جديد
مواتاة الظروف لهم بتدهور أمور المغرب بعد موت المولى اسمعيل
229 واستيلاء رؤساء عبيد البخارى

مجلد

- تشبيه المؤلف لما بعد وفاة المولى اسمعيل بما بعد وفاة المنصور
السعدى 229
ايجاز حال المغرب بعد موت المولى اسمعيل 229
اسماء المتناحرين على الملك من اولاده 229
ذهاب المولى عبد الله ابن اسمعيل لسوس بقصد تمهيد 229

احمد بن محمد بن علي بودميعة

- هذا هو المحقق انه جده ال ايلخ الحديثه 230
فشله واسبابه 230
ظهور الشرفاء العلويين بمظهر ديني وشعبي اخضع لهم الناس ... 231
تمسك السوسيين بطاعة الملوك العلويين 231
تمييز السوسيين بين شخص السلطان وبين اعوانه 231
النائر الطاريء على سوس المتسمى بمحمد المكاوي ومقتله 231
النائر باحلايس (البردة) وقتل السوسيين اياه وتسلمه على
العلماء وحمله القراء 231
عدم طموح أهل ايلخ الحديثه للملك 232
استرداد الدولة العلوية لسلطتها في الجنوب 232
ابتداء خلافة سيدى محمد بن عبد الله عن والده بمراكش وكيف
تم ذلك وأين 233
خبر النائر الطالب صالح في اكادير وقضاء سيدى محمد بن عبد
الله عليه 233
وصف المؤلف لحرب أهلية بين قبيلتي مجاط وادا وباعقيل ودور
أهل ايلخ فيها 235
امغار على بن باها الذى تضاف اليه قرية اد على أباهها بمجاط 235
توظيف البعقيليين مفرما على مجاط واحتيال ايلخ في ابطاله 235
بدء التفاهم بين ايلخ الحديثه وبين ادا وباعقيل 236
اول التكلم على نحلتى تاكوزولت وتاحوكات 236

يحيى بن احمد

مجلد

- 237 مل هو أول من وطد مركز ايلخ الحديثه
237 فقد المواد التاريخيه عن عهده
كون الاستاذ محمد بن احمد الخياطى التومانارى حجة فى هذا
237 التاريخ

على بن يحيى

- 237 فقد المواد التاريخيه عنه كوالده قبله

هاشم بن على

- 237 تاريخ ولادته ومقتله
237 تزعم ايلخ الحديثه لنحلة تاكوزولت ضد نحلة تاحوكات

نحلتا تاكوزولت وتاحوكات

- 238 اقدمية سكنى قبيلة جزولة البربرية لجبال اداولتيت
236 ابتداء ذكر قبيلة جزولة فى التاريخ المغربى
238 تزييف خبر طرو قبيلة حربيل زعيمة نحلة تاحوكات على المغرب
اطلاع المؤلف على كلام من نقل عن المسعودى ان حربيل من قبيلة
238 جالوت الفلسطينيه
239 نقل كلام المسعودى فى « مروج الذهب هنا » وعدم ذكره لحربيل
239 عموم الانقسام بين تاكوزولت وتاحوكات فى غالب القطر السوسى
239 وقت احتمال طرو حربيل على جزولة فى جبال ولتية
240 سبب انخراط الباعقيليين فى تاحوكات وان كانوا جزولين

عرك مجاط

- 240 اجتماع ادا وباعقيل مع ايلخ الحديثه على عرك مجاط

هاشم يحاصر تيزنيت

مجلد

- 241 وصف سور تيزنيت اذ ذاك
- 241 حلفه ان لا يحلق راسه حتى يبيله بماء عينها
- 241 امتناع تيزنيت عليه واخراج مائها اليه ليبل راسه تحلة لقسمه ..
- 241 تواريخ محاصرته لها ثلاث مرات
- خبر الشيخ الصوفي محمد بن واعزيز والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ودفاعه بها عن تيزنيت
- 241

فرايه امام محمد بن يحيى اغناج

- 242 تمكن القائد السلطاني عبد الملك بن بيهي الحاحي في تارودانت ..
- 242 ارساله خليفته محمد بن يحيى اغناج الى ايليخ الحديثة
- 242 مروره اليها من نفس الطريق التي مر منها السلطان مولاي رشيد
- 242 أصل آل بيهي الحاحيين وتتمة ما تقدم من اخبارهم في ص 233
- 242 ابادة اغناج لزروع ال ايليخ الحديثة
- 242 استقرار هاشم في قرية اسكاور
- 243 حضوره مع الباعقيليين في محاربتهم لاغناج
- 243 اسر اغناج للشيخ ابي بكر جد ال امازر
- 243 انتصار اغناج عليهم وفرار هاشم من اسكاور الى وادي نون
- 243

بعض حكايات عنه

- 243 ارساله قصعة الى حداد ثري ليملاها له بالمال ظلما
- كان لباس هاشم لا يعدو قميصا غليظا من الصوف وكان مولعا
- 244 بتربية الجمال ومدواة جربها
- ارساله يهوديا لاغتصاب حلى امرأة ووشك قطع اليهودي يدها
- 244 لاستعصاء اخراج دملج فيها

صحيفة

الفتك به

- احتيال امحمود زوج المرأة فى الفتك بهاشم فى رحبة الجمال
244 بموسم سيدى احمد بن موسى

على بن هاشم

- 245 والدة النجباء من اولاد هاشم
- 245 الاستاذ عبد الله البوشكرى
- 245 الاستاذ بلقاسم بن محمد الاكمارى
- 246 على بن هاشم هو الذى احدث الاعوان والحجاب فى ايلخ الحديثة ..

معركة تيفمى

- كانت معركة تيفمى بين ادا وباعقيل وبين جميع شيعة تاكوزولت
246 وانهزام الباعقيليين
- 246 ابتداء اهتمام ادا وباعقيل بالخيل لقمع على بن هاشم

معركة ادا ك اكمار

- 247 انهزم فيها الباعقيليون أيضا

معركة العركوب

- 247 وقوعها مع الجرارين للتسابق على الاستيلاء على اغيرملولن
- احتيال على بابر از اليهود على اكتافهم القصب كأنهم جيش يحمل
247 البنادق

على يصاب

- 247 اصابته برصاصة فى جبينه وانسحاب اصحابه

هل غدره أحد اهله

- 248 اتهم أخيه الحسين بقتله
- 248 دسه له اعرابيا صحراويا اسمه ابن يحيى فرماه اثناء المعركة ...

مجلد

اشياء اخرى عن علي

- 248 كونه شجاعا عنيدا لا يرتد عن تصميمه
248 قيامه بفرائض دينه ومدته يده الى ما يجد من أموال الناس
248 اولاده

الحسين بن هاشم

- 248 عظمة امره في سوس اواخر القرن 13 الهجري
249 تَعُودُهُ ان لا يرد له راي وان لا يمتنع عليه مطلب
249 تاريخ ظهوره ووفاته
249 طموحه الواسع
249 مولده بأسكاور ايام جلاء والده امام اغناج

كيف نشأ

- 250 اعتناء والده بتثقيف اولاده وتعليمهم الفروسية
250 ظهور اثر تربيته في اكباره لأهل العلم

تطلعه في الرئاسة

- 351 الاستعداد الجبلي في الحسين للرئاسة

مطلعه في دست ايليخ

- 251 وجوده اباه واخاه قد مهدا له الأمور
251 كيف حالته مع السلطان المولى عبد الرحمان
251 باشا تارودانت الحاج احمد اكنى
251 باشا تارودانت بومهدى الهواري
251 أصل آل بومهدى الهواريين من درعة
ورود قائد مخزني علي تارودانت وايداعه لحماذ بن بومهدى
251 السجن بلباقة
252 ظهور نفوذ الحسين بين جرائه في أول امره

مستمد قوته ونفوذه

صحيفة

- 252 كانت منطقة نفوذه هي ابناء سيدى احمد بن موسى
- 252 بلوغ عبيده نحو المائة
- 253 استمداده النفوذ من موسم تازروالت العظيم
- 253 تزلف الناس الى الحسين لحاجتهم الى تسويق الموسم
- 253 كون كثرة المواسم لم تحدث الا اخيرا
- ارساله اعوانه بالرقاع لاستنصاف كل من اتهم بحدث فى
- 253 شؤون الموسم
- 253 سلوكه سياسة فرق تسد بين القبائل
- 254 اكتسابه الاموال الطائلة من مكوس الموسم ومغارمه
- 254 تعاطيه للتجارة بين الحواضر والصحراء
- 254 تعاطيه للفلاحة ايضا والماشية
- 255 ابهة مواكبه بالخييل والرجل
- 255 التماس المؤلف الغدر للحسين عن اقترافاته من بيئته

كيف بيئة ذلك العصر

- 256 تناقض الحسن والسوء فى اخلاق الحسين
- 256 عموم الشراسة فى اخلاق اهل تلك الناحية اذ ذاك
- 256 القاء الاسكرايين لثلاثة من اهل ايغيرمولن من جرف عال
- اخذ اهل ايغيرمولن نارهم من الاسكرايين وذبح مؤذن
- 256 مسجدهم لهم
- 257 قيام شيخ هرم لاسرى مربوطين وطعنهم واحدا واحدا حتى قتلهم ..
- 257 ربط اشخاص وارسال الماء عليهم فى نطفية حتى ماتوا
- 257 بطح الحسين لاشخاص وشدخ عبيده لهم حتى ماتوا

معارباته

- 257 محاربة ايلالن
- 257 محاربة تهالا

صحيفة

- 257 محاربة ايت امسرا
- 257 محاربتان له في ايت رخا
- 257 محاربة ايمى اكادير
- 257 محاربة فى وادى نون
- 257 محاربته للحسين بن الحاج الشلحى فى مجاط
- 257 استعصاؤه على المولى الحسن الأول ايام ولايته للعهد
- 258 امتناع الاستاذ محمد بن عبد الله الاساكي كاتب الحسين من اغلاظ
جواب للمولى الحسن الأول اذ ذاك كما سيأتى ذكره فى صفحة 292
- 258 محاربة بينه وبين الجراريين على ايفيرملولن
- 258 فتكه بمحمد الجرارى غدرا
- أصل عين تالعينت باولاد جرار حول تزنيث واسرة ءال بورحيم
- 259 هناك
- 259 اشتمال دار الحسين على مقبرة لمن فتك بهم
- 259 محاربة بينه وبين الباعقيليين
- 259 ليست المحاربات المذكورة حتى النصف من محارباته

ابن أخيه يحاول غيلته

- اثر الرصاصة التى رماه بها محمد بن أخيه فى حائط اعتاد الاستناد
اليه
- 259 فرار ابن الأخ الى البعقيليين وترحيبهم به نكايه بعمه
- 259 سماع المؤلف لآيات من قصيدة شلحية كملحمة لتسجيل
هذا الحدث
- 260

كيف مجلس الحسين

- تراجع 27 من افذاذ العلماء يترددون على مجلس الحسين
- 261 صفحة 260 الى صفحة
- 261 القصيدة البوشكرية التى أولها (محمد أبو لانوار) الخ

صحيفة

- 262 سرد صحيح البخارى فى داره فى الرمضانات
- 262 سيدى احمد بن محمد مؤسس زاوية تيمكيدشت
- 262 ولده سيدى الحسن
- 262 سيدى عبد الرحمان الجشتيمى
- 263 قرية بووابوض وتملق بعض العلماء لقائدها عبد الملك المتوكى
- 263 صدع الفقيه محمد بن بلقاسم التيوتى الالفى بالحق فى نازلة
- 263 قضية الحنيف وجمع المؤلف للالفاظ الشلحية المندرجة فى العربية
- ما نشرته للمؤلف مجلة « اللسان العربى » عن الالفاظ الشلحية
- 264 فى العربية
- 264 قصة من قال للحسين « السلام على من اتبع الهدى » فى رسالة
- قضية العالمين احمد بن ابراهيم السملالى ومحمد بن صالح فى
- 265 شأن العنبر
- 265 احتماله لعبد الله البوشكرى العلامة الذكى الأبله ونادرته فى ذلك
- 266 حسن دفاعه عن نفسه حين لقبوه صاحب الدابة

كيف ياتمر مع اهل نحلته

- 266 قواد تامانارت الشرفاء الكثيرون
- 266 أقدمية الرئاسة فيهم من عهد السعديين وانحياشهم لبودميعة
- 266 اعتداء المولى محمد العالم بن المولى اسمعيل عليهم
- 266 معاملة الله له بتقيض قصده ورضا السلطان عنهم بعد موته
- 266 اسرة ال بيروك التكنيين الاكليميميين ويأتى ذكرهم فى ص 293
- 267 العلامة الحسين بن عبد الله العبلوى والد احمد ن الطالب الرئيس
- 267 مشاهدة المؤرخ الاكرارى لنور ليلة وفاة الحسين هذا
- 267 احمد والد القائد المدنى
- 267 ال الحاج بلقاسم السوقيون

صحيفة

- معاتبة العلامة محمد بن ابراهيم الشيخ للعلامة محمد بن ابراهيم
الملقب النحوى لاستظهاره كتاب « سيبويه » المتقدم فى ص 24
267 على سكوته عن تقبيل اليد ولفظة سيدى فلان
267 اسرة العلامة سيدى الحاج الحسين الافرانى دفين تيزنيت
268 محمد ءانافال الرخاوى
268 امغار ءمحمد العلوى المجاطى
268 على ن بوهوش العلوى المجاطى
268 محمد اوسار الوفقاوى
268 اليزيد العروسى السملالى
268 مبارك بوالطعام الرخاوى

الحسين والحكومة

- تردد المؤلف فيما قدمه فى صفحة 257 من معارضة الحسين للمولى
269 الحسن الأول وعزوه ذلك الى الشيوع
269 فرار الحسين امام السلطان المولى الحسن الأول سنة 1299 هـ ...
269 عدم اهتمام السلطان بأمر الحسين والا لسهل عليه أن يقضى عليه
269 تحاكم الحسين ورئيس اولاد جرار برسائلهما الى السلطان على
269 ايفيرملولن فحكم للحسين
269 اغضاء الدولة المغربية عنه وعن امثاله فى الاطراف
269 الاشارة الى وقعة تطوان التى كانت احدى نكسات المغرب

هل كان عازما على استعادة اماره اجداده

- حكاية جواب اليزيد العروسى للحسين بان ما قدره من المال لاقامة
270 دولته لا يكفيه حتى لطرايش الجنود
270 تاريخ ابتداء رئاسة الحسين وتاريخ وفاته
270 قوة السلاطين المولى عبد الرحمان وولده سيدى محمد وحفيده
270 المولى الحسن عند الامة ، ومكانتهم العظيمة عند السوسيين

صحيفة

- 270 اتصال العلماء السوسيين بالعرش العلوى
 271 تمركز قوة الدولة فى تارودانت وامتداد معنويتها الى أقصى
 الصحراء
 271 مرادفة المؤلف للأدلة على عدم اطلاقه الحسين القيام ضد الدولة ..
 271 الاشارة الى قصد المؤلف جلالة السلطان عند ما يعبر بالحكومة ..
 271 اخبار السفير بركاش للسلطان باتصال الحسين بفرنسة

وفادته على الحاج عبد الله الحاحي

- مركز الحاج عبد الله الحاحي عند الحكومة وقد تقدم الكلام على
 272 ال بيهي هؤلاء فى ص 233 و 242 وباقى فى 274
 273 اتساع اىالة الحاج عبد الله ايام السلطان المولى عبد الرحمن
 273 الوفد المصاحب للحسين وتنظيمه له
 273 الاشارة الى ما وصل به الحاج عبد الله وفادة الحسين
 توجس الحكومة من الحاج عبد الله وانتزاعها منه اكادير واضافته
 الى باشا تارودانت حميدة بن على الشركى لفصل الحاج عبد الله
 273 عن الحسين
 274 غضب السلطان لهجوم الحاج عبد الله على ادا وتانان بدون اذنه ...
 274 وصف للهجوم المذكور بقلم من حضر
 274 سبب اخر لغضبة السلطان على الحاج عبد الله
 274 تدخل ال بووابوض الهمتوكيين فيما حل بالحاج عبد الله
 274 كيفية القاء الحكومة القبض على الحاج عبد الله بفارس واحد
 عزو المؤلف سقوط الحاج عبد الله الى ثقته فى مركزه والى
 275 الدسائس السياسية
 التنصيب على ان المولى الحسن جاء الى سوس ايام ولايته للعهد
 مرتين ووصوله فى المرة الأولى سنة 1282 هـ الى ماسة ووصف ابن
 276 زيدان لذلك

صحيفة

- اعلان المؤلف لكون سبب تنكر الحكومة للحاج عبد الله ما يزال
276 غامضا

اجفاله امام السلطان الى الجبال

- نجاح المولى الحسن الأول فى أن يسود الهدوء مجيئه الى سوس
277 عام 1299 هـ
277 تعيينه القضاة والقواد لأهل سوس وتوارد العلیماء علیه
277 فرار الحسين الى الجبال واخلأؤه داره
نهى بعض أهل الله للحسين عن الفرار واخبارهم له بانہ لن يلحقه
277 ضرر من السلطان ولكن (كاد المريب بأن يقول خذونى)
277 الشيخ سيدى سعيد بن همو المعذرى الصوفى المربى
نزول المولى الحسن فى تيزنيت وانايت المولى الأمين عنه فى زيارة
277 سيدى احمد بن موسى
الشيخ سيدى احمد بن عبد الله المراكشى صاحب الزاوية الدرقاوية
277 بأزبرض بمراكش
تجاهل المولى الحسن الأول لوجود الحسين بالمره وسكوته
278 التام عنه
278 نزول الحسين فى سملالة وتعيينه لهم سوق الجمعة
278 التكلم على اسواق هناك
279 عزو ابتداء انهيار ايلخ الحديثه الى هذه الرحلة التى رحلها الحسين
279 ترجمة الشيخ العلامة سيدى حسين الشرجبلى الناصرى الطريقة

حرب تارغنا وذبولها

- 279 هذه ايضا من حروب نجلتى تاكوزولت وتاحوكات
279 اسباب ديب الشقاق الى فريق الحسين
280 غيرته من ظهور غيره تحمله على اعتقال القائد الرسمى هناك
280 انفة الحسين من أن يظهر هذا القائد بالمظهر الرسمى فى الموسم

صحيفة

- ترجمة القائد سعيد هذا وهو ابن امغار - محمد المذكور في ص 268 . 280
- تغريم الحسين لأهل تاجاجت لمن سلوكية هلكت له 281
- اقتصاص امغار - محمد لولده القائد سعيد عن اهانة الحسين 281
- اتفاق مجاط وادا وباعقيل على اخضاع الحسين 281
- حصار الحسين ومن معه في ايليخ 281
- احناء الحسين هامته وتسريه الاموال للمحاصرين فاختلفوا 282
- استبداد الباعقيليين بالدرهم دون مجاط سبب الانشقاق بينهم .. 282
- سعى الاستاذ الحاج المدني الناصري في الصلح بينهم وسقوطه
عن البغلة 282
- عادة اطلاق البنادق دفعة واحدة لاعلان الهدنة في الحروب 282
- تبكيت امغار - محمد المذكور للحسين وترفعه عن ماله المعروض
عليه 282
- قضية الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالفى مع سملالى فى
معاملة مالية 283
- ترجمة هذا الاستاذ الذى هو مؤسس مدرسة ايلخ قرية المؤلف
التي جعل الاتصال بها أو بزواية والده شرطا فيمن يترجمهم
فى المعسول 283
- احتياط الاستاذ فى كونه لم يخرج من يده اصول الرسوم وانما
اخرج نسخها 284

حياة الحسين تنقضى

- حضور محمد بن الحسين فى البلاط الحسنى بمراكش ومصادفته
اهتمام السلطان بالقدوم الى سوس للمرة الرابعة 284
- مقصود السلطان تفقد الاحوال بالصحراء المغربية والابنية التي
أوصى بانجازها من قبل 284
- باشا تيزنيت الحاج مسعود الراشدى 284
- باشا تارودانت السيد على الراشدى 284

صغيفة

- عقد جلسة عمل بمراكش بين رئيس الوزراء وبين العمال
284 السوسيين لتنظيم الرحلة السلطانية الى سوس
285 مصادفة مجيء السلطان لمرض عضال بالحسين
توجيه السلطان ولده المولى عبد العزيز لزيارة سيدي احمد
285 ابن موسى
استقبال السلطان لمحمد بن الحسين في سوس بمزيد الحفاوة
285 واستصحابه معه الى وادي نون ثم في طريق عودته الى مراكش
285 انعام جلالته على ابن الحسين بظهير ولايته على عدة قبائل هناك
285 تحقيق المؤلف لتاريخ وفاة الحسين

نظرات اخرى على الحسين حول حياته المتقدمة

- 285 اطناب المؤلف في وصف علو حمة الحسين
285 من علو همته أن لا تقدم موائده الى الاضياف الا اذا شاهدها كلها
285 اطعماه الضعفاء في المجاعات
286 توسعه في البناء
286 كثرة عبيده و ثراؤهم
الاستاذ المقرئ الجليل محمد بن ابراهيم اعجلى واتهام الحسين
286 بقتله
286 تجهيزه سجنه بالسلاسل والاغلال
287 محاولة المؤلف الاعتذار عن الحسين فيما كان يقترفه
تمثيل المؤلف لعذر الحسين في ذلك بعثوره على خيانة احد امثائه،
287 ونشوب حرب بسبب ذلك
288 اذكار الحسين الخاصة واتصاله بأهل التصوف
قضية الصوفي الذي تفصى بكشف عورته من الحاج الحسين عليه أن
288 يكشف بعض ما يطلع عليه من الفيبات
288 ترجمة الصالحين سيدي مبارك وابيه سيدي ابراهيم الركائبين

صحيفة

- بناء الحسين للقبلة التي ما تزال الى اليوم على ضريح سيدى احمد
ابن موسى 289
زيارته له كل جمعة ونزوله على الاستاذ احمد بن سعيد العركوبى .
289
بناءه لاحشوش حول الموسم وتخليهم عن دخول الموسم منذ
سقوط هاشم 289
محكمتهم التي يجلسون فيها لفصل الدعاوى هناك 289
امتداد رقعة نفوذه بسبب الموسم الى وادى نون وسكتانة 289
نادرة الاكمارى الذى طرد عون الحسين ثم سبقه اليه وسلم له
نفسه معتذرا بانه انما طرده لثلاثتهم زوجه بالجبن 290
حرمة وميله الى التزوج بالسوداوات وتنكيت بعض اصحابه عليه .
290

فكرتى الخاصة فى الحسين

- تحليل المؤلف شخصية الحسين بقطع النظر عما يقوله غيره 290
قطعة شعرية فى الحماسة لسعد بن ناشب 291
افتراض المؤلف أن لو كان الحسين مكان بودميعة لجرت الامور
على خلاف ما جرت عليه 291
اطلاع المؤلف على حكايات مكذوبة على الحسين لينال بها اصحابها
من شرفه 291

محمد بن الحسين

- استاذ محمد بن عبد الله الاساكى المتقدم فى صفحة 258 292
تنشئته على الرجولة والفروسية 292
مشهد من مشاهد بسالته 293

ينوب عن والده

- تذكير بما سبق من اتصاله بالسلطان 293
تساءل المؤلف عما اذا كان الاتصال مباشرة أو بواسطة 293
عود الى اخبار آل بيروك المتقدمين فى صفحة 266 293

صحيفة

- 293 دحمان الاول فى هذه الاسرة ودحمان الثانى منها ايضا
ايقاع السلطان باداوتانان واستعصاؤها عليه ثم تمكنه منها
294 وعفوه عنها بعد الاقتدار
294 ما حكاه عن السلطان موقته

يتخلف والده

- استرداد ايليغ ايام محمد بن الحسين لما فقدته فى اواخر ايام
294 والده
294 اشاعة اعداء ايليغ انها خارجة على الحكومة قد اضررت بها

معركة تامدان ارعمان

- انتقامه من الباعقيليين المتسببين فى حرب تارغنا التى نالت من
295 ايليغ كثيرا
295 انهزام الباعقيليين والقاؤهم امتعتهم فى الفياقى تخفيفا ليفروا
295 عشور الرعاة لمدة سنة على ما القاه الباعقيليون

ايليغ فى عهده

- 295 سير محمد بن الحسين على نهج والده فى جميع الاحوال
296 ترده الى البلاط الحسنى بالحرء لتحية الجناح العالى بالله
296 علماء اجلة يالفون مجلسه
296 ترجمة الشيخ محمد بن يحيى الولاى الشنكىطى
نظرية اطلاق النبى صلى الله عليه وسلم على نبوءته فى الازل وما
296 جرى فيها
297 تاليف الاستاذ محمد بن العربى الادوزى فى الموالى

معركة توبوزار الهشتوكية

- 297 رفض أهل سوس الانقياد الى قوادهم بعد موت المولى الحسن الأول .
298 ظهور الوزير احمد بن موسى ايام المولى عبد العزيز

صحيفة

- 298 أولية عمل آل احمد بن موسى هؤلاء فى الدولة
- 298 مبارك جدهم وصيف المولى سليمان
- 298 احمد بن مبارك فى حجابة المولى عبد الرحمان وولده سيدى محمد
- 298 تشوفهم لصدارة الوزارة وغيرتهم ممن يتولونها
- 298 مضايقة موسى للصدر الحاج ادريس بوعشرين وحلوله منصبه
- 298 ابتداء تولى احمد بن موسى للحجابة
- 298 خيبة أمل موسى فى التقصى من السيد محمد بن العربى الجامعى
- 298 الدور الذى لعبته خيرة الجامعية فى هذا الطور
- 298 تنبه السلطان المولى الحسن لحيل آل احمد بن موسى
- 298 تعيين عبد الله بن احمد باشا لفاس
- وفاة موسى بن احمد وحلول السيد محمد بن العربى الجامعى
- 298 فى الصدارة
- اصابة السيد محمد بن العربى بالفالج وتولية أخويه الصدارة
- 298 والحجابة
- أصل الجامعيين وعلاقاتهم بالاسرة المالكة بالمصاهرة والوزارة حتى
- 298 نكبهم احمد بن موسى ايام المولى عبد العزيز
- 299 صدور أمر احمد بن موسى لقواد سوس بالاجتماع فى تابوحنايكت
- 300 الحاج الهاشمى بن يطو
- سبب انتهاب السوسيين الجنوبيين للجيش الحكومى المعسكر
- 300 فى تابوحنايكت بهشتوكة
- 300 حالة القواد الذين ارسلهم احمد بن موسى الى سوس اذ ذاك
- 301 وقعة توبوزار حيث معسكر محمد بن الحسين وانسحابه

احمد بن محمد بن الحسين يظهر

- 302 اتصاله بالباحيين يعنى بالجيش الحكومى
- 302 سيره فى ركابهم وجمع أموال الناس لهم
- 302 القاؤه القبض على محمد انافال ومبارك بوالطعام الرئيسين

محتبة

- الاستاذ سعبب بن الطيب الالكمارى الذى كان يسمع بالصلاة من
3٠٢ داره فيصلى أهل القرية بتسميعه
مسؤولية اءمء بن موسى فى ارسلاله القاءء سعبب الكيلولى الى
ءنوبى سوس والباشا ءمو الى شرقيه وشماليه وما سءله التاريخ
302 السوسى فى ذلك
مءمل اءبار الفءان الجيالى الزرهونى بوءماراة وبعض ءءقيقات
303 تاريخية فى شأنه
موت اءمء بن مءمء بن الءسين بطنءة فى طريقه الى الءء 303

بفية اءبار مءمء بن الءسين

- مراءة المؤلف لاسباب انءطاط ايليء 304
مء مءمء بن الءسين اليد فى ءقويت املاكه لنقص ءءله 304
ابءلاء بيءه بما ءبءلى به بيوت النظم من ءغشى الفوضى والنهب بين
الءشم فيكونون اعوانا على ءءريبها بعء ان كانوا اعوانا على
عمارءها 304
بعض اسباب اخرى لاضمءلال ايليء الءءية 305
انابة مءمء بن الءسين الى الله والقاؤه أمور ءلنيا ظهرياً 305
ءيائه ءام عن ءورة الشيع اءمء الءيبة الشنكيطى 305
مءمل اءبار الشيع ماء العينين وولءه مولاي اءمء الءيبة وءورءه
وءءقيقات تاريخية فى شأنه 305
ءور الاءءاء الوطنى الذى كانت ءلعبه هذه الاسرة فى الصءراء .. 305
فرارهم بءينهم ووطنيتهم عءء اءءلال فرنسة لشنكيط 305
مءافاة الملوك العلويين لهم على ءمسكم بالوءءة الوطنية 305
ارءاص الشيع ماء العينين بامارة اءء اولاءه 305
ءور الجئرال كورو فى اءءلال القطر الشنكيطى ءم ءاءلية البلاد . 305
اءءماع غالب السوسيين على الءيبة 306
ازماعه الرحلة الى مراكش واستقراره بها 306

محنة

- 306 تتبع الدولة الفرنسية لخطاه
- 306 عصيانه اشارة حيدة بالقبض على قواد الحوز
- 306 نتيجة فساد ما بين المولى عبد الحفيظ ووزيره المدنى الاكلوى
- 306 دور الجنرال شارل مانجان فى احتلال مراكش وطرد الهيبة
- انتزاع الهيبة لتسعة فرنسيين من يد الحاج التهامى الاكلوى
- واسرهم ومن جملتهم قنصل فرنسة بمراكش وتخوف الناس من
- 306 قتله لهم
- 306 نتيجة فقدان النظام والحنكة السياسية فى صفوف الهيبة
- 307 اشتغال الشناكلة ومن معهم بمهاج مراكش عن الجهاد
- 307 شهادة مانجان فى الكلاوى والمتوكى
- 307 لقاء سيدى بوعثمان وانهزام جيوش الهيبة
- 307 فرارهم من مراكش الى تارودانت
- دخول الجنرال مانجان الى مراكش وابتداء رسوخ الحاج التهامى
- 307 الاكلوى فى باشويتها ازيد من 40 سنة
- 307 استثناء فرنسة على الهيبة فى تارودانت عساه ينضم اليها
- 308 وفاء القائد الناجم الاخصاصى للهيبة
- 308 نهاية الهيبة
- اعمال ابن دحان والحبيب باقا الفطواكى والطيب الكندافى فى هذا
- 308 الوقت بتيزنيت تحت راية الحماية
- 308 ظهور حيدة بن ميس الى جانب الحماية وانفة ابن دحان منه
- 309 نهاية ابن دحان وباقا وحيدة
- 309 مثال من امثلة قساوة حيدة بن ميس
- 310 وفاته
- 310 وفاة محمد بن الحسين
- 310 اسماء علماء يلازمون مجلسه

صيفة

على بن محمد الرئيس الحالى

وقوع شنتان بين على هذا وبين والده واصلاح والد المؤلف

بينهما 311

ترجمة الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى والد المؤلف 311

تاريخ انتهاء المؤلف من مسودة الكتاب 312

تاريخ انتهاء تحرير الحواشى عليه 312

